تأويلات القرآن

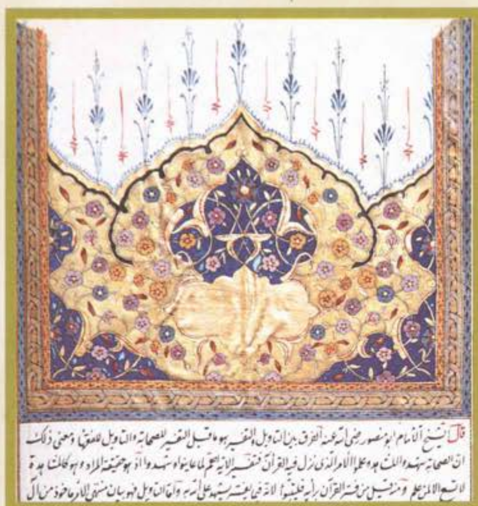
١٤٢٥

لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

تحقيق
عبدالله باشاق

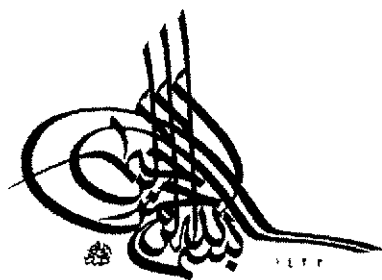
مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوپال اوغلي

الجزء السادس عشر
القلم - المرسلات





دار الميزان



ISBN 978-975-9048-01-3 (Tk.)
ISBN 978-975-9048-10-5

الكتابة والتنسيق

علي حيدر أولوصوي
عيسى يوجل

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

استانبول ٢٠٠٧

تأويلات القرآن

١٤٢٥

لابي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي

٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م

تحقيق
الدكتور خليل ابراهيم قجار

مراجعة
الاستاذ الدكتور بكر طوبال اوغلى

استانبول ٢٠٠٧

دار الميزان
MİZAN YAYINEVİ

النسخ الخطية لكتاب *تأويلات القرآن* التي التزمنا بها في التحقيق

ر: نسخة راشد أفندي - مكتبة راشد أفندي بمحافظة قيصري، تحت رقم ٤٧.

ن: نسخة نور عثمانية - مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٤.

ث: نسخة نور عثمانية - مكتبة نور عثمانية، تحت رقم ١٢٣.

م: نسخة مهرشاه - مكتبة سليمانية، قسم مهرشاه، تحت رقم ٨.

شرح تأويلات القرآن: لأبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي، نسخة ولي الدين - مكتبة بايزيد، قسم ولي الدين أفندي، تحت رقم ٤٢٦.

الاختصارات:

صح هـ: ورد التصحيح بهامش النسخة الخطية.

ر هـ: هامش النسخة الخطية بمكتبة راشد أفندي الخ.

و: وجه الورقة لنسخة مهرشاه التي اتخذت أصلا للتحقيق.

ظ: ظهر الورقة لها.

- : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الناقصة في النسخة.

+ : إشارة إلى الكلمة أو العبارة الزائدة في النسخة.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القلم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[١]

قوله عز وجل: **ن**، اختلف في تأويل[2] ن.[3] فمنهم من يقول: هو الحوت، كقوله: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا،[4] فنسبه[5] إلى النون وهو الحوت، ألا ترى إلى قوله: فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ.[6] ومنهم من يقول: النون هو الدواة. فتأويله هذا على جهة الموافقة، لأنه ذكر القلم وما يُسْطر به، فلم يبق هاهنا سوى الدواة، فحمله على الدواة على الموافقة، لا أن يكون فيه معنى يدل على إرادة الدواة منه. *والله أعلم*. ومنهم من يقول: هي فارسية معرَّبة: أَكْنُونْ[7] كن،[8] أي اصنع ما شئت. يقال هذا عند الإياس أن المرء إذا أَيِس عن آخَرَ قال له:[9] اصنع ما شئت إذَنْ.[10]

---

[1] ر – سورة القلم؛ ن: ذكر أن سورة ن والقلم مكية؛ ث: سورة ن وهي اثنتان وخمسون آية مكية؛ م: سورة ن والقلم وهي مكية.

[2] ن: في قوله.

[3] ر ث م: نون.

[4] ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ (سورة الأنبياء، ٢١/٨٧).

[5] ث: فنسبته.

[6] سورة الصافات، ٣٧/١٤٢.

[7] جميع النسخ: انون.

[8] ن: كر.

[9] ر م: قاله.

[10] جميع النسخ: إذا.

ومنهم من يقول: هو من الحروف المقطعة. يشبه أن يكون هو المرادَ، لأنه ذكر القلم وما يُسْطَر على إثره، وإنما تكتب[1] بالقلم وتسطر[2] الحروف المعجمةُ. فأخبر تعالى عظيم صنعه ولطفه بإنشائه هذه الحروف وخَلْقِه القلمَ وما يسطر به،[3] حيث توصل[4] بها إلى تَعرُّف الحكمة وكل ما يكون به[5] المصلحة من الدين والدنيا، بل جعل قوام الدين والدنيا بها. ومنهم من يجعل كل حرف من الحروف المعجمة اسما من أسماء الله تعالى أو افتتاحَ اسم من أسمائه. وكذلك يروى عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال ذلك.[6] فإن كان النون اسما من أسماء الله تعالى فالقسم[7] به قَسَم بالله تعالى. وإن كان على غيره من الوجوه التي ذكرناها فالقسم[8] جار[9] بما به قوام سائر الخلق ومصالحُهم. وقد ذكرنا أن القسم لتأكيد ما يقصد من الأمر.[10] *والله أعلم*.

﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **ما أنت بنعمة ربك بمجنون،** فموضع القسم هذا، أقسم بما ذكر: **ما أنت بنعمة ربك بمجنون،** [وهو] يحتمل أوجها. أحدها أي نعمة ربك حَفِظَتْكَ[11] عن الجنون، فنفى عنه الجنون بقوله: ما أنت بما أنعم الله عليك بمجنون. وهذا كما يقال: ما أنت بحمد الله بمجنون، يراد به نفي الجنون. والثاني أنك لست ممن خدعته النعمة واغتر بها حتى شغلته عن العمل بما له وعليه. والمجنون بالنعمة هو الذي غرته[12] النِّعم وأَلْهَتْه عن التزود للمعاد. أو ما أنت بغافل عن نعمة ربك بل تذكرها[13] وتشكر[14] الله تعالى عليها. والمجنون من غفل عن النعمة وأعرض عن شكرها.

[1] جميع النسخ: يكتب.
[2] ر ث: ويسطر؛ ن: وتسطير؛ م وبسطر.
[3] جميع النسخ: عليه.
[4] جميع النسخ: يوصل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٦ظ.
[5] ن: بها.
[6] عن ابن عباس أنه قال: «الر وحم ون» حروف الرحمن مقطعة (*تفسير الطبري*، ١٩/١٤).
[7] ر ث م: والقسم.
[8] ر ث م: والقسم.
[9] ر ن م: جاري.
[10] انظر مثلا: تفسير الآية ٧٥ و ٧٦ من سورة الواقعة؛ وتفسير الآية ٣٨ و ٣٩ من سورة الحاقة.
[11] جميع النسخ: حفظك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٦ظ.
[12] ن: غربه؛ م: غربته.
[13] ن: يذكرها.
[14] ن: يشكر.

ثم الكفرة كانوا ينسبونه إلى الجنون، إما لما كان يُغْشَى [عليه][1] لثقل الوحي فكانوا ينسبونه لهذا، وإما لما رأوا / أنه خاطر بنفسه وروحه حيث خالف أهل الأرض -وفيها الجبابرة والفراعنة- [٨٣١ظ] وانتصب لمعاداتهم. ومن قام بخلاف مَن لا طاقة له معه وانتصب لمعاداته فذلك منه في الشاهد جنون. فأجاب الله تعالى للفريقين جميعا. أما الأول بقوله: قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ،[2] أي كيف ينسبونه إلى الجنون، وعند الإفاقة من تلك الغَشْية يأتيكم[3] بحكمة وموعظة يَعْجز حكماءُ الجن والإنس عن إتيان مثلها،[4] وليس ذلك من علم المجانين ولا[5] مما يمكن تحصيله في حال الجنون. لأن المجنون[6] إذا أفاق من غشيته تكلم بكلام لا يُعْبَأُ بمثله ولا يُكْترث. و[الثاني] أجاب لمن كان نسبه إلى الجنون لِمَا خاطر بروحه ونفسه بقوله: إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فأخبر أن الذي حمله على المخاطرة[7] بروحه وجسده هو أنه مأمور بالتبليغ والنِذارة، فهو يقوم بما أُمر وإن أدى ذلك إلى إتلاف النفس. ثم بحمد الله تعالى لم يتهيأ للفراعنة أن يقتلوه ولا تمكَّنوا من المكر به، بل أظفره الله تعالى عليهم حتى قتلهم وردَّ كيدهم في نحورهم، فصار الوجه الذي استدلوا به على جنونه آيةَ رسالته ودلالة نبوته. *والله الهادي*.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وإن لك لأجرا غير ممنون**، قال[8] الحسن: أي لا يَمُنُّ عليك[9] المنةَ التي[10] تؤذيك ولكن يمن عليك منةَ رحمةٍ وكرامة. والمن المؤذي كما ذكر عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى،[11] فليس لأحد عليك منة تؤذيك.[12]

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٥٦ظ.
[2] سورة سبأ، ٤٦/٣٤.
[3] جميع النسخ: يأتيهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة حميدية ١٧٦، ورقة ٧٩٥و.
[4] جميع النسخ: مثله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٦ظ.
[5] ر م: وإلا.
[6] ث: للمجنون.
[7] ث: للمخاطرة.
[8] ر م: وقال.
[9] ر - عليك.
[10] ث: الذي.
[11] سورة البقرة، ٢٦٤/٢.
[12] ر م: يؤذيك؛ ن - لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فليس لأحد عليك منة تؤذيك.

وقال بعضهم: **غَيْرَ ممنونٍ**، أي غير مقطوع، أي إن أجرك غير مقدَّرٍ بالأعمال حتى تُجزَى[1] بقدر الأعمال، فإذا انقطعت الأعمال انقطع الأجر وانقرض، بل يتتابع عليك ويَدُرُّ. يقال في الكلام: مَنَنتُ الحبال،[2] أي قطعته. وقال بعضهم: **غيرَ ممنونٍ**، أي غير محسوب، أي لا نَحسُب[3] عليك النعم فتَفْنَى[4] بفناء[5] الحساب.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وإنك لعلى خلق عظيم**، خُلُقه العظيم القرآن، ومعناه ما أدّبه القرآن. وذلك كقوله: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ،[6] وكقوله:[7] اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ،[8] وكقوله:[9] وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ.[10] فأخذه بالعفو وأمره بالعرف وإعراضه عن الجاهلين ودفعه[11] السيئة بالتي هي أحسن وخفْضه الجناح للمؤمنين من أعظم الخُلُق، وتخلَّق بهذا كله بما أدَّبه القرآن. *والله أعلم*. وقال بعضهم: الخُلُق العظيم هو الإسلام، والإسلام هو الاستسلام والانقياد لأمر الله تعالى. وقد استسلم لذلك وسَلِم الناس من لسانه ويده وعن كل أنواع الأذى، وذلك من أعظم الخلق.

والأصل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلِّف معاملةَ أعداء الله تعالى[12] ومعاملة أولياء الله وأنصاره، وكُلِف أن يَرفُض الدنيا ويتزهّد فيها، وكُلِّف معاملة الصغير والكبير والعالم والجاهل والجن والإنس، وكلِّف معاملةَ نسائه. ومن كلف المعاملة مع هؤلاء لم يقم لها إلا بخُلُق عظيم. فرزقه الله تعالى خُلُقا عظيما حتى احتمل المعاملة وقام معهم بحسن العِشْرة،

---

[1] ر ث م: يجري؛ ن - تجزى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٧و.

[2] ن: الحيل.

[3] ن: لا يحسب.

[4] جميع النسخ: فيفنى. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] ر ن م: نفي.

[6] سورة الأعراف، ١٩٩/٧.

[7] ن: وكقو.

[8] ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (سورة فصلت، ٣٤/٤١).

[9] ن: وقوله.

[10] سورة الحجر، ٨٨/١٥.

[11] ن + عن.

[12] جميع النسخ + ومعاملة أعدائه. والتصحيح من المرجع السابق.

وحتى عوتب على عظيم خُلُقه بقوله: عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ،[١] وبقوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ،[٢] وقال: فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ،[٣] وقال: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.[٤] فالذي حمله على هذه المشقة والكلفة العظيمة حسْن خُلُقه وفضل شَفَقَته ورحمته. فعِظَمُ خُلقه أن خُلقه جاوز قوى نفسه حتى ضعفت نفسه عن احتماله وكادت تَهْلِك فيه. وغيره من الخلائق تَقْصُر[٥] أخلاقهم عن قوى أنفسهم، وأنفسهم تحتمل أضعافَ ما هم عليه من الخلق، وتضيق[٦] أخلاقهم عن ذلك. فهذا الذي ذكرنا هو النهاية في العظم. ***وبالله التوفيق.***

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾[٥] ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون**. قال جعفر بن حرب:[٧] **المفتون** في هذا الموضع هو المفتون بضلالته المُعْجَب بخطئه المشغوف[٨] بجهله. وقال الحسن: **المفتون** هو الذي معه[٩] الشيطان. وقيل: **المفتون** من به الفتنة؛ كما يقال: فلان لا معقول له، أي ليس له عقل. وقيل: **المفتون** المعذّب، كقوله عز وجل: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ،[١٠] أي يعذبون. فكأنه يقول: ستعلمون أيكم المعذب وأيكم الضالُّ، إن حُمل على ما ذكر الحسن، وأيكم المغتر إن كان معناه على ما ذكروا أن المفتون من الفتنة. وجائز أن يكون نسبوه إلى الاغترار فيما كان يدّعي من الرسالة ويزعمون أنه مغتر[١١] بها، ويَغُر بها غيرَه، كما قال المنافقون: مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا.[١٢]

---

[١] ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ (سورة التوبة، ٤٣/٩).

[٢] سورة التحريم، ١/٦٦.

[٣] ﴿فلعلك بَاخِعٌ نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ (سورة الكهف، ٦/١٨).

[٤] ﴿أفمن زُيِّن له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون﴾ (سورة فاطر، ٨/٣٥).

[٥] جميع النسخ: يقصر. والتصحيح من *الشرح*، ٢٥٧و.

[٦] جميع النسخ: ويضيق.

[٧] أبو الفضل الأشج جعفر بن حرب الهمداني المعتزلي العابد. له *كتاب متشابه القرآن*، و*كتاب الاستقصاء*، و*كتاب الرد على أصحاب الطبائع*، و*كتاب الأصول*. توفي سنة ٢٣٦ هـ/٨٥٠م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ٥٤٩/١٠-٥٥٠.

[٨] ر ن م: المسعوف.

[٩] ر ث م: منعه.

[١٠] سورة الذاريات، ١٣/٥١.

[١١] ر ن: المغتر.

[١٢] سورة الأحزاب، ١٢/٣٣.

وحق هذا عندنا أن لا نتكلف[1] تفسيره، لأنه قال: **فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون**. فذكر هذا جوابا عما وقعت فيه الخصومة، فكانوا يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المفتون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أنهم هم المفتونون،[2] فخرج هذا جوابا عن تلك الخصومة أنهم وأنت ستبصرون. وقد وقعت الخصومات من أوجه.[3]

[٨٣٢و] فمرة كانوا يدّعون أنه ساحر، / ومرة كانوا[4] يدعون أنه مجنون، ومرة بأنه ضال، ومرة أنه[5] مفتون،[6] وغيرها من الوجوه. وإذا ثبت أن الآية نزلت في حق الجواب، فما لم يُعلَم بأن الخصومة فيم كانت لم يعلم إلى ماذا يُصرَف الجواب. ***والله أعلم***. ويشبه أن تكون[7] الخصومة الواقعة في الضلال والهدى، فكانوا يدّعون أنهم على الهدى، وأنهم بالله أحق وإليه أقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدّعي أنهم على الضلال، وأنه على دين الحق والهدى. يدل على ذلك ذكر الضلال والهدى بعد ذكر المفتون، وهو قوله:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٧]

ثم هذه الآيات كأنها نزلت جوابا من الله تعالى عما كان يَحِقُّ[8] لمثله الجواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن الله تعالى لما امتحن رسوله[9] صلى الله عليه وسلم بالعفو والإعراض عن المكافأة[10] بالجواب تولي الله تعالى الجواب عنه بقوله:[11] **إن ربك هو أعلم**، أي قد تعلمون[12] أن ربكم أعلم **بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**. وسنبين لكم ذلك.

---

[1] جميع النسخ: يتكلف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٧و.
[2] ر م: المفتون.
[3] ث: واحد.
[4] ن – كانوا.
[5] ن + أنه.
[6] جميع النسخ: مفتر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٨ظ.
[7] ن: أن يكون.
[8] جميع النسخ: يحق. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر: رسول الله.
[10] ر ن م: المكافات.
[11] ر ث م + تعالى.
[12] ن: قد يعلمون.

﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **فلا تطع المكذبين**، وقال في موضع آخر: وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا.[1] ليس في قوله: **فلا تطع المكذبين**، أمر من الله تعالى بأن يطيع المصدقين، لأن[2] من صدقه وآمن به لا يجوز أن يتقدم بين يديه فيأمره أو ينهاه عن أمر ويدعوَه إلى الطاعة،[3] بل ينظر إلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهيه فيأتمر بأمره ويطيعه فيما يدعوه إليه. وأما من كذَّبه فقد يدعوه إلى طاعته، فخص ذكرَ المكذِّب عند ما نهاه عن طاعته، لأن الدعاء إلى الطاعة يوجد [من المكذب] لا من المصدق؛ دون أن يتضمن قوله: **فلا تطع المكذبين**، أمرا بطاعة المصدق.[4] وهو كقوله تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ،[5] فليس فيه أنه إذا لم يخش الإملاق يَسَعُه قتله، ولكنه خص تلك الحالة لان تلك الحالة هي التي كانت[6] تحملهم على[7] القتل ولم يكونوا يُقدمون على القتل عند الأمن من الإملاق. وفي هذا دلالة إبطال قول من قال بأن تخصيص الشيء بالذكر يدل على أن الحكم فيما غايره بخلافه. *والله أعلم*.

وقوله: **المكذِّبين**، هم المكذبون بآيات الله تعالى أو بوحدانيته[8] أو برسله أو بالبعث.

ثم يجوز أن يكون هذا الأمر منهم في أول الأحوال فكان يَطمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم الإجابة لهم فيما يدعونه إليه، إذ كانوا[9] يرجون منه الموافقة لهم بما يبذلون له من المال، فيكون النهي راجعا إلى ذلك الوقت. فأما بعد ما ظهرت منه الصلابة في الدين والتشمير لأمر الله تعالى فلا يحتمل أن يطيعهم أو يُخافَ منه ذلك فيُنْهَى عنه. وجائز أن يكون دعاؤهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر من قوله: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ،[10] والمداهنة هي الملاطفة والملاينة في القول.

---

[1] ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا﴾ (سورة الإنسان، ٢٤/٧٦).
[2] ر ث م – لأن.
[3] ر: الطعام.
[4] ر ث: الصدق.
[5] سورة الإسراء، ٣١/١٧.
[6] ث – كانت.
[7] ر م: إلى.
[8] ن: بوحدانية الله.
[9] ن: إن كانوا.
[10] الآية التالية.

ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذكر آلهتهم بسوء، ويسفِّههم بعبادتهم إياها، ويسفه أحلامهم ويجهلهم. وهم لم يكونوا يجدون في رسول الله صلى الله عليه وسلم مطعنا فكانوا ينسبونه إلى الكذب مرة وإلى الجنون ثانيا وإلى السحر ثالثا، وكانوا يتخذونه[1] هزوا إذا رأوه. فكانوا يطعنون فيه من هذه الأوجه بإزاء ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسفههم ويذكر آلهتهم بسوء مع علمهم أنه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن. ألا ترى إلى قوله تعالى: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ.[2] فأخبر تعالى أنهم ليسوا يكذبونه لما وقفوا منه على الكذب، بل قد كانوا عرفوه بالأمانة والصدق و لم يكونوا وقفوا منه على كذب قط، وإنما الذي حملهم على التكذيب واتخاذهم إياه هزوا ذكْرُ آلهتهم بسوء. وكذلك قال: وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا[3] أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ،[4] فكانت معاملتهم هذه مجازاةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **وَدُّوا لو تدهن فيدهنون**، يخرج على هذا -إن شاء الله تعالى- هو أنك لو تركت ذكر آلهتهم بسوء و لم تُسفِّه[5] أحلامهم لامتنعوا أيضا عما هم عليه من نسبتهم إياك إلى الجنون والسحر والكذب وغير ذلك. ولكنه كان يذكرهم بما يذكرهم[6] وهو في ذلك محق،[7] وهم كانوا يذكرونه بما قالوا بالباطل والزور. فيكون قوله: فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ،[8] فيما يدعونك إلى المداهنة. ثم هم لو داهنوا كانوا في مداهنتهم محقين، فإذا تركوا ذلك فقد تركوا الحق الذي كان عليهم. ورسول الله صلى الله عليه وسلم لو داهنهم لم يكن في مداهنته[9] محقا، فلذلك نهي عن المداهنة. وقال بعض المفسرين:[10] **وَدُّوا لو تدهن فيدهنون**،

[1] ن – إلى الكذب مرة وإلى الجنون ثانيا وإلى السحر ثالثا وكانوا يتخذونه.
[2] سورة الأنعام، ٣٣/٦.
[3] ن – ذكر آلهتهم بسوء وكذلك قال وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا.
[4] سورة الأنبياء، ٣٦/٢١.
[5] ر ن م: يسفه.
[6] ر ث م – بما يذكرهم.
[7] ر: بحق.
[8] الآية السابقة.
[9] جميع النسخ: في مداهنتهم.
[10] ن – المفسرين.

أي لو تَرْفُضُ ما أنت عليه من الدين ويرفضون ما هم عليه من الدين.[١] وهذا لا يستقيم، لأنه إذا رفض ما هو عليه من الدين كفر،[٢] وهم لو تركوا ما هم عليه صاروا مسلمين، فيبقى بينهم الاختلاف الذي لأجله[٣] دعوا إلى المداهنة ووَدُّوها.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾[١٠] ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[١١] ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **ولا تطع كل حلاف مهين.** قيل: إن[٤] هذه الآيات نزلت في واحد يشار إليه، وهو الوليد بن المغيرة المخزومي.[٥] وفيما يشار إلى واحد لا يطلق فيه لفظة "كل"، فيقال: **ولا تطع كل حلاف مهين**، والحلاف المهين ليس إلا الواحدَ. ولكن معناه لا تطع هذا، وكلَّ من يوجد فيه هذه الصفة.

ثم ذِكرُ المرء بقوله: **حلَّاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم،** / يخرج مخرج [٨٣٢ظ] الهِجاء والشتم[٦] في الشاهد، لأن ذكر المرء بما هو عليه من ارتكاب الفواحش والمساوئ تهجين له وشتم. وجلَّ الله ورسوله أن يقصدوا إلى شتم إنسان. فالآية ليست في تثبيت فواحشه، وإنما هي في موضع التوبيخ والزجر عن اتباع مثله. وذلك أنه كان من رؤساء الكفرة وممن بُسطت عليه الدنيا، فكان القوم يتبعونه وينقادون له فيما يدعوهم[٧] إلى الصد عن سبيل الله. فذكر الله تعالى فيه[٨] هذه الأشياء، وأظهرها للخلق ليُزَهِّدهم عن اتباعه، إذ كل من كانت فيه هذه الأحوال لم تَسْنَحْ[٩] نفس عاقلٍ لاتباعه ولا احتمل طبعه طاعةَ مثله، فلا يتمكن من صد الناس عن سبيل الله تعالى. فكان في ذكره بالعيوب التي ذكرها زجرُ الناس عن طاعته،

---

[١] ر ث م - ويرفضون ما هم عليه من الدين.
[٢] ن: كفروا.
[٣] جميع النسخ: + ما.
[٤] جميع النسخ: بأن. والتصحيح من *الشرح*، نسخة حميدية ١٧٦، ورقة ٧٩٦و.
[٥] أبو عبد شمس الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن المخزومي القرشي، (ت ١هـ/٦٢٢م)، من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش كلها. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية وضرب ابنه هشاما على شربها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هَرِم، فعاداه وقاوم دعوته. وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون. وهو والد سيف الله خالد بن الوليد (*الأعلام* للزركلي، ٤/٩٥).
[٦] ر - والشتم.
[٧] ن - هم.
[٨] ن - فيه.
[٩] ر ن م: لم تنسخ. لم تسنح: أي لم تمكن و لم تتيسر لنفس عاقل.

فذكرها لإثبات هذا الوجه، لا أن تكون فائدتها على تحصيل الشتم والهجاء. وكذلك ذِكرُ[1] أبا لهب بالتَّبِ والخسار وما هو عليه من الفواحش ليزجُر[2] الناس عن اتباعه. وفي هذه الآية[3] دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الوجه الذي نذكره[4] في سورة "تبت" إن شاء الله تعالى. ثم قيل **المهين**، من المَهانة ومن المِهنة ومن الوَهْن، وهو الضعف.[5] ثم قوله: **همَّازٍ مشَّاءٍ بنميم منّاعٍ للخير مُعتدٍ أثيم**، جائز أن يكون استوجب المهانة لكونه همازاً[6] مشاء بالنميم وبمنعه[7] الخير واعتدائه. فيكون هذا كله تفسير المهين. فإن كان هكذا فقوله المهين من المَهانة هاهنا. ثم لا يجوز[8] أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخشَى عليه طاعة مَنْ هذا[9] وصْفُه وإن يميل قلبه إليه. ولكن النهي لمكانِ غيرِه، وإن كان هو المشارَ إليه بالذكر. وجائز أن يكون قوله: **كل حلاف مهين**، تمام[10] الكلام ويكون قوله **هماز مشاء بنميم**، على الابتداء، فكأنه يقول: لا تطع كل حلاف مهين وكل[11] هماز مشاء بنميم، وكل معتد أثيم، وكل عتل زنيم.[12] وتفسير الهَمْز[13] يذكر في تفسير "سورة الهمزة" إن شاء الله تعالى. والمشّاء بالنميم[14] هو الذي يسعى في الفُرْقة بين الإخوان، ويقوم فيما بينهم بالقطيعة. والمنّاع للخير؛ قال بعضهم: إنه كان يمنع أهلَ الآفاق مَن كان بحضرته عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: إنه ضالٌّ مضلٌّ، فقيل: منّاع للخير، لهذا.

---

[1] م + ذكر.

[2] ن: لنزجر.

[3] ر ث م – الآيات. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٨و.

[4] ن: يذكره. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] وفي التنزيل العزيز: ﴿ولا تطع كلَّ حلَّاف مهين﴾، قال الفراء: المهين هنا الفاجر. وقال أبو إسحاق: هو فعيل من المَهانة، وهي القلة. قال: ومعناه هاهنا: القلة في الرأي والتمييز. ورجل مهين: أي من ماء قليل ضعيف. الوهن: الضعف في العمل والأمر وكذلك في العَظْم ونحوه (*لسان العرب* «مهن» و«وهن»).

[6] ر: هماز.

[7] ر ن م: ويمنعه.

[8] ر م: يجوز؛ ن – استوجب المهانة لكونه همازا مشاء بالنميم ويمنعه الخير واعتدائه فيكون هذا كله تفسير المهين فإن كان هكذا فقوله المهين من المهانة هاهنا ثم لا يجوز.

[9] ر م: وهذا.

[10] ر ن: تمام.

[11] ر ث م – وكل.

[12] ن: زميم. من مفهوم الآية التالية.

[13] ر ن م: الهمزة.

[14] ن: بنميم.

ومنهم من ذكر أنه كان يمنع ولده من الاختلاف إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم. وجائز أن يكون مَنْعُه للخير هو امتناعَه عن أداءِ حقوق الله تعالى الواجبة في ماله. وقوله عز وجل: **مُعْتَدٍ**، أي معتد حدودَ الله تعالى، أو ظالم لنفسه. وقوله عز وجل: **أثيم**، الأثيم هو المرتكب لما يأثم به.[١]

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **عتل بعد ذلك زنيم**، العتل؛ الفَظُّ الغليظ والشديد الظلومُ. وقيل: هو الفاحش اللئيم الضريبة. وقال مجاهد: العتل الشديد الأشر إلى الخلق. وقد[٢] روي في الخبر[٣] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يدخل الجنة جوّاظ ولا جَعْظَرِيٌّ ولا العتلُّ الزنيمُ». فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله[٤] وما الجواظ والجعظري والعتل الزنيم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما الجواظ فالذي[٥] جَمَع ومَنَع، تدعوه لَظَى نَزَّاعَةً لِلشَّوى.[٦] وأما الجعظري فالفظُّ[٧] الغليظ، قال الله[٨] تعالى: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ.[٩] وأما العُتُلُّ الزنيم هو الشديد الخَلْقِ، الرحيب الجَوْف، المصحَّح الأكولُ الشَّرُوبُ، الواجد للطعام والشراب، الظلوم للناس. وأما الزنيم هو الدَّعِيُّ الملصق بالقوم، الملحق في النسب».[١٠] واستدلوا على ذلك بقول الشاعر:

---

[١] ر ن ث – وقوله عز وجل أثيم الأثيم هو المرتكب لما يأثم به.

[٢] ر ث م: قد.

[٣] ث – في الخبر.

[٤] م – يا رسول الله.

[٥] ث: هو الذي.

[٦] يشير إلى قوله تعالى: ﴿كلا إنها لظَى نزّاعة للشّوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى﴾ (سورة المعارج، ٧٠/١٥-١٨).

[٧] م: واللفظ.

[٨] ر م – الله.

[٩] سورة آل عمران، ٣/١٥٩.

[١٠] روى عن ابن مسعود أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة جَوّاظ ولا جَعْظَرِيّ ولا الْعُتُل الزّنيم». فقال رجل: ما الجوّاظ وما الجَعْظَرِيّ وما العُتُلّ الزّنيم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجوّاظ الذي جَمَع ومَنَع. والجَعْظَرِيّ الغليظ. والعُتُل الزّنيم الشديد الخَلْق الرّحيب الجوف المصَحَّح الأكول الشروب الواجد للطعام الظلوم للناس». وذكره الثعلبي: عن شدّاد بن أوس: «لا يدخل الجنة جَوّاظ ولا جَعْظَرِيّ ولا عُتُل زنيم» سمعتهن من النبيّ صلى الله عليه وسلم. قلت: وما الجوّاظ؟ قال: الجَمّاع المنّاع. قلت: وما الجَعْظَرِيّ؟ قال: الفَظّ الغليظ. قلت: وما العُتُلّ الزنيم؟ قال: الرّحِيب الجوْف الوثِير الخَلْق الأكول الشروب الغشوم الظلوم (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٩/٢٣٢).

زنيمٌ ليس يُعرف من أبوه[1] بَغيُّ الأمِّ ذو حسب لئيمِ[2]

ويقول آخر:

زنيم تداعاه الرجال زيادةً كما زيد في عرض الأديم الأكارِعُ[3]

ومنهم من قال: إنه كانت به زَنَمَةٌ في أصل أُذُنه يعرف بها. ومنهم من[4] يقول: الزنيم هو العَلَم في الشر.

ولقائل أن يقول: إذا كان تأويل العُتُلِّ ما ذُكر في الخبر، ومعنى الزنيم[5] الدعيّ أو ما ذكر من العلامة. فكيف عُيِّر[6] بهذه الأشياء و لم يكن له في ذلك صنع، والمرء إنما يعيَّر بما لَه فيه صنعٌ، لا بما لا[7] صنع له فيه؟

فيجاب عن هذا من وجهين. أحدهما ما ذكرنا أن ذِكْره بما فيه من العيوب ليس لمكان المذكور نفسه، ولكن لزجر الناس عن اتباعه، لأن من اشتمل على العيوب التي ذكرها وكان مع ذلك عتُلًّا زنيما فأنفس الخلق تأبَى[8] عن اتباعه. ففائدة تعييره بما أُنشئ عليه[9] ما ذكرنا من الحكمة لا تعييرُه. والثاني أن ذكر أصله كناية عن سوء فعله، ليعلم أن خبث الأصل يدعو الإنسان إلى تعاطي الأفعال الذميمة، وصحة الأصل وحسنه[10] ونَقَاوَتَه تدعو[11] صاحبه إلى محاسن الأخلاق وإلى الأفعال المرضية.

---

[1] ر: أبواه.

[2] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٣٤/٩.

[3] نسب إلى حسان بن ثابت؛ *الدر المصون* للسمين الحلبي، ٤٠٤/١٠. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٣٤/٩. والزنيم والمزنَّم: المستلحق في قوم ليس منهم لا يحتاج إليه فكأنه فيهم زَنَمَة. وأنشد ابن بري للخطيم التميمي، جاهلي:

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الأديم الأكارِعُ.

وورد في الحديث أيضا: الزنيم هو الدعيُّ في النسب (*لسان العرب*، «زنم»). الكُراع من البقر والغنم: بمنزلة الوظيف من الخيل والإبل والحُمُر وهو مُسْتَدَقُّ الساق العاري من اللحم، يذكر ويؤنث، والجمع أَكْرُع ثم أكارع. وفي المثل: أعطي العبد كُراعا فطلب ذراعا، لأن الذراع في اليد وهو أفضل من الكراع في الرجل. (*لسان العرب*، «كرع»).

[4] ن + كان.

[5] ر م: زنيم.

[6] ر م: عبر.

[7] ن – لا.

[8] ن: باق.

[9] جميع النسخ: عليها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٨ظ.

[10] جميع النسخ: وحسبه. والتصحيح من المرجع السابق.

[11] ر ث م: يدعو.

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **أن كان ذا مال وبنين**، فيخبر أن من يتَّبِعه يتبعه لكثرة أمواله وبنيه.[١] وذلك أن كثرة المال للإنسان من أحدِ ما يستدعي قلوب الخلق إلى تعظيمه. فذكر ما فيه من العيوب[٢] والمساوئ[٣] لئلا يستميل[٤] قلوب الضعفة إلى نفسه بماله. فيقول: كيف يتبعونه وهو بهذا الوصف الذي وصفه الله تعالى. ثم أخبر عن معاملته[٥] رسول[٦] الله صلى الله عليه وسلم بقوله:

﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[١٥]

إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين، وإن كان عامًّا بظاهره، لكن لم يرد به العمومَ، لأن [قوله تعالى:] إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،[٧] ليس في كل الآيات، وإنما هو في الآيات التي / هي[٨] في حق الإخبار عن الأمم السالفة. وأما إذا تليت عليه الآيات التي فيها دلالة إثبات الرسالة [٨٣٣و] ودلالة التوحيد ودلالة[٩] البعث فقوله فيها ما قال في سورة المدثر: إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ.[١٠] وهذا دليل على أن لا يجبُ اعتقاد ظاهر العموم ما لم يُعْلم بيقين. ***والله أعلم.***

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **سنسمه على الخرطوم**، قيل: شَيْنًا[١١] لا يفارقه. فجائز أن يكون جعل هذا في الدنيا لكي يعلمه ويذكره من رآه، فيجتنب صحبته، فهو يصير[١٢] شينا[١٣] من هذا الوجه،

---

[١] ر: وبينه.
[٢] ن – من العيوب.
[٣] ر: والمساوى.
[٤] ر ث م: يشتمل.
[٥] ر: معاملة.
[٦] ن: برسول.
[٧] ن + ثم قوله إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين. انظر مثلا: سورة الأنعام، ٢٥/٦؛ وسورة الأنفال، ٣١/٨؛ وسورة المؤمنون، ٨٣/٢٣.
[٨] ر م: هو.
[٩] ر: ودلالته.
[١٠] سورة المدثر، ٧٤/ ٢٤-٢٥.
[١١] ر م: شيئا. "قال تعالى: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ أي نلزمه عارا لا يَنمحي عنه، كقولهم: جُدِعَت أنفه. والخرطوم: أنف الفيل، فسُمِّيَ أنفه خرطوما استقباحا له" (*المفردات للراغب*، «خرطوم»).
[١٢] ر ث م – يصير.
[١٣] ر م: شيئا.

فيخرج هذا مخرج العقوبة لشدة تعنته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظم[1] أذاه له.[2] وجائز أن يكون هذا في الآخرة، فيجعل الله تعالى[3] في أنفه[4] عَلَمًا يتبين به ويمتاز من غيره يوم القيامة زيادة له في العقوبة، كما جعل لآكلي الربا يوم القيامة علما يعرفون به، وذلك قوله:[5] ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا[6] لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾.[7] وجائز أن يكون نَسَمَ خرطومه خصوصا من بين الكفرة، فيحشره[8] ولا أنف له، لأنه ذكر أن سائر الكفرة يُحشرون يوم القيامة بكما وعميا[9] وصما[10] ولم يذكر في أنوفهم شيئا. فجائز أن يكون يُحشر ولا أنف له.[11] وذلك هو النهاية في القبح. ***والله أعلم***.

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾[١٧] ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة**، فهو يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون أهل مكة ابتُلوا بالإحسان إلى أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ابتُلي أصحاب الجنة بالإحسان إلى المساكين[12] ثم أخبر أن أولئك امتنعوا عن الإحسان إلى المساكين[13] فحَلَّ بهم من البلاء ما ذَكَر لامتناعهم عن الائتمار.[14] فذَكَّر أهل مكة أنهم إن امتنعوا عن الإحسان إلى أتباع محمد صلى الله عليه وسلم حل بهم ما حل بأولئك. وقد وُجد منهم الامتناع،

[1] ر ث م: عظيم.
[2] ر: أواه له؛ م: أو أهله.
[3] ر ث م + علما.
[4] ر: أنفسه.
[5] ر + الربوا؛ م – الربا يوم القيامة علما يعرفون به وذلك قوله.
[6] ث – يوم القيامة علما يعرفون به وذلك قوله الذين يأكلون الربا.
[7] سورة البقرة، ٢/٢٧٥.
[8] ن: فيعشره.
[9] ر م: عميا.
[10] لعله يشير إلى قوله تعالى ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٩٧).
[11] ر م – له؛ ن + ولا أنف له.
[12] ن: إلى المساكن.
[13] ر ث م – ثم أخبر أن أولئك امتنعوا عن الإحسان إلى المساكين.
[14] انظر: الآيات التالية.

فابتُلوا[١] بِسِنِينَ كسِنِي يوسفَ حتى اضْطُرُّوا إلى أكل الجِيَف والأقذار.[٢] ثم إن أصحاب الجنة لما مسهم العذاب وأيقنوا به أنابوا إلى الله وانقلعوا عن مساوءهم، فتاب الله عليهم[٣] ورفع البلاء عنهم. وأهل مكة تمادَوا في غيِّهم ولم يتوبوا، فانتقم الله منهم بالقتل يوم بدر في الدنيا، وسيوردهم إلى العذاب في الآخرة.

و[الثاني] جائز أن يكون الله تعالى لما أعزَّهم وشرفهم وصرف وجوه الخلق إليهم امتحنهم بتبجيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه. فلما أساءوا صحبته عاقبتهم بما ذكرنا. ووسَّع على أصحاب الجنة فامتحنهم بما وسَّع عليهم بأن يوسِّعوا على غيرهم، فلما امتنعوا[٤] عن ذلك عوقبوا بزوال النعمة عنهم، وعوقب هؤلاء بزوال العز عنهم فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ.[٥] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **إذ أقسموا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصبحين**، فقوله: **مصبحين**، أي لأول وقت ينسب إلى الصباح. وذلك يكون في آخر[٦] الليل كما يقال: مُمْسِين، لأول وقت ينسب إلى المساء. وإذا كان كذلك فالانصرام يقع بالليل. ألا ترى إلى قوله: أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ،[٧] وهم لا يملكون بعد مُضِيّ الليل منع المساكين عن الدخول.

وقوله عز وجل: **ولا يستثنون**، قيل: أي لا يقولون: إن شاء الله. وقيل: لا يقولون: سبحان الله. فإن كان على هذا ففيه أن التسبيح كان مستعملا في موضع الاستثناء. وقد يجوز

---

[١] ن: وابتلوا.

[٢] عن مسروق قال: قال عبد الله: إنما كان هذا لأن قريشا لما استعصوا على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قَحْطٌ وجَهْدٌ حتى أكلوا العظام. فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾ [سورة الدخان، ٤٤/١٠-١١] قال: فأُتِيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقيل: يا رسول الله اسْتَسْقِ اللهَ لِمُضَرَ فإنها قد هلكت. قال: «لِمُضَرَ؟ إنك لجريءٌ» فاستسقى فسُقُوا. فنزلت: إِنَّكُمْ عَائِدُونَ [نفس السورة، الآية ١٥]، فلما أصابتهم الرَّفَاهِيَة عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية فأنزل الله عز وجل﴿يوم نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى إنَّا منتقمون﴾ [الآية ١٦]. قال: يعني يومَ بَدْرٍ. (صحيح *البخاري*، التفسير، ٤٤/ ٢-٥). وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٢٥/١٥١-١٥٢.

[٣] ن - أنابوا إلى الله وانقلعوا عن مساوئهم فتاب الله عليهم.

[٤] ر: امتحنوا.

[٥] فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ (سورة النحل، ١٦/١١٢).

[٦] ر: في الآخر.

[٧] سورة القلم، ٦٨/٢٤.

أن يُؤَدِّيَ معنى الاستثناء، لأن في تسبيح[1] الرب تعالى وفي الاستثناء معنى التنزيه، لأن فيه إقرارا [بـ]أن الله تعالى هو المغير للأشياء والمبدِّلِ[2] لها. ثم أصحاب الجنة بقسمهم قصدوا قصدا يلحقهم العصيان فيه، وكان عهدهم الذي عاهدوا عليه معصيةً، وعوتبوا بتركهم الاستثناء. ففيه دلالةُ أن الله تعالى يوصف بالمشيئة لفعل المعاصي ممن يعلم أنه يختارها،[3] لأنه لو لم يوصف به لم يكن لمعاتبته[4] إياهم بتركهم الاستثناء معنى؛ إذ لا يجوز استعمال الاستثناء فيما لا يجوز أن يوصف به الرب جل وعز. ألا ترى أنه[5] لا يستقيم أن يقال: إن شاء الله جاز وإن لم يشأ لم يجز، وإن شاء ضل وإن شاء لم يَضِلَّ، وإن شاء أكل وإن شاء لم يأكل. فلو لم يوصف أيضا بإضلال من يعلم منه أنه يؤثر الضلال لم يجز أن يلاموا على ترك الاستثناء، ولا مدخل للاستثناء فيه. والذي[6] يدل على صحة[7] ما ذكرنا قولُه: مَنْ يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ،[8] فتبين أنه يشاء إضلال من ذكرنا.

وفيه دلالة[9] أن خلق الشيء غير ذلك الشيء، لأنه يستقيم أن يوصف الله تعالى بالإضلال، ولا يجوز أن يوصف بالضلال، وإن كان الإضلال خلقا له،[10] ويوصف بأنه[11] المحيي والمميت فلا[12] يستقيم أن يقال: إن شاء حَيِيَ، وإن شاء مات، وإن كان هو الذي خلقهما.

ثم ليس في قوله: **إذ أقسموا**، إبانة أنَّ قسمهم كان بماذا؟[13] فإن كان بغير الله تعالى ففيه إبانة أن القسم قد يكون بغير الله تعالى، وإن كان قسمهم بالله تعالى ففيه حجة لأبي يوسف على أبي حنيفة رحمهما الله أن اليمين إذا كانت مُوَقَّتَةً فإن هلاك الشيء المحلوف بها قبل مُضِيِّ وقتها لا يُسقط اليمين،

---

[1] ر: التسبيح؛ م: التنزيه.

[2] ر ث م: المعدل.

[3] ن + بالمشية لفعل المعاصي ممن يعلم أنه يختارها.

[4] ر ث م: لمعاتبة.

[5] جميع النسخ – أنه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٩و.

[6] ر ث م + فيه.

[7] ر ث: صحبة.

[8] سورة الأنعام، ٣٩/٦.

[9] ر ث م – دلالة.

[10] ن – له.

[11] ر ث م: أنه.

[12] ن: ولا.

[13] ن: لماذا.

بل يَبقى بحالها ويلزم على صاحبها حكمُ الحِنْث إذا مضى[١] وقتها، لأن الثمر[٢] الذي حلفوا على صَرْمه[٣] قد هلك قبل[٤] الوقت الذي أُوجب فيه الصرمُ.[٥] فلو كانت اليمين يَسقط عنهم بهلاك الثمر[٦] لم يكونوا يحتاجون إلى الاستثناء، لأن الحاجة إلى الاستثناء لإسقاط المئونة التي تلزمهم[٧] بالحنث في اليمين. فلو[٨] كان هلاك / الثمر[٩] مسقطا لليمين ومئونة الحنث لاستغنوا [٨٣٣ظ] عن الاستثناء. فلما لحقتهم اللائمة بتركهم الاستثناء دل أن المئونة تبقى عليهم إذا عريت عن الاستثناء، وإن كانت موقتة.

ولكنْ أبو حنيفة رحمه الله يُسقط عنه اليمين بهلاك الشيء المحلوف عليه إذا كانت يمينه بالله تعالى، ولا يسقطها إذا كانت بشيء من القُرَب والطاعات، أعني النُّذر.[١٠] وليس في الآية إبانة أن يمينهم كانت بالله تعالى، فجائز أن يكون يمينهم بشيء من القرب فبقيت عليهم. ولأنه عاتبهم[١١] على ترك الاستثناء لعزمهم على المعصية،[١٢] والاستثناء يسقط[١٣] العزيمة، لأن من عزم على المعصية وقال فيه،[١٤] إن شاء الله، لم يصر آثما بمقالته ولا صار عازما على المعصية. وأبو حنيفة ليس يخرجه عن المعصية في اليمين الموقتة إذا عقدت على أمر من أمور المعصية. والذي يدل على أن العتاب في ترك الاستثناء للوجه الذي ذكرنا أنه لم يُذْكَر في شيء من الأخبار ولا ذُكر في الكتاب أن أحدا منهم أمر بالتكفير، ولو كان الحنث لازما لكانوا يلامون على ترك التكفير أيضا كما لحقتهم اللائمة[١٥] بترك الاستثناء. ***والله أعلم.***

---

[١] ر – مضى.
[٢] ن: اليمين، صح هـ.
[٣] ر: صرمة.
[٤] ر م – قبل.
[٥] م: الصوم.
[٦] ر: التمر.
[٧] ر ن ث: يلزمهم.
[٨] ن: فإن.
[٩] ر: التمر.
[١٠] جميع النسخ: الندب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٩و.
[١١] ن: غايتهم.
[١٢] ر: العصية.
[١٣] ر ث: تقسط؛ م: تسقط.
[١٤] ر ث: في.
[١٥] ر ن م: الملائمة.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون، طائف من ربك** قيل: عذاب ربك، وسمى طائفا لأنه أتاهم بالليل، وكل آت بالليل فهو[١] طائف.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **فأصبحت كالصريم**، قيل: أي الجنةُ[٢] كأنها صُرِمت، وهم أصبحوا لِيَصْرِموها.

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾[٢١] ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾[٢٢]
﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾[٢٣] ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **فانطلقوا وهم يتخافتون**،[٣] يَتَسَارُّون[٤] فيما بينهم. فيجوز أن يكون مُسارَّتهم[٥] كانت في الأمر[٦] بالإسراع في المشي[٧] لئلا[٨] يَشْعُرَ بهم المساكين أو [أن] يتعجلوا في الخروج والمشي قبل الوقت الذي يُصبح فيه المساكين.

﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **وَغَدَوْا على حرد قادرين**، فمنهم من ذكر أن اسم جنتهم كان حَرْدًا. وقيل: غَدَوْا على أمر قد اسَّسُوه[٩] فيما بينهم. وقال الزجاج: الحرد له أوجه ثلاثة. أحدها القصد. واستدل عليه بقول الشاعر:

أقبل سَيْلٌ كان من أمر اللّهْ ... يَحْرِد[١٠] حَرْدَ الجنةِ[١١] المُغلَّةْ[١٢]

---

[١] ن – فهو.
[٢] ن: الحية؛ ث: الحبة.
[٣] ر ن ث + قيل.
[٤] ن: يشارون.
[٥] ن: مساريهم.
[٦] ن: بالأمر.
[٧] ن – في المشي.
[٨] ر ن م: لأن لا.
[٩] ر ث م: استثنوه، ن: استقلبوه. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٢٥٩و.
[١٠] ث: تحرد.
[١١] ن: الحبة؛ ث: الحية.
[١٢] ر ث: العلة. الغلة: الدَّخل من كراء دار وأجر غلام وفائدة أرض. وأَغلّت الضياع أيضا: من الغَلّة. قال الراجز:
أقبل سَيْل جاء من عند الله ... يَحْرِد حَرْدَ الجنة المُغِلّة (*لسان العرب*، «غلّ»).

أي يقصد قصدها. والثاني هو المنع؛ يقال: أَحْردت السَّنة، إذا[1] قَحَطت[2] وذهبت بركتها.[3] والثالث الغضب. **وَغَدَوْا على حرد قادرين،** أي غضبوا[4] على الفقراء.[5] وقوله:[6] **قادرين،** أي قادرين[7] عليها في أنفسهم.

ولقائل أن يقول: إن[8] في هذه الآية دلالةَ تقدم القدرة على الفعل، لأنه أثبت لهم القدرة قبل الفعل. ولكنَّ هذه القدرة ليست هي قدرةَ الأفعال، وإنما هي قدرة الأسباب والأحوال.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾[٢٦] ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **فلما رأوها قالوا إنا لضالون،** أي قد ضللنا الطريق، فكأن عندهم أنهم قد ضلوا الطريق [و]لذلك لم يتوصلوا إلى ثمارها. ثم[9] ظهر لهم أنهم لم يَضلوا الطريق بل حُرِمُوا بركةَ الثمار بجنايتهم التي جنوها، فتذكَّروا صنيعهم وندموا على ذلك فأقبلوا بالاستكانة والتضرع إلى الله تعالى فتاب عليهم. فلعل الذي قال: إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ،[10] يخرج على هذا،

---

[1] ر ث م: أي.

[2] ر ث م: أقحطت.

[3] ث: ركبتها.

[4] ر: على غضب، جميع النسخ: غضب.

[5] الحَرْدُ: الجِد والقصد. حَرَدَ يَحْرِد، بالكسر، حَرْدًا: قصد. وفي التنزيل: ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾. والحَرْدُ المنع، وقد فسرت الآية على هذا، وحَرَّد الشيءَ منعه؛ قال:

كأَن فِداءها إذا حَرَّدوُه أَطافوا حولَه سلَكٌ يتيم

ويروى، حَرَّدوه أي نقوه من التبن. ابن الأَعرابي: الحَرْدُ القصد، والحَرْدُ المنع، والحَرْدُ الغيظ والغضب، قال: ويجوز أَن يكون هذا كله معنى قوله: ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾. قال: وروي في بعض التفسير أَن قريتهم كان اسمها حَرْدَ. وقال الفراء: ﴿وغدوا على حرد﴾ يريد على حَدٍّ وقُدْرة في أَنفسهم. وتقول للرجل: قد أَقبلْتُ قِبَلَكَ وقصدت قصدك وحَرَدْتُ حَرْدَكَ، قال وأَنشدت:

وجاء سَيْل كان من أمر الله يَحْرِدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المغلَّهْ

يريد: يقصد قصدها. قال: وقال غيره: ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾ قال: منعوا وهم قادرون أَي واجدون، نصب قادرين على الحال. وقال الأَزهري في كتاب الليث: ﴿وغدوا على حرد﴾ قال: على جدٍّ من أَمرهم. قال: وهكذا وجدته مقيدًا والصواب على حَدٍّ، أَي على منع. قال: هكذا قاله الفراء (*لسان العرب*، «حرد»).

[6] ر: وقوله.

[7] ر م – أي قادرين.

[8] جميع النسخ: بأن.

[9] ر ث م – ثم.

[10] سورة القلم، ١٧/٦٨.

وهو: إنا بلونا أصحاب الجنة، فتذكروا فرفع عنهم العذاب، ولم يتذكر أهل مكة فحلَّ بهم العذابُ يوم بدرٍ، كما قال: فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ.[1]

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **قال أَوْسَطُهم**، أي أعدلهم.[2] وقوله عز وجل:[3] **ألم أقل لكم لولا تسبحون**، جائز أن يكون معناه: لولا تصلُّون[4] الفجر ثم تخرجون.[5] وجائز أن يكون معناه: لولا تَسْتثنُون.[6] وقد ذكرنا أن في الاستثناء معنى التسبيح، لأن فيه إقرارا بأن الأمور كلها تَنفُذ[7] بمشيئة الله تعالى، وأنه هو المغيِّر والمبدِّل دون أحد سواه.

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **قالوا سبحان ربنا**، فهذا منهم توحيد وتنزيه.[8] وفي قوله: **إنا كنا ظالمين**، اعتراف بما ارتكبوا من الذنوب وإنابة إلى الله. وتمامُ التوبة منهم في قوله:

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾[٣٠] ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾[٣١]

فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون، قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين، ذكر[9] المفسرون في قوله: **فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون**، أي أقبل بعضهم على بعض باللوم، يقول:[10] أنت أمرتنا أن نَصْرِمَها[11] ليلا، وقال هذا لهذا: بل هو عملك أنت. وهذا [التأويل] لا معنى له، لأن هذا يوجب تبرئة[12] كل واحد منهم عن ارتكاب الذنوب. وقد سبق منهم الإقرار بالذنب

[1] ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ (سورة المؤمنون، ٧٦/٢٣).
[2] ر م: عدلهم.
[3] ر + فلما.
[4] ر ن م: يصلون.
[5] ر ن م يخرجون.
[6] ر م: يستثنون.
[7] ن ث: ينفذ.
[8] ر ث م: تبرئة.
[9] جميع النسخ: وذكر.
[10] ر ث م: تقول.
[11] ر م تضرمها.
[12] ن: وجب تنزيه.

بقوله: قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ،[١] وبقولهم:[٢] **قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين**، فكيف يبرءون أنفسهم عن الذنوب وقد اعترفوا بها. فهذا تأويل لا معنى له. بل معناه -والله أعلم- **فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون**، على إدخال كل منهم نفسه في ذلك اللوم؛[٣] أو أقبل كل واحد منهم باللائمة على نفسه حتى يكون هذا موافقا لقوله: **إنا كنا طاغين**.[٤] وقوله تعالى: **يا ويلنا إنا كنا طاغين**، ففي هذا تمام التوبة. ففيه أنهم أظهروا الندامة على ماسبق[٥] منهم من أوجه ثلاثة: مرة بما وصفوا أنفسهم بالظلم،[٦] ومرة بما لاموا أنفسهم، ومرة بما وصفوا[٧] أنفسهم[٨] بالطغيان.

﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها**، أي يبدلنا خيرا منها إذا تبنا وأنبنا إلى ربنا؛ لأنه لا يجوز أن يتوقعوا خيرا[٩] منها وهم مصرون على ذنوبهم؛ إذ قد عرفوا أنهم إنما حُرِمُوا بركةَ الثمار بما ارتكبوا من الذنوب، فثبت أن معناه ما ذكرنا. ويحتمل أن يكون / هذا [٨٣٤و] في الآخرة، يقولون: **عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها**، في الآخرة إذا تبنا وأنبنا إليه. ***والله أعلم***. وقوله عز وجل: **إنا إلى ربنا راغبون**، إلى ما عند ربنا من العطايا والمِنَنِ لراغبون، أو إلى ما وعد ربنا للتائبين من الذنوب لراغبون.

﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **كذلك العذاب**، كأنه يخاطب أهل مكة أَنْ كذلك العذاب في الدنيا في أن يأخذ أهله [حال كونهم] آمَنَ ما كانوا أو أَغْفَلَ[١٠] ما كانوا، كما أخذ أصحابَ الجنة عند الأمن إذ كان[١١] عندهم أنهم يقدرون على صَرْم تلك الثمار ولا يفوتهم.

---

[١] الآية السابقة.
[٢] ث: وقوله عز وجل.
[٣] جميع النسخ: القوم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٩ظ.
[٤] ن: ظالمين.
[٥] ر م: على نسق.
[٦] ن: بالطغيان.
[٧] ن - بالظلم ومرة بما لاموا أنفسهم ومرة بما وصفوا.
[٨] ر م - أنفسهم.
[٩] ر ث: خير.
[١٠] ن ث: أعقل.
[١١] ر م: إذا كان؛ ث: إذ كان به.

وقوله عز وجل: **ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**، ففي هذا إيجاب العذاب على من لم يَعْلم بالعذاب و لم يؤمن به، لأنهم لم يؤمنوا بعذاب الآخرة ولا علموا به. ثم أوجب لهم العذاب -وإن لم يعلموا- ولم يُعْذَروا بالجهل، لأنهم قد وقفوا على السبب الذي لو تفكروا لعلموا بالعذاب ولأيقنوا به. وفي ذلك[1] حجةُ أن لا عذر لمن تَخَلَّف عن التوحيد والإيمان بالله تعالى وإن جَهِل،[2] إلا أن يكون جهله جهلَ خلقة، لأن الذي أفضى[3] به إلى الجهل هو التقصير في الطلب، وإلا لو لم يقصِر في الطلب لوجد من يدله على معرفة الصانع ووحدانية الرب تعالى.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم**، وفيه ترغيب لمن لزم التقوى[4] وهو الإسلام.

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾[٣٥] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **أفنجعل المسلمين كالمجرمين**، أي[5] أفنجعل من جعل كل شيء سوى الله تعالى لله سالما [له تعالى] لا يشرك فيه أحدا كالذي أجرم فجعل في كل شيء سالمٍ[6] له شركا في العبادة والتسمية. أو يبيّن[7] الله تعالى، أنه ولي المؤمنين وعدو المجرمين.[8] فيقول:[9] أفيزعم[10] أعدائي أن أسوّي بينهم وبين الأحباء والجمعَ بينهم. فلا نجعل[11] ذلك، لأن فيه[12] تضييعَ الحكمة، لأن الحكمة توجب التفرقة بين العدو والولي، وفي الجمع بينهما تضييعها.[13]

---

[1] ن: ولا يفتوا به وفي هذا؛ ث: وفي هذا.
[2] ر: جعل.
[3] ر ث م – أفضى.
[4] ن: للتقوى.
[5] ر ن م – أي.
[6] ر: سالما.
[7] جميع النسخ: بين.
[8] ث – وعدو المجرمين.
[9] ر م: فنقول.
[10] ر ث م: أفئن عمر.
[11] جميع النسخ: لا يفعل ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٩ظ.
[12] ر م – فيه.
[13] ر ن ث: تضيعهما.

وقوله عز وجل: **ما لكم كيف تحكمون**، في أن أجعل عدوي[١] بمنزلة وليي[٢] أو وليي[٣] بمنزلة عدوي. أو أيُّ شيء حملكم على حكمكم هذا و لم يأتكم بهذا الحكم كتاب ولا معقول يوجب ذلك، فكيف تطمعون ذلك؟ أو كيف[٤] تحكمون[٥] بالجور على ربكم؟ لأن من الجور أن يجمع[٦] بين الولي وبين[٧] العدو في دار الكرامة.

ثم قوله: **أفنجعل المسلمين كالمجرمين**، يستقيم أن يجعل هذا جوابا للفريقين: لمن[٨] ينكر البعث، ولمن[٩] يزعم أنه شريك أهل الإسلام في الآخرة فيما يكرَمون من النعيم. فمن أنكر البعث فالاحتجاج عليه بهذه الآية هو أن العقل[١٠] يوجب التفرقة بين الولي وبين العدو، والشكور[١١] والكفور.[١٢] فأنتم إذا أنكرتم البعث فقد زعمتم على الله تعالى أنه يجعل المسلم[١٣] كالمجرم،[١٤] والكفور كالشكور، والعدو كالولي. ومن فعل[١٥] هذا فهو سفيه لا يصلح أن يكون حكيما.[١٦] ففي إنكار البعث تحقيق السفه وإثبات الجور، لأن من الجور أن يجمع[١٧] بين الولي وبين[١٨] العدو في الجزاء.

ومن ادعى الوجه الآخر، وهو التسوية بين الفريقين لِمَا تساويا في منافع الدنيا ومضارّها وفي لذاتها وشدائدها وبلياتها، فعلى ذلك يكون أمرهم في الآخرة. فجوابهم في ذلك أن الدنيا هي دار [لا] يظهر فيها العدو من الولي، والشكور من الكفور، والآخرة دار جزاء العداوة والولاية.

---

[١] ر: ودي.
[٢] ر: ولي.
[٣] ر م: وولي.
[٤] ر – حملكم على حكمكم هذا و لم يأتكم بهذا الحكم كتاب ولا معقول يوجب ذلك فكيف تطمعون ذلك أو كيف.
[٥] ر ث م: يحكمون.
[٦] ر ث: أن يجعل.
[٧] ر ث م – بين.
[٨] ر ن م: و لم.
[٩] ر م: لم.
[١٠] ر ن م: الفعل.
[١١] ن – الشكور؛ ث + ولكنه.
[١٢] جميع النسخ – والكفور. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٠و.
[١٣] ر ث م: المسلمين.
[١٤] ر ث م: المجرمين.
[١٥] ن: جعل.
[١٦] ر: حكما.
[١٧] ر: يجعل.
[١٨] ر م – بين.

فجائز أن يقع فيما فيه[1] ظهور الولاية والعداوة اتفاق. ولا يجوز وقوع الاتفاق فيما فيه الجزاء، لأن الجزاء لعداوة سبقت ولولاية سبقت، والحكمة توجب[2] التفرقة بين الجزاءين. فلا يجوز أن يُجعل المسلم فيه كالمجرم لما فيه من تضييع الحكمة. وليس قِبَلَ المحنة معنى يوجب التفرقة بينهما في المحنة. فجائز أن يقع بينهما الاتفاق في ذلك. ولأنه لو كان تفرُّقٌ[3] بينهما في الدنيا لكانت المحنة تخرج عن حدها، والدنيا هي دار المحنة. وإنما قلنا: إن فيه إخراجَ المحنة عن حدها لأن المحنة تكون على الرجاء والخوف والرغبة والرهبة. فلو فُرِّقَ بين العدو والولي في الدنيا، فوسِّع على الأولياء وضُيق على الأعداء لوقع اختيار وجه الولاية على الضرورة؛ لأن من علم أنه يُضَيَّقُ عليه إذا اختار وجه العداوة ويعجَّل[4] عليه العذاب ترك ذلك الوجه ومال إلى الولاية، فيرتفع وجه المحنة. فلذلك جاز أن يجمع[5] بين الولي والعدو في دار المحنة ليبقى وجه الحكمة[6] بحاله، ولم يجز أن يجمع بينهما في الآخرة؛ لأنها دار جزاء، والعقل يوجب تفرقة جزائهما. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **ما لكم كيف تحكمون**، في أحكم الحكماء بالسفه حيث تزعمون أنه يجمع بين الولي والعدو في الجزاء، وذلك من أعلام السفه؟ أو كيف تحكمون في أحكم الحاكمين وأعدل العادلين بالجور؟ إذ تزعمون أنه يجمع بين الفريقين في دار الكرامة ومن الجور أن يُجْمَعَ[7] بينهما. وهم كانوا يقرون أن الله تعالى أحكم الحاكمين.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾[٣٧] ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **أم لكم كتاب فيه تدرسون**، فحاجَّهم أولا بما يوجبه الحكمة، وهو أنكم تعلمون أن الحكمة توجب التفرقة بينهما، فإن كنتم تدَّعون الجمع فيما بينهما بالحكمة فأنتم تعلمون أن الحكمة توجب التفرقة بينهما، / [٨٣٤ظ] وإن كنتم تدعون ذلك من كتاب فأي كتاب من عند الله جاءكم، فيوجب التسويةَ بينكم وبين الأولياء؟ وأي رسول أخبر لكم أنكم تساوون الأولياء في نعيم الآخرة؟ ثم وجه المحاجة بالكتاب، هو أن مشركي العرب

[1] ر – فيه.
[2] جميع النسخ: يوجب.
[3] ن: يفرق.
[4] ر م: ينعجل.
[5] ر: يجعل.
[6] ن: المحنة.
[7] ر م: يقع.

لم يكونوا يؤمنون بالكتاب ولا بالرسل، ولو كانوا يؤمنون بهما لكانوا يقدرون أن يقولوا:[١] إن لنا كتابا درسناه فوجدنا[٢] فيه[٣] ما نذكر[٤] وندعي، ورسول قد أخبرنا بذلك. ولكنهم إذا كانوا لا يؤمنون بهما صار هذا الوجه الذي ذكره الله تعالى حجة[٥] لازمة عليهم. ***والله أعلم.***
وقوله: **إن لكم فيه لما تخيرون**، أي وفي ذلك الكتاب [هل] تجدون[٦] أن لكم فيه ما تخيرون.[٧]

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾[٣٩]

وقوله: **أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون**، وهذا أيضا صلة الأول، أي هل شهدتم[٨] الله تعالى أقسم لكم أنه هكذا كما تحكمون؟[٩] وهذا[١٠] كقوله تعالى: أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهٰذَا، فأخذهم [في هذه الآية] بالمقايسة أولا، وهو قوله[١١] تعالى: قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ، فلما لم يتهيأ لهم تثبيت ذلك بالقياس والمعقول احتج عليهم بقوله: أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهٰذَا.[١٢] وقد عرفوا أنهم لم يشهدوا، وما ادَّعَوْهُ لَا ثبات له إلا مِن الوجوه التي ذكرها.[١٣] وإذا لم يُثبتوا بشيء من ذلك تبين[١٤] عندهم فساد دعواهم. فهذا أيضا مثله وهو أنه سألهم عن إيراد الحجة، إما من جهة الحكمة أو من جهة الكتاب أو من جهة الشهادة. فإذا لم يَثْبُت لهم واحد من هذه الأوجه فبأي وجه يَشهدون على الله تعالى أنه يفعل ذلك. وقوله: **بالغة**، أي وكيدة، أو بُلِّغت إليكم عن الله تعالى.

---

[١] ر م: يقولون.
[٢] ر: فوجه.
[٣] ن - فيه.
[٤] ر: تذكر.
[٥] ن - حجة.
[٦] ن: يجدون.
[٧] جميع النسخ: لما تخيرون.
[٨] ر: تشهدتم.
[٩] ر: يحكمون.
[١٠] ن: هكذا.
[١١] ر م: كقوله.
[١٢] ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أَمِ الأُنْثَيَيْن أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كَذِبا لِيُضلَّ الناسَ بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٤٤).
[١٣] ن: ها.
[١٤] ن: بدين.

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذٰلِكَ زَعِيمٌ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **سلهم أيهم بذلك زعيم**، يقول: فإنهم تَعَنَّتُوا مع هذا كله في أن يدوموا على دعواهم من غير حجة تشهد لهم، فسلهم، أي أطلبهم بالزعيم، أي من يَكْفُلُ لهم أن الأمر كما يزعمون.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **أم لهم شركاءُ فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين**، أي شركاءُ يشفعون لهم يوم القيامة؟ وقال بعضهم: أم لهم شهداء ممن عندهم كتاب يشهدون لهم بما يذكرون؟

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **يوم يكشف عن ساق**، أي يكشف عن موضع الوعيد بالشدائد والأهوال. والساق الشدة، وسُمِّيَ الساق ساقا[١] لأن الناس شِدَّتُهُم في سُوقهم، إذ بها يحملون الأحمال، فكُنِّيَ بالساق عن الشدة.[٢] وقيل أيضا: إنهم[٣] كانوا إذا أُبتُلوا بشدة[٤] وبلاء كشفوا عن أَسْؤُقِهم،[٥] فكنى بذكره عن الشدة، لا أن يراد بذكر الساق تحقيقُ الساق. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ويُدْعَوْن إلى السجود فلا يستطيعون**، يحتمل أن يكون هذا على دعاء الحال، ويحتمل أن يكون على دعاء الأمر. فأما[٦] دعاء الحال فهو أن من عادات الخلق أنه إذا اشتد بهم الأمر وضاق فَزِعوا إلى السجود. فجائز أن يكون ما حل بهم من الأحوال والشدائد يدعوهم إلى السجود، فيَهُمُّون بذلك فلا يستطيعون، فيكون قوله: **ويدعون إلى السجود**، أي تدعوهم الحالة[٧] إلى السجود، فهذا دعاء الحال. وجائز أن يؤمروا بالسجود ويُمتحنوا به. ثم إن كان التأويل على الأمر فيحتمل أن يكون ذلك يوم القيامة، وجائز أن يكون وقت الموت. وإن كان على دعاء الحال فذلك يكون عند الموت.

---

[١] جميع النسخ + لهذا.
[٢] م – وسمي الساق ساقا لأن الناس شدتهم في سوقهم إذ بها يحملون الأحمال فكني بالساق عن الشدة.
[٣] جميع النسخ: بأنهم.
[٤] ر ث م: شدة.
[٥] ر م: سوقهم. السُّوق والأَسْؤُق: جمع الساق.
[٦] م + دعاء الأمر.
[٧] ث + التي.

ثم الأمر بالسجود يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون على حقيقة الفعل. ويحتمل أن يكون على الاستسلام والخضوع؛ إذ السجود في الحقيقة هو الخضوع والاستسلام. وكل سجود ذكر في القرآن وأريد به عين السجود فليس يجب بتلاوته السجود. وكل ما أريد منه الاستسلام والخضوع فهو الذي يجب بتلاوته السجود. ثم إن ذُكِرَ في أهل الكفر فإنما يراد منهم الاستسلام[1] بالاعتقاد،[2] ليس بعين الفعل. وأهل الإسلام قد وجد منهم الاستسلام بالاعتقاد،[3] فيلزمهم أن يستسلموا من جهة الفعل. فجائز أن يكون هذا لمّا عاين الشدائد والأفزاع استسلم لله تعالى وخضع له فلم يقبل ذلك منه، لأن تلك الدار دار جزاء وليست بدار محنة.

والثاني أن السجود هو بذل[4] النفس لما طُلب منه طائعا.[5] وإذا أشرف المرءُ على الموت طُلب منه في ذلك الوقت بذْلُ روحه لا بذْلُ نفسه. فإذا كان كافرا بالله تعالى اشتد عليه بذل روحه[6] لما يعلم أن مصيره إذا قبض إلى العذاب، وكَرِه ذلك[7] أشد الكراهة، كما قال عليه الصلاة والسلام: «من كره لقاء الله كره الله لقاءه ومن أحب لقاء الله أحب الله[8] لقاءه». فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: «ذلك عند الموت».[9] فهو لما يرى من المكروه يَحِلُّ[10] به بعد الموت يكره قبض روحه. فيكون قوله: **فلا يستطيعون**، إن كان المراد من قوله: **ويُدْعَون إلى السجود**، عند الموت على ذلك.[11] والمؤمن إذا رأى ما أُعَدَّ له من الكرامات ودَّ أن يُقْبض روحه سريعا ليصل إلى الكرامات. وإن كان هذا بعد البعث وأريد من السجود تحقيقه، ففيه تذكير لهم أنهم لم يكونوا يُمْتحنون في الدنيا بالسجود لمنفعة تصل إلى الله تعالى أو لحاجة له إلى ذلك،

---

[1] ر – وكل سجود ذكر في القرآن وأريد به عين السجود فليس يجب بتلاوته السجود وكل ما أريد منه الاستسلام والخضوع فهو الذي يجب بتلاوته السجود ثم إن ذكر في أهل الكفر فإنما يراد منهم الاستسلام.

[2] ر: بالاعقاد.

[3] ر: الاعتقاد.

[4] ر: بذلك.

[5] م: طابعا.

[6] ر ث م – لا بذل نفسه فإذا كان كافرا بالله تعالى اشتد عليه بذل روحه.

[7] ث م – ذلك. أي كره بذل روحه.

[8] ر – الله.

[9] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٤٢٠؛ وصحيح *البخاري*، الرقاق ٤١؛ وصحيح *مسلم*، الذكر ١٤–١٨.

[10] ن: ويحل.

[11] أي إن كان المراد من قوله: ﴿ويدعون إلى السجود﴾ عند الموت يكون قوله: ﴿فلا يستطيعون﴾ محمولا على كراهة بذل الروح.

وإنما امتحنوا بالسجود لمكان أنفسهم؛ إذ لو كان الامتحان لمنفعة يناها[1] الله تعالى لما كانوا يُمنعون عنه في القيامة. ***والله أعلم.***

وقال كثير من أهل الكلام: لا يجوز أن يمتحنهم الله تعالى بعد البعث بالسجود، إذ تلك الدار ليست بدار محنة، وإنما الأمر بالسجود يَخرج مَخرج التوبيخ. وكذلك زعم جعفر بن حرب [٨٣٥و] أن هذا على[2] التوبيخ؛ يقال للرجل إذا كان / مُكْثرا فذهب ماله ولم يؤد الزكاة ولا حج[3] في حال يسره:[4] حُجَّ الآن وزَكِّ[5] الآن، ليس يراد به أن أَوْجِد الفعل، ولكن يراد[6] به تذكيره[7] وتوبيخه. فهذا الذي قالوه محتمل. ويحتمل أن يمتحنوا بالسجود للوجوه التي ذكرنا، وهو أن يظهر عند الممتحنين أن منافع سجودهم راجعة إليهم لا إلى الله تعالى.

وقوله عز وجل: **فلا يستطيعون**، فجائز أن يكون هذا على نفي استطاعة الأحوال والأسباب، أو لا يستطيعون[8] للأشغال التي حلت بهم والأفزاع التي ابتُلُوا[9] بها.

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون**، ففيه أن الفرائض إنما يجب عند سلامة الأسباب. ***والله أعلم.***[10]

﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث**، فجائز أن يكون الحديث هو القرآن. وجائز أن يكون أريد به البعث، وهو الغالب أن يكون هو المرادَ.

---

[1] جميع النسخ: ينال.
[2] ر – على.
[3] ر ث م – ولا؛ ن: وحج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٠ظ.
[4] ر ث: بشره.
[5] ر: حج بزل؛ ن م: حج زل.
[6] جميع النسخ: يريد. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر م: تذكره.
[8] ر م – فجائز أن يكون هذا على نفي استطاعة الأحوال والأسباب أو لا يستطيعون.
[9] ر ث م: ابتلي.
[10] ث – وقوله عز وجل وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ففيه أن الفرائض إنما يجب عند سلامة الأسباب والله أعلم.

وقوله عز وجل: **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون**. قال القُتَبِي: الاستدراج هو الأدنى من المَهْلكة درجة فدرجةً حتى يَهْلك.[١] وقيل **سنستدرجهم**، أي نُنْعم عليهم، ونُنْسيهم شكرها بالإملاء، وينزل بهم العذاب والهلاك آمَنَ[٢] ما كانوا.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **وأملي لهم إن كيدي متين**. والأصل أن الكيد والمكر والاستدراج يقتضي معنى واحدا، وهو أن يأخذ من وجه أمْنِه ويراقب وجوهَ هلاكه؛ وهو يستعمل في الخلق على وجه يُذَمُّ أهله. فهو يضاف إلى الله تعالى ليس على جعل ذلك اسما له، إذ لا يجوز له[٣] أن يسمى ماكرا كائدا مستدرجا، وإنما يضاف إليه في حق الجزاء. وذلك الجزاء في الحقيقة ليس بكيد، ولكن قد يجوز أن يسمي الجزاءُ[٤] باسم ما له الجزاء، كما يسمى جزاء السيئة سيئةً وإن لم يكن الجزاء سيئة،[٥] وكما سمى جزاء الاعتداء[٦] اعتداءً.[٧] فكذلك سمى جزاء الكيد كيدا على هذا المعنى، لا أن يكون ذلك منه كيدا في الحقيقة. أو نقول[٨] بأن الذم إنما يلحق الماكر والكائد إذا[٩] استعمله في وَلِيِّه وصَفِيِّه، فأما إذا مكر بعدوه وكاد به فذلك مما لا بأس به ولا يُذَمُّ عليه فاعله. وما أضيف من الكيد إلى الله تعالى فذلك حالٌ بأعدائه ليس بأوليائه، فلم يكن فيه إلحاق معنى مكروهٍ بالله تعالى.

ثم الأصل أن يُنظر في الفعل: لماذا أضيف إلى الله تعالى بحقيقة أم بمجاز؟ فإن كانت الإضافة بحق المجاز فلا يُجعل ذلك اسما له، لأنه لا يجوز أن يقال: هو كاتب، نافخ[١٠] روح،

---

[١] انظر: *تأويل مشكل القرآن* لابن قتيبة، ١٦٦.

[٢] ر ن م: أمر؛ ث: أم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦١و.

[٣] ن – له.

[٤] ر ث م – وذلك الجزاء في الحقيقة ليس بكيد ولكن قد يجوز أن يسمي الجزاء.

[٥] ر ث – وإن لم يكن الجزاء سيئة. لعل المؤلف رحمه الله تعالى يشير إلى قوله تعالى: ﴿وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلُها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٤٠).

[٦] ر: الاعتدال.

[٧] لعل المؤلف رحمه الله تعالى يشير إلى قوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٤).

[٨] ر ث م: يقول.

[٩] ن: إن.

[١٠] ر: نافع.

ولا كائد ولا ماكر،[1] إذ لا يتحقق ذلك منه. وما كانت إضافته لأجل التحقيق فإنه يستقيم[2] أن يُسَمَّى به، لأنه يستقيم أن نسميه[3] مُنْعما مُفْضلا[4] خالقا[5] رحمانا، إذ الإنعام والإفضال والخلق موجود منه.

وقوله عز وجل: **متين**، أي قوي ثابت. فقوله تعالى: **إن كيدي متين**، أي كيدي لأوليائي على أعدائي ثابت، ليس ككيد الأعداء لأن كيد الأعداء بكيد الشيطان، وكيد الشيطان ضعيف.[6] والأصل أن الكيد الذي أضيف إلى الله تعال حق، والحق قوي ثابت[7] لا مَدْفَعَ له وكيد الشيطان باطل، وليس للباطل قرار، بل هو كما قال الله تعالى: اُجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ.[8]

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون**. الأصل أن الرسل عليهم السلام لم يكونوا يدعون الخلق إلى ما يستثقله عقل أو طبع، بل كانوا يدعونهم[9] إلى ما يَخِفّ ويَسْهُل على الطبع والعقلِ الإجابةُ له؛[10] لأنهم كانوا[11] يدعونهم إلى التوحيد، وهم كانوا يعبدون غير واحد من الآلهة، وعبادة[12] الواحد أيسر من عبادة[13] عدد؛ وكانوا يدعونهم إلى الصدق وإلى مكارم الأخلاق، والإجابة[14] بمثله أمر يسير. فيقول:[15] أحملتَ عليهم أجرا فَثَقُل عليهم ذلك حتى تركوا الإجابة لك مع تيسيره عليهم؟ فيخرج ذكر هذا مخرج تسفيه أحلامهم.

---

[1] ر: وماكر؛ ن: ولا ما ذكر.
[2] ر: ستقيم.
[3] جميع النسخ: أن يسميه.
[4] ر – مفضلا.
[5] ر: خالق.
[6] ن: ضعيف. يشير إلى قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ (سورة النساء، ٤/٧٦).
[7] ث: ثابت قوي.
[8] ﴿ومَثَلُ كلمةٍ خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٢٦).
[9] ر م: يدعونه.
[10] ن – له.
[11] ر ث م: كأنهم.
[12] ر ث – عبادة.
[13] ر ن: عابدة.
[14] ر م – والإجابة.
[15] ن ث م: فنقول.

﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **أم عندهم الغيب فهم يكتبون**، فهذا يحتمل أوجها. أحدها أم[١] عندهم علم الغيب بالذي ادَّعَوا أنَّا نجعل المسلمين كالمجرمين،[٢] وذلك مكتوب عندهم[٣] أو[٤] عند سلفهم عِلْمَ الغيب، فوجدوه[٥] في كتبهم ويعلم به خَلَفهم[٦] فيخاصمونك به؟ ثم هم قوم لم يكونوا يؤمنون بالكتب ولا بالرسل، فكيف يخاصمونك ويكذبونك فيما تخبرهم،[٧] وإنما يوصَل إلى التكذيب بما يَثْبُتُ[٨] من العلم بخلافه ويتأيد بأحد الوجهين اللذين ذكرناهما. أو يكون هذا في موضع الاحتجاج عليهم حين زعموا "أنَّا نعبد الأصنام ليقرِّبُونا إلى الله زلفى ويكونوا لنا شفعاء".[٩] فما الذي حملهم[١٠] على هذا الدعوى، أم[١١] عندهم علم الغيب فهم يكتبون؟ أو أن يكون القوم قد ألزموا أنفسهم الدنيوية بدين الله وأقروا له بالألوهية، وذلك يُلزمهم العملَ بما فيه تبجيل[١٢] الله تعالى وما به يشكر الخلائق، وذلك لا يعرف إلا بالرسل عليهم السلام. فقد عرفوا حاجة أنفسهم إلى من يعلِّمُهم علم الغيب. فما لهم امتنعوا عن الإجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع حاجتهم إليه، أم[١٣] عندهم علم الغيب فيستغنُون به[١٤] عن الرسول عليه الصلاة والسلام؟[١٥]

---

[١] جميع النسخ: أن.
[٢] يشير إلى الآية ٣٥ من هذه السورة.
[٣] ر + فيخرج ذكر هذا مخرج.
[٤] ر: أم.
[٥] ن: فجلدوه.
[٦] ر: خلقهم.
[٧] ن: يخبرهم.
[٨] ن: ثبت.
[٩] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣)؛ وقوله: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أَتُنَبِّئُونَ الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).
[١٠] ن: عملهم.
[١١] ث: أما.
[١٢] ر ث: بتبجيل.
[١٣] جميع النسخ: أن ما.
[١٤] ر – به.
[١٥] ن – عليه الصلاة والسلام.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **فاصبر لحكم ربك**، إن حُكْم الله تعالى في الرسل ثلاثة.[١] أحدها أن لا يدعوا على قومهم بالهلاك وإن اشتد أذاهم من ناحيتهم[٢] حتى يؤذَنَ لهم. والثاني أن لا يفارقوا[٣] قومهم وإن اشتد بهم[٤] البلاء إلا بإذن الله تعالى. والثالث أن لا يقصِروا[٥] في التبليغ وإن خافوا على أنفسهم. ثم من وراء[٦] هذا عليهم أمران. أحدهما أنهم[٧] أمروا أن لا يغضبوا إلا لله[٨] تعالى. والثاني أن لا يحزنوا لمكان أنفسهم إذا أذاهم قومهم، / بل يحزنون لمكان أولئك [٨٣٥ظ] القوم إشفاقا عليهم منه ورحمة بما يَحِلُّ عليهم من العذاب بتكذيبهم الرسل، فهذا هو حكم ربك.[٩] ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **فاصبر لحكم ربك**، أي لا تجازهم[١٠] لصنيعهم[١١] ولا تستعجل[١٢] عليهم، بل اصبر لحكم ربك بما حكم عليهم من العذاب.

وقوله عز وجل: **ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم**، [يحتمل وجهين: أحدهما ما] قيل: نادى[١٣] على قومه بالدعاء عليهم بالهلاك. لكنه لم يظهر دعاؤه على قومه عندنا، وإنما ظهرت منه المفارقة والمغاضبة على قومه، بقوله: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا.[١٤] لم يكن له أن يفارقهم فيقول:[١٥] اصبر بما حكم عليك ربك من ترك المفارقة عن قومك، **ولا تكن كصاحب الحوت**، الذي فارق قومه قبل مجيء الإذن له من الله تعالى.

---

[١] جميع النسخ: ثلاث.
[٢] ن: من ناجيتهم.
[٣] ر ث م: لا تفارقوا.
[٤] ن: لهم.
[٥] ر م: أن لا تقصروا.
[٦] ر ث م: من وراه.
[٧] ر ث م – أنهم.
[٨] ر ث: إلا الله.
[٩] جميع النسخ: ربه.
[١٠] ن: لا تجازيهم.
[١١] ن: بصنيعهم.
[١٢] ر م: واستعمل؛ ث: واستعجل.
[١٣] ر: ونادي.
[١٤] ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك﴾ (سورة الأنبياء، ٨٧/٢١).
[١٥] ن: فنقول. أي فيقول الله تعالى.

والثاني أن يونس عليه السلام لم يصبر على أذى[1] قومه، بل فارقهم حتى ابتُلي ببطن الحوت. ثم فَزِع بالدعاء إلى الله تعالى ليُخَلِّصه من بطنه. فيقول: عليك الصبر مع قومك ولا تكن كصاحب الحوت، حيث لم يصبر مع قومه فابتلي بما ذَكَر حتى احتاج إلى أن ينادي في الظلمات: أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ،[2] فتُبْتَلَى[3] أنت أيضا بمثل ما ابتلي هو به.

ثم لا يجوز أن تلحقه[4] اللائمةُ ويعاتَب على ما دعا في بطن الحوت، لأن ذلك عذاب ابتلي به، ولا ينبغي للمرء أن يصبر على العذاب، بل عليه أن يبتهل إلى الله تعالى ليكشف عنه، وإنما لحقته[5] اللائمة بمفارقته قومه ولتركه الصبر معهم.

﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم،** نعمة ربه هي[6] ما وفقه للتوبة والإنابة وما قبل منه توبته، وكان له ألا يقبلها، إذ هو إنما أتى[7] بالتوبة بعد أن صار إلى تلك المضائق، وابتلى بالشدائد، وجاءه بأس الله. ومن حِكَمِه أنه لا يقبل التوبة بعد نزول العذاب والشدة. ألا ترى إلى قوله تعالى: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ -إلى قوله- فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا.[8] فإذا قبل توبته كان فيه عظيم نعمة من الله تعالى عليه. وقوله: **لنبذ بالعراء،** هو المكان الخالي، فلو لم يتب الله تعالى عليه لكان يلبث في بطنه إلى يوم يُبْعثون. ثم ينبذ[9] بعد ذلك بالعراء وهو مذموم، لكن الله تعالى تفضل عليه بقبول توبته [كما قال:] فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ،[10] محموم. فقوله: **لنبذ بالعراء وهو مذموم،** لو عاقبه بالنبذ، ولكن إنما نُبذ بالعراء بعد قبول التوبة فلم يصر مذموما.

---

[1] ر ث: على أدى.
[2] سبقت قريبا.
[3] ن: فيبتلى.
[4] جميع النسخ: ان يلحقه.
[5] جميع النسخ: لحقة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦١و.
[6] جميع النسخ: ربك هو.
[7] جميع النسخ + به.
[8] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنةَ الله التي قد خلَتْ في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾ (سورة المؤمن، ٨٤/٤٠-٨٥).
[9] ر م: نبذ.
[10] ﴿فلولا أنه كان من المسبِّحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرةً من يقْطِين﴾ (سورة الصافات، ١٤٣/٣٧-١٤٦).

وقوله عز وجل: **لولا أن تداركه نعمة من ربه**، فنعمته عليه كانت من ثلاثة أوجه. أحدها في تذكير الزلة، وذلك كان بالْتقام الحوت إياه، وكان عنده أن مفارقته قومه لم يكن زلة، لأنه إنما فارقهم لأن قومه كانوا له أعداء في الدين، ففارقهم لينجو منهم ولِيَسْلم له دينُه، ولا يسمعَ المكروه منهم[1] في الله تعالى.

والثاني أن[2] في مفارقته إياهم تخويفا[3] منه[4] لهم وتهويلا، لأن القوم كان لا يفارقهم نبيهم من بين أظهرهم إلا عند ما يريد [الله] أن ينزل بهم العذاب، وذلك مما[5] يدعوهم إلى الانقلاع عما هم فيه، ويدعوهم إلى الفزع إلى الله تعالى.

و[الثالث] من خوّف آخَرَ بأمر فيكون فيه دعاؤه إلى الهدى كان محمودا مصيبا. ولأن مفارقته إياهم هي التي دعتهم إلى الإسلام فأسلموا، لقوله: فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ.[6] ومن كانت مفارقته لهذه الأوجه التي ذكرناها،[7] لم تُعَدَّ[8] مفارقته زلة، بل عدت من أفضل شمائله. ولكن لحقته اللائمة مع هذا كله لما ذكرنا أن الرسل لا يسعهم أن يفارقوا قومهم وإن اشتد عليهم الأذى من جهتهم إلا بعد وجود الإذن من الله تعالى، وكانت مفارقته تلك بغير إذن. *والله أعلم.*

ثم كان[9] في ظنه أن ليست تلك المفارقة زلة. ألا ترى إلى قوله تعالى: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ.[10] قيل في التأويل: أي لن نُضَيِّق[11] عليه، وقيل: أي لن نعاقبه.[12] ولولا[13] أن عنده أن تلك المفارقة

[1] ر ث م - منهم.
[2] ر ث م - أن.
[3] جميع النسخ: تخويف.
[4] ر م: منهم.
[5] ر: ما.
[6] سورة الصافات، ١٤٨/٣٧.
[7] ر م: ذكرنا.
[8] ر ث م: لم يعد.
[9] ر ث م: كانت.
[10] ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ (سورة الأنبياء، ٨٧/٢١).
[11] ر ن م: أن لن يضيق.
[12] ن: لن يعاقبه؛ م: لن تعاقبه.
[13] ر ث م: فلولا.

ليست بزلة وإلا كان لا يظن هذا،[١] فتبين عنده بِالْتِقام[٢] الحوت إياه وبما أفضى إليه من الشدائد أن تلك زلة منه، وتذكير الزلة من إحدى النعم. والنعمة الثانية والثالثة ما ذكرناهما من توفيق الله تعالى إياه بالتوبة وإكرامه عليه بقبولها. ومن حُكمه أن لا يقبل التوبة ممن جاءه[٣] بأس الله وأحاط به العذاب، وهو إنما فزع إلى التوبة بعد ما عاين العذاب وجاءه بأس الله تعالى.

وجائز أن يكون حكمه هذا في الكفرة ليس في المؤمنين، لأنه قال في آية أخرى: يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا،[٤] ففيه[٥] إشارة إلى أن من سبق منه الإيمان قبل أن يأتيه آيات ربه أو سبق منه كسب الخير من بعد الإيمان فإن إيمانه في ذلك الوقت ينفعه. وقال في أهل الكفر: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ، فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ،[٦] فهذا حكمه في أهل الشرك. وقال: وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّار.[٧] وقال في المؤمنين: إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ.[٨] فثبت أن ما ذكرنا من الحكم هو حكمه في أهل الكفر ليس في أهل الإيمان. والعقل يدل على هذا، وذلك أن المؤمن قد علم[٩] أن الذي سبق منه زلة وارتكاب معصية، فهو ليس يحتاج إلى إثبات / آيات فينبهه على أن الذي فعله زلة. فجائز [٨٣٦و] أن تقبل منه التوبة في ذلك الوقت كما تقبل[١٠] قبل[١١] تلك الحالة. وأما الكافر فعنده أن ما سبق منه لم يكن زلة ومعصية، فيحتاج إلى آيات تنبهه عن غفلته،[١٢] وتذكُّره[١٣] أن الذي فعله معصية.

---

[١] ر ث م – هذا.
[٢] ن: التقام.
[٣] ر م: جاء.
[٤] سورة الأنعام، ١٥٨/٦.
[٥] ن: وفيه.
[٦] سورة المؤمن، ٨٤/٤٠-٨٥.
[٧] سورة النساء، ١٨/٤.
[٨] ﴿...فأولئك يتوب الله عليهم﴾ (سورة النساء، ١٧/٤).
[٩] ن: فقد علم.
[١٠] ن: يقبل.
[١١] ر ث + منه.
[١٢] ر م: غفلة.
[١٣] ر ن ث: ويذكره؛ م: يذكره.

فإذا نزل به البأساء والشدة فذلك يمنعه[1] عن النظر والتدبر، فلا يكون إيمانه عن تحقق ويقين فلا ينفعه. والثاني[2] أنه يفزع إلى التوبة والإيمان ليدفع عن نفسه البأساء لا [لـ]يدوم عليه لو كُشف[3] عنه العذاب، كما قال: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ.[4] فلهذا لا ينفعه إيمانه.[5]

فإن قيل: إن قوم يونس قد نفعهم إيمانهم وهم آمنوا بعد ما أيقنوا بالعذاب.

فجوابه من وجهين. أحدهما أنه يجوز أن يكون عذابهم موعودا و لم يكن مشاهدا مرئيا. و[الثاني] جائز أن يكون الله علم صدقهم في إيمانهم لو مُكّنوا منه[6] فكشف عنهم العذاب لما كانوا متحققين. وغيرهم كان يفزع إلى الإيمان ليكشف عنه العذاب ثم يعود إلى كفره فلم يقبل منه. وجائز أن يكون من حكم الله تعالى أن لا يقبل من أحد التوبة إذا حل به العذاب، ولكنه يقبلها[7] من المؤمنين إفضالا وإنعاما، ولا يتفضل على الكافرين[8] الذين آثروا الدنيا على الدين.

وعلى قول المعتزلة: ليست لله تعالى عليه[9] نعمةٌ ولا على أحد من أهل الإسلام، لأن من[10] قولهم: إن الله تعالى إذا علم من كافر أنه يسلم يوما من الدهر وإن كان بعدَ ألفِ سنةٍ، فليس له أن يميته قبل أن يُسلم، وعليه أن يوفقه للتوبة، وعليه[11] أن يقبل منه التوبة. فإذا كان هذا كله حقا عليه للعبد لم يكن له موضعُ نعمة عليه في قبول التوبة، لأن من قضى حقا عليه وأوصله إلى مُحِقِّه لم يَعُد ذلك منه إنعاما، فلا يكون لقوله: **لولا أن تداركه نعمة من ربه،** معنى. وقد قال الله تعالى: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ]،[12] ولو كانت الهداية واجبة عليه لم يكن له عليهم موضع امتنان.

---

[1] ن: لمنعه.

[2] أي المؤمن.

[3] ر: كشفه.

[4] سورة الأنعام، ٦/٢٨.

[5] أي إيمان الكافر.

[6] جميع النسخ – منه. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٦٢و.

[7] ت: يقبله.

[8] ت: الكافر.

[9] أي على العبد.

[10] ت: معنى.

[11] ر: عليه.

[12] سورة الحجرات، ٤٩/١٧.

﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **فاجتباه ربه**، أي اختاره واصطفاه للرسالة، ألا ترى إلى قوله، وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ.[١] وقوله تعالى: **فجعله من الصالحين**، فهذا وصف كل نبي مرسل في الآخرة.[٢]

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم**. فمنهم من يقول: هذا على التحقيق، وصُرِف ذلك إلى قوم بأعيانهم قد عُرفوا بخبث[٣] الأعين وحلول الآفات بمن يَعِينُونه[٤] من أهل الشرف والتبجيل. ثم الله تعالى بفضله عصم رسوله عليه الصلاة والسلام فلم يتهيأ لهم أَنْ يَعِينُوه، فكان فيه تقرير رسالته وآيةُ نبوته عند أولئك الكفرة.

فإن قال قائل: إنهم كانوا يعدُّون رسول الله صلى الله عليه وسلم من المجانين ويقولون: إنه لمجنون، والمجنون لا يعان، وإنما يعان أهل الشرف والحِجَى وذوا الأحلام والنُّهَى. فما[٥] أنكرتَ أنه سلم من الآفة حتى يُقْصَد إليه بالعِينَة؟

فجوابه أنهم وإن كانوا يعدونه من جملة المجانين، فإنهم سمعوا منه ذكرا عجيبا[٦] وهو القرآن؛ ومن أُعْطِيَ مثلَ ذلك[٧] الذكر والشرف فهو مما يقصد إليه بالحسد، فكانوا يَعِينُونه لذلك المعنى. ثم لم يضرَّه كيدُهم ولا نفذَت[٨] فيه حيَلُهم، فأوجب ذلك تنبيهَهم[٩] أنه رسول من الله تعالى. ومنهم من حمله على التمثيل ليس على التحقيق، فيقول: **وإن يكاد الذين كفروا**، لشدة بغضهم وعداوتهم إياك، **لَيُزلقونك بأبصارهم**، كما يقال: نظر إليَّ فلان نظرا كاد أن يقتلني، فيقوله على التمثيل. ثم قوله: **ليزلقونك**، أي يُسقطونك ويَصرعونك.

---

[١] سورة الصافات، ١٤٧/٣٧.

[٢] أي بعد رجوعه إلى قومه ودعوته إلى الإيمان وقبول قومه دين الحق.

[٣] ر ث: بخيب.

[٤] عان الرجلَ يَعينه عَيْنًا، فهو عائن، والمصاب مَعِين ومَعْيُون: أصابه بالعين (*لسان العرب*، «عين»).

[٥] ر ث م: فمن.

[٦] ر ث: عجبا.

[٧] ن: منك.

[٨] جميع النسخ: نفذ.

[٩] جميع النسخ: يبينهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٢و.

وقوله عز وجل: **لَمَّا سمعوا الذكر**، وهو القرآن. وقوله عز وجل: **ويقولون إنه لمجنون**، وقد وصفنا[1] أنهم لأيّ معنى كانوا ينسبونه إلى الجنون، وذكرنا ما يردُّ عليهم مقالتهم وينفي[2] عنهم الرَّيْب والإشكال.[3]

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **وما هو إلا ذكر للعالمين**، فجائز أن يكون الذكر هو القرآن. وجائز أن يكون أريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ قد تقدم ذكرهما جميعا، إذ كل واحد منهما ذِكْر يذكر[4] ما للخلق وما على الخلق، وما تنتهي[5] إليه عواقبهم، ويذكر ما يؤتَى وما يُتَّقَى. ***والله أعلم بالصواب.***[6] تمت بعون الله الملك الوهاب.[7]

---

[1] ن ث م: وقد صفنا.
[2] ن: ينقي.
[3] انظر: تفسير الآية ٢ من هذه السورة.
[4] م: بذكر.
[5] جميع النسخ: ينتهي.
[6] ر ث م – بالصواب.
[7] ر ث م – تمت بعون الله الملك الوهاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحاقة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿الْحَاقَّةُ﴾[١] ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾[٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾[٤]

قوله عز وجل: **الحاقة ما الحاقة**، قد ذكرنا أن يوم القيامة سُمي بأسماء النوازل التي تكون[2] من البلايا والشدائد ليقع بها التخويف والتهويل، وليس في تبيين وقته ولا في ذكر عينه ترهيب ولا ترغيب. فذكر ذلك اليوم بالأسباب التي هي[3] أسباب الزجر والردع. فقوله: **الحاقة**، أي حَقَّتْ لكل عامل عَمَله ويحق لكل ذي حق حقُّه، فإن كان من أهل النار استوجبها وإن كان من أهل الجنة دخلها. وقال بعضهم: **الحاقة**، هي النازلة التي لا ترتفع أبدا وهو ما ينزل بالخلق من الجزاء وأنواع ما وُعدوا به يوم القيامة. وقيل:[4] هي الواجبة مثل قوله: وَحَاقَ بِهِمْ،[5] أي وجب ونزل بهم. والأصل أن القيامة سميت بالأحوال التي يبتلى[6] الخلق بها فيها من نحو القارعة والواقعة والتنادِ والصاخة ونحو ذلك مما جاء في القرآن، أُخذت أسماؤها من أحوال ما يبتلى[7] الخلق [بها].[8] *والله أعلم*.

---

[1] ر - سورة الحاقة؛ ث + وهي اثنتان وخمسون آيات مكية.

[2] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٢ظ.

[3] م: هو.

[4] ن: وقال.

[5] ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أُمة معدودة ليقولُنّ ما يحبسه ألا يومَ يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون﴾ (سورة هود، ١١/٨).

[6] ر: يتلي؛ ن م: يبلى؛ ث: تبلى. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ن: أحدث أسماؤها من أحوال ما بلى؛ ث م: ما لي.

[8] الزيادة من المرجع السابق.

[٨٣٦ظ] وقوله عز وجل: / **ما الحاقة**، فهو على تعظيم أمر ذلك اليوم، كما يقال: فلان ما فلانٌ، إذا وصف بالغاية في القوة أو السخاوة[1] أو نحوه.[2]

وقوله عز وجل: **وما أدراك ما الحاقة**، فهو على تعظيم أمر ذلك اليوم أيضا. أو **وما أدراك ما الحاقة**، أي لم تكن تدري[3] فأدراك الله، لأنه لم يكن خبر القيامة [من] علمك ولا [من][4] علم قومك. لكن الله تعالى أطْلعك عليه؛ لأن قومه كانوا منكري البعث ولم يكن عندهم من خبره شيء. وذلك أن الله تعالى لما ذكّرهم من دلائل البعث التي جهة[5] دركها العقول والحكمة من إحالة التسوية بين البر والفاجر[6] والمطيع والعاصي، وأنه لا يجوز خروج كون هذا العالم عبثا باطلا و[من] الدلائلِ الأخرِ التي لا يأتي عليها الإحصاء. فلما لم يقنعهم ذلك ولم يتفكروا في خلق السماوات والأرض ولا اعتبروا بالآيات احتج عليهم بما لقي من سلفهم[7] مِن مكذبي البعث ومنكري الرسلِ حيث استأصلهم فلم يَبق لهم سلف ولا تَخلَّفُ عنهم خَلَفٌ[8] ليكون ذلك أبلغ في الإنذار.

وذلك قوله: **كذبت ثمودُ وعادٌ بالقارعة**، ذكر هم بما حل بثمود وعاد وما أصابهم بتكذيبهم الرسل. يقول: سيصيبكم بتكذيبكم[9] محمدا عليه الصلاة والسلام فيما يخبركم من الأنباء[10] عن الله تعالى[11] [ما] أصاب[12] ثمود وعادا بتكذيبهم رسلهم لينتهوا عن تكذيبه. أو يخبرهم أن ثمود وعادا كذبوا رسلهم[13] حتى إذا[14] صاروا إلى الهلاك ندموا على ما سبق من تكذيبهم،[15] فستندمون أيضا إن دمتم على تكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم فيما يأتيكم من الأنباء بعد موتكم.

---

[1] ر ث م: والسخاوة.
[2] ر ث م – ونحوه.
[3] ن: لم يكن يدري.
[4] الزيادتان من *الشرح*، ورقة ٢٦٢ظ.
[5] ر ن م: جهته.
[6] ر م: بين الفاجر والبر.
[7] ث: سفلهم.
[8] م – خلف.
[9] ن: بتكذيبهم.
[10] ر: من الأبناء؛ ث: بالأنباء.
[11] ن: عز الله.
[12] جميع النسخ: كما يصيبهم ما أصاب.
[13] ن – لينتهوا عن تكذيبه أو يخبرهم أن ثمود وعادا كذبوا رسلهم.
[14] ر ث م – إذا.
[15] ن – من تكذيبهم.

ثم ذكّر هم نبأ عادٍ وثمودَ وإن كانوا مكذبين بتلك الأنباء لئلا[١] يبقى لهم يوم القيامة حجة فيقولوا:[٢] إنا كنا عن هذا غافلين، ولأنهم لو بحثوا عن علم ذلك لكانت هذه الآيات والأنباء[٣] تُحقّق لهم علم[٤] ذلك. فقد وقعت هذه الآيات موقع الحِجَاج لولا إغفالهم وإعراضهم عنها، فانقطع عذرهم ولزمتهم الحجة وإن تركوا الإيمان بها.

ثم قوله عز وجل: **الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة**، وقوله: اَلْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ،[٥] يحتمل أن يكون هذا مخاطبةَ كل مكذِّبٍ بالبعث لا مخاطبة الرسول، كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ،[٦] إنه خطاب لمن يغْتَرُّ بالدنيا لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وجائز أن يخاطب[٧] به رسوله عليه الصلاة والسلام، فإنْ صُرِف الخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم اقتضى معنى غير ما يقتضيه لو أريد بالخطاب المكذِّبون. والأصل أن قول القائل: فلان وما فلان؟ يوجب اجتذاب الإسماع ويستدعي السامعَ إلى[٨] البحث في الشاهد، لأنه إنما يُذكَر فُلانٌ بهذا الأعجوبة[٩] فيه أو لعظم[١٠] أمره فيُستبحث عن ذلك لتُوقَف[١١] على تلك الأعجوبة التي فيه. فإن كان الخطاب للمكذبين دعاهم ذلك إلى تعرف ما فيه من الأعجوبة والتعظيم. وفي قوله: **وما أدراك ما الحاقة**، مبالغة في التعجب، وإذا نظروا فيه وفهموه دعاهم ذلك إلى الإيمان به، فصارت الآية في موضع الإغراء واجتذاب الأسماع.

وإن كان الخطاب في رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأويله أن المكذبين يؤذونه ويمكرون به فيتأذى[١٢] بهم ويشتد ذلك عليه فذكر ما ينزل بهم من العذاب ويَحِق عليهم،

---

[١] ر ن م: لأن لا.
[٢] ر: فتقولوا؛ ن م: فيقولون.
[٣] ث: هذه الأنباء والآيات.
[٤] ر ن م – علم.
[٥] سورة القارعة، ١٠١/١-٣.
[٦] سورة الانفطار، ٨٢/٦.
[٧] ر م: أن يكون يخاطب.
[٨] ر م – إلى.
[٩] ن + التي.
[١٠] جميع النسخ: يعظم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٢ظ.
[١١] ر: لتوقفه.
[١٢] ن: فيتنادى.

فيكون فيه بعض التسلي عما أصابه الأذى من ناحيتهم. أو ذكّره أن العذاب يحق عليهم فلا يحزن[1] بصنيعهم؛ بل يحمله ذلك على الشفقة عليهم والرحمة لهم.

[٨٣٧و] وقيل: إن كان الخطاب في المكذبين / ففيه تخويف لأهل مكة وتهويل أنهم إن[2] كذبوا رسولهم فيما يخبرهم من أمر البعث نزل بهم من العذاب ما نزل بعاد وثمود بتكذيبهم الرسل، وقد عرف أهل مكة ما نزل بأولئك. وإن كان الخطاب في رسول الله ففي ذكر نبأ عاد وثمود ما يدعوه إلى الصبر على أذاهم ويكون له بعض التسلي، لأنه يخبر أنك لست بأول رسول كُذّب، بل شَرِكتك الرسل من قبل وابتُلُوا بالتكذيب، ثم بين ما نزل بعادٍ وثمودَ بالتكذيب بالقارعة [فقال:]

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾[٥]

وهو قوله: **فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية**؛ فالطاغية والعاتية والرابية يمكن أن يُجعل هذا كله صفةً للعذاب الذي نزل بهم. وجائز أن يكون صفة الأحوال التي سبقت منهم وكانوا عليها. فإن كان هذا صفة العذاب فالطغيان عبارة عن الشدة. والطاغي هو العاتي الشديد لا يراقِب ولا يَتقي. فوصف العذابَ الذي أرسله عليهم أنه لم يُبقِ منهم أحدا، بل استأصلهم وأهلكهم بجملتهم. وقيل: ذلك العذاب هو الصاعقة، وقيل: هو[3] الصيحة، وسُمي طاغيةً ولم يُقَلْ طاغٍ لهذا. وقيل اشتق هذا الاسم للعذاب من أفعالِ مَن عُذّب به، ليس أنها طاغية لكن أُخذ اسمُه عن فعل القوم، كقوله تعالى: وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا،[4] وقال: [فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ] فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ،[5] وإنما ذلك[6] كله جزاء سيئاتهم واعتداءهم.[7] وقيل: **بالطاغية**، أي بطغيانهم وذنوبهم التي سلفت[8] منهم، كقوله تعالى: كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا.[9]

---

[1] جميع النسخ: فلا تحزن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٢ظ.

[2] ر ن م – إن.

[3] رث م – هو.

[4] سورة الشورى، ٤٢/٤٠.

[5] سورة البقرة، ٢/١٩٤.

[6] ر ث م: ذكر.

[7] ر م – واعتداءهم.

[8] جميع النسخ: الذي سلف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٣و.

[9] سورة الشمس، ٩١/١١.

ويحتمل أن يكون هذا صفةً لأحوالهم التي كانوا عليها من شدة التمرد والعتو.[١] ومن طغيانهم التكذيب بالحاقة والقارعة. ففيه تخويف لأهل مكة أنْ سيهلكهم إن لم ينتهوا عن التكذيب كما أهلك أولئك.

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية**، قال الحسن: الريح الصرصر هي الصَّيِّتَةُ،[٢] وهي التي لها صوت. وقال بعضهم: هي الريح الباردة[٣] الشديدةُ البردِ، كقوله: رِيحٌ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ،[٤] الآية. والصِر البارد والصرْصَر المكرَّر منه، فوصفها لدوامها وتكررها. وقوله عز وجل: **عاتية**، فتأويلها على ما ذكرنا في الطاغية. وذكر الكلبي[٥] وغيره أنها سميت عاتية لأنها عتت[٦] على الخُزّان و لم يطيقوها.[٧] وهذا لا يستقيم، لأنه لا يجوز أن يُوكَّل الخُزّانُ على حفظها ثم لا يمكَّنُون من الحفظ حتى تَعْتُو عليهم، إلا أن يقال: إنهم لم يوكلوا[٨] بحفظها في ذلك الوقت. فأما إذا وكلوا بحفظها ثم لا يُجعل لهم إلى حفظها سبيل فهذا مستحيل. ***والله الموفق***.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[٧]

وقوله: **سخّرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما**، قوله:[٩] **سخرها**، قيل: أرسلها، وقيل: أدامها عليهم، وقيل: التسخير التذليل، أي ذللها فصيّرها[١٠] بحيث لا تمتنع[١١] عن المرور عليهم

---

[١] ث م: والعتق.
[٢] ن: المصية.
[٣] ن – الباردة.
[٤] ﴿مَثَلُ ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته﴾ (سورة آل عمران، ١١٧/٣).
[٥] هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي (ت ١٤٦هـ/٧٦٣م)؛ نسابة، راوية، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب، من أهل الكوفة، فيها مولده ووفاته. انظر: *الفهرست* لابن النديم ١٠٧؛ و*تهذيب التهذيب* لابن حجر، ١٥٨/٩؛ و*وفيات الأعيان* لابن خلكان، ٣٠٩/٤-٣١١؛ و*ميزان الاعتدال* للذهبي، ٥٥٦/٣.
[٦] ن: عتب.
[٧] ر: فلم يطيقوها.
[٨] ث م: لو يوكلوا.
[٩] ر ث م: وقوله.
[١٠] ن: يصيرها.
[١١] جميع النسخ: لا يمتنع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٣و.

في الوجه الذي جعلها عليهم وإطاعتِه في الوجه الذي أرسلها، وإنما أَرسل الريح على أبدانهم خاصة لم تُهلِك شيئا من مساكنهم، كقوله: تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ.[1] والريح إذا عملت على الأبدان فهي[2] على البنيان أكثر، لكن الله تعالى لم يأمرها بذلك. *والله أعلم.*

ثم قوله: **سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيام حسوما**، فيه تبيين أن الأيام لم تكن[3] على عدد الليالي ولو كانتا[4] على عدد واحد لكان في ذكر أحد العددين ذِكْرُ العدد الآخر، لأن تسمية الليالي تسمية للأيام[5] وتسمية الأيام تسمية لليالي، ألا يرى أنه قال في قصة زكريا: آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا،[6] وقال في موضع آخر: ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا.[7] ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **حسوما**، قيل متتابعة[8] دائمة، وقيل: قِطعا قطَعا، من الحسم؛ يقال: حسَمَتِ الريح كل شيء: مرت به حَسْما، أي قطعته. وقيل: مشئوماتٍ حيث انقطعت بركتها عنهم.

وقوله: **فترى القومَ فيها صَرْعَى**، أي إنك لو أدركتهم وشهدتهم[9] وعاينتهم لرأيتهم صرعى، **كأنهم أعجاز نخل خاوية**. وقال بعضهم: أي[10] ترى الأعضاء المتفرقة كلُّ قطعة منها كأنها عجْزُ نخلة، إذ[11] كانوا هم أعظمَ في أنفسهم من أعجاز النخل، فيصرف تأويله إلى الأعضاء المتباينة.[12]

ثم ذكر النخل هاهنا بالتأنيث فقال: **أعجازُ نخلٍ خاوية**، ووصف في سورة اقترب بصفة التذكير فقال: كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ،[13] لأن النخل يذكَّر ويؤنث كذا قاله الزجاج.[14]

---

[1] سورة الأحقاف، ٤٦/٢٥.
[2] ر م: فهو.
[3] جميع النسخ: لم يكن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٣و.
[4] جميع النسخ: ولو كانا. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر – تسمية للأيام.
[6] سورة آل عمران، ٣/٤١.
[7] سورة مريم، ١٩/١٠.
[8] ر ث م: متابعة.
[9] ن – شهدتم.
[10] ر ث م: ألا ترى.
[11] ر ن م: إذا.
[12] ث: المتبانية.
[13] سورة القمر، ٥٤/٢٠.
[14] *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٥/٢١٤.

وقيل: النخل[١] يُذَكّر على كل حال،[٢] لكن قوله: **خاوية**، صفة للأعجاز لا صفة النخل، والأعجاز جماعة، والجماعة مؤنثة،[٣] والنخل واحد، فيُذكَّر. وليس كذلك، لأن الخاوية صفة النخل، ألا ترى أنْ[٤] عند الوصل يذكر بالخفض لا بالرفع؛ ولأن النخل اسم جمع، يقال: نخلة ونخل كما يقال: شجرة وشجر وثمرة وثمر وتمرة وتمر[٥] ونحو ذلك.

وقوله عز وجل: **خاويةٍ**، قال بعضهم أي بالية. وقيل: **خاوية** أي[٦] ساقطة، كقوله تعالى: وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا[٧] أي ساقطة على قوائمها. وقيل: أي خاليةٍ، فوصفها بالخلاء لأنها اقتلعت[٨] من أصلها حتى خلا ذلك المكان عنها. وأعجاز النخل[٩] أصولُه.

﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **فهل ترى لهم من باقية**، فيه أنه لم يبق لهم نسل يذكرون بهم، بل أهلكوا بأجمعهم وانقطع عنهم الذكر إلا بالسُّوء، وإلا كان يُرى لهم [من][١٠] باقية. ففيه أنهم أُستُؤْصِلوا وعمّ العذاب الكبير والصغيرَ، يخوّف أهل مكة بما يخبرهم عما فعل بأولئك. وفيه إخبار أنهم عذبوا بعذاب لا رحمة فيه. وهكذا سنة الله تعالى في مكذبي الرسل من قبل.[١١] وجعل تعذيب هذه الأمة أن يجاهَدوا ويقاتَلوا، فتعذيب هذه الأمة تعذيب فيها رحمة لأن الصغار منهم لا يقاتَلون[١٢] والنساء لا يقاتَلْن بل يُسْبَيْن[١٣] رجاء أن يُسلمن. فعلى هذا يخرج قوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.[١٤] *والله أعلم*.

---

[١] م – النخل.
[٢] ر + مكره.
[٣] جميع النسخ: مؤنث. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٣و.
[٤] ر م – أن.
[٥] م – وتمرة وتمر.
[٦] جميع النسخ + الخاوية أي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] سورة البقرة، ٢/٢٥٩؛ وسورة الكهف، ١٨/٤٢.
[٨] ر: اقلعت.
[٩] جميع النسخ: نخل. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] الزيادة من المرجع السابق.
[١١] ن م: من قبل؛ ث: من القبل.
[١٢] ر م – فتعذيب هذه الأمة تعذيب فيها رحمة لأن الصغار منهم لا يقاتلون.
[١٣] ن: يستبن.
[١٤] سورة الأنبياء، ٢١/١٠٧.

ويشبه أن يكون هذا جواب قولهم: إن محمدا صُنبُورٌ[1] أي ليس له ولد [به] يبقَى نسله أو ذكره. فأخبر[2] تعالى أن كثرة الأولاد لا يغني من الله شيئا، إذ قد كانت لهم أهالٍ وأولادٌ فأُهلكوا عن آخِرهم وانقطع التناسل منهم، ليعلموا أنه يُبقِي ذِكْرَ من أطاع الله ورسوله كان ثَمّ أولادٌ أو لم يكن. *والله أعلم*.

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ﴾[٩] ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾[١٠]

وقوله: **وجاء فرعون ومن قبله**، قرئ بكسر القاف وفتح الباء، وقرئ بنصب القاف وجزم الباء.[3] فتأويل القراءة الأولى أي جاء فرعون ومَن معه مِن جنده وأتباعه، أو مَن قِبَله مَن كان من أهل القرى التي بقرب المصر. وقد قرئ بالشاذ[4] في بعض الحروف: وجاء فرعون ومَن دونه، وجائز أن يكونوا[5] من أتباع فرعون وجائز أن لا يكونوا.[6] وتأويل القراءة الثانية أي جاء فرعون ومن كان متقدما عليه من الأمم الماضية. وقوله: **والمؤتفكات**، قيل: قَرَيات لوطٍ ائتفكت على أهلها، أي انقلبت عليهم بما عصت رسلها. وقيل: المؤتفك الذي يأتفك من الصدق إلى الكذب، ومن الحق إلى الباطل، ومن العدل إلى الجور. فمن قرأ ومَن قِبلَه بخفض القاف كان قوله: **وجاء فرعون ومن قِبَلَه والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم**، واقعا كلُّه على العصيان لموسى عليه السلام؛ والمراد من **المؤتفكات**، / [٨٣٧ظ] كل من ائتفك من الحق إلى الباطل دون أهل قريات لوط لأنهم كانوا قبل زمان موسى بكثير. ومن قرأ ومَن قَبله بنصب القاف كان قوله: **فعصوا رسول ربهم**، واقعا على رسول كل فريق كان،[7] أي عصى كل أمة رسولها. وعلى هذا يجوز أن يكون المراد من **المؤتفكات**، قومَ لوط.

---

[1] ن ث: صبور. قال أبو حنيفة: الصنبور بغير هاء: أصل النخلة الذي تَشَعَّبت منه العُرُوق. ورجل صُنْبُورٌ: فَرْد ضعيف ذليل لا أهل له ولا عَقِب ولا ناصر. وفي الحديث أن كفار قريش كانوا يقولون في النبي صلى الله عليه وسلم: محمد صُنبُور، وقالوا: صُنَيْبِرٌ أي أبتر لا عقب له ولا أخ، فإذا مات انقطع ذِكْرُهُ. فأنزل الله تعالى: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ [سورة الكوثر، ١٠٨/٣] (*لسان العرب*، «صنبر»).

[2] ر ث م: وأخبر.

[3] *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٤٤؛ و*النشر في القراءات العشر* لابن جزري، ٢٩١/٢.

[4] ر ث م: وقد روي في الشاذ؛ ن: وقد روي الشاذ. والتصحيح من *الشرح* ورقة ٢٦٣ظ.

[5] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] ر م: أن لا يكون.

[7] جمع النسخ: كل فريق كأنه قال. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم قوله: **بالخاطئة**، أي بالخطايا والشرك. وذكر أبو معاذ عن مجاهد في تفسير الخاطئة الشرك والكفرَ وأنكر ذلك، واحتج بأن الله تعالى لم يذكر من قوم لوط كفرا وشركا في كتابه، إنما ذكر ركوبَهم[١] الفاحشة،[٢] وبها أهلكوا، إذ لم ينزعوا[٣] [بها] ولم يتوبوا. قال: ولو كانوا مشركين لم يقل لهم لوط: إنَّ هٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ،[٤] أراد بذلك الإنكاح،[٥] والكافر لا يصح منه نكاح المسلمة. وليس كما زعَم، بل كانوا أهل[٦] شرك وكفر بالله تعالى، ألا ترى[٧] إلى قوله فيما حكى عن قوم لوط من قوله: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ،[٨] فإخراج الرسل من أماكنها من صنيع أهل الكفر. وقال في موضع آخر: أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ،[٩] فطابت أنفسهم بإخراج لوط عليه السلام من قراهم. ومن فعل هذا لم يُشَكَّ في كفره. وقال في قصة لوط أيضا: فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،[١٠] فثبت أنهم كانوا كفارا.

ثم لقائل أن يقول في قوله: **وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم**، أخبر أنه جاء فرعون إلى موسى وعصاه، كيف ذَكَر مجيءَ فرعونَ إلى موسى ولم يوجد منه المجيءُ إلى الرسول، بل الرسول هو الذي جاءه، فعصاه فرعونُ، لا أن فرعون أتاه فاستقبله بالعصيان.

قيل: [فيه بأوجه أحدها] أن كل من أتى آخر وجاءه فقد أتاه الآخر، ومن قرب إلى آخر فقد قرب الآخر إليه.[١١] لأن المجيء فعل مشترك، لأنه اسم الالتقاء، وإنما يقع الالتقاء بهما جميعا ليس بأحدهما، فلذلك استقام إضافة المجيء إلى فرعون. وعلى هذا تأويل قوله تعالى:

---

[١] جمع النسخ: ركونهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٣ظ.
[٢] ث م: للفاحشة.
[٣] ر م: لم ييرعوا؛ ث: لم يرعبو.
[٤] سورة هود، ٧٨/١١.
[٥] ن: بالإنكاح.
[٦] ن م: هل.
[٧] ر ث م: ألا يرى.
[٨] سورة الشعراء، ١٦٧/٢٦.
[٩] ﴿فما كان جوابَ قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾ (سورة النمل، ٥٦/٢٧).
[١٠] سورة الذاريات، ٣٥/٥١-٣٦.
[١١] ر م – إلى أخر فقد قرب الأخر إليه؛ ر ن م + إلا إليه.

وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ،[1] أي قُرِّبت، وأهلها هم الذين يُقَرَّبون إليها في الحقيقة. ولكنهم إذا قُرِّبوا إليها فقد قُرِّبَتْ هي[2] إليهم، فأضيف[3] إليها التقريب لهذا. فعلى هذا العبارة يمكن أن يتأول قوله: وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا،[4] وقوله عز وجل: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ،[5] أي أتاه الخلق لا أن يكون هو الذي يأتيهم، لأنه قال: وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ،[6] وقال: وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ،[7] وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ،[8] فأخبر أن الخلق هم الذين يأتونه ويرجعون إليه، ولكن نسب[9] المجيء والإتيان إلى الله تعالى لأنهم إذا أتوه فكأنه قد أتاهم من الوجه الذي ذكرنا دون أن يكون فيه إثبات الانتقال في الله تعالى.

والثاني أن اسم المجيء وإن أطلق واستعمل في المجيء إلى مكان من مكان فقد يستعمل أيضا في الموضع الذي ليس فيه حركة ولا انتقال.[10] قال الله تعالى: وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ،[11] ومعناه ظهر الحق، ليس أن الحق كان في موضع فانتقل عنه إلى غيره. فأمكن أن يكون قوله: **وجاء فرعون**، أي [ظهر و][12] كذّب بما أنزل على موسى عليه السلام.

و[الثالث] جائز أن يكون قوله: **وجاء فرعون**، أي جاء بالخاطئة فيكون المجيء مصروفا إلى الخطايا. وهذا التأويل أَمْلَكُ بظاهر الآية، لأنه قال: **وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة**، أي جاءوا بالخطايا.

وقوله عز وجل: **فأخذهم أَخْذَةً رابية**، [قيل: مرتفعة وزائدة وشديدة. ومعناه أن العذاب أحاط بهم فأهلكهم وعلاهم حتى صاروا بحيث لا يُرَوْن فهي أخذةٌ رابيةٌ][13] أي عالية حيث علت أبدانهم.

---

[1] سورة الشعراء، ٢٦/٩٠.

[2] ر: هم.

[3] ن: فأضيفت.

[4] سورة الفجر، ٨٩/٢٢.

[5] سورة البقرة، ٢/٢١٠.

[6] سورة النور، ٢٤/٦٤.

[7] سورة آل عمران، ٣/٢٨؛ وسورة النور، ٢٤/٤٢؛ وسورة فاطر، ٣٥/١٨.

[8] انظر مثلا: سورة البقر، ٢/٢١٠؛ وسورة آل عمران، ٣/١٠٩؛ وسورة الأنفال، ٨/٤٤.

[9] ر ث م: بسبب.

[10] ن + والانتقال.

[11] سورة الإسراء، ١٧/٨١.

[12] جميع النسخ: أي كذب بما أنزل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٤و.

[13] الزيادة من المرجع السابق.

وجائز أن يكون المراد منه أن عقوبتهم رَبَت[١] على الأخذ أي زادت على الأخذ لأنها أخذت أبدانَهم وأهلكتها. ثم رُدَّت أرواحُهم إلى جهنم فَتُعْرض[٢] عليها [النار] غدوا وعشيا،[٣] فذلك هو الزيادة على الأخذ. *والله أعلم*.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **إنا لما طغى الماء**، قال بعضهم: أي طغى على الخُزّان لأن الخزان يُرسِلون القَطْرَ بالكيل والوزن والقدر المعلوم. ثم ذكر[٤] في موضع آخر: فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ،[٥] أي مُنْصَبٍ. فيكون تأويله أن الله تعالى لم يُمكّنهم حفظ[٦] القَطر في ذلك الوقت، فطغى عليهم لهذا المعنى، وإلا لو لُزموا حِفظَه[٧] في ذلك الوقت لكان الماء لا يطغى عليهم على ما ذكرنا أنه لا يجوز أن تؤمروا[٨] بحفظه ولا يملكون حفظه. وجائز أن يكون قوله:[٩] **طغى**، أي طغى على الذين أهلكوا من مكذبي نوح عليه السلام. وقد وصفنا تأويل الطاغي.[١٠] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **حملناكم في الجارية**، فذكر أنه "حملنا" و لم نكن[١١] نحن يومئذ فنُحْمَلَ. والخطاب للذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما كان لأن بنجاة[١٢] أولئك المحمولين نجاة ذريتهم، وبهلاك أولئك فناء ذريتهم، فكأنه قد حملهم بحمل أولئك لما حصل لهم النجاة بحملهم.[١٣] أو أضاف إليهم لأنه قدَّرَ كونهم من آبائهم، فكأنهم حُمِلوا تقديرا،

---

[١] ن: رتب.

[٢] جميع النسخ: فيعرض.

[٣] فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿النار يُعْرَضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آلَ فرعون أشدّ العذاب﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٤٦).

[٤] ن ث م – ذكر.

[٥] سورة القمر، ٥٤/١١.

[٦] ن ث م: خفظ.

[٧] ن: حفظ؛ ث م: خفظه.

[٨] ن: أن يأخروا؛ ث م: تأمرو.

[٩] ر ث م – قوله.

[١٠] انظر تفسير الآية ٥ من هذه السورة.

[١١] ن: و لم يكن.

[١٢] ر: ينجاه؛ ث: كان الإنجاه.

[١٣] ن ث م: يحملهم.

وهو كقوله: يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ،[1] ومعناه أنزلنا عليكم ماء قدّرنا كون اللباس منه وهو المطر، فإذا أنزل المطرَ الذي قدّر كون اللباس منه[2] فكأنه أنزل اللباس. وقال عز وجل: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا] خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ،[3] ونحن لم نُخْلَقْ من التراب ولكن لما قَدَرَ خلقنا من التراب الذي أصلُنا منه فكأنا خُلِقْنا منه. فعلى ذلك وإن لم نكن نحن[4] محمولين في السفينة، فقد حمل[5] أصلنا / لنكون[6] نحن من ذلك الأصل، فكأنا [٨٣٨و] قد حُملنا منها، إذ كنا في إرادة الله تعالى من الكائنين. *والله أعلم*. أو ذكر ذلك مِنّةً منه على الأبناء بصنيعه بالآباء ليُعْلم أنَّ على الأبناء شكر ما أحسن إلى آبائهم وأجدادهم. *والله أعلم*.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **لنجعلها لكم تذكرة**، فوجه التذكرة[7] فيه أن أهل مكة أبَوْا إجابة الرسول، وقالوا: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ،[8] فذَكَّرهم أنهم أولاد من حُملوا مع نوحٍ عليه السلام في السفينة وهم إنما استوجبوا النجاة وشَرُفوا في الدارين جميعا باتباعهم الرسل، فما لكم لا تتبعونهم في تصديق الرسل دون أن تتبعوا[9] المكذبين للرسل. أو[10] يذكِّرهم كذبهم في قولهم: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ، بل قد وجدتم آباءكم على خلاف ما أنتم عليه، وقد تعلمون أن آباءكم هم الذين اتبعوا نوحا فنجوا، وهم المؤمنون دون الكفرة. ووجه آخر أنه ذكَّرهم أحوال المكذبين وإلى ماذا آل أمرهم من الغَرَق والهلاك، فيكون فيه تخويف من كَذَّب من أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصارت تلك الجارية وهي السفينة موعظة وتذكرة تذكرهم[11] عواقب المصدقين بالرسل والمكذبين بهم،

---

[1] سورة الأعراف، ٢٦/٧.
[2] ر م + وهو المطر؛ ن + فإذا أنزل المطر الذي قدر كون اللباس منه وهو المطر فإذا أنزل الذي قدر كون اللباس منه.
[3] سورة الحج، ٥/٢٢.
[4] جميع النسخ: وإن لم يكن محمولين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٤و.
[5] ر: يحتمل؛ ن ث م: يحمل. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر: ليكون.
[7] ر م: التذكير.
[8] سورة الزخرف، ٢٣/٤٣.
[9] ر م: أن يتبعون.
[10] م – أو.
[11] جميع النسخ: يذكرهم. والتصحيح من المرجع السابق.

أو ذكَّرهم عظيم نعمه على آبائهم الذين حملوا في السفينة ليستأدي[1] منهم شكر ذلك. وقال بعضهم: كم من سفينة قد هلكت منذ ذلك الوقت وهي قائمة في موضع كذا عبرة وتذكرة. ثم التذكرة تُخرَّج[2] على وجهين. أحدهما أن يراد بها الآية والعبرة، أي جعلنا لكم ذلك لتعتبروا وتكون آية لكم على وحدانية الله تعالى وقدرته، كقوله: فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ.[3] والثاني أي جعلنا تلك الأنباء تذكرة لكم، أي جعلناها قرآنا تقرءونها وتذكرونها[4] إلى آخر الأبد، فتشكرون[5] الله تعالى على ما صنع إليكم. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وتَعِيَها أُذُنٌ واعية**، يقال: وعي الشيء إذا حفِظه، وأوعاه إذا حفظه بإناء أو غيره؛ أي تحفظها أذن حافظة. فأضاف الوعيَ والحفظ إلى الأذن، والأذن لا تعي بل تسمع.[6] ثم يعيه[7] القلب[8] ولكن نسب الوعي إلى الأذن لأنه يوصَل إلى الوعي من جهة الأذن إذ بالسمع يوعى، والسمع من عمل الأذن. ثم يقع المسموع فيما فيه يُوعَى وهو القلب، فنسب الوعي إلى السمع لما يُتطرَّق به إلى الوعي؛ كما ذكرنا من إضافة اللباس إلى ما منه قُدّر اللباس وهو المطر، وأضيف خَلْقُنا إلى التراب لأن أصل ما منه قُدّر خلقنا هو التراب. وجائز أن يكون الله تعالى يجعل للقلوب آذانا بها تعي وأبصارا بها تُبصر فيضيف[9] الوعي إلى آذان القلوب ليس إلى آذان الرءوس. *والله أعلم*.

وقيل: **أذن واعية**، أي عَقَلَت[10] عن الله تعالى وانتفعت بما سمعت من كتابه،[11] وهي أذن المؤمن. فأما أذن الكافر فإنها تسمع وتَقذِف[12] ولا تعي[13] لما لم يحصل لهم الانتفاع به.

---

[1] ث: ليتأدي.
[2] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٤و.
[3] سورة العنكبوت، ١٥/٢٩.
[4] ر ن م: يقرؤنها ويذكرونها.
[5] جميع النسخ: فيشكرون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٤ظ.
[6] ر ن م: لا يعي بل يسمع؛ ث: لا يقي. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] م: يعين.
[8] ن ث: قلب؛ م: القبل.
[9] ر م: فتضيف.
[10] ر ث: غفلت.
[11] ن: من كتابة.
[12] ن: ويقذف.
[13] جميع النسخ: ولا يعي. والتصحيح من المرجع السابق.

ألا ترى أنه وصف أذانَهم بالصمم لما لم ينتفعوا بالمسموع، وكذلك قال: فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ،[1] جعل تركهم الانتفاع به نبذا. فعلى ذلك جعل الانتفاع[2] به وعيا وكذلك المتعارف في الخلق أنهم إذا أرادوا بعلم أو بشيء اجتهدوا في وعيها وحفظها.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[١٣] ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[١٤] ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة**، فكأنهم سألوا متى تكون الواقعة والحاقّة والقارعة، فأخبر عن ذلك بقوله: **فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة**، فجوابهم في قوله: **فيومئذ وقعت الواقعة**. ثم قد بينا أن الأسئلة كلها خرجت[3] عن الأحوال التي تكون في ذلك الوقت لما لا فائدة لهم في تبيين وقته، ولا حاجة إلى معرفته، وإنما الفائدة في تبيين أحواله لما يقع بها الترغيب والترهيب. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **نفخةٌ واحدةٌ**، فجائز أن يكون على حقيقة النفخ واحتمل أن يكون على قدر[4] نفخة واحدة، فيكون فائدته ذكر سهولة أمر البعث على الله تعالى، لأن قدر النفخة مما[5] يسهل على المرء في الشاهد ولا يتعذر. وجائز أن يكون ذكر النفخ لما أن الروح يدخل في أجسادهم وينتشر[6] فيها، وذلك عمل النفخ، لأن الريح إذا نُفخت في وعاء سَرَت فيه وانتشرت، فكنَّى عن دخول الروح في الجسد بالنفخ إذ ذلك عمله، وكنَّى بالنفخ عن خروج الروح من الأجساد لهذا. وعلى هذا[7] تأويل قوله: فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا،[8] ليس على حقيقة النفخ ولكن عَمِل الروح فيها عملَ النفخ، فقيل ذلك. *والله أعلم*. وقوله عز وجل: **في الصور**، قيل: الصور هو القرن يُنفخ فيه النفخة الأولى، فيَصْعَق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله

[1] سورة آل عمران، ١٨٧/٣.
[2] ر ث + الانتفاع؛ ن – به وعيا وكذلك المتعارف في الخلق أنهم إذا أرادوا.
[3] ن + على بيان الوقت والله تعالى لم يبين لهم وقت كونه وإنما أجاب.
[4] ر ث م – قدر.
[5] ث م: ما.
[6] ث: وتيسير.
[7] ث – هذا.
[8] سورة التحريم، ١٢/٦٦.

ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام يَنْظرون.[١] ومنهم من يقول: أي نفخ الروح في صُوَر الخلق. لكنْ جميعُ الصورة الصوَر بنصب الواو فلا يحتمل أن يكون المراد منه جمعَ الصورة. لكنه يجوز أن يكون الله تعالى جعل نفخ الصور سببا لإفنائهم وإحيائهم، لا أنه يعجزه شيء / عن الإفناء [٨٣٨ظ] والإحياء ما لم يُنفَخ في الصور. لكنه جعله سببا لنوع [من][٢] الحكمة والمصلحة، أو لمحنة ذلك الملك والابتلاء على ما عرف من أنواع المحن في الملائكة من إنزال الأمطار وتسيير السحاب وجعلهم الموكَّلين على أعمال بني آدم وغير ذلك.

وقوله: **وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة،** [قالوا][٣] كسرتا كسرة واحدة، وقيل: هدمتا هدمة واحدة،[٤] وقال بعضهم: زُلزلتا زلزلة واحدة. فكأنه يقول - والله أعلم- تَتَزلْزلُ الأرض فتَقذِف ما في بطنها من الفضول وتُخرج ما فيها من الجواهر التي ليست منها بتلك الدَّكَّة وتُخرجُ[٥] أصولَ الجبال منها. ثم يجعلها الله تعالى كَثِيبًا مَهِيلاً،[٦] مثل الرمْل. ثم يُعمِل عليه الريحَ فيجعله هباء منثورا، ويُريه من لينه كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ،[٧] ثم يُسَيِّرُ مثل السحاب فيقع في شِعاب الأرض والأودية والأماكن المختلفة، فتصير الأرض كما قال تعالى: فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا.[٨] وهكذا الريح إذا عملت على شيء ويقع عليه تُفرّقه في النواحي وتُسوّي[٩] به الشقوق وتَبْسطه على وجه الأرض.

وقوله عز وجل: **وحملت الأرض،** ليس أنها تحمل من مكان إلى مكان،[١٠] ولكن تُدْخل هذه في هذه وتضرب[١١] هذه على هذه بالدكة[١٢] فتصير[١٣] كأنها حملت لذلك.

---

[١] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ونُفخ في الصور فصَعِق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نُفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٦٧).

[٢] والزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٦٤ظ.

[٣] الزيادة من المرجع السابق.

[٤] ن - كسرتا كسرة واحدة وقيل هدمتا هدمة واحدة.

[٥] ر م - وتخرج؛ ن ث: ويخرج. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ﴿يوم تَرْجُف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا﴾ (سورة المزمل، ٧٣/١٤).

[٧] سورة القارعة، ١٠١/٥.

[٨] سورة طه، ٢٠/١٠٦-١٠٧.

[٩] ر م: ويستوي؛ ث: وسوى؛ ن: ويسوي. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] ر م - إلى مكان.

[١١] جميع النسخ: يدخل هذه في هذه ويضرب. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] ن: في هذه بالذكر.

[١٣] جميع النسخ: فيصير. والتصحيح من المرجع السابق.

وإذا كان كذلك فقد وقعت الواقعة يومئذ. وهذا على اختلاف الأوقات ليكون معنى الآيات التي جاءت في الجبال على السواء. *والله أعلم*. وقيل: في آياتٍ أُخَر بيانٌ آخرُ: بيان تقديم فناء الجبال قبل الأرض، بقوله: يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا، فَيَذَرُهَا، أي يذر الأرض، قَاعًا صَفْصَفًا،[1] وغيرها من الآيات مما يدل على تقديم فناء الجبال قبلها. فأما أن يكون معنى تبديل الأرض تغييرَها عن الحالة التي هي عليها اليومَ من انهدام البنيان واستواء الأودية وإزالة الجبال على ما جاء في الأخبار، فسمي لذلك تبديلا، كما يقال لمن تغير عن الحالة الحسنة إلى غيرها: تبدَّلت، يراد أي تغَيَّرتَ عن حالتك. فعلى ذلك معنى الآية، أي تتكسر[2] الجبال وتتغير حالة الأرض في دُفْعة واحدة. أو يكون في الآية إخبار عن شدة الفزع في ذلك اليوم؛ أَنْ بدَكَّةٍ[3] واحدة تفنى[4] الجبال والأرض[5] وإن كان إفناء الجبال قبل إفناء الأرض، ليس أنهما تفنيان[6] جميعا بدفعة واحدة، لكن بالدكة الواحدة تهلك[7] الجبال والأرض، فيكون المراد بيان شدة اليوم وهوْلِه لا بيانَ[8] ترتيب فناء البعض[9] على البعض. *والله أعلم*.

وقوله: **فيومئذ وقعت الواقعة**، وهو على الحساب والجزاء، كقوله: وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ.[10] وأدخلت الهاء في أسماء القيامة تعظيما[11] لشأنها.

﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **وانشقت السماء فهي يومئذ واهية**، قال بعضهم: تفرقت، وهكذا الشيء إذا انشق تفرق وتباين،[12] وبه يظهر الشق. ويحتمل أن يكون الشق كناية عن اللين،[13]

---

[1] سورة طه، ٢٠/١٠٥-١٠٦.
[2] ر ث م: تكسرت.
[3] ر: يدكه؛ ن: أن يذكر؛ م يدركه.
[4] جميع النسخ: يعني. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٥و.
[5] ر ث م – والأرض.
[6] ر م: أنهم يفنيان؛ ن ث: أنهما يفنيان. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: يهلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر: لاتيان؛ ن: الاتيان.
[9] ر ث م: الأرض.
[10] ﴿إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع﴾ (سورة الذاريات، ٥١/٥-٦).
[11] م – تعظيما.
[12] ر ث م: وتناثر؛ ن: يفرق وتأثر. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ث م: عن الذين.

أي تلين[١] بعد صعوبتها، دليلُهُ قَوْلُه:[٢] **فهي يومئذ واهية**، أي ضعيفة بعد ما كانت تُنسَب إلى الصلابة؛ ويدل على ذلك قوله: يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ،[٣] وإنما يُطْوَى الشيءُ في الشاهد بعد ما كان يلين في نفسه. وجائز أن تنشق[٤] السماء لنزول[٥] أهلها فلا تبقى[٦] فيها إلا الملائكة الذين على أطرافها، ثم تنضم فتلين للطيِّ.[٧] *والله أعلم*. وجائز أن يكون ذكر انشقاقها وانفطارها[٨] وانفتاحها تهويلا للخلق من الوجه الذي ذكرنا فيما قبل. وجائز أن يكون للسماوات أبواب فتفتح أبوابُها فيكون انشقاقُها وانفطارُها[٩] فتْحَ أبوابها. وجائز أن يكون الشق ليس [على][١٠] فتح الأبواب، لأنه ذُكر هذا في موضع التهويل وليس في فتح أبوابها كثير تهويلٍ. وقوله: **فهي يومئذ واهية**، أي ضعيفة مسترخِية. وقيل: الوهي الخرق، وهو يحتمل لأنها إذا انشقت انخرقت.

﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **والملك على أرجائها**، الأرجاء النواحي والأطراف، وهي أطراف السماوات ونواحيها. واحد الأرجاء رَجا مقصور، **والملك**، أريد بها الملائكة. أخبر أنهم على أطراف السماوات ونواحيها، فيحتمل أنهم وُكِلوا وامتُحنوا بحفظها بعد الشق لئلا يسقط على أهل الأرض. وجائز أن يُجعل أطرافها وجوانبها لبعض الملائكة فتفتح[١١] أبواب السماء فتنزل[١٢] الملائكة [التي][١٣] كان مسكنهم عندها إلى الأرض، كما قال تعالى: وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا،[١٤]

---

[١] ر ن: يلين.

[٢] ر دليلة وقوله؛ ث م: ذليلة وقوله.

[٣] سورة الأنبياء، ١٠٤/٢١.

[٤] جميع النسخ: أن ينشق.

[٥] جميع النسخ: ليزول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٥و.

[٦] جميع النسخ: فلا يبقى. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] ر م: فتبين الطي؛ ن: فيبين للطي؛ ث: فتبين للطي. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] ث م + وانفطارها.

[٩] ن م: وانقطارها.

[١٠] والزيادة من المرجع السابق.

[١١] جميع النسخ: فيفتح. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٢] جميع النسخ: فينزل. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٣] الزيادة من المرجع السابق.

[١٤] سورة الفرقان، ٢٥/٢٥.

وتبقى[1] الملائكة الذين كان مسكنهم في أرجائها ينتظرون أمر ربهم. ثم الملك ليس يحتاج إلى مكان يقر فيه وإن جعلت السماء مسكنا لهم، لأن الملائكة ينزلون من السماء إلى الأرض ويَقرّون على الهواء من غير أن يكون في الهواء مَقرٌّ. والثالث يبين[2] أنها لا تتفرق[3] كل التفرق، ولكنّ وسَطَها ينشقّ لما ذكرنا والباقي بحاله. ويحتمل **والملك على أرجائها**، على ما يُمَرّ به في السماء. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**، فيحتمل أن يكون الملائكة بالنفخة الأولى يصعقون إلا الثمانيةَ التي يحملون العرش، كما قال: وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ،[4] فيكون هؤلاء الثمانية من الذين استُثنُوا، فلا يصعقون فهم يحملون العرش فيكون أمكنتهم على أرجاء السماوات، وهو قوله: **والملك على أرجائها**. وقوله عز وجل: **ثمانية**، جائز أن يكون أراد به ثمانية أملاك، وجائز أن يكونوا ثمانية أصناف من / الملائكة كما ذكر في التفسير. وجائز أن يكون هؤلاء الثمانية يُهْلَكون [٨٣٩و] ثم يُحيَوْن قبل[5] أن يحيى سائرُ الخلق، فيحملون عرش ربنا[6] على اكتافهم،[7] فإذا[8] بعث الله تعالى الخلائق رأوا العرش على أكتافهم. والعرش هو سرير المُلْكِ. وجائز أن يكون[9] ذلك من نور كما ذكر في الخبر: «إن عين الشمس إذا أرادت أن تَطْلُع فإن جبريل عليه السلام يأتي العرش فيأخذ كفا من ضيائه ثم يُلْبس الشمس كما يُلبس أحدَكم قميصُه، وإذا أراد القمر أن يطلع أخذ جبريل عليه السلام كفا من نور العرش فيُلبس القمرَ كما يُلبس أحدَكم قميصه».[10] فجائز أن يكون العرش من الضياء والنور.

---

[1] جميع النسخ: ويبقى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٥و.
[2] ر ث م: يتبين.
[3] ن: لا يتفرق؛ ث م: لا يفرق.
[4] سورة الزمر، ٦٨/٣٩.
[5] ث م: قبل.
[6] ر م: ربها.
[7] ر ث م: على اكتافها.
[8] ر ث م: وإذا.
[9] ث + هؤلاء الثمانية يهلكون ثم يحيون قبل أن يحيى سائر الخلق فيحملون عرش ربنا على اكتافهم وإذا بعث الله تعالى الخلائق رأوا العرش على اكتافهم والعرش هو سرير الملك.
[10] انظر لرواية الحديث: *اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة* للسيوطي، ٤٩/١.

ثم أجلُّ الأشياء وأعظمها في أعين الخلق الضياء والنور وإليهما[١] ينتهي الرَّغَب، فيكون في ذكر العرش ذكر عظيم[٢] مُلْك الرب جل جلاله. ثم إن كل ملك في الشاهد يتخذ لنفسه عرشا يتفاوت ذلك على مقدار ملكهم وسلطانهم لا ليجعل ذلك مسكنا لنفسه، فإذا لم يتوهم[٣] من الخلق أنهم يتخذون[٤] ذلك لمقاعدهم ومجالسهم[٥] فَلأَنْ لا يُتَوهَّمَ ذلك من الله أولى.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية**، أي تعرضون على أعمالكم فلا تخفى عليكم خافية، أي تُظهَر لكم في ذلك[٦] اليوم وتصير بارزا في ذلك اليوم، كما قال تعالى: يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ،[٧] أي تُظهَر لهم سرائرهم حتى يعرفوها ولا يخفى عليهم شيء منها. وجائز أن يكون قوله: **لا تخفى منكم خافية**، أي على الله تعالى، [ليس أنه كان يخفى عليه من قبلُ فيَظهر له في ذلك اليوم،][٨] ولكن كل من ادعى إخفاء شيء من أمره على الله تعالى وظن أن الله تعالى لا يَطّلع عليه فسيعلم[٩] في ذلك اليوم أنه لا تخفى عليه خافية، وهو كقوله تعالى: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ،[١٠] ليس فيه أن الملك كان لغيره ولكنّ بعض الناس كانوا يدّعون الإشراك في الملك في الدنيا، فيتركون في ذلك اليوم دعواهم ويتيقَّنُون أنه هو المتفرد بالملك، وعلى ذلك قوله تعالى: وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا،[١١] ولم يكونوا بمختفِين عنه قبل ذلك بل كانوا له في كل وقت بارزين، ولكن من ادعى[١٢] الإخفاء في الدنيا يَدَعُ في ذلك اليوم ويُقِرُّ بالبروز. *والله المستعان*.

---

[١] ر ث م: وإليها.
[٢] ر م - عظيم.
[٣] ر: فإذا لا يتوهم.
[٤] ر ث م: يتحدثون.
[٥] ن: ومجالستهم.
[٦] ث م - في ذلك.
[٧] سورة الطارق، ٩/٨٦.
[٨] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٦٥ظ.
[٩] ن ث م: فتعلم.
[١٠] سورة المؤمن، ١٦/٤٠.
[١١] سورة إبراهيم، ٢١/١٤.
[١٢] جميع النسخ: من أنكر إدعاء. والتصحيح من المرجع السابق.

ثم روى في الخبر أن العَرَضَات ثلاث: عرضتان فيهما خصومات ومعاذير، أي يختصمون ويتنازعون، فإذا ظهر ذلك جعلوا يعتذرون ويسألون ربهم العفو والصفح عن خصومهم. والعرضة الثالثة عند تطائر الصحف. ومعنى قوله **تُعْرَضون**، أي يُعرَض الخلقُ بعضُهم على بعض حتى لا يخفى على أحد خصمه، أو يُعرض أعمالُهم حتى يَذكر[1] كل[2] أحد صنيعه وكل خصم خصومته، فكأنهم قد نَسُوا ذلك من كثرة الفزع وشدة الأهوال، لكن الله تعالى يُطْلِعهم على ذلك، حتى يذكروا[3] ذلك. *والله أعلم*.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **فأما من أوتي كتابه بيمينه**، ظاهر ما جرى به الخطاب في القرآن يوجب أن يُرحَم المؤمنون جميعا فلا يعذبون في الآخرة، ويُعذَّب الكافرون ولا يُرْحمون، لأنه قسّم الخلق يوم القيامة صِنفين، فجعل صِنْفًا منهم أهل اليمين وصنْفا أهل الشمال. ثم وصف كل واحد من الصنفين بأعلام[4] ثلاثة: فذكر مرة أنه يَخِفُّ ميزانهم بقوله: وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ،[5] وذكر مرة أن وجوههم تَسودّ،[6] وذكر مرة أنهم يُعطوْن كتابهَم بشمالهم.[7] فهذه الأعلام ذكرها في أحد[8] الصنفين. وذكر في الصنف[9] الثاني ووصفهم بأعلام ثلاثة: ببياض الوجوه وبثقل[10] الميزان وبإعطاء الكتاب بأيمانهم. ثم فيما فيه سواد الوجوه ذكر فيه، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ،[11] وكذلك حين ذكر خفة[12] الميزان ذكر في آخره ما يُبيّن أن الذين خفت موازينهم هم الكفرة،

---

[1] ن: يتذكر.
[2] جميع النسخ - كل. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٦٥ظ.
[3] ن: تذكروا.
[4] ن: أعلام.
[5] سورة الأعراف، ٩/٧.
[6] ر ن: يسود.
[7] ستأتي الآيتان.
[8] ث م: في أخذ.
[9] ن: في الصف.
[10] ن: ويثقل.
[11] سورة آل عمران، ١٠٦/٣.
[12] ن: حقة.

لأنه قال: أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ.[١] وذكر في إعطاء الكتاب بشماله وذكر فيه ما يبين أنه من أهل الكفر لأنه قال: إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ.[٢] فثبت أن الوعيد المطلق ذكر في أهل الكفر. وكذلك قال:[٣] وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[٤] ولم يقل أعدت للخلق، وقال: وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ،[٥] فثبت أن أهل النار هم الكفار. ثم المؤمنون قد يعترض منهم زلات ومآثم[٦] في هذه الدنيا، والكفار يوجد[٧] منهم المحاسن فيها. ولكن أهل الكفر يجزَوْن جزاء حسناتهم في دنياهم، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة وإذا لم يؤمنوا بها لم يقع سعيهم لها. وأمكن أن يكون المؤمن يُجعلُ له العقاب بسيئاته في الدنيا، فتخلص[٨] له الحسنات في الآخرة فيجزي بها. وجائز أن تُكفَّر سيئاته بالحسنات التي توجد منه، لأن المحاسن جعل سببا لتكفير المساوئ، قال الله تعالى: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ،[٩] وإذا كُفِّرت[١٠] سيئاته في الدنيا لم يعذب بها في الآخرة. وجائز أن يكون الله تعالى يُعذِّبهم بقدر ذنوبهم، ثم يعفو عنهم بحسناتهم التي سبقت منهم من الإيمان وغير ذلك. فكل مؤمن في الحقيقة آخره الجنة ويثقل ميزانه ويَبْيَضُّ وجهه ويُعطَى كتابه بيمينه. ثم يجوز أن يكون الذي يعاقب بذنوبه من أهل الإيمان يعاقب به قبل أن يُعْطى كتابه بيمينه ويثْقُلَ ميزانه. وقبل[١١] أن يَبْيضَّ وجهه[١٢] لم يكن مسودَّ الوجه[١٣] / ولكن على ما عليه في الدنيا. ثم متى عُفِي عنه [يَبْيَضّ وجهه بما أكرم الله تعالى إياه من النور، [٣٩ظ]

[١] ﴿ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تَلْفَح وجوههم النار وهم فيها كالِحُون ألم تكن آياتي...﴾ (سورة المؤمنون، ١٠٣/٢٣-١٠٥).

[٢] انظر الآية ٢٥ والآية ٣٣ و ٣٤ من هذه السورة.

[٣] ن: وقال أيضا.

[٤] سورة آل عمران، ١٣١/٣.

[٥] سورة آل عمران، ١٣٣/٣.

[٦] ن: ومأثم.

[٧] ر ث م: يؤخذ.

[٨] جميع النسخ: فيخلص.

[٩] سورة هود، ١١٤/١١.

[١٠] ر م: كفت.

[١١] ر: وقيل.

[١٢] ث: ويثقل مزانه قبل أن تبيض وجهه لم يكن مسود الوجه؛ ن: وقبل أن يبيض وجهه ويثقل ميزانه.

[١٣] ر ث م: الوجوه.

لأنه][1] في الخبر: «إن الناس يُعرضون يوم القيامة ثلاث عَرْضاتٍ، فأما عرضتان ففيهما[2] خصوماتٌ ومعاذيرُ، وأما العرضة[3] الثالثة فتطايُرُ الصحف في الأيدي».[4] فيجوز أن يكون تعذيبه[5] قبل العرضة الثالثة، ثم يُعطَى كتابَه في العرضة الثالثة بيمينه، فيظهر له أعلام السعادة إذ ذاك. فإذا ثبت أن[6] الوعيد المطلق إنما جاء في أهل الكفر لم يُلحَقْ أهلُ الكبائر من أهل الإيمان بهم في الحكم، بل وجب الوقف في حالهم كما قال أصحابنا. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**، قال بعضهم: **هاؤم**، أي تعالَوا، وقال بعضهم: هو بمعنى هاكُمْ، أي خذوا، فأبدلت الهمزة مكان الكاف. فظاهر الآية أن المعْطَى له الكتابُ يقول هذا يدعو الخلق، أو يناولهم[7] الكتاب استبشارًا وحُبُورا، فبشَّرهم بعفو الله تعالى عنه ورحمته عليه. ولكن أهل التأويل صرفوا التأويل إلى المُعطِي فقالوا بأن المعطِيَ هو الذي يقول هذا. فكأَنَّ الذي[8] كَتَبَ الكتاب في الدنيا من المَلَك هو الذي يعطى الكتاب إلى المكتوب عليه، ويقول: **هاؤم اقرءوا كتابيه**، أي خذوا واقرءوا ما كتَبتُ[9] لكم وعليكم. *والله أعلم*.

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **إني ظننت أني ملاق حسابيه**. فإن حَمَلْتَه على حقيقة الظن فهو يخرج على ثلاثة أوجه. أحدها[10] إني ظننت في الدنيا أني أُلاقي الحساب الشديد فيما سبق من سيئاتي وأؤاخَذ بها وأُجازَى عليها، وظننت الساعة أن لا أَنْجُوَ من ذنوبي لفزع هذا اليوم،

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٦٦و.

[2] ر م: ففيها.

[3] ن: وأما عرضة.

[4] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذٌ بشماله» (*سنن الترمذي*، صفة القيامة ٤).

[5] ث: تعديته.

[6] ث − أن.

[7] ر ث م: أو تناولهم.

[8] ر م + يقول.

[9] ر ث م: ما كتب.

[10] ن + أي.

فوجدت سيئاتي قد غفرت وخطاياي كفِرتْ عني. فيكون قوله هذا منه[1] شكرا لله تعالى وإظهارا لمنته. والثاني[2] أني كنت[3] في دار الدنيا إذا عرضت لي الحوادث من الزلّات والهَفَوات ظننت أني ألاقي الله تعالى بها،[4] فأمسكت عنها وانزجرت[5] عن إتيانها،[6] فيكون إخبارا عن بيان سبب نيل ذلك. والثالث أني تفكرت في أمري فظننت أن مِثْلي لا يُتْرك سُدًى همَلا، فأدى ظني إلى اليقين فآمنت وصدقت الرسل، فإنما نجوت بأول ظني وفكرتي. ***والله أعلم***.[7]

ومنهم من صرف الظن إلى اليقين والعلم فقال: معنى قوله **ظننت**، أي[8] أيقنت وعلمت.

والأصل أن كل يقين حدث في الأمور المستترة والعلوم الخفية فإنما يتولد ذلك عن ظنٍّ[9] يسبق فيحمله[10] ذلك الظن على النظر فيه والبحث عن حاله حتى يفضي به إلى الوقوف على ما استتر منه ويصير الخفي له جليا، فيكون سبب بلوغه إلى اليقينِ والإحاطةِ الظنَّ الذي سبق منه.[11] فجائز أن يسمي ذلك يقينا مرة على الحقيقة وظنا ثانيا على المجاز على ما ذكرنا في قوله: وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ،[12] أن الأذن لا تعي[13] شيئا بل تسمع،[14] ولكنه إنما يوصل إلى الوعي بالأذن فصارت الأذن سببا للإيصال إلى الوعي فأضاف الوعي إليها. فعلى ذلك ظُنُونهم في الابتداء إذا بلَغتهم إلى اليقين والعلم سمَّوْا يقينَهم وعلمَهم ظنًّا مرَّةً ويقينًا ثانيا. ألا ترى أن الله تعالى قال: اَلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ،[15] وقال في موضع آخر: وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ،[16]

---

[1] ر ن م: منه هذا.

[2] ن + أي.

[3] جميع النسخ: تركت. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٦و.

[4] ن – بها.

[5] ر م: وابن جرت؛ ن: وإنني جرت.

[6] ث: عن إيتانها.

[7] ن – والله أعلم.

[8] ر: أني.

[9] ر م: على ظن.

[10] ر ث م: فيجمله.

[11] ر م: والإحاطة التي سبق منه؛ ن ث: والإحاطة الذي سبق منه. والتصحيح من المرجع السابق.

[12] الآية ١٢ من هذه السورة.

[13] ر: لا يعي.

[14] ر ن م: بل يسمع.

[15] سورة البقرة، ٢/٤٦.

[16] سورة البقرة، ٢/٤.

فجعلهم مرة ظانّين ومرة موقنين فيما كان طريقه البحث[1] وإعمالَ الفكر.[2] ولهذا[3] ما لا يجوز أن يوصف الله تعالى بالإيقان في أمر من الأمور، لأن الأشياء له بارزة ظاهرة، إذ هو منشئها وخالقها، فلا يخفى عليه شيء منها فيحتاجَ إلى البحث عنها والنظر فيها. *والله الموفق*.

أو نقول[4] بأن الأمور التي سبيل دركها الاجتهاد لا يخلو شيء منها من اعتراض وساوس وخواطرَ فيها، فتلك الوساوس والخواطر تُفضي[5] بصاحبها إلى الظنون؛[6] فاستجازوا إطلاق الظن فيها لما لا يخلو عنه، واستجازوا إطلاق اليقين فيها[7] لما غلب عليها دلالات اليقين[8] والإحاطة. ألا ترى أن مَن[9] يهدَّدُ[10] بالوعيد[11] الشديد أو بالقتل على أن يكفر بالله تعالى أبيح له أن يُجري[12] كلمة الكفر على لسانه وجُعل كالموقن بإحلال[13] العذاب من المكرِه،[14] ولو امتنع عن الإجابة إلى ما دعاه وإن لم يتيقن بأنه يفعل به لا محالة ما أُوعِدَ به، لأنه يجوز أن لا يمكَّن[15] من ذلك، ويجوز أن لا يبقى إلى ذلك الوقت؛ ثم وسِع له فِعْلُ ذلك بأكبر الرأي وغلبة الظن وحل[16] ذلك محل الإحاطة واليقين. فعلى ذلك هاهنا لمّا غلب دلالات اليقين والصدق جاز إطلاق لفظة اليقين عليه. فأما الأشياء التي تدرك[17] بالحواس والمشاهدات فلا سبيل إلى تسمية مثله ظنا لما لا يحتمل اعتراضَ الشّبه فيها. *والله الموفق*.

---

[1] ر ن م: البعث.
[2] ر م: الكفر؛ ن: الذكر.
[3] جميع النسخ: وبهذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٦و.
[4] ر: أو بقول؛ ن ث م: أو يقول. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر ث م: إلى الجنون.
[6] ر ث م: إلى الجنون.
[7] ر ث م – فيها.
[8] ر ث م: النفس.
[9] ر م – من.
[10] ن: يهتد.
[11] ر ث م: بالوعد.
[12] م: أن يجزي.
[13] ر: بإخلال.
[14] م: من المكروه.
[15] م: لا يكن.
[16] ر ث م: وجل.
[17] جميع النسخ: يدرك. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **فهو في عيشة راضية**، أي في حياة راضية، يقال: عاش وحيِيَ، بمعنى واحد. وقوله: **راضية**، بمعنى مرضية، معناه أن نفسه في حياة ترضي بها، كقوله: مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ،[١] أي مدفوق، ومثله في الكلام كثير. ويجوز أن يكون المراد نفسَ الجنة قد رضيت بأهلها وأظهرت رضاها بهم، كما وصَفَ الجحيمَ بالسَّخط والتَّغيظ[٢] على أهلها. فجائز مثله في الجنة رضًا واستبشارا؛ إذ على معنى أن الجنة تُظهِر لهم من أنواع الكرامات والخيرات ما لو كان ذلك من ذي العقل يكون ذلك دليل الرضاء[٣] كما يضاف الغرور إلى الدنيا،[٤] وهي أنها تُظهر من نفسها ما لو كان ذلك ممن يملك التغرير[٥] يكون ذلك غُرورا من نفسها.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾[٢٢] ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: / **في جنة عالية**، قال بعضهم: مرتفعة على ما يُستَحبُّ[٦] في الدنيا من الجنان [٨٤٠و] في رَبْوة من الأرض مرتفعةٍ. وقال بعضهم: الجنة[٧] اسم لروضة ذات أشجار، فكأنه يصف أشجارها بالارتفاع والطول والمنظر، وذلك أشهى إلى أربابها، ولهذا ما قال: **قطوفها دانية**، من غير ذكر الأشجار، لأن ذكر الجنة اقتضى ذكر الأشجار. والثالث يكون معنى **عالية**،[٨] أي عظيمة[٩] القدر والخطر مرتفعةً. وقد يوصف الشيء الرفيع بالعلوّ. ***والله أعلم***.

ثم قوله تعالى: **قطوفها دانية**، أي في القطوف متدانيةٌ من أهلها لمن يريد قطعها وبعيدة لمن لا يريد قطعها.[١٠] وقيل: **دانية**، ينالها القاعد كما ينالها القائم، وقيل: ثمارها دانية، أي لا يَرِد[١١] أيديهم بُعْد ولا شوكٌ.

---

[١] ﴿فلينظر الإنسان مِمَّ خُلِق خُلِقَ من ماء دافق﴾ (سورة الطارق، ٨٦/٥-٦).

[٢] يقول الله تعالى: ﴿بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/١١-١٢).

[٣] ر: الرضا.

[٤] انظر مثل قوله تعالى: ﴿ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا﴾ (سورة الجاثية، ٤٥/٣٥).

[٥] ث: التعزير.

[٦] ر ث م: تستحب.

[٧] ث – الجنة.

[٨] جميع النسخ: العالية. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٦ظ.

[٩] ر ث م: عظيم.

[١٠] ث: قطفها وبعيد لمن لا يريد قطفها.

[١١] جميع النسخ: لا ترد.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية**، تأويله أن يقال لهم: **كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية**، إنما جعلتم أيامكم الخالية سَلَفا في أيام الآخرة. وسلفُ الرجل لآخر[١] هو أن يعطيه قرضا ليأخذ مثله وقت الحاجة إليه، أو يسلِّم الرجل رأسَ ماله في الأشياء التي يأمل[٢] منها الربح،[٣] فكأنه بما يشري[٤] نفسه يجعلها[٥] سلفا ورأسَ مالٍ ليأخذ ربح ما باع في الآخرة، فذلك هو الإسلاف. أو يجعل عمله للآخرة رأسَ مالِه، وما رُزِقَ من الأموال ينفقها[٦] في سبيل الله ويجعل ذلك رأس ماله.[٧] وذُكر عن وكيع أنه قال: بلغنا أن الذين أسلفوا الصوم أي أنهم صاموا في الدنيا وتركوا الطعام والشراب فأثابهم الله في الآخرة فقال:[٨] **كلوا واشربوا هنيئا**.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه**، والإيتاء بالشمال أحد أعلام الشقاء، فتمنى[٩] أن لا يُؤْتى بما فيه عَلَمُ شقائه.

﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **ولم أدر ما حسابيه**، يقول هذا في الوقت الذي قرأ ورأى فيها خلاف ما كان يظن في الدنيا ويحسب، لأنه كان يحسب أنه في الدنيا أحسنُ صنعا من الذين آمنوا وأقربُ منزلة إلى الله تعالى، كما قال: وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا،[١٠] فظهر له بقراءته الكتاب

---

[١] ن: الآخرة.

[٢] جميع النسخ: تأمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٦ظ.

[٣] ر م: الريح.

[٤] ر: يمادي؛ ث: يرى؛ م: رأى.

[٥] ث: لجعلها.

[٦] ن + وما رزق منه الأموال ينفقها.

[٧] ن + في سبيل الله ويجعل ذلك رأس ماله.

[٨] ر: فقالوا.

[٩] ر م: فمتى.

[١٠] ﴿قل هل نُنَبِّئُكم بالأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ (سورة الكهف، ١٨/١٠٣-١٠٤).

أنه لم يكن على ما حسِب، بل قد أساء صنعَه، فَوَدَّ عند ذلك أن لا يَعرف ما حسابه[١] لئلا يظهر مساوئه. ويحتمل أنه يتمنى أنه تُرِكَ ميتا ولم يُحْيَ[٢] حيَ[٣] كان لا يدري[٤] الحساب ولا يعرفه.

﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **يا ليتها كانت القاضية**، أي يا ليت المِيتَة الأولى كانت دائمة عليَّ. وقال بعضهم: يا ليت النفخة الأخيرةَ[٥] كانت تقضي[٦] بالموت والهلاك لم تكن مَجِيئَة[٧] باعثة. ***والله أعلم***. وقال قتادة:[٨] تمنوا الموت و لم يكن شيء في الدنيا أكره إليهم منه.[٩] ثم الموت عليهم مقضي وليس[١٠] بقاض، فحقه أن يقول: يا ليتها كانت مقضيةً.[١١] ولكنَّ هذه اللفظة يذكرها الناس في كل مكروه من الأمور، ألا ترى أن الناس يدعون الله تعالى بأن يصرف عنهم قضاء السوء وليس بقضاء الله بل هو مقضيه،[١٢] فخرج القول على ما تعارفوا. وهذا كما يقال: الصلاة أمر الله، وليست هي بأمره ولكن تأويله أنها بأمره ما تقام،[١٣] فسمى أيضا قضاء الله وهي[١٤] في الحقيقة مقضيه.[١٥] ***والله أعلم***.

---

[١] ن: ما حسابيه.
[٢] ن: ولم يجئ.
[٣] ن ث م: حي.
[٤] جميع النسخ: لا يرى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٦ظ.
[٥] ن: الآخرة.
[٦] ر ن م: يقضي.
[٧] ن: بجيئه.
[٨] هو أبو الخطاب قتادة بن دِعامة بن قتادة بن عزيز، السَّدوسي البصري (ت ١١٨هـ/ ٧٣٦م)؛ مفسر حافظ، وضرير أكمه. وكان رأسا في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب. كان يرى القدر، ويدلِّس في الحديث. انظر: *معجم الأدباء* ليعقوب الحموي، ١٧ /٩-١٠؛ *ووفيات الأعيان* لابن خلكان، ٤/٨٥-٨٦؛ *وتذكرة الحفاظ* للذهبي، ١/٩٢-٩٣.
[٩] *تفسير الطبري*، ٢٩/٧٧؛ *والدر المنثور* للسيوطي، ٨/٢٧٣.
[١٠] ر ن م: ليس.
[١١] ث – فحقه أن يقول يا ليتها كانت مقضية.
[١٢] ر ن: مقضيته.
[١٣] ن: ما يقام.
[١٤] ر ث م: وهو.
[١٥] ر ن: مقضيته.

﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **ما أغنى عني ماليه**، فالأصل[١] أن الكفرة كانوا يفتخرون بكثرة أموالهم، فيقولون: نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ،[٢] فيزعمون أن الله تعالى بما آتاهم من الأموال يدفعون عن أنفسهم العذاب بأموالهم إن حل بهم، فيتبين لهم في ذلك الوقت أنها لا تغني عنهم شيئا، فيقول كل واحد منهم: **ما أغنى عني ماليه**.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **هلك عني سلطانيه**، ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كُلُّ سلطان في القرآن فهو حجة.[٣] والأصل أن الكافر كان يحتج[٤] في الدنيا لنفسه بحجج باطلة، فمرة يقول: مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا،[٥] ومرة يقول:[٦] مَا هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،[٧] ومرة يقول:[٨] هٰذَا سِحْرٌ،[٩] ومرة يقول: هو مجنون،[١٠] وغير ذلك. فيعبر[١١] بقوله: **هلك عني سلطانيه**، أي هلك تلك الحجج التي كنا نتشبث بها واضمحلت وظننا أنها حجج. ومنهم من يقول: السلطان هو القدر والشرف، أي ذهب ذلك كله. وقيل: أي هلك عني تكبري وسلطاني على الأنبياء[١٢] في الدنيا وترك الاكتراث إليهم. وجائز أن يكون أراد به أن السلطان الذي كان لي على نفسي في الدنيا قد انقطع، لأنه كان يملك استعمالها في مرضات الله تعالى، فيقول: قد انقطع ذلك السلطان لأني لا أملك استعمالها فيما أستوجب به مرضات الله[١٣] تعالى، لأنه يسلم فلا يقبل منه إسلامه.

---

[١] ر ن م: في الأصل.
[٢] سورة سبأ، ٣٤/٣٥.
[٣] *صحيح البخاري*، تفسير القرآن ١٧.
[٤] م: يحج.
[٥] سورة الشعراء، ٢٦/١٥٤، ١٨٦.
[٦] ن - يقول.
[٧] سورة الأحقاف، ٤٦/١٧.
[٨] ن - يقول.
[٩] ﴿ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون﴾ (سورة الزخرف، ٤٣/٣٠).
[١٠] لعل المؤلف يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليُزْلِقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون﴾ (سورة القلم، ٦٨/٥١).
[١١] ن: فيصير.
[١٢] ث: على الأبنياء.
[١٣] ر ن ث: الرب.

ثم يجوز أن تكون[١] الهاءات في هذه الخطابات[٢] على معنى الإشارات إلى الأنفس، أو على تأكيد الأمر والمبالغة كالتشابه،[٣] أو كأنهم ينادون أنفسهم بذلك. وقد تدخل[٤] الهاء في النداء، كقوله: يا ربّاه ويا سيّداه! وجائز أن يكون للوقف وإتمام[٥] الكلام. وأهل النحو يسمونه هاءَ الاستراحة.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **خذوه فغلوه**، وقال في موضع آخر: خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ،[٦] وهو السوق على العنف. وقال في موضع آخر: وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا،[٧] فكأنهم -والله أعلم- / يُغَلُّونَ. وبدأ بالأمر بالأغلال لأن الناس في الدنيا يجتهدون كل الجهد في منع العذاب بأيديهم، [٨٤٠ظ] فأخبر أن أيديهم تُغَلُّ في الآخرة فلا يتهيأ لهم دفع ما يَحُلُّ لهم[٨] من العذاب، فيكون ذلك أشد عليهم، ويكون حالهم كما قال الله: أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،[٩] فتُغَلُّ يداه كي لا يتَّقِيَ النارَ بوجهه، ثم يُدْخَلُ في السلاسل، فيُجَرُّونَ ويُسْحَبون ويساقون على وجوههم على اختلاف أحوال القيامة.

﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾[٣١] ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **ثم الجحيم صلوه**، أي أدخلوه؛ يقال جَمَلٌ مَصْلِيٌّ أي مَشْوِيٌّ. فجائز أن يُؤْمر بأن يُشْوَى في الجحيم. وقوله: **في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه**، فذَكر أوّلا أنهم يُغَلّون ثم يُصلُّون الجحيم،[١٠] ثم يُسَلْسَلُون إذ ذاك، وحق مثله أن يسلْسَلَ، ثم يمدُّ إلى جهنم.[١١]

[١] جميع النسخ: أن يكون.
[٢] ر ث م: الخطيئات؛ ن: الخطايات. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٧و.
[٣] ر م: كالمتشابه.
[٤] جميع النسخ: وقد يدخل. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] جميع النسخ: وإجمام. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] سورة الدخان، ٤٧/٤٤.
[٧] سورة مريم، ٨٦/١٩.
[٨] ر م - لهم.
[٩] سورة الزمر، ٢٤/٣٩.
[١٠] ث - وقوله في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فذكر أولا أنهم يغلون ثم يصلون الجحيم.
[١١] ر م: الجهنم.

ولكنه يشبه أن يكونوا أوّلا يحشرون، ثم يساقون إلى نار جهنم، بقوله: وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا،[1] وإذا وردوها همُّوا أن يفروا منها فيسلسلون إذ ذاك ويسحبون[2] في النار حينئذ، فلا يتهيأ لهم الهرب. * ثم قوله عز وجل: **في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه**، لا يجوز أن يكون السلسلة تفضل[3] عن أبدانهم فتأخذ فضل مكان[4] من جهنم لأنه تعالى وعد أن يملأ جهنم من الجِنَّة والناس أجمعين،[5] ولو كانت تلك السلسلة آخذة[6] فضلَ مكان لكان[7] لا يقع الامتلاء بالجنة والناس أجمعين فقط، فيؤدي[8] إلى خُلْفِ الوعد، والله عز وجل لا يخلف الميعاد. ولكن إن كانت تلك السلسة أطول من أبدانهم فهي تُدار[9] على أهلها ليقع لهم بها فضل تضييق وغمّ. فأما أن تفضل / عن أبدانهم فلا يحتمل. وذكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا فإنه أهون -أو قال- أيسر عليكم، وزِنُوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتجهّزوا للعرض الأكبر يوم القيامة؛ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ.[10] وعن الحسن أنه قال: إن المؤمن قَوّام [على][11] نفسه يحاسب نفسه لله تعالى، وإنما خَفَّ الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم[12] في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم[13] أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة. إن المؤمن يفجأه الشيءُ [فيعجبه][14] فيقول: والله إني[15] لأشتهيك وإنك لِمنْ حاجتي، ولكن واللهِ ما لي من صلة إليك، هيهات حِيلَ بيني وبينَك.

[٨٤٠ظ س٣٦] [٨٤١و]

---

[1] سورة الزمر، ٧١/٣٩.
[2] ر: ويسبحون.
[3] ر م: يفضل.
[4] ر ث م + هم.
[5] لعله يشير إلى قوله تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (سورة هود ١١٩/١١؛ وانظر أيضا: سورة الأعراف، ١٨/٧؛ وسورة السجدة، ١٣/٣٢؛ وسورة ص، ٨٥/٣٨).
[6] ث: اخذ.
[7] ن – لكان.
[8] ر ث م: يؤدي.
[9] ر ث م: تذكير.
[10] الآية ١٨ من هذه السورة. *الزهد والرقائق* لابن المبارك، ١٠٣؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٧١/٨.
[11] الزيادة مستفادة من رواية الخبر.
[12] ر: أنفسكم.
[13] ن – على قوم.
[14] الزيادة مستفادة من رواية الخبر.
[15] ر م: لأني.

ويَفرُط منه الشيء، فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت هذا، ما لي ولهذا؟ والله ما لي عذر بها،[١] والله لا أَعُودُ لهذا إن شاء الله تعالى. إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن[٢] وحال بينهم وبين هَلَكَتِهِم. إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فِكاكِ نفسه لا يأمن شيئا حتى يلقى الله، يعلم[٣] أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه كلها.[٤] فمحاسبة النفس أن ينظر في كل فعل يريد أن يُقْدِمَ عليه إلى عاقبته. فإن كان رُشْدا أمضاه وأنفذه،[٥] وإن كان غيا انتهى عنه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أردت أمرا فدبِّرْ عاقبته، فإن كان رشدا فأمضه، وإن كان غيا فانْتَه عنه».[٦] وقال في خبر آخر: إن المؤمن وقّاف وزّان. ووزنه ما ذكر في الخبر الأول من النظر في العواقب، فإذا نظر في العاقبة ورأى الرشد في إنفاذه فقد وَزَنَهُ، وإذا رأى خِلافَ الرشد انتهى عنه و لم يُقْدِمْ عليه فذلك وقفه. فهذا الذي ذكرنا محاسبة المرء نفسَهُ فيما يَرُومُ من الأُمور؛ ومحاسبة نفسه في الأفعال التي ارتكبها وأمضاها أن ينظر. فإن كان ارتكب محرَّمًا تاب عنه واستغفرَ الله تعالى لعله بفضله يَمُنُّ عليه بالمغفرة، وإن كان ذلك فعلا مرضيا حمد الله تعالى وسأله التوفيق بمثله.فهذه هي محاسبة العبد لنفسه[٧] فيما ارتكب من الأفعال.* [٨٤١و س١٦]

---

[١] الزيادة مستفادة من رواية الخبر.

[٢] جميع النسخ: العذاب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٧و.

[٣] ث م: بعلم.

[٤] روي عن الحسن أنه قال: إن المؤمن قوام على نفسه يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر على غير محاسبة. إن المؤمن يفجأه الشيء فيعجبه فيقول: والله إني لاشتهيك وإنك لمن حاجتي، ولكن والله ما من وصلة إليك، هيهات حيل بيني وبينك. ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا، ما لي ولهذا، مالي عذر بها والله لا أعود إلى هذا أبدا إن شاء الله. إن المؤمنين قوم أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم. إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئا حتى يلقى الله، يعلم أنه مأخوذ عليه في ذلك كله (*مصنف ابن أبي شيبة*، ٢٥٧/٨).

[٥] ث: وأنقده؛ ر م: وأنقضه.

[٦] م – عنه. أخبرنا سفيان الثوري، عن خالد بن أبي كريمة قال: سمعت أبا جعفر –قال ابن صاعد: أبو جعفر هذا يقال له عبد الله الهاشمي وليس بمحمد بن علي رضي الله عنهما– يقول: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: بارك الله للمسلمين فيك، فخُصَّني منك بخاصةٍ خير، قال: «مُسْتوصٍ أنت؟» أُراه قال ثلاثا، قال: نعم، قال: «اجلس، إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته، فإن كان خيرا فأمضه، وإن كان شرا فانته». (*الزهد والرقائق* لابن المبارك، ١٤؛ وانظر: مصنف *عبد الرزاق*، ١٦٥/١١).

[٧] ن: نفسه.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٨٤٠ظ/سطر ٣٦ – ٨٤١و/سطر ١٦.

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل:[1] **إنه كان لا يؤمن بالله العظيم**، ففيه بيان السبب الذي لأجله استوجبوا هذا العقاب وهو[2] أنهم كانوا لا يؤمنون بالله العظيم. ثم قوله: **لا يؤمن بالله**، جائز أن يكون لا يؤمن بوحدانيته،[3] أو لا يؤمن بإرسال الرسل، أو كان لا يؤمن بالبعث، وإلا فهُم[4] يؤمنون بالله، ولكن من لم يكن[5] مؤمنا[6] بالرسل والبعث فهو غير مؤمن في الحقيقة، لأن الإلة الحق هو الذي أرسل الرسل، ويقدر على البعث، والكافر لا يُثبتُ له قدرة البعث ولا يراه أرسل الرسلَ، فصار لا يؤمن بالله العظيم في الحقيقة.

﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل:[7] **ولا يحض على طعام المسكين**، ففي قوله: **ولا يحض على طعام المسكين**،[8] إخبار أنه كان لا يؤمن بالبعث لأن الناس ليسوا يطلبون من المساكين الجزاء لما يطعمونهم، وإنما يطعمونهم لوجه الله تعالى ورجاء الثواب في الآخرة، والكافر غير مؤمن بالجزاء ليحمله ذلك على الإطعام وليس هو بكسب[9] يُرَغَّب فيه من مكاسب الدنيا، فكأنه يقول: إن الذي أفضى به إلى النار تركُه الإيمانَ بالله تعالى أو بالبعث. ويجوز أن يكون قوله: **ولا يحض على طعام المسكين**، إثباتَ السُّخْرية من الذي ترك الحضَّ على أهله بالإطعام، كقوله: أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ،[10] يقول: كيف أُطْعِمه[11] ومن بيده خزائن السماوات والأرض لا يطعمه، فلو كان أهلا للإطعام لكان أوْلى[12] مَنْ يطعمه هو اللهَ تعالى.

---

[1] ن – عز وجل.
[2] ر م: وهم.
[3] ر ن م: بوحدانية.
[4] ن: فهو.
[5] ن: من لم يؤمن.
[6] ث – مؤمنا.
[7] ن – عز وجل.
[8] ر ث م – ففي قوله ولا يحض على طعام المسكين.
[9] ن: يكتسب.
[10] سورة يس، ٤٧/٣٦.
[11] ن – أطعمه.
[12] جميع النسخ: الأولى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٧و.

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **فليس له اليوم هاهنا حميم**، أي قريب يرجو منه، وهو كقوله: فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ،[١] فليس له قرب[٢] يرجوه أو ينفعه ذلك الحميم، وقد كان له في الدنيا حميم ينتفع به ويرجو منه.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **ولا طعام إلا من غسلين**، وقال في موضع آخر: لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ،[٣] وقال في موضع آخر: ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ،[٤] والزقوم غيرُ الضريع. فهذا -والله أعلم- أن في جهنم دركاتٍ، فأهل دركة منها لا يجدون غير الغسلين، وأهل دركة منها يجدون غير ذلك، وأهل[٥] دركة منها[٦] طعامهم الزقوم، ليس لهم غيره وإلا لو لم يحمل[٧] الأمر على هذا أوجب ما ذكرناه اختلافا، فيخرج [من][٨] أن يكون من عند الله بقوله: وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا.[٩]

ثم يجوز أن يكون قُدِّر لكلِّ أهل دركة ما توجبه[١٠] الحكمة أن يكون ذلك[١١] طعامَهم. فعلى ما كانوا يفتخرون في هذه الدنيا بالأطعمة على من دونهم ويُهِينُونَ مَنْ لم يكن عنده ذلك الطعام جعل الله تعالى لهم من ذلك الوجه طعاما في الجحيم يُهانون به. وقال الحسن: إن القرآن كلَّه كسورة واحدة، والسورة كأنه آية واحدة، فكأنه جمع بين هذه الأشياء كلها في آية واحدة[١٢] فقال: ليس لهم طعام إلا من غسلين، وليس لهم طعام إلا من ضريع ومن زقوم، وإذا حُمِلَ على ما ذكر ارتفع توهم التناقض. *والله أعلم*.

---

[١] ﴿فإذا نُفخ في الصور فلا أنسابَ بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ (سورة المؤمنون، ١٠١/٢٣).
[٢] جميع النسخ: قريب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٧و.
[٣] سورة الغاشية، ٦/٨٨.
[٤] سورة الواقعة، ٥١/٥٦-٥٢.
[٥] جميع النسخ - ولأهل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٧ظ.
[٦] ر م - يجدون غير ذلك ولأهل دركة منها.
[٧] ن: لو لم تحمل.
[٨] الزيادة من المرجع السابق.
[٩] سورة النساء، ٨٢/٤.
[١٠] جميع النسخ - ما يوجبه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر م - ذلك.
[١٢] ن - فكأنه جمع بين هذه الأشياء كلها في آية.

وقوله عز وجل: **إلا من غسلين**، فجائز أن يكون هذه اسما لشيء من الأشياء التي يعذب بها أهل النار لم يُطْلِعِ اللهُ تعالى الخلقَ على علم ذلك ومعرفته، وقد ذكر أَسَامِيَ في الآخرة ليس للخلق بمعرفتها عهد. ألا ترى أن الزقوم ليس باسم لشيء يستقبح ويستفظع في الدنيا، ثم جعله الله تعالى اسما للشيء المستشنَع[1] الكريهِ في الآخرة، وقال: عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا،[2] والسلسبيل غير معروف فيما بين أهل اللسان. وقال بعضهم: الغسلين ما يسيل من جلود أهل النار إذا عذبوا، وذلك هو الصديد والقيح.[3] وجائز أن يكون إذا اشتد حرُّهم استغاثوا إلى الله تعالى وطلبوا منه ما رجوا[4] أن يَرفع عنهم الحر فيُصَبّ[5] عليهم[6] ما يزيد في عذابهم، فيسمَّى ما يزول عنهم غسلينا. *والله أعلم.*

﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **لا يأكله إلا الخاطئون**، وهم الذين قال [الله تعالى فيهم]: إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ.[7]*

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾[٣٨] ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون**، قد وصفنا أن تأويل قوله: **فلا أقسم**، أي فلأقسم[9] بما تبصرون من خلق السماوات والأرضين[10] وأنفسكم وما لا تبصرون في أنفسكم من الأسماع والأبصار والقلوب والعقول؛ أو ما تبصرون من الخلائق ممن حضركم وما لا تبصرون من الخلائق ممن غاب عنكم. فيكون القسم بما تبصر وما لا تبصر قسما[11] بالخلائق أجمعَ،

---

[1] جميع النسخ: المستبشع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٧ظ.

[2] سورة الإنسان، ١٨/٧٦.

[3] ر ن م: والقبيح.

[4] ر م: يرجوا؛ ن ث: ما يرجوا. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] م: فيصمت.

[6] ن - عليهم.

[7] الآية ٣٣ والآية ٣٤ من هذه السورة.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآية ٣٧ متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٨٤٠ظ/سطر ٣٦ - ٨٤١و/سطر ١٦.

[9] جميع النسخ: فلا أقسم. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] ر ث م: والأرض.

[11] جميع النسخ: قسم. والتصحيح من المرجع السابق.

لأن جملة الخلائق على هذين الوجهين، فصِنفٌ منهم يرى وصِنفٌ لا يُرى. وقد ذكرنا أن القَسَمَ من الله عز وجل لتأكيد ما يَقصِد إليه مما يُعرف بالتدبر والتأمل.[١]

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل:[٢] **إنه لقول رسول**، أي الذي تسمعونه منه تسمعون[٣] من رسول كريم. ثم ذكر هاهنا: **إنه لقول رسول كريم**، وقال في موضع آخر: وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[٤] فذكر هاهنا كلامَ الله، وذكر في الآية الأولى: **إنه لقول رسول كريم**. فأما ما أضيف إلى الرسول فهو من حيث[٥] بلوغُنا إليه من جهة الرسول لأنا من عنده[٦] وصَلْنا إليه، وأضيف إلى الله تعالى لأن بَدْأه[٧] من عنده[٨] وأضيف[٩] إلى الرسول لأن ظهوره في حقنا كان به. وهذا كما أضيف ما وعاه[١٠] القلب إلى الأذن بقوله: وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ،[١١] لأنه إنما يوصل إلى الوعي بالأُذُن، فعلى ذلك أضيف القول[١٢] إلى الرسول من حيث كان سماع الخلق من جهة الرسول عليه السلام.

ثم الأصل أن الكلام والقول لا يسمعان وإنما المسموع منهما[١٣] الصوت الذي يعرِّفُ الكلام والقول ويدل عليه لا أن يكون كلامه في الحقيقة صوتَه، فنُسِب[١٤] أيضا هذا القرآنُ إلى كلام الله تعالى لما يدل على كلامه لا أن يكون المسموع في الحقيقة[١٥] كلامه.

---

[١] انظر تفسير الآيتين ٧٥ و ٧٦ من سورة الواقعة.

[٢] ن – وقوله عز وجل.

[٣] ن: يسمعون.

[٤] سورة التوبة، ٦/٩.

[٥] ن ث + من.

[٦] ر م: لا بأمر غيره؛ ن: لأنا من غيره؛ ث: لا يأمر. والتصحيح من المرجع السابق، ورقة ٢٦٨و.

[٧] ر م: لأن مجيئه ويروه؛ ن ث: لأن مجيئه وبدؤه. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] ر ث م – من عنده.

[٩] ن: وما أضيف.

[١٠] ر م: ما وعاء.

[١١] الآية ١٢من هذه السورة.

[١٢] ن – إلى الوعي بالأذن فعلى ذلك أضيف القول.

[١٣] ر ث م: منها.

[١٤] جميع النسخ: فينسب. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٥] جميع النسخ + هو. والتصحيح من المرجع السابق.

وجائز أن يكون تأويل قوله: **إنه لقول رسول كريم**، أي إن الذي سمعتموه[1] من النبي صلى الله عليه وسلم وأتاكم[2] به لَقول تلقاه من عند الله الرسول الكريمُ، فيذكِّرهم هذا ليُؤمنهم من تخليط يقع فيه من الشياطين وغيرهم من الأعداء. ثم جائز أن يكون الرسول الكريم هو جبريلَ عليه السلام كما قال تعالى في سورة إذا الشمس كورت: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ.[3] ويحتمل أن يكون الرسول الكريم هو محمداً[4] صلى الله عليه وسلم، والأشبه أن يكون هو المرادَ، لأنهم كانوا ينكرون رسالته و لم يكونوا يقولون في جبريل عليه السلام شيئا.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ﴾[٤١] ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون**، أي إن هذا القرآن لقول رسول كريم ليس بقول شاعر ولا بقول كاهن. ثم قوله: **قليلا ما تؤمنون، وقليلا ما تذكرون**، يحتمل أن يكون تأويله: فبقليل[5] ما تؤمنون وبقليل[6] ما تذكرون مما جاءكم به الرسول. فالقليل[7] الذي آمنوا به وتذكَّروا فيه هو الذي كان راجعا إلى منافعهم. فأما الذي كان عليهم فهم لم يؤمنوا به ولا تذكروا فيه.[8] وإذا كان تأويله ما ذكرنا فانتصاب القليل لانتزاع[9] حرف الخفض،[10] وفي الحقيقة انتصابه لكونه مصدرا وهو المفعول المطلق. وجائز أن يكون أضاف القليل إلى قول الشاعر والكاهن.[11] وتأويله أن الأمور لو كان على ما تزعمون[12] بأنه قول شاعر وقول كاهن[13] فما بالكم لا تصدّقون بالقليل منه وقد تعلمون أن الشاعر[14]

---

[1] ر ث م – وجائز أن يكون تأويل قوله إنه لقول رسول كريم أي إن الذي سمعتموه.
[2] جميع النسخ: وإياكم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٨و.
[3] سورة التكوير، ٨١/ ١٩-٢٠.
[4] جميع النسخ: محمد. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ن: فتقليل.
[6] ن: فتقليل.
[7] ر ث م: والقليل.
[8] م – فيه.
[9] ر: لا ينزع؛ ث: لا نزع؛ م: لا بنزع.
[10] ر ث: الخافض.
[11] جميع النسخ: الكاهن والساحر. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: على ما يزعمون. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] جميع النسخ: بأنه قول كاهن وقول ساحر. من المرجع السابق.
[14] ر ث م: أن الساحر.

/ وإن كان الغالب عليه الكذبَ فيما يأتي فقد يَصْدق في القليل منه؟ وكذلك الكاهن، فما [٨٤١ظ] بالكم[١] لا تصدّقون بالقليل منه وأنتم تعلمون أنه يصدق؟[٢] فإن كان على هذا فهو في موضع إيجاب الحق عليهم أن يصدّقوه،[٣] وإن كان على التأويل الأول ففيه إضمار أنهم لا يؤمنون إلا بالقليل منه. *والله أعلم*.

﴿تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **تنزيل من رب العالمين**، فالتنزيل في الحقيقة لا يحتمل أن يُسمعَ لأنه إخبار عن فعله، وإنما الذي يسمع منه هو المنزَّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم أضاف إلى نفسه التنزيل ليعلم[٤] أن هذه الأخبار وهو قوله: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ،[٥] وقوله عز وجل: **تنزيل**، خرجت على المجاز ليس على التحقيق، لأن التنزيل هو إنزاله، فسمى تنزيلا لأنه هو الذي كلفه الإنزال لا أن يكون هو الذي تولّى الإنزال وإن كان هو خالقه.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **ولو تَقَوَّلَ علينا بعض الأقاويل**، فهذا عطف على ما تقدم من قوله: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ،[٦] وعليه وقوع القسم وهو موضعه، فكأنه يقول: إن الذي تلقاه من عنده رسول كريم وما هو بقول تلقاه من كاهن أو شاعر[٧] ولا بقول تقوله علينا، ولو تقول لأخذنا منه باليمين. ويحتمل وجها آخر، وهو أن الذي تسمعون[٨] منه رسول كريم وليس بشاعر ولا كاهن ولا مُتَقَوِّلٍ، لأنهم كانوا مرة ينسبونه إلى الكهانة ومرة إلى السحر ومرة أنه تقوّله على الله، ولو تقوّل[علينا] لأخذنا منه باليمين؛ يبين أن عذاب الله بأخصّ عباده أسرع وقوعا -إذا هم خالفوا وزلوا- منه بأعدائه. ألا ترى[٩] إلى قوله عز وجل: لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ.[١٠]

---

[١] ر ن: فما لكم.
[٢] جميع النسخ: أنه صادق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٨و.
[٣] ر: أن يصدقون.
[٤] ث: ثم أضاف التنزيل إلى نفسه ليعلم.
[٥] الآية ٤٠ من هذه السورة.
[٦] الآيتان ٤٠ و ٤١ من هذه السورة.
[٧] جميع النسخ: أو ساحر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٨ظ.
[٨] جميع النسخ: يستمعون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر ث م: ألا يرى.
[١٠] الآية التالية.

فتبين[1] أنه لو وُجد منه شيء مما قالوا فيه[2] لأخذه على المكان. ألا ترى إلى آدم عليه السلام وما حَلَّ به عند ما ابتُلي بالزلة والخلاف؟ وكذلك يونس عليه السلام وما عُوتِب على إثر الزلة. وهذا لأن عذاب الأولياء يخرج مخرج التنبيه والتذكير والاستدعاء إلى ما كانوا عليه من الطاعة والانقياد قبل[3] ارتكابهم الزلة، ولا كذلك عذاب الأعداء فأخر عذابهم إلى اليوم الذي يدوم عليهم فيه العذاب. وفيه وجه آخر، وهو أن الذي سمعتم منه لو كان سحرا أو شعرا أو كهانة أو تقوُّلاً[4] لكان لا يُمهله الله تعالى بل يؤاخذه على المكان من غير أن يَحْجِزوا،[5] كما قال: فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ،[6] فإمهاله دلَّ على أن الأمر ليس كما قالوا، بل هو تنزيل من رب العالمين.

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾[٤٥] ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **لأخذنا منه باليمين**، فأَخْذُ الله تعالى عذابه وعقوبتُه، كقوله تعالى: فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ،[7] وقوله عز وجل: فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً.[8] وقوله: **باليمين**، أي بالقوة، أي لا يعجزنا[9] عنه شيء ولا يفوتنا عذابُه، كقوله عز وجل: وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ،[10] وكقوله عز وجل: وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ،[11] أي لا يعجزنا ما عنده من الشرف والقوة من أن نؤاخذه ونُنزل[12] عليه النقمةَ. وجائز أن يكون اليمين صلة القول، لا على تحقيق اليد، فذَكَر اليمين لأن التأديب في الشاهد والأخذَ يقع بها، وهو كقوله عز وجل: ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ،[13]

---

[1] جميع النسخ: فبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٨ظ.

[2] ر ث م – فيه.

[3] ر: قيل.

[4] جميع النسخ: أو تقوله. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] جميع النسخ: أن عجزوا. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] الآية ٤٧ من هذه السورة.

[7] ﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون﴾ (سورة الأنعام، ٤٢/٦).

[8] ﴿ثم بَدلنا مكان السيئة الحسنةَ حتى عَفَوْا وقالوا قد مسّ آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ (سورة الأعراف، ٩٥/٧).

[9] ر م: لا يعجزه؛ ن: لا يعجزها.

[10] ر م + وهو كقوله عز وجل وما هم بمعجزين. ﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين﴾ (سورة الزمر ٥١/٣٩).

[11] ﴿نحن قدّرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين﴾ (سورة الواقعة، ٦٠/٥٦؛ وانظر أيضا: سورة المعارج، ٤١/٧٠).

[12] ر م: وينزل.

[13] ﴿ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ (سورة الحج، ١٠/٢٢).

فأضاف التقديم إلى اليد لا على تحقيق اليد، إذ يجوز ألا يكون ليديه بما قدّم صنع، لكن لما كان التقديم في الشاهد يقع بالأيدي فذُكِرَت اليدان على ذلك، لا على تحقيق الفعل بهما؛ فكذلك يجوز أن يكون اليمين ذكرت لِمَا بها يقع الأخذ والتأديب في الشاهد وإن لم يكن هنالك يمين. *والله أعلم*.

واليمين القوة، وسُمِّيَتِ اليمين يمينا لأن قدرة الرجل يكون فيها، وسمي مُلْكُ الرقاب ملكَ يمين، لأن ملك اليمين يُكْتَسَب بالقهر والغلبة، وإنما يصل المرء إلى القهر والغلبة بالقوة، فسُمي ملك يمين لهذا، لا أن يراد بذكر اليمين تحقيق اليمين، إذ اليد لا يملك شيئا حتى يضاف إليها، فكذلك فيما أضيف من اليمين إلى الله تعالى فالمراد منه القوة.

وقوله عز وجل: **ثم لقطعنا منه الوتين**، قيل: الوتين عِرْقٌ في القلب، وقيل: حبل في القلب، وقيل: هو العرق الذي إذا قُطِع مات صاحبه، وهو عرق متصل بالظهر. فكأنه قال: نُعذِّبه عذابا لا بقاء له مع ذلك العذاب. وهذا من أعظم آيات الرسالة في أنهم متى زَلُّوا أُخذوا على المكان، ويكون فيه أمان الخلق عن إحداث التغيير والتبديل من الرسل لأنهم لو غَيَّروا لعُذِّبُوا.

ثم قوله عز وجل: **منه باليمين**، فجائز أن يكون قوله: **منه**، زيادة في الكلام وحقه الإسقاط، ويكون معناه لأخذناه باليمين. وجائز أن يكون معناه لأخذنا مِنْ تقَوُّلِه وسحره وكهانته باليمين. فإن كان على هذا فحقه الإثبات، وليس بصلة زائدة.

﴿فَمَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **فما منكم من أحد عنه حاجزين**، ففي هذا إياس[1] منه لأولئك الكفرة، لأنهم كانوا يطمعون[2] من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتِّبَاعهم وموافقتهم على ملتهم، فأخبر أنه لو أجابوهم[3] لقَطَع منه وَتِينَهُ وأخذه أخذا لا يملكون منعَ ذلك عنه ولا دفْعَه، ولم يكن أحد ينصره عند ذلك أو يَحْجزه عنه،[4] وهو كقوله عز وجل: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ، إلى قوله: إِذًا لَأَذَقْنَاكَ / ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا.[5] [٨٤٢ر]

---

[1] جميع النسخ: يأس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٨ظ.
[2] م: يطعمون.
[3] ر م: لو أجابوه.
[4] جميع النسخ: عنا. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ﴿وإن كادوا ليَفتِنُونَك عن الذي أوحينا إليك لتَفْتَرِيَ علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا ولولا أنْ ثَبَّتْناك لقد كِدْتَ تركن إليهم شيئا قليلا إذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٧٣-٧٥).

﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **وإنه لتذكرة للمتقين**، فالمتقون هم الموحّدون، فسماهم مرة متقين ومرة صابرين شاكرين، كقوله عز وجل: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ،[١] وهو تذكرة لأنه يُذَكِّرهُمْ الوعد والوعيد وما يُتَّقَى وما يُؤْتَى وغير ذلك، فهو تذكرة يعني القرآن.

﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **وإنا لنعلم أن منكم مكذبين**، أي بآياتي ورسلي ثم نُمْهِلُكُم،[٢] فهو صلة قوله: وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ.[٣] فبين أنه مع كذبهم بآياته ورسله يمهلهم ولا يَعْجَل[٤] عليهم بالعقوبة، ولو وَجَدَ التَّقَوُّل من الرسول لكان يستأصله ويقطع وتينه. فهو على ما ذكرنا أن عذابه على خواص عباده أسرع وقوعا إذا خالفوا منه بأعدائه.[٥] وجائز أن يكون قوله: **وإنا لنعلم أن منكم مكذبين**، هم المنافقين،[٦] لأنهم كانوا يظهرون الموافقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بألسنتهم ويخالفونه ويكذّبونه بقلوبهم، فيكون هذا التأويل راجعا إلى أهل النفاق، والتأويل الأولُ إلى أهل الكفر الذين أظهروا التكذيب.

﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **وإنه لحسرة على الكافرين**، أي القرآن[٧] حسرة عليهم يوم القيامة لأنه شافع مُشَفَّعٌ لمن اتبعه[٨] وعمل بما فيه، ومَاحِلٌ مصَدَّقٌ لمن نبذه وراء ظهره ولم يعمل به.[٩] فهو حسرة عليهم لأنه يخاصمهم فيَخْصِمُهم ويشهد عليهم فيصدَّق في شهادته.

---

[١] سورة إبراهيم، ١٤/٥.

[٢] جميع النسخ: يمهلكم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٩و.

[٣] الآية ٤٤ من هذه السورة.

[٤] ث: ولا تعجل.

[٥] ن: بأعاديه.

[٦] جميع النسخ: هم المنافقون.

[٧] جميع النسخ: أي العذاب. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] ث – لمن اتبعه.

[٩] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن هذا القرآن شافع مشفع وماحِلٌ مصدّق مَنْ جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار». (*المعجم الكبير* للطبراني، ٩/١٣٢؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٨٧/٣). «...ماحِلٌ مصدق أي خصْمٌ مجادِل مصدَّق». (*النهاية* لابن الأثير، «محل»).

أو يذْكرون يوم[١] [القيامة][٢] معاملتهم بالقرآن فيندمون عليه ويزيدهم حسرةً؛ لأنهم كانوا إذا تُلِيَ عليهم القرآن في الدنيا ازدادوا عند تلاوته ضلالا[٣] وكفرا وازدادوا به رجسا إلى رجسهم، كما قال: وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ،[٤] وهو ليس بسبب لازْدياد الرجس، ولكنهم كانوا يحْدثون زيادة تكذيب وضلال عند التلاوة، فأضيفت الزيادة إلى القرآن إذ كان القرآن هو الذي يحملهم على زيادة التكذيب. فهذه المعاملة تَزيدهم حسرةً يوم القيامة. فأضيفت إلى القرآن إذ كان القرآن هو الذي عنده وقعوا فيه كما أضيف الرجس إليه. *والله أعلم*.

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **وإنه لحق اليقين**، والأصل أن الحق اسم لما يُحْمد عليه فحقه أن يَنظر فيما يُستعمَل هذه اللفظة فيَصرفها إلى أحمد الوجوه؛ فإذا استعملت في الأخبار أريد بها الصِدق نحو أن يقال: هذا خبر حقٌّ أي صدق، وإذا استعملت[٥] في الحكم أريد بها العدل، وإذا استعملت في الأقوال والأفعال أريد بها الإصابة.[٦] فقوله: **إنه لحق**، أي صدق ويقين أنه من رب العالمين، فهو صلة قوله عز وجل: تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.[٧]

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **فسبح باسم ربك العظيم**، قيل: صَلِّ، وقيل: اذكُرْهُ بالاسم الذي إذا سَمَّيْتَ [به] كان تسبيحا أي تنزيها عن كل ما قالت فيه الملحدة،[٨] وما نسبت إليه مما لا يليق به. *والله الهادي*.[٩]

---

[١] ث + ما يعمل به فهو حسرة عليهم.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٦٩و.
[٣] ر ث م: ضلالة.
[٤] سورة التوبة، ١٢٥/٩.
[٥] جميع النسخ: وإذ استعمل. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ر ث م: الإضافة.
[٧] الآية ٤٣ من هذه السورة.
[٨] ر ث م: الملاحدة.
[٩] وعبارة *الشرح* هكذا (ورقة ٢٦٩و): والله الهادي إلى الرشاد والعاصم عن الفساد.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المعارج[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[١]

قوله عز وجل:[2] **سأل سائل بعذاب واقع،**[3] قرئ بتسكين الألف، ومعناه سَالَ وادٍ بعذابٍ واقع، أي جرى وادٍ بعذاب واجب. والقراءة العامة بالهمز،[4] من السؤال. وتأويله على سؤال القوم العذابَ،[5] بقولهم: إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ،[6] وقولهم: عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا.[7] وقيل: هو النَّضْرُ بنُ الحارثِ سأل ذلك فقُتل يوم بدر بعد ما أُسِر،[8] هكذا قال بعض أهل التأويل.[9] ولكنْ عندنا أنَّ هذا وإن كان في الظاهر خارجا مخرج السؤال لكن لم يكن سؤاله هذا لينزل به العذابُ في التحقيق، وإنما هذا منه على جهة الاستبعاد بالعذاب والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم. والذي حملهم على الاستبعاد والإنكار

---

[1] ر – سورة المعارج؛ ث + وهي أربع وأربعون آيات مكية.

[2] ر: وقوله تعالى.

[3] جميع النسخ + للكافرين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٩و.

[4] ر م: بالهمزة. قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر ﴿سَالَ سائل﴾ ساكنة الألف غير مهموزة، وقرأ الباقون ﴿سأل﴾ مفتوحة الألف مهموزة. *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٤٦؛ *والنشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٩١/٢.

[5] م – العذاب.

[6] ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (سورة الأنفال، ٣٢/٨).

[7] ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب﴾ (سورة ص، ١٦/٣٨).

[8] ر م: بعد أسر.

[9] انظر: *تفسير الطبري*، ٣٠٦/٩.

هو أنه كان عند أهل مكة أنه لو كان فيهم نبيّ لكانوا هم أحقَّ بالنبوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنهم هم الذين بُسِطَتْ لهم الدنيا وهم الذين لهم نفاذ الكلام في البلاد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم تُبْسَط[1] له الدنيا ولا كان لكلامه فيما بينهم نفاذٌ؛ فيظنون بهذا أنهم أقرب منزلة عند الله تعالى من النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه لا يستقيم في العقل أن يَصِلَ الولي إلى عدوه ويحسنَ إليه ويدعَ صلة وليه ويجفوَه.[2] فهذا الظن الذي ذكرنا هو الذي حملهم على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يخبرهم من حلول العذاب بالتكذيب وعلى الاستهزاء به، فكان سؤال السائل على جهة الاستبعاد والإنكار[3] للعذاب لا أن كانوا مقرين به ثم استعجلوه. وذُكر أن أبا جهل قال يوم بدر: اللهم انصر أَبَرَّنا قَسَمًا[4] وأوصلَنا رَحِمًا وأقرانا للضيفِ.[5] فكان يدعو بهذا لما عنده أنه أشرف حالا وأعلى منزلة عند الله عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم[6] وأتباعه، ومن كان هذا شأنَه فهو أولى أن يُنصَر من عنده. قال الله تعالى:[7] وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ،[8] ولو لم يكن عندهم أنهم أقربُ منزلة وأحقُّ أن يكونوا أولياءَ وإلا لم يكونوا / يجترءون أن يسألوا هذا.[9] فهذه الشبهة التي ذكرناها هي التي أورثت لهم ما ذكرنا من الظن حتى زعموا أنهم أحق[10] بالرسالة. وظنهم هذا متولد من ظن إبليس؛[11] وذلك أن إبليس، قال: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ.[12] فظن أن أمر الفاضل للمفضول بالسجود في الخضوع له خارج عن حدِّ الحكمة فصار إلى ما صار إليه من الخزي[13] واللعن. [٨٤١ظ]

---

[1] جميع النسخ: لم يبسط.
[2] ر ث م: ويخوفه.
[3] ر ث م: والإمكان.
[4] م: فسما.
[5] روي أنّ أبا جهل قال يوم بدر: اللهمّ أينا كان أهجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم، أي فأهلكه (*تفسير الكشاف*، ١٥٠/٢).
[6] ر ن م – من محمد صلى الله عليه وسلم.
[7] ر م – وأتباعه ومن كان هذا شأنه فهو أولى أن ينصر من عنده قال الله تعالى.
[8] سورة الأنفال، ٣٢/٨.
[9] ر ث م: بهذا.
[10] ث م: حق.
[11] ر ث م: وظنهم هذا متولد من إبليس.
[12] سورة الأعراف، ١٢/٧؛ وسورة ص، ٧٦/٣٨.
[13] ر: من الجزي.

فكذلك هؤلاء لما رأوا من نفاذ كلمتهم وسعتهم في الدنيا ظنوا أنهم أقرب إلى الله تعالى إذ التوسع عندهم دلالة الولاية والقرب.

ثم سعتهم هي التي حملتهم[١] على التكبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وترْكِ الخضوع وإلا لو أُعْطُوا النَّصَفَةَ من أنفسهم لكان يجب أن يكونوا هم أطوعَ خلق الله تعالى، لأن الواجب على من كَثُرتْ عليه النِعم من آخَرَ أن يكون هو أشكر للنِعم وأطوعَ له فيما يدعوه إليه مِنَ الذي قلَّتْ نِعَمُهُ عليه. فإذا كانوا مقِرِّين أن نِعَمَ الله عليهم[٢] أكثرُ وإحسانَه إليهم أوفرُ أوْجَبَ ما ذَكَرُوا أن يكونوا هم أَلْزَمَ لطاعته وآخَذَ لما يأمر به. وكذلك إبليس اللعين إذا رأى لنفسه[٣] فضلا -وإنما استوجب ذلك[٤] بما أنعم الله عز وجل عليه- كان الحق عليه[٥] أن يتسارع إلى طاعته وينقاد لما أُمر به، لا أن يُظْهِرَ الخلافَ من نفسه وتَرْكَ الائتمار بأمره.

وقوله عز وجل: **بعذاب واقع**، أي هو[٦] واقع بهم لا محالة في علم الله تعالى، أو واقع بمعنى سيقع، كما يقال: قاتل[٧] أي سيقتل.[٨]

﴿لِلْكَافِرينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **للكافرين ليس له دافع**، فإن كان قوله: **للكافرين**، صلة قوله: بِعَذَابٍ وَاقِعٍ،[٩] فحقه أن يقول: "على الكافرين"، ولكن اللام[١٠] من حروف الإضافة والخفض، وحروف الإضافة مما يُسْتَبْدَلُ[١١] بعضها ببعض، فجَعَلَ اللامَ بدلا عن عَلَى. وإن كان قوله: **للكافرين**، صِلَةَ قوله: **ليس**[١٢] **له دافع**، فمعناه أن ليس على الكافرين دافع لعذاب الله عز وجل بل واقع بهم لا محالة،

---

[١] جميع النسخ: سفههم هو الذي حملهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٩ظ.
[٢] ث: عليكم.
[٣] ث م: نفسه.
[٤] ن – ذلك.
[٥] ث – عليه.
[٦] ن: هم.
[٧] ر م: قائل؛ ن: غير منقوطة؛ ث: قابل.
[٨] ر: سيقيل؛ ن ث: غير منقوطة؛ م: سيقبل.
[٩] الآية السابقة.
[١٠] ر ث م: اللازم.
[١١] ن: يستدل.
[١٢] ث م – ليس.

فأبدلت اللام مكانَ عَنْ، لأنهما جميعا من حروف الخفض. وقد يُدفع العذاب عن المسلمين من وجوه: إما برحمة الله تعالى، أو بشفاعة الرُّسل والأخيار، وإما بحسنات[1] سبقت منهم توجب[2] تكفير سيئاتهم. وأما[3] الكفار فلا تنالهم[4] رحمته ولا شفاعة أحد من الخلائق، وليست لهم حسنات تكفّر[5] سيئاتهم، فليس لهم ما يدفع عنهم العذاب. وجائز أن يكون معناه أن الذي[6] ظنوا أنه ينصرهم عند النوائب وحلول الشدائد لا يقوم بنصرهم ولا يشفع لهم، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام ويعبدون الملائكة على رجاء أن يشفعوا لهم ويُقرِّبوا إلى الله تعالى.

﴿مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **من الله ذي المعارج**، أي ذلك العذاب لهم من الله ذي المعارج أي من له المعارج،[7] كقوله عز وجل: ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ،[8] أي الذي له العرش. واختلفوا في المعارج، قال بعضهم: هو المصَاعِد وهي السماوات، وسماهن مصاعدَ لأن بعضها أصعد من بعض وأرفعُ. ولو قال: ذي المَسَافِل، كان مستقيما واقتضى ما يقتضي قوله **ذي المعارج**، لأن بعضها إذا كان أصعدَ والذي تحتها أهبط[9] وأسفلُ. ولكن ذَكَرَ[10] المصاعد لأن هذا أعلى في الوصف. ثم في ذكر هذا ذكر[11] عِظَمِ[12] نعمه وإحسانه إلى خلقه حيث خلق السماوات مَسْكنا لأهلها وبسط الأرض مسكنا لأهلها، حتى إذا عرفوا هذا عرفوا[13] أن له أن يُفَضِّل بعضا على بعض وله أن يصطفي من يشاء من الناس للرسالة ويختصّ[14] بها.

---

[1] ر ث م: الحسنات.
[2] جميع النسخ: فوجب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٩ظ.
[3] ن: فأما.
[4] ن: فلا ينالهم.
[5] جميع النسخ: يكفر. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] م: جميع النسخ: أن الذين. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ن – أي ذلك العذاب لهم من الله ذي المعارج أي من له المعارج.
[8] سورة البروج، ١٥/٨٥.
[9] م: هبط.
[10] م – ذكر.
[11] جميع النسخ – ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ن: أعظم.
[13] م – هذا عرفوا.
[14] م: ويخص.

وذكّرهم أيضا حكمته وعلمه[١] وقدرته وسلطانَه،[٢] حيث وضع سماء على سماء وخَلَقَهُنَّ طِبَاقًا من غير عَمَدٍ تحتها تمسكها[٣] أو علائقَ من فوقها تربطها.[٤] فتبين أنه يمسكها بحكمته وقدرته وسلطانه. فيكون في ذكر كل وجه فيما[٥] ذكرنا إزالة الشبهة التي اعترضت لهم في أمر البعث والرسالة وإيضاح بأن من قدر على ما ذكرنا لقادر على الإعادة بعد الإفناء. وقيل: **المعارج**، المعالي أي الذي له العلو والرفعة، كما قلنا في قوله: اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ،[٦] أي لا أحد يستحق الحمد في الحقيقة، وما حُمِدَ أحدٌ إلا وذلك في الحقيقة لله تعالى، لأنه به استفاده. فعلى ذلك قولنا: له العلو والرفعة، أي ليس أحد يستفيد العلو والكرامة إلا وحقيقة ذلك لله تعالى لأنه استفاده به. والثاني أي هو الموصوف بالعلو والجلال عما يقع عليه أوهام الخلق.

﴿تَعْرُجُ الْمَلَآئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **تعرج الملائكة والروح إليه**، يحتمل أن يكون معنى قوله: **تعرج**، ليس عن هبوط تصْعَد وتعرج،[٧] لكن أنشأهم كذلك معروجين، كقوله: وَأَنزلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ،[٨] أي أنشأهم كذلك، وقولِه عز وجل: وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا،[٩] ليست أنها كانت[١٠] في موضع مُنْحَطٍّ فرفَعها، لكنه كذلك خلقها مرفوعةً. فعلى ذلك قوله عز وجل **تعرج الملائكة**، أي أنشأهم كذلك ليستعملهم[١١] **في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**. ووجه آخر -وهو الأشبه بالآية- وهو ما قالوا: إن الملائكة تعرج إليه أي إلى الموضع الذي عنه أرسلهم إلى أنواع الأمور في يوم لو قُدِّر ذلك العروج[١٢] بعروج البشر وسيْرِهم لكان مقداره[١٣] خمسين ألف سنة.

---

[١] ر م: وعلم.
[٢] ر ن م + أنه.
[٣] جميع النسخ: يمسكها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٩ظ.
[٤] جميع النسخ: يربطها. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ث: فما؛ ن: مما.
[٦] انظر مثلا: سورة الفاتحة، ١/١.
[٧] جميع النسخ: يصعد ويعرج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠و.
[٨] ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩).
[٩] ﴿والسماء رفعها ووضع الميزان﴾ (سورة الرحمن، ٧/٥٥).
[١٠] جميع النسخ: ليس أنه كان. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر ث م: استعلمهم.
[١٢] ن: المعروج.
[١٣] ر ث م: مقدار.

[٨٤٣و] وقوله عز وجل: **في يوم كان مقداره خمسين / ألف سنة**، وقال في موضع آخر: أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ،[١] فيحتمل أن يكون هذا الوقت وقت تقدير عروج الملائكة وصعودهم.[٢] وهو أن البعض ينزل منهم ثم يعرج في يوم واحد مقدار ذلك المسير ألفُ عام، والبعضُ منهم ينزل ويعرج في يوم واحد مسيرةَ خمسين ألف سنة. فيكون في هذا إبانةُ أَنْ ليس أهل سماء أَحَقَّ أن يدور عليهم تدبير أهل الأرض من أهل سماء، بل ينزل أهل سماء إلى الأرض مرة لما يراد من التدبير[٣] وينزل أهل سماء أخرى بتدبير آخر. ثم [من][٤] أيّ سماء يُرْسَل فهو يَصعد إلى تلك السماء بيوم واحد، إن أُرسل من السماء السابعة أو السادسة أو الأولى فهو يصعد إليها في ذلك اليوم، ويكون[٥] في هذا تبيين قوة بعض الملائكة على بعض أن فيهم مَنْ يسير مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد، وفيهم من[٦] يسير مسيرة أَلْف سنة. ومن قدر على أن يخلق في خلق من خلائقه من القوة ما يقطع هذه المسافة في يوم واحد لا يحتمل أن يعجزه شيء؛ فيكون في ذكر هذا تحقيق كون ما به هُوِّلُوا من القيامة والبعث. وجائز أن يكون قوله: **في يوم كان مقداره خمسينَ أَلْفَ سنةٍ**، راجعا إلى يوم القيامة، فذكر في موضع أن مقداره أَلْفَ سَنَةٍ[٧] وذكر هاهنا أن مقداره خمسين أَلْفَ سنةٍ.

فالأصل أن ذلك اليوم ليس بذي حد ولا له غاية،[٨] ينتهي إليه، فما يخبر من الحد فيه فهو يخرج مخرج تعظيم ذلك اليوم ليقع به التهويل والتفزيع.[٩] فبأي شيء يَعظُم ذكره في القلوب يذكره، فمرة ذكره بالخلود وهو قوله عز وجل: ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ،[١٠] ومرة قال: لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا،[١١] ومرة قال: **خمسين ألف سنة**، ومرة قال: أَلْفَ سَنَةٍ، إذ هذه الأشياء مما يعظم في القلوب،

---

[١] ﴿يُدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألفَ سنةٍ مما تعدون﴾ (سورة السجدة، ٥/٣٢).

[٢] ر ث م: فصعودهم؛ ن + فيحتمل أن يكون هذا الوقت وقت تقدير عروج الملائكة.

[٣] ر ث م: تدبير.

[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٠و.

[٥] ر م: فيكون.

[٦] ر م – من.

[٧] سورة السجدة، ٥/٣٢.

[٨] ر ث م + نهاية.

[٩] ن: والتقريع.

[١٠] سورة ق، ٣٤/٥٠.

[١١] سورة النبأ، ٢٣/٧٨.

وكذلك الألْف هي عظيمة في القلوب. فإذا كانت هذه الأشياء يعظم ذكرها في القلوب فذكر الشيء الواحد من الجملة أو ذكر الأشياء يقتضي معنى واحدا. ومنهم من يصرف الألف إلى تقدير عروج الخلائق إلى السماء في ذلك اليوم ويصرف قوله: **خمسين ألفَ سنةٍ**، إلى تقدير المُقام للحساب[1] قبل أن يدخلوا النار. وجائز أن يكون تأويله على ما ذكره بعض أهل التفسير،[2] وهو أن الله تعالى لو جعل حساب الخلق يومئذ إلى الخلق فتكلفوا[3] أن يَفْرَغوا من حسابهم لم[4] يفرغوا منه إلا[5] في مقدار خمسين ألف سنة. لكن الله عز وجل بلطفه يحاسبهم حسابا يفرغون عنه في أدنى وقت حتى يصير أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار[6] على ما جاء في الأخبار، وذلك قوله: وَاللّٰهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ.[7]

فإن قيل في قوله عز وجل: أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ،[8] أن كيف قدّر ذلك بصعودنا ونحن لم نُمَكَّنْ[9] من الصعود ولم نُنْشَأْ[10] على ما في طبعنا إنشاءَ الصعود حتى ننظر[11] أنه ألف سنة أو أقل[12] أو أكثر؟

وجوابه أن يقال: إن تأويله -والله أعلم- أنه لو بُسِط ما بين السماء والأرض وصار بحيث يمكن السير عليه لم يُقطع ذلك المسير إذا احتجنا إلى قَطْعه إلا بألف سنة مما تعدون. وجائز أن يكون تأويله أن لو جَعَل لنا[13] إلى السماء بابا وفَتَحَ وظَلَلْنا نعرج إليها لم نتوصل[14] إليها إلا في ألف عام.

---

[1] ر: لا حساب.
[2] ر: التأويل.
[3] ن + إلى.
[4] ر م: أن.
[5] ث: إلى.
[6] ر م - في النار.
[7] سورة البقرة، ٢/٢٠٢؛ وسورة النور، ٢٤/٣٩.
[8] سورة السجدة، ٣٢/٥.
[9] ر ث م: ولم يمكن.
[10] جميع النسخ: ولم ينشأ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠و.
[11] ر ث: ينصر؛ ن ينظر؛ م: يصير. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] م: و أقل.
[13] ر ث م - لنا.
[14] جميع النسخ: لم يتوصل. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **فاصبر صبرا جميلا**، قيل: الصبر الجميل هو صبر لا جزَع فيه، والصبر الذي لا جزع فيه هو أن يصبر صبرا لا يُرى عليه أثر الصبر بأن لا يَظهر في وجهه كراهة[١] وعبوسة؛[٢] وهو أن ينظر إلى من أذاه بعين الرضا[٣] والشفَقة، ليس بعين السَّخَط والكراهة. أو الصبر الجميل أن لا يكافئهم[٤] ولا يَدَعَ شفقته ورحمته عليهم بما يؤذونه. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك مشفقا بهم رحيما حتى بلغت شفَقَته ورحمته وحزنُه على كفار قومه مبلغا كادت نفسه[٥] تَهلِك[٦] فيها؛ كما قال الله عز وجل: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ،[٧] وقال: فلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ.[٨] فالرسل عليهم السلام كانوا إذا أُوذوا لم يكونوا يتحزنون لمكان أنفسهم بما أوذوا[٩] بل كانوا يحزنون لمكان[١٠] مَن يؤذيهم[١١] خوفا من أن يحل بهم[١٢] الهلاك والبوار بإيذائهم رسل الله تعالى، وإشفاقُهم على قومهم هو الذي كان يُحزِنهم ليس سوء صنيعهم ومعاملتهم معهم.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾[٦] ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾[٧]

وقوله عز وجل: **إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا**، أي بعيدا[١٣] أن يكون، فيكون على النفي[١٤] والإنكار. وقد يستعمل هذا الحرف في موضع النفي يقول[١٥] الرجل في المناظرة لصاحبه:

---

[١] ر م: كراهته.
[٢] ر م: عبوسة.
[٣] ث م: الرضاء.
[٤] ر ن ث: أن لا يكافهم.
[٥] ن + تبلغ.
[٦] ر ث م: يهلك.
[٧] سورة فاطر، ٨/٣٥.
[٨] ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ (سورة الكهف، ٦/١٨).
[٩] م + لم يكونوا يتحزنون لمكان أنفسهم بما أوذوا.
[١٠] جميع النسخ: بمكان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠ظ.
[١١] ر ث م: من ذنوبهم.
[١٢] ر ث م: لهم.
[١٣] م: أي بعيد.
[١٤] ر: على الشقي.
[١٥] ر ث م: بقول.

أبعدتَ في القول، إذا أجاب بشيء لا ثبات له ولا صحة، فيريد بقوله: "أبعدت" النفيَ، أي ليس كما تقول.[١] وقال الله عز وجل: أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ،[٢] ومعناه على نفي النداء أي لا ينادَون. أو يكون[٣] قوله: بعيدا أي مستبعَدا[٤] كونه؛ فبَعُد عن أوهامهم حتى أنكروه. **ونراه قريبا**، أي قريبا كونه، إن كان معنى قوله: **بعيدا**،[٥] أي بعيدا كونه، **ونراه**[٦] **قريبا**، أي كائنا وقد قرب وقت وقوع ذلك بهم. وكل ما هو كائن فهو قريب.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾[٨] ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾[٩]

/ وقوله عز وجل: **يوم تكون السماء كالمهل**، فكأنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم [٨٤٣ظ] عن الوقت الذي وعِدوا أن يقع بهم العذاب: متى وقته؟ فنزلت هذه الآية **يوم تكون السماء كالمهل**. وقيل: المهل، عَكَر الزيت وهو دُرْدِيُه.[٧] فجائز أن يكون هذا على التحقيق، وهو أنها[٨] تتغير[٩] في ذلك اليوم من لون إلى لون فتحمرّ[١٠] مرة وتصفر[١١] أخرى لشدة هول ذلك اليوم فتكون[١٢] كدُرْديّ الزيتِ لِينًا[١٣] ولونا متغيرا من حال إلى حال. وجائز أن لا يحُل بها التغير ولكن شدة ما ينزل بالمرء من الهول والفزع تضعف[١٤] بصره حتى يرى[١٥] السماء على خلاف[١٦] اللون الذي هي عليه، وهو كما يُرَى[١٧] المرء إذا حل به الضعف والمرض في الشاهد

---

[١] ن: كما يقول.
[٢] سورة فصلت، ٤١/٤٤.
[٣] ر ث م: أو أن يكون.
[٤] ث: بعيدا.
[٥] ث – كونه فبعد عن أوهامهم حتى أنكروه ونراه قريبا أي قريبا كونه إن كان معنى قوله بعيدا.
[٦] ر م: أو نراه.
[٧] ر م: دردية.
[٨] ر م: أنهما.
[٩] جميع النسخ: يتغير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠ظ.
[١٠] ر ث م: فيتحمر.
[١١] جميع النسخ: ويصفر. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ر م: لنا.
[١٤] ر ث م: يضعف؛ ن: بضعف. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٥] ر م: ترى.
[١٦] ن: على حلاب.
[١٧] ر م: ترى.

وجد[1] طعم الأشياء على خلاف ما هي عليها، فيكون في ذكر هذا تهويل وتفزيعٌ. إن هول ذلك اليوم شديد لا تقوم[2] لهوله[3] السماوات والأرضون مع صلابتها وغلظتها[4] في نفسها[5] فكيف يقوم لهوله[6] الآدمي[7] الموصوف بالضعف[8] واللين؟[9] وجائز على ما ذكرنا أنه يصير[10] شبيها[11] بالمهل للينها ورخاوتها[12] وهو أنها[13] تلين وترخو[14] من هول ذلك اليوم حتى تصير[15] السماء كالمهل والجبال كالعهن. فيكون في هذا أيضا تهويل ليرجعوا عما هم فيه ويُقبِلوا على عبادة الله ويتسارعون[16] إلى طاعته. وتأويل العهن[17] ووجه تشبيه الجبال بها يذكر بعد هذا في قوله عز وجل: وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ.[18]

﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾[١٠]

وقوله عز وجل **ولا يسأل حميم حميما**، قرئ برفع الياء ونصبها،[19] فمن يرفع[20] الياء فتأويله أي لا يُطلَب حميم من حميم ولا يؤخذ بمكانه كما يفعل مثله في الدنيا، لأن ذلك اليوم هو يوم العدل،

[1] ر: ووجه؛ ث م: ووجد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠ظ.
[2] ن: لا يقوم.
[3] جميع النسخ: لهولها.
[4] ر ث م: وغلظها.
[5] ث: في أنفسها.
[6] جميع النسخ: لهولها.
[7] ن: آدمي.
[8] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخُلق الإنسان ضعيفا﴾ (سورة النساء، ٢٨/٤).
[9] م: واللبن.
[10] م: بصير.
[11] ن: سببها.
[12] ر ن م: ورخوتها.
[13] ر م: وأنها.
[14] ن: ويرخو؛ ث: وترخوا.
[15] جميع النسخ: يصير.
[16] ر ن: ويتسارعوا.
[17] ن – العهن.
[18] سورة القارعة، ٥/١٠١.
[19] قرأ أبو جعفر وابن كثير في رواية ابن أبي بزة والبرجمي عن أبي بكر عن عاصم ﴿وَلَا يُسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ بضم الياء (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٤٦).
[20] م: رفع.

وليس من العدل أن يؤخذ الغير بذنب الغير. ومن قرأه بالنصب فتأويله ألَّا يسأل[١] حميم حميما من شدة ذلك اليوم وهوْلِه النصرة والشفاعة، أو لا يسأل[٢] عن حاله بما حل به من الشغل في نفسه.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾[١١] ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾[١٢] ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾[١٣] ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾[١٤] ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى﴾[١٥] ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **يبصرونهم**، يحتمل أن يعرَّف بعضهم ببعض:[٣] إن هذا أبوك وابنك وحميمك، إذ لا يعرفه[٤] إلا بالتعريف لما حل به من شدة الهول والفزع. ثم إذا عرفوا لا يسألونهم بل يفر بعضهم عن بعض، كما قال تعالى: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ،[٥] الآية. أو يكون معناه أن يبصَّروا ما سبق منهم من الذنوب والأجرام فيعرفونها ويصير لهم حاضرةً. وقوله عز وجل: **يود المجرم لو يفتدي من عذاب يَوْمِئِذٍ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن في الأرض جميعا**، ففي هذا أنه[٦] يستقبلهم في ذلك هول عظيم[٧] وفزع لم يكن لهم يمثله[٨] عهد في الدنيا ولا كان خطرَ ببالهم ذلك، لأن المرء لا يبلغ به الهولُ في الدنيا مبلغا يود أن يفتدي[٩] ببنيه وصاحبته[١٠] وأخيه وأقربائه وجميع من في الأرض. فيكون فيه إخبار عن شدة هول ذلك اليوم ليحمل الناس على الإنابة إلى الله تعالى والانتهاء[١١] عما هم عليه.

---

[١] ن: أن لا يسأل.
[٢] م: و لا يسأل.
[٣] جميع النسخ: عن بعض. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠ظ.
[٤] ث: أن لا يعرفه.
[٥] ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ (سورة عبس، ٨٠/ ٣٤-٣٧).
[٦] ر ث م: آية.
[٧] ر ن م - عظيم.
[٨] ر ث م: مثله.
[٩] جميع النسخ + به. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ن: وصاحبه.
[١١] ر م: وانتهاء.

ثـم بدأ بذكر البنين والأقربين وأنهاه[1] بالأبعدين. وحق هذا أن يُبدأ بالأبعدين ثم يختم بذكر الأقربين،[2] لأن المرء قد تسخو[3] نفسُه بفداء الأبعدين وتَضِنُّ[4] ببذل[5] الأقربين فِداء. فإذا سخت[6] أنفسهم في ذلك اليوم بفداء البنين والأقربين فَلَأَنْ تسخو[7] بفداء الأبعدين أحق. وإذا كان كذلك فغاية التهويل والتفزيع أن يبدأ بذكر الأباعد ويختم[8] بذكر الأقارب، فكيف ابتدأ[9] بذكر الأقربين؟

فجوابه من وجهين. أحدهما أنه إنما يُتَوصَّل إلى فداء أهل الأرض إذا كان له عليهم مُلك وكانوا بأجمعهم له، وإذا كانوا جميعا له ملكا كانت شَفَقته على ملكه وأولاده واحدةً أو أكثر. فكما يَضِنُّ[10] ببذل أولاده -وإن يكونوا عنه فِداء- فكذلك يضن[11] بالأباعد إذا كانوا جميعا ملكا له، فلذلك استقام أن يبدأ بذكر الأقربين قبل[12] الأبعدين إذ كل ذلك يستوي في التهويل والتفزيع. *والله أعلم.*

و[الثاني] جائز أن يكون ذكر الأقربين وذكرُ أهل الأرض ليس على جهة[13] الأَولى، ولكنه ذَكَر الآحاد أولا ثم ذكر الجماعة[14] ثم ذكر جماعة الجماعة[15] ليعلموا أن لا ينفعُهم الفداء في ذلك اليوم وأن الذين وَدّوا الفداء ليتخلصوا من عذاب الله تعالى لا يشتدّ عليه ما فَدَوا وإن كان[16] ذلك ملءَ الأرض. *والله أعلم.*

---

[1] ر م: وأنها.

[2] جميع النسخ: بالأبعدين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٠ظ.

[3] ر ث م: قد يسخو؛ ن: قد سخوا. والتصحيح من المرجع السابق.

[4] ر م: ويظن؛ ن ث: ويضن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧١و.

[5] ن ث: ببدل.

[6] ن: نسخت.

[7] ر ث م: فلأن يسخو؛ ن: فلأن يسخوا. والتصحيح من المرجع السابق.

[8] ر م - بذكر الأباعد ويختم.

[9] جميع النسخ: ابتداء. والتصحيح من المرجع السابق.

[10] ر ث م: فكما يظن.

[11] ر م: يظن.

[12] ر: قيل.

[13] ر: جبهة.

[14] ث - ثم ذكر الجماعة.

[15] ر م - ثم ذكر جماعة الجماعة.

[16] ن: وإن كانوا.

وقوله عز وجل **ثم ينجيه،كلا**، رد وتنبيه أن لا ينجيه ذلك اليومَ. وقوله عز وجل: **إنها لظى نزَّاعَةً للشوى،**[١] فاللظى اسم من أسماء النار، والشوى قيل:[٢] مكارم خَلْقه، وقيل: هي القوائم والأطراف، وقيل: هي الجلود.[٣] والأصل أن نار جهنم تعمل[٤] على أصحابها[٥] كل قبيح وكل مُستشنَع مستفظع، فإن شئت صرفت ذلك إلى الأرجل، وإن شئت إلى الجلود،[٦] وإن شئت إلى مكارم خَلْقِه،[٧] لأن التقبيح في كل ذلك موجود. وهو كقوله عز وجل: لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ،[٨] فقيل في تأويل المطهرة [من][٩] وجوه. أحدها[١٠] أنهن مطهرات [من الأخلاق الذميمة، وقيل: مطهرات من الأنجاس، وقيل: مطهرات][١١] من العيوب والآفات. وجملته أنه ما من شيء يُستحسن وُيستقبح[١٢] من خُلق أو نَفْس أو معاملة إلا وهن مطهَّرات[١٣] من ذلك، وما من شيء يستشنع[١٤] ويستفظع إلا وذلك في أهل النار موجود.

﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **تدعو من أدبر وتولى**، فجائز أن يكون الدعاء منها على التحقيق، / وهو أن يجعل [٨٤٤و] الله تعالى [لها][١٥] باللطف لسانا تدعو[١٦] به، أو يخلق فيها الكلام من غير لسان فتقول:[١٧] إليّ إليّ.[١٨]

---

[١] ر ث م + الآية.
[٢] ر م + هي.
[٣] جميع النسخ: الخلود. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧١و.
[٤] جميع النسخ: يعمل. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ث م + قبيح.
[٦] ر ن م: الخلود.
[٧] جميع النسخ + الأخلاق. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] سورة البقرة، ٢/٢٥.
[٩] الزيادة من المرجع السابق.
[١٠] ر: إحداها.
[١١] الزيادة من المرجع السابق.
[١٢] ث م: ليستحسن ليستقبح.
[١٣] ر: مطهرة.
[١٤] ر ن: يستبشع؛ م: يستشفع.
[١٥] الزيادة من المرجع السابق.
[١٦] جميع النسخ: يدعوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٧] جميع النسخ: فيقول. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٨] ر م – إلي.

وجائز أن يكون هذا على التمثيل، وهو أنها لا تَدَعُ أحدا[1] يفرّ عنها ويتخلص من عذابها فكأنها دعته إلى نفسها. ثم قوله عز وجل: **من أدبر وتولى**، جائز أن يكون قوله: **من أدبر**، أي من كان أدبر في الدنيا من طاعة الله تعالى وتولى عن الإجابة لرسله، كقوله تعالى: تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا،[2] أي أَعْرَضَ؛ أو أدبر عن توحيده وتولى عن النظر في حججه[3] وفيما جاء من عنده. ويحتمل قوله: **من أدبر**، أي **أدبر** عن طاعة الله عز وجل، **وتولى**، أي تولى الشيطان، من الولاية [لا عن الإعراض].[4] وجائز أن يكون أدبر، في جهنم فيُدبر[5] رجاءَ أن يفر عنها، **وتولى**، كذلك، فلا تدعه[6] النار ليفر بل تغشاه[7] عن الإعراض، كقوله عز وجل: إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ.[8] ولكن هذا قريب من الأول لأن من تولى عن ذكر الله فقد تولى الشيطان.[9]

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **وجمع فأوعى**، يخبر بقوله: **وجمع**، على ما جُبِل عليه[10] من شدة الحرص على الدنيا فيكون الجمع كناية عن الحرص فبلغ به هذا الحرص مبلغا أنساه ذكر الآخرة. وقوله عز وجل:[11] **فأوعى**، فيه بيان صفته فيما عليه من النهاية في البخل، فيكون الإيعاء كناية عن البخل حتى لم يؤد حق الله تعالى في ماله؛ أو لم يقم بشكر [ما أنعم][12] الله تعالى [عليه][13] من النعم؛ أو بلغ به البخل[14] مبلغا منعه ذلك عن قبول[15] حق الله تعالى في ماله.

---

[1] ر: أحد.
[2] ﴿فَأَعْرِضْ عن من تولي عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾ (سورة النجم، ٢٩/٥٣).
[3] جميع النسخ: في حجته. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧١و.
[4] الزيادة من المرجع السابق.
[5] ر ث م: فتدبر.
[6] ر م: يدعه ويتولى كذلك يدعه؛ ن ث: ويتولى كذلك فلا يدعه.
[7] جميع النسخ: بل يغشاه.
[8] سورة النحل، ١٠٠/١٦.
[9] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نُقَيِّض له شيطانا فهو له قرين﴾ (سورة الزخرف، ٣٦/٤٣).
[10] ن: عليها.
[11] م + وجمع.
[12] الزيادة من المرجع السابق.
[13] الزيادة من المرجع السابق.
[14] ث: البخل به.
[15] ر: عن قول.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **إن الإنسان خلق هلوعا**، اختلف في تأويل الهلوع من وجوه، كل يرجع إلى معنى واحد. فقال[١] بعضهم: الطامع في اللذات الطالب لها، والكاره للأثقال الهارب منها. وقيل: **خلق هلوعا**، أي على حب ما يتلذذ به والقيامِ[٢] بطلبه[٣] وبُغض ما يتألم به والهربِ عنه. ومنهم من يقول: الهلوع الضجور، وهذا[٤] موافق للتأويل الأول، لأن الذي يحمله على الضَجَر هو ما يصيبه[٥] من الألم فيضجر لذلك أو يضجر عن حق الله تعالى. ومنهم من يقول: تفسيره[٦] ما ذكر[٧] على إثره من قوله:

﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾[٢٠] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[٢١]

إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا، وهذا أيضا مثل الأول لأن الذي حمله على المنع شدة حبه إياه، والذي حمله على الجزع ما مسه من الضرِ والشر، فجزعت نفسه لذلك لأنها أنشئت نافرة عن الضر[٨] ومبغضة له. وقال الله عز وجل: وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا،[٩] وقال في موضع آخر: وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا،[١٠] أي لا تسخو [نفسه][١١] على إخراج ما في يديه. ففي هذه الآيات إنباء أن الإنسان خلق على هذه الأحوال، قتورا عجولا هلوعا. فلما أنشئ على حب ما ينفعه وبغضِ[١٢] ما يكرهه[١٣] ويتألم به عُلم أنه[١٤] خلق على هذه الأحوال[١٥] للمحنة.

---

[١] ن: قال.
[٢] ر ن م: القيام.
[٣] ر م: يطلبه.
[٤] ر ث م: وهو.
[٥] ن: هو ما يظنه.
[٦] جميع النسخ: تفسير ما ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧١ظ.
[٧] ر ث م + ذلك.
[٨] ن – والشر فجزعت نفسه لذلك لأنها أنشئت نافرة عن الضر.
[٩] سورة الإسراء، ١١/١٧.
[١٠] سورة الإسراء، ١٠٠/١٧.
[١١] الزيادة من المرجع السابق.
[١٢] ث: وبعض.
[١٣] ث: يكرمه.
[١٤] جميع النسخ: أنها.
[١٥] رث م – الأحوال.

فمن تذكّر فيما وعد الله تعالى من النعم لمن قام بوفاء ما أمره به حمله[1] ذلك على التسارع في الخيرات وتَرْك[2] ما يحبه في الدنيا لينال الموعود في الآخرة، إذ هو في الأصل أُنشئ محبا لما يتلذذ [به].[3] ومن تذكر[4] ما أُوعد من العذاب بما يعطى نفسه من الشهوات من معاصي الله تعالى وبما يمتع من حقوق الله تعالى الواجبة[5] في ماله سَهُل عليه ترك الشهوات، وخف عليه بذل ما طُلب منه لئلا يَحُلَّ به ما يُنغّص[6] بعيشه من الآلام والمكاره.

والأصل أن الإنسان وإن كان مطبوعا على هذه الأخلاق الذميمة من البخل والإقتار والعجلة وجُبِل عليها فقد مَلّك رياضة نفسه[7] ويمكنه أن يستخرجها من تلك الطبائع[8] الذميمة إلى أضدادها من الأخلاق الحميدة والشمائل المرضية، فلزمه القيام بذلك. ألا ترى أنه يتهيأ له أن يقوم برياضة[9] الدواب والسباع فيُخرجَها بالرياضة عن طباعها[10] التي أنشئت عليها من النفار[11] عن الخلق والامتناع عن الانقياد، حتى تصير[12] منقادة للخلق ذليلة لهم فيُتهيأ لهم[13] الاستمتاع والتواصل إلى منافعها، فكذلك الإنسان إذا قام برياضة نفسه أمكنه أن يستخرجها عن خلقتها فتصير[14] مطيعة له فيَخِفّ عليها بذْلُ ما يُطلب منها ويَسهُل عليها تحمّل ما كان يشتدّ عليها.

ثم الأصل أن المرء وإن جُبل على حب ما يتلذذ به وبغض ما يتألم ويتوجع فقد جبل أيضا على ترك ما[15] فيه من اللذة لِلذّة[16] هي أعظم منها وعلى التصبّر لاحتمال الأذى والمكروه

[1] ن: جملة.
[2] ر م – وترك.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧١ظ.
[4] ن: ومن يذكر.
[5] ن: الواجه.
[6] ر ن م: يبغض.
[7] جميع النسخ: رياضة نفسها. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: الطباع. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: رياضة. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ن: عن طاعتها.
[11] ر: من النفاد.
[12] ن: حتى يصير.
[13] ث م – فيتهيأ لهم.
[14] ن: فيصير.
[15] ر ن ث م + هو. والتصحيح من المرجع السابق.
[16] ر ن م: اللذة.

ليتخلص عما هو أعظم من ذلك المكروه والألم.[١] وإذا كان كذلك فهو إذا قابل نعيم الدنيا بنعيم الآخرة وأقربَ اللذتَين بأبعدهما فرأى أن[٢] الآخرة أعظم وأبقى خَفّ عليه ترك أقربهما لأبعدهما وأقلهما لأكثرهما.[٣] وإذا قابل مكروهَ الدنيا بمكروه الآخرة وعذابها[٤] بعذاب الآخرة فرأى عذاب الآخرة أشدّ وأبقى خَفّ عليه تحمل المكاره في الدنيا. فهذا السبب الذي ذكرنا مما يتوصل به إلى رياضة النفس. والذي يدل على أن المرء قد يخف عليه عمل الشدائد وترك اللذات الحاضرة لما يَأْمُل من اللذات الآجلة، أنك ترى المرء قد يَهُون عليه الضرب في الأرض وقطعُ الأسفار وتحمل المُؤَن / وركوب الأهوال والفظائع والانقطاعُ عن اللذات، كالذي [٨٤٤ظ] يخرج للتجارة من بلده إلى بلاد نائية[٥] لما يرجو من النفع والربح في ذلك فيتحمل[٦] ما يمسه من المكاره والمؤن لما يطمع من نيل اللذات التي هي أعظم من نيل اللذات التي[٧] تركها. فعلى ذلك إذا تفكر في نعيم الآخرة وتفكر في عقابها سهل[٨] عليه ترك اللذات الحاضرة وخَفّ عليه تحمل المكاره في الدنيا. ووجه آخر أنه لمّا جُبل على حب اللذات[٩] وبغض المكاره أُمر أن يجعل ما يحبه من العاجل آجلا فيكون شُغْله أبدا فيما يوصله إلى نعيم[١٠] الآجل وأُمر أن يجعل هربَه عن الآلام الآجلة فيجتهد فيما فيه[١١] التخلص والنجاة عن تلك الآلام. *والله أعلم*.

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾[٢٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون**، معناه –والله أعلم– لأن المصلين يقومون برياضة أنفسهم حتى يصرفوها عن خلقتها التي أنشئت عليها. ثم بيّن أن الذين

---

[١] ر: والآلام.
[٢] ر ن م: أنه.
[٣] ر: لأكثرها.
[٤] م: وعذابا.
[٥] م: نائبة.
[٦] ر م: فتحمل.
[٧] ر م – هي أعظم من اللذات التي.
[٨] ر ث م: يسهل.
[٩] ث م: للذات.
[١٠] ث + الآخرة.
[١١] ن م – فيه.

يقومون برياضة أنفسهم هم الذين يقومون على صلاتهم دون الذين يقومون إلى الصلاة كُسالى ولا يدومون عليها ولا ينفقون من أموالهم إلا عن كراهة.

ثم قوله عز وجل: **على صلاتهم دائمون**،[1] دوامهم عليها في لزوم ما عرفوها وهو[2] أن يقيموها[3] في أوقاتها ويحافظون[4] عليها دون أن يكون[5] دوامهم أن يكونوا فيها أبدا. ألا ترى إلى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قَلَّ».[6] وأراد بقوله "أدومها" لزومها في الوقت الذي أَوْجب فِعْلَ ذلك على أنفسهم لا أن يكونوا أبدا فيها، لأنهم إذا بَقُوا فيها أبدا كثر ذلك منهم فلا يكون لقوله: وإنْ قَلَّ معنى، فثبت أن معنى الدوام ما وصفنا. *والله أعلم*. وجائز أن يكون المراد من المداومة هو أن يدوم على الأحوال التي تليق[7] بالصلاة عند كونه فيها من الإقبال على المناجات وترك الالتفات وتفريغ القلب عن الأشغال والوساوس.

وقال بعضهم: **على صلاتهم دائمون**، هو التطوع، وَعَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ،[8] الفريضة.[9] قال: وتصديقه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا صلوا صلاة داموا عليها. وكان يقال:[10] خير الأعمال أدومها[11] وإن قل. وأصله أن الله تعالى قال: وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ،[12] والإقامة على الشيء هو الدوام عليه، لأنه إذا فعل الشيء مرة ثم تركه لم يوصف بالإقامة عليه. فقوله: **دائمون**، وَيُقِيمُونَ،[13] يقتضي معنى واحدا، فيكون فيه إبانة أن الصلاة يلزم فعلها مرة بعد مرة، وليست كالفرائض التي إذا أُدِّيت مرة سقطت من نحو الجهاد والحج.

---

[1] ن + وقوله.
[2] م − وهو.
[3] ر: أن يقوموها.
[4] ر م: ويحافظوها.
[5] ر: أن يكونوا.
[6] *مسند أحمد بن حنبل*، ٦/١٦٥؛ و*صحيح البخاري*، الرقاق ١٨؛ و*صحيح مسلم*، المسافرين ٢١٥-٢١٦.
[7] جميع النسخ: يليق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٢و.
[8] الآية ٣٤ من هذه السورة، وغيرها من الآيات.
[9] ث م: الفرضية.
[10] ر م: وكانوا يقول.
[11] جميع النسخ: أدومه. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] سورة البقرة، ٢/٢٧٧؛ وسورة التوبة، ٩/٥، ١٥ وغيرها.
[13] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/٣ وغيرها من الآيات.

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾[٢٤] ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **والذين في أموالهم حق معلوم**، قيل: هو الزكاة. ذكر ذلك عن قتادة[١] وغيره. وقال أبو بكر [الأصم]: هذا غير محتمل، لأن هذه الآيات[٢] مكية وإنما فرضت الزكاة عليهم بعد هجرتهم إلى المدينة. ولكن ليس فيما ذكره دفع هذا التأويل لأنه يجوز أن تكون[٣] الزكاة لم تفرض[٤] عليهم لما لم يكونوا أصحاب الأموال، لأن الزكاة لم تكن[٥] مفروضة في الجملة فبيّن[٦] الوجوب إذا استفادوا الأموال. ألا ترى أن الفقير[٧] قد يعلم إيتاء الزكاة من المال -وإن لم يكن له مال- ليقوم بأدائها إذا صار من أهلها. فقوله: **حق معلوم**، أي أعلمه الله في أموالهم فلزمهم إخراجه. ثم بين أن خروجهم مما لزمهم من حق الله تعالى في أموالهم بالدفع إلى السائل والمحروم. وجائز أن يكون ذلك الحق المعلوم هو حق[٨] القرابة وغيره. ومن ذكر أن هذا الحق غير الزكاة قالوا: إنهم كانوا أُعْلِموا [أن] في أموالهم حقا فَجَعَلَ طائفة[٩] منها للسائل وطائفة للمحروم لذلك سماه[١٠] حقا معلوما. ويحتمل أن يكون في ذلك الوقت شيئا معلوما مفروضا عليهم في أموالهم نسختها آية الزكاة ولم يُذكر لنا ذلك لعدم حاجتنا إلى معرفته.

ثم السائل معروف وهو الذي يسأل. وأما المحروم فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن المحروم فقال: «المحروم هو الذي لا يَثْمُر نخله ويَثْمُر نخل الناس ولا يزكو زرعه ويزكو زرع الناس ولا تَلْبَن[١١] شاته وتلبن شاة الناس»[١٢] فَعَنَى[١٣] بالمحروم هذا أنه حُرِم بركةَ ماله. وفي هذا الخبر دليل على أن المرء لا يصير غنيا بملك النخيل والأرض.

---

[١] ث + ونحوه. انظر: *تفسير الطبري*، ٢٩/٩٩.

[٢] ن ث: الآية.

[٣] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٢و.

[٤] جميع النسخ: لم يفرض. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] ر ن م: لم يكن.

[٦] جميع النسخ: وبين. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] ر م: إن الفقر.

[٨] ن: هو الحق.

[٩] جميع النسخ: فجعلوا لطائفة. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] م: سماها.

[١١] ن: ولا يلبن.

[١٢] لم أطلع عليه. قال زيد بن أسلم: هو الذي أصيب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٧/٣٩).

[١٣] جميع النسخ: فعنوا.

وجائز أن يكون المحروم هو الذي حِيل[1] بينه وبين وجوه المكاسب، فمن كان حاله هكذا كان علينا أن نتعاهده ونقوم[2] بكفايته. وقال الحسن: المحروم هو الذي يتعفف عن السؤال وإن هلك.[3] *والله أعلم.*

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **والذين يصدقون بيوم الدين**، فيوم الدين هو يوم الجزاء ويوم الحساب، فكل من عرف[4] الجزاء وآمن به لم يجزّع بما يصيبه ولا منَع الحق الذي طُلب منه ولم يوصف[5] بأنه هلوع، وإنما الهلوع هو الذي يكذّب بيوم الدين، كما قال: أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ، فأخبر أن الذي يدع اليتيم وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ،[6] هو الذي لا يؤمن بالآخرة.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **والذين هم من عذاب ربهم مشفقون**، أي خائفون وَجِلون. وهم الذين قال عز وجل [فيهم] في آية أخرى: وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ.[7] وسئل رسول الله / صلى الله عليه وسلم وقيل له: أهم الذين يَسرِقون ويزنون ويعملون بالمعاصي؟ فقال: «لا بل هم الذين يصلون ويصومون ويؤتون الزكاة»[8] أو كما قال بلفظه صلى الله عليه وسلم. ووجلُهم هو أنهم يخافون أن لا يقبل[9] منهم حسناتهم أو يخافون أن يكونوا قصّروا عن الوفاء بشكر النعم أو غفلوا عن شكر كثير منها. [٨٤٥و]

---

[1] ر: جبل.
[2] ر ن م: أن يتعاهده ويقوم.
[3] قارن بما ورد في تفسير *مفاتيح الغيب* للرازي، ١٣٠/٣٠.
[4] ر ث م: ما عرف.
[5] م: لم يوصف.
[6] سورة الماعون، ١/١٠٨-٣.
[7] سورة المؤمنون، ٦٠/٢٣.
[8] جميع النسخ: لا بل هم الذين يقومون ويصلون ويؤتون الزكاة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٢و. عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: «لا يا بنت أبي بكر (أو يا بنت الصديق) ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي، وهو يخاف أن لا يتقبل منه». (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٥٩/٦، ٢٠٥؛ و*سنن ابن ماجة*، الزهد ٢٠؛ و*سنن الترمذي*، التفسير ٢٣).
[9] ن: أن يقبل.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **إن عذاب ربهم غير مأمون**، فهذا هو الحق أن لا يأمن أحد من عذابه وإن دَأَب في عبادته واجتهد في طاعته لما لا يدري على ماذا يُختم أمره، أو يخاف أن لا يقبل منه[١] ويردّ عليه، أو يخاف أن يكون قد قصّر عن شكر كثير من النعم وغفل عنها. والأصل أنه ما من أحد ينظر في أمره وحاله إلا وهو يرى على نفسه من الله تعالى نعما[٢] لو أجهد[٣] نفسَه ليقوم بشكر واحد منها لقصّر عن ذلك ولم يتهيأ له القيام بوفائها. فمن كان هذا وصفَه فأنى يقع له الأمن من عذابه ويوجد[٤] منه الوفاء بالأسباب التي يأمن[٥] بها؟ إلا أن يكون من الخاسرين.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **والذين هم لفروجهم حافظون**، ذكر حفظ الفرج ولم يذكر بم يُحفظ. وحفظه يكون[٦] بخصال. أحدها أن يُسكن في قلبه جلال الله وهيبته ويخشى عقابه في المعاد. والثاني بما جعل[٧] الله عز وجل [له] سببا للتعفف من النكاح ومُلْك اليمين، فيمنعه ذلك عن الزنا وحُفِظ الفرجُ. والثالث يُجيع[٨] بطنَه بالصيام،[٩] كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من لم يقدر على الباه[١٠] فليصم فإن الصوم له وِجاءٌ».[١١] والرابع بما يترك النظر إلى النساء ولا يخلو بهن ويَدَع مجالسة الفجّار وأهل الرِّيبة.

---

[١] ر م – منه؛ ث: منهم.
[٢] ر ث م: أنعما.
[٣] ث: اجتهد.
[٤] ر ن م: ويؤخذ.
[٥] جميع النسخ: يؤمن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٢ظ.
[٦] ث م – يكون.
[٧] جميع النسخ: بما جعله.
[٨] ر: بجميع؛ ن: بجمع.
[٩] ر م: بالقيام.
[١٠] ر: على الباء؛ م: على الباد.
[١١] عن عبد الله بن مسعود قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن شباب لا نقدر على شيء. فقال: «يا معشر الشباب! عليكم بالباءة فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع منكم الباءة فعليه بالصوم، فإن الصوم له وجاء» (*سنن الترمذي*، النكاح ١؛ و*سنن النسائي*، الصيام ٤٣).

﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين**. ولو لم يقل: **غير ملومين**، لكنا نعلم [أيضا] بقوله: **إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم**، أنهم لا يلامون، لأنه[١] قد أباح لهم الاستمتاع بمن ملكت أيمانهم ومن كان تحتهم بملك[٢] النكاح، ولا يجوز أن يلحق اللائمة باستعمال المباح المطلق. ولكنْ فيه فوائد. أحدها أن من الناس من يحرِّم الاستمتاع بملك النكاح وملك اليمين، فيخبر أنهم عند من اعتقد الإيمان بالرسل غير ملومين، وإنما يلومهم[٣] من أنكر الرسالة وهم الثنوية والبراهمة. وجائز أن يكون معناه أنهم وإن منعوا النساء عن الجماع بما هو خير لهن[٤] من الصيام وأنواع القُرَب لم يلحقهم اللائمة كما يلام[٥] من يمنع آخر عن طاعة الله تعالى، أو إذا استمتعوا[٦] بملك النكاح وملك اليمين ثم يُبْلَوا[٧] بالزنا فيلحقهم اللائمة بذلك.

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون**، العادي هو الظالم في الحقيقة؛ يقال: عدا فلان على فلان إذا ظلمه، فهم عادون حيث ظلموا أنفسهم فوضعوها في موضع لم يؤذن لهم بالوضع فيها. وقال الحسن: هم العادون حيث عدَوْا من الحلال إلى الحرام.[٨] وفي هذه[٩] الآية دلالة تحريم المتعة، لأنه أخبر أن من ابتغى وراء ملك اليمين وملك النكاح فهو إذا من العادين.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**، فالأمانات لها وجهان. أحدهما ما ائتمن الله عز وجل عباده على ما له من الحقوق عليهم. والثاني ما ائتمن[١٠] بعضُهم بعضا

---

[١] ر ث م: لأنهم.
[٢] م: يملك.
[٣] جميع النسخ: يلزمهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٢ظ.
[٤] جميع النسخ: لهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ث م: كما لا يلام.
[٦] جميع النسخ: وإذا استمعوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: لم يبلوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] *بحر العلوم* للسمرقندي، ١٧٥/٣.
[٩] ر م: وفي هذا.
[١٠] ر م: والثاني ائتمن.

على الحقوق والعهود التي تجري[1] بين الخلق من الذِّمَم والنذور وغير ذلك. فيدخل فيه كل أمانة بين العبد وبين ربه وبينه[2] وبين الخلق وكلُّ عهد أُخذ عليهم من نحو قوله: أَوْفُوا بِالْعُقُودِ،[3] قيل: في التأويل: العهود، ثم بيّن ذلك، فقال: لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ،[4] الآية، والعهدُ الذي أعطينا المعاهدين، فكل ذلك داخل[5] تحت الآية.[6] وقد يدخل معنى الأمانة في العهد والعهدُ في الأمانة، وقد يجوز أن يقع بينهما فرق. *والله أعلم*.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **والذين هم بشهاداتهم قائمون**، أي يقيمون بها[7] لله تعالى، كقوله: كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ،[8] أو قائمون بالوفاء بما عليهم من الشهادة، فيقومون بها[9] أَحَبُّوا أو كرِهوا ضَرَّهم ذلك أو نفعهم.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **والذين هم على صلاتهم يحافظون**، محافظة الصلاة أقامتها في أوقاتها بشرائطها، والذي يحملهم على المحافظة ما يخشون الله تعالى، ولما جعلت تكفيرا لسيئاتهم فيرغبون في إقامتها تكفيرا عنهم سيئاتهم.

﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **أولئك في جنات مكرمون**، في الآية إبانة أن من يكرم بالجنان هؤلاء. وذكر عن أبي بكر الأصمّ أنه قال: في هذه الآية[10] دلالة أن من وَفَى بهذه الأشياء التي ذكرها

---

[1] ر م: التي يجري؛ ن: الذي يجري.
[2] ر ث م: وبينهم.
[3] سورة المائدة، ١/٥.
[4] ﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ (سورة المائدة، ١٢/٥).
[5] ن: فكل ذي داخل.
[6] ن + والعهد الذي أعطينا المعاهدين.
[7] جميع النسخ: يقيمونها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٢ظ.
[8] سورة النساء، ١٣٥/٤.
[9] جميع النسخ: لها. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر ث م – الآية.

في هذه السورة من الإدامة على الصلاة وإيتاء الحق المعلوم والتصديق بيوم الدين إلى آخر ما ذكر، فهو الذي يكرَم بالجنة أو الخاطئُ[1] الذي يرجع عن خطيئته ويتوب عنها. فأما غير هذين[2] فهو لا[3] يستوجب الإكرام بالجنة. فما ذكر من الإكرام بالجنة للصنفين اللذين ذكرهما فهو كما ذكر. وأما الصنف الثالث فهم الذين بُلُوا بالخطيئات من أهل الإيمان ولم يتوبوا عنها فقد يرجى لهم هذه الكرامة بعفو الله سبحانه[4] وتعالى وكرمه وجُودِه. ومن كان / هذا وصفه [٨٤٥ظ] لم يُؤَيَّسْ من إحسانه[5] بل كان العفو منه مأمولا والإحسان منه مرجوًّا.

﴿فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾[٣٦] ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين**. اختلف في تأويل الإهطاع. فمنهم من يقول: هو الإسراع في المشي، ومنهم من يقول: هو إدامة النظر. فمن حمله على الإسراع فمعناه أن أئمة الكفر كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستمعون القرآن منه، ثم يُسرِعون إلى أتباعهم ويجلسون حلقا حَلَقًا ويحرّفون ما يستمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلتبسون على ضعفائهم وأتباعهم ليصدهم[6] ذلك عن الإيمان بالله عز وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام. فإن كان الأمر على هذا فتأويله: مالهم يُسرعون إليك ليستمعوا[7] كلامك ثم يتفرقوا عن اليمين وعن الشمال ويكذبونك، نحو أن يقول بعضهم: مَا هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ،[8] ومَا هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،[9] إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللهِ،[10] ونحو ذلك. وما المنفعة لهم في طعنهم عليك سوي[11] استيجابهم[12] المقت والهلاك بذلك من الله تعالى،

[1] ر م: والخاطي.
[2] ر م: على غير هذين.
[3] ر ث م: فهؤلاء.
[4] ن - سبحانه.
[5] ر: من احشا.
[6] ر: ليضدهم.
[7] ر ث م: يسمعوا.
[8] لعله يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين﴾ (سورة المائدة، ١١٠/٥).
[9] انظر مثلا: سورة الأنعام، ٢٥/٦؛ وسورة الأنفال، ٣١/٨.
[10] ﴿إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين﴾ (سورة المؤمنون، ٣٨/٢٣).
[11] م + إلا.
[12] ر: استحبابهم؛ م: استيخافهم.

وما يرجون بإعراضهم عن تصديقك بعد ما رأوا الآيات؟ ومن حمله على النظر فمعناه أنهم كانوا يجلسون من بعيد، فينظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ويطعنون عليه بالسحر والافتراء وأنه[١] من أساطير الأولين، فيمكرون بمن يفتري[٢] برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يعاديه[٣] من الكفرة. فإن كان على هذا فتأويله كأنه يقول لهم: مالهم يجلسون[٤] من البعد ناظرين إليك ولا يدنون منك ليستمعوا ما أنزل إليك فينتفعوا به؟ لكنهم متفرقون[٥] عن اليمين وعن الشمال يصدّون الناس عن مجلسك، وقد علموا أن لهم إلى من يعلمهم الكتاب والحكمة حاجةً، إذ ليس عندهم كتاب ولا علم بالأنباء المتقدمة ليعلموا أنك جئت بالعلم والحكمة دون السحر والكهانة.[٦] فإن كان على هذا[٧] الوجه فالعتاب[٨] [في ترك الاستماع، وإن كان على الأول، فالعتاب][٩] لمكان التحريف والتبديل. ***والله أعلم***.

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم**، قوله: **أيطمع**، حرف استفهام، وقد ذكرنا أن حرف الاستفهام لمن لا يَفْهم[١٠] إيجابٌ.[١١] ثم اختلف في وجه الإيجاب. فمنهم من يقول: معنى قوله: **أيطمع**، أي لا يطمع كل امرئ منهم[١٢] بعبادتهم الأصنام والأوثان أن يُدْخلوا جنة نعيم إذ هم منكرون للبعث[١٣] والجنة والنار. ثم مع هذا ينصرون الأصنام ويخضعونها[١٤] وإن كان لا طمع لهم في نصرها إلى شيء في العاقبة ولا يرجون منها العواقب.

---

[١] ر م – وأنه.
[٢] جميع النسخ: من يقتدي. والتصحيح من *الشرح* نسخة مكة، ورقة ٢١٨ظ.
[٣] جميع النسخ: من يعاديه. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] ر: يحبسون.
[٥] ن + متفرقهم؛ ث + يتفرقهم.
[٦] م: والكهان.
[٧] م: فإن كان هذا.
[٨] ن: فالعنان؛ ث م: والعتاب.
[٩] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٣و.
[١٠] جميع النسخ: ممن لا يفهم.
[١١] انظر: "المصطلحات والأفكار الرئيسة" أواخر المجلدات.
[١٢] ر م – منهم.
[١٣] ن: بالبعث.
[١٤] ر م: ويعبدونها.

فيكون في هذا ترغيب للمؤمنين على القيام بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم يطمعون[١] نيل الجنة والكرامة من الله تعالى والنجاة من النار بنصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعبادتهم لله تعالى. كأنه يقول: إنهم لا يطمعون نيل شيء ولا يخافون عن شيء في العاقبة، ثم يقومون[٢] بنصر[٣] الأصنام، فأنتم أحق بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ تطمعون نيل الجنة والدخول فيها بنصركم إياه. *والله أعلم*.

ومنهم من حمله على إيجاب الطمع، وهو أنهم كانوا يطمعون دخول الجنة ونيل نعيمها[٤] إذا رجعوا إلى ربهم[٥] ظنا منهم أنهم إذا ساوَوْا المسلمين في نعيم الدنيا وسَعَتها فكذلك يساوُونهم في نعيم الآخرة، كما قال الله عز وجل[٦] خبرا عنهم: وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى،[٧] وقال: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[٨] الآية، هكذا ظن الكفرة أنهم إن رجعوا إلى ربهم فيجدون عنده خيرَ مُنْقَلبٍ.

﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾[٣٩]

فقال تعالى: **كلا إنا خلقناهم مما يعلمون**. فقوله: **كلا**، على هذا التأويل رد لاعتقادهم[٩] وقطع لأطماعهم، فقال: **كلا**، أي لا يدخلونها قط. ثم استأنف الكلام فقال عز وجل: **إنا خلقناهم مما يعلمون**. وعلى التأويل الأول **كلا** بمعنى حقا إنهم لا يطمعون، ثم استأنف بقوله: **إنا خلقناهم مما يعلمون**، أي من تلك[١٠] النُّطَف. فيذكّرهم[١١] بهذا عظيم نعمه وإحسانه إليهم بما أخرجهم منها ونقلهم من حال إلى حال حتى صاروا بشرا سَوِيًّا ليعلموا أنه[١٢] لا يتركهم سدى،

---

[١] ر: يطعمون.
[٢] ر م: يقولون.
[٣] ر: ينصر.
[٤] ر م: نعمها.
[٥] ر – إلى ربهم.
[٦] ن: كما قال تعالى.
[٧] سورة فصلت، ٤١/٥٠.
[٨] سورة الجاثية، ٤٥/٢١.
[٩] ر م: الاعتقادهم.
[١٠] ر ث م: أي تلك.
[١١] ر: فتذكرهم.
[١٢] جميع النسخ: أنهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٣ظ.

بل ليمتحنهم ويستأديَ منهم شكر ما أنعم عليهم فيوجب[1] ذلك تصديق الرسل. وفيه تذكير قدرته وسلطانه وبيان ضعف ابتدائهم ليعلموا أن من قدر على إنشائهم لقادر على أن يُحييَهم بعد ما أفناهم. *والله أعلم.*

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾[٤٠] ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **فلا أقسم برب المشارق والمغارب**، الآية. ذِكْرُ المشارق والمغارب ذكر السماوات والأرض وفي ذكرهما ذكر أهل السماوات والأرَضين. فيكون معناه: فلا أقسم برب الخلائق أجمعَ. ويكون حرف **لا**، زائدة في الكلام تأكيدا للقسم على ما يذكر، فيكون معناه فَلَأُقسم.[2] ثم حق هذا القسم أن يقول مكان قوله: **برب المشارق والمغارب**: فلا أقسم بي إذا كان القسم من الله تعالى، هذا هو ظاهر الكلام في متعارَف اللسان. ولكن يحتمل هذا وجوها. أحدها أن يكون هذا القسم من النبي عليه السلام كأنه[3] علَّمه أن يقسم به فيقولُ[4] له:[5] قل يا محمد: **فلا أقسم برب المشارق والمغارب**. وإن كان هذا قسَما من الله تعالى فهو مستقيم / أيضا من وجهين أحدهما على الإضمار كأنه قال: فلا أقسم بي فأنا[6] رب المشارق والمغارب. [٨٤٦و] والثاني وإن كان هذا القسم من الله تعالى يستقيم بلفظ المغايبة كما يستقيم بلفظ الحاضر، لأن الخلق كله لله شهود وليس هو بشاهد[7] للخلق، فيخرج الكلام بينهم [مرة][8] على ما يُخاطَب الغائبُ ومرة على الوجه الذي يخاطب به الشاهد، ومثل هذا مستعمل في متعارف اللسان. *والله أعلم.*

وفي الآية دلالة على أن مَلِكَ السماوات والأرضين ومدبرهما واحد، إذ لو لم يكن كذلك[9] لكان لِمَلِكِ[10] السماء أن يمنع الشمس والقمر والكواكب من إيصال النفع إلى أهل الأرض

---

[1] م: فيجب.
[2] ر ن م: فلا أقسم.
[3] ن: كان.
[4] جميع النسخ: ويقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٣ظ.
[5] ن – له.
[6] ر ث م: بي ويا رب؛ ن: بي رب. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] جميع النسخ: شاهد. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] الزيادة من المرجع السابق.
[9] ر م – كذلك.
[10] ر ث م: ملك.

ويكون لملك[1] الأرض أن يمنع مَلِكَ السماء عن الإغراب[2] في الأرض. ثم الذي يَشْرِق ويغرُب منذ خلق يجرى على ما جرى عليه التدبير جريا واحدا لم يقع فيه تغيير ولا تبديل. فلو كان[3] لله[4] تعالى فيه شريك لكان لا بد[5] من وقوع التغيير فيها، فثبت أن تدبير السماوات والأرضين وتدبير سلطانهما راجع إلى الواحد.

وقوله عز وجل: **إنا لقادرون، على أن نبدل خيرا منهم**، هذا موضع القسم، فجائز أن يكون أريد به أي نبدل[6] الخير منهم، فتجعل[7] مكان ما كانوا من الشر خيرا، كقوله تعالى: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا،[8] وقد فعل ذلك لأنهم أسلموا. ويحتمل أن يكون أراد به أن يبدل قوما خيرا منهم.

ثم هذا يخرج على وجهين. أحدهما على تحقيق القدرة، والثاني أن يكون معنى القدرة إرادة الفعل. أما الأول فعلى وجهين. أحدهما على معنى تخويف أهل مكة أنهم إن لم ينتهوا عن ذلك أبدل[9] الله تعالى مكانَهم مَن هو خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبدل لا يكون إلا بعد المُبْدل عنه، وقد فعل الله تعالى ذلك بهم أهلك المعاندين منهم وأبدل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أولادهم والمهاجرين منهم والأنصارَ الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه.[10] والثاني أي[11] كنا قادرين على أن نجعل[12] المرسَل إليهم خيرا، إذ قد علموا أنه[13] من قدرة الله عز وجل وأنه هو الذي خلقهم وأنشأهم، لكن إنما أُرسل إليهم وأمرهم لحاجات[14] أنفسهم لا لنفع يرجع إليه،

---

[1] م: المللك.

[2] ث: عن الإعراب. غرَب القوم: ذهبوا في المغرب. وَأَغْرَبُوا: أتوا المغرب. والمُغرب: الذي يأخذ في ناحية الغرب (*لسان العرب*، «غرب»).

[3] جميع النسخ: ولو كان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٣ظ.

[4] ر ث م: الله.

[5] ن: الأبد.

[6] ث: أن يبدل.

[7] ر ث م: فيجعل.

[8] سورة يونس، ٩٩/١٠.

[9] ر ن م: أنزل.

[10] ر: ونصره.

[11] ر ث م: إنا.

[12] ر ن م: على أن يجعل.

[13] ث م – أنه.

[14] ر: الحاجات؛ ث: لحاجة.

ليس على ما عليه ملوك الدنيا؛ لكنه إنما امتحنهم بالأمر ليسعوا في نجاة أنفسهم ونهاهم لِيَفُكّوا[١] رقابهم عن النار، فيكون فيه تسكينُ قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند وَجْده عليهم حيث لم يؤمنوا.

وأما الوجه الثاني أن يكون معنى القدرة إرادةَ الفعل خاصة إذ قد يُكنى بالقدرة عن الفعل[٢] إذ هو سبب الفعل، كالأمر المعتاد بين الخلق بأمر رجل آخرَ بفعل[٣] فيقول: لا أستطيع ولا أقدر أي لا أفعل. وعلى هذا تأويل قوله: هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ[٤] أي هل يفعل ذلك؟ فعلى هذا تأويل[٥] قوله عز وجل: **إنا لقادرون**، أي لفاعلون[٦] من هو خير لرسول الله بدلا عن هؤلاء. فإن كان على هذا فيكون فيه بِشَارةٌ[٧] لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يجعل له أصحابا يرضاهم، ويكون فيه إخبار[٨] له بالنصر والغلبة على المكذبين منهم، ويكون فيه إنباء لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يَنْفُذ[٩] فيه مكرهم وإن اجتهدوا، ويكون فيه إعلام له[١٠] أنه ينتقم منهم له ويعذبهم. وقد فعل ذلك كله بحمد الله عز وجل -والله المستعان- حيث بدَّل عن[١١] أهل مكة أهل[١٢] المدينة وكانوا خيرا منهم، لأن أهل مكة كانوا عليه وأهل المدينة كانوا له فكانوا هم[١٣] خيرا.[١٤] وقوله عز وجل: **وما نحن بمسبوقين**، والمسبوق المغلوب فكأنه قال: لا يسبقنا أحد ولا يُعجزنا أحد عن ذلك ولا يفوتنا ما نريده.

---

[١] ر م: ليكفوا.
[٢] ر ث م – عن الفعل.
[٣] ر ث م: يفعل.
[٤] سورة المائدة، ١١٢/٥.
[٥] ر ث م – هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء أي هل يفعل ذلك فعلى هذا تأويل.
[٦] ر م: فاعلون.
[٧] ث: يساره.
[٨] ر ث م + الله عز وجل.
[٩] ر م: لا ينفد.
[١٠] ر م – له.
[١١] ر ث م: على.
[١٢] ن – أهل.
[١٣] ر: فكافوهم.
[١٤] م: خير.

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **فذرهم يخوضوا ويلعبوا**، قال أبو بكر [الأصم]:[١] الخائض المتحير،[٢] واللاعب الخاطئ. فقوله: **فذرهم**، أي دَعْهم فيما هم من خطاياهم وتخيرهم[٣] في دينهم. فكل من اشتغل بما لا يحتاج[٤] له فهو خائض لاعب. وأصله أن كل[٥] أمر لا عاقبة له تحمد[٦] فهو فيه لاعبٌ لاهٍ،[٧] كقوله: إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ،[٨] أي من يعمل في الحياة الدنيا للدنيا لا للآخرة فهو لاعب لاه.[٩] وكأن هذه الآية صلة قوله: فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ،[١٠] الآية، أمره بأن لا يشتغل[١١] بأولئك ويُقبلَ على[١٢] من يرجو منهم الإيمان؛ أو أمره بان لا يشتغل بمكافأتهم بسوء[١٣] صنيعهم فإن الله[١٤] سينصره عليهم ويكافئه عنهم. وقوله عز وجل: **حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون**، قد لَاقَوْا ذلك اليوم وهو يوم بدر وسيلاقون[١٥] اليوم الثاني وهو يوم الآخرة.[١٦]

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **يوم يخرجون من الأجداث سراعا**، يخبر أنهم يخرجون من الأجداث وهي القبور سراعا إلى الداعي، والذي يحملهم على الإسراع هو أن أنفسهم[١٧] أبت إجابة الداعي في الدنيا،

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٤و.
[٢] ر ث م: المتخير.
[٣] ن ث: وتحيرهم؛ م: وتخيرهم.
[٤] ن: لا محجله؛ ث: لا يحتج.
[٥] ر: إلا كل.
[٦] ن ث: يحمد؛ م: نحمد.
[٧] ر ن: لاهي.
[٨] سورة محمد، ٣٦/٤٧؛ وسورة الحديد، ٢٠/٥٧.
[٩] ر ن م: لاهي.
[١٠] الآية ٣٦ من هذه السورة.
[١١] ر + كل أمر لا عاقبة له بحمد لهو ولعب.
[١٢] ر م: عن.
[١٣] ن: لسوء.
[١٤] ر ث م: وإن الله.
[١٥] ن م: وسيلاقوك.
[١٦] م: الآخر.
[١٧] ر ث م: نفسهم.

فنزل[١] بهم الهلاك[٢] بتركهم الإجابة، فتسارعوا في ذلك اليوم إلى إجابة الداعي رجاء أن يتخلصوا من العذاب الذي حق عليهم بترك الإجابة، وذلك لا ينفعهم وإن وُجدت منهم التوبة،[٣] لأن ذلك اليوم ليس بيوم ينفع فيه الندامة والتوبة. وإنما هو يوم تُجْزَى[٤] فيه كل نفس بما كسبت.[٥] وهذا كقوله: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ.[٦] فأخبر أنهم يفزَعون إلى الإيمان بالله تعالى لما أيقنوا أنهم إنما حل بهم البأس بإعراضهم عن الإيمان، ففزعوا عند إيقانهم العذاب إلى الإيمان رَجاءَ أن يتخلصوا من العذاب فلم ينفعهم ذلك ولم يغنهم من عذاب الله[٧] شيء، / إذ ذلك الوقت ليس بوقت قبول التوبة. فيكون هذا تحريضا بالإسراع [٨٤٦ظ] إلى إجابة الداعي والإيمانِ بما يدعوا إليه قبل أن يؤمنوا إيمانا لا ينفعهم. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل **كأنهم إلى نصب يوفضون**، قرئ بنصب النون وجزم الصاد[٨] وهو اسم العلامة كالغَرَض[٩] وأشباهه. وقرئ بضم النون والصاد وهو اسم الصنم. فإن كان على العلامة فمعناه إنهم يسارعون في ذلك الوقت إلى إجابة الداعي مُسارعَةَ[١٠] من يسرع في هذه الدنيا إلى الغرض والعلامة المنصوبة. كذا قال بعض أهل التأويل. ذُكر عن الكلبي إلى **نصب يوفضون**، أي[١١] عَلَمٍ يسعون،[١٢] وقال قتادة: إلى علم يستبقون،[١٣] وعن مجاهد: إلى علم ينطلقون.[١٤]

---

[١] ن: فينزل.

[٢] ر م - وقوله عز وجل يوم يخرجون من الأجداث سراعا يخبر أنهم يخرجون من الأجداث وهي القبور سراعا إلى الداعي والذي يحملهم على الإسراع هو أن أنفسهم أبت إجابة الداعي في الدنيا فنزل بهم الهلاك.

[٣] جميع النسخ + والرجوع عن تلك الإجابة.

[٤] ث: يجزى.

[٥] لعله يشير إلى قوله تعالى ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾ (سورة المؤمن، ١٧/٤٠).

[٦] سورة المؤمن، ٨٤/٤٠.

[٧] ن ث: عن عذاب الله.

[٨] قرأ يعقوب: ﴿نَصَبٍ﴾ بفتح النون والصاد، وقرأ الباقون: ﴿نَصْبٍ﴾ بفتح النون وسكون الصاد (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٤٧؛ *والنشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢٩٢/٢).

[٩] ر ن: كالعرض.

[١٠] ر م: سارعة.

[١١] جميع النسخ: إلى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٤و.

[١٢] قال الكلبي: إلى شيء منصوب، عَلَم أو راية (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٩٨/١٨).

[١٣] *النكت والعيون* للماوردي، ٩٧/٦.

[١٤] عن الضحاك قال: ﴿إلى نصب يوفضون﴾ إلى علم ينطلقون (*تفسير الضحاك*، ٨٩٧/٢؛ *وتفسير الطبري*، ١١١/٢٩).

فإن كان على الثاني فمعناه أنهم يُسرعون إلى إجابة الداعي في ذلك كسرعتهم إلى عبادة النُّصُب[١] عند خوفهم فوت عبادتها وعند اجتماع عُبّادِها عندها،[٢] أو يبتدرون[٣] نُصُبهم حتى يَسْتَلِمُوها.[٤] ومنهم من ذكر أن النُّصُب برفع النون والصاد هي الأغراض التي يسبقون[٥] إليها. ومن تأول هذا فهو يجعل النصب هاهنا جمعَ النَّصْب. وقوله: **يوفضون**،[٦] أي يُسرِعون. وقال الحسن: أي يَرمُلون،[٧] وهما واحد لأن الإسراع في الرَّمَل موجود.

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **خاشعة أبصارهم**، فيحتمل أن يكون هذا على بصر[٨] الوجوه، وصفة خشوعها ما قال في آية أخرى: لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ،[٩] فيخشع خشوعا لا يملك صرف طرفه عن الداعي. ففيه أن الزلة قد أحاطت[١٠] بهم حتى أثّرت في الأعين والوجوه[١١] وفي كل عضوٍ. وجائز أن يكون هذا على بصر القلوب، وهو أن قلوبهم يشتغل بإجابة الداعي عن أن تُبصر[١٢] لنفسها حيلة تتخلص[١٣] من أهوال[١٤] ذلك اليوم وشدائدها. وقوله عز وجل: **ترهقهم ذلة**، أي تعلوهم، والذلة الحالة في النفس يبدو[١٥] ظهورها[١٦] من الأبصار.

---

[١] ر: المنصب.
[٢] ر م: عندهما.
[٣] ر ن م: لو يبتدرون.
[٤] ر: حتى يسلموها.
[٥] ن: يسعون.
[٦] ن – يوفضون، صح هـ.
[٧] ث: يأملون.
[٨] ر م: على نصر.
[٩] سورة إبراهيم، ٤٣/١٤.
[١٠] ر م: أخاطت.
[١١] ن: والوجود.
[١٢] ر: عن يبصر؛ ن ث م: عن أن يبصر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٤و.
[١٣] جميع النسخ: يتخلص. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] ن: عن أهوال.
[١٥] ر ن ث: يبدوا.
[١٦] جميع النسخ: ظهوره. والتصحيح من المرجع السابق.

وقوله عز وجل: **ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون**، وحقه أن يقول: هذا اليوم الذي كانوا يوعدون، لأنه أضاف إلى اليوم الذي كانوا يوعدون به[١] في الدنيا، ولكن معناه كانوا يوعدون بذلك[٢] اليوم في الدنيا، وذلك اليومُ في الوقت الذي كانوا[٣] يوعدون غير موجود فيعبَّر به عما يعبر به الغائب.[٤] *والله أعلم بالصواب.*

---

[١] ر ث م – به.
[٢] جميع النسخ: لذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٤و.
[٣] ن: كان.
[٤] ر م: يعبر الغالب؛ ث: يعبر الغائب.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة نوح عليه السلام[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١]

قوله عز وجل:[2] **إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم.** في ذكر نبأ نوح عليه السلام دلالة رسالته وآيةُ نبوته لما ذكرنا[3] أن هذا لم يكن من علمه ولا علم قومه، و لم يختلف النبي صلى الله عليه وسلم إلى مَن عنده علم به فيتعلمه[4] منه، فعُلم أنه بالله تعالى عَلمه لا بأحد من خلقه فيكون فيه إلزام الحجة عليهم. وفيه إعلام لرسول[5] الله عليه السلام ما لقي نوح عليه السلام من قومه ليصبّره بذلك[6] على أذى قومه إذ السورة مكية. ثم أمره بالإنذار و لم يذكر معه البِشارة فكذلك قال نوح عليه السلام: إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ،[7] و لم يقل: "بشير" وقد كان هو[8] بشيرا ونذيرا. فجائز أن يكون اقتصر على ذكر النِّذارة لأن في ذكرها ذكرَ البشارة.

---

[1] ر – سورة نوح عليه السلام؛ ن + وهي مكية؛ ث + وهي ثمانون وعشرون آيات؛ م + مكية.

[2] ن – قوله عز وجل.

[3] ر ث م: إنما ذكرنا؛ ن: كما ذكرنا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٤ظ.

[4] جميع النسخ: فتعلمه. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] جميع النسخ: رسول. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] ر م: وبذلك.

[7] الآية التالية.

[8] ر م – هو.

وذلك أنهم[1] استوجبوا العذاب إذا داموا[2] على ما هم فيه من الضلالة وعبادة غير الله تعالى، فهم[3] إذا انتهوا عن ذلك استوجبوا العفو، واستيجاب العفو وقوع البِشارة. فإذا كان ذكر أحد الوجهين يقتضي ذكر الآخر اُكْتفِيَ بذكر أحدهما عن ذكر الآخر. وجائز أن يكون خَصَّ النذارة بالذكر لأن الحال كانت حال الإنذار، لأنهم كانوا معرضين عن طاعة الله تعالى ومقبلين على عبادة[4] غيره. فكانوا مستوجبين للنذارة و لم يكونوا من أهل البشارة؛ وإنما يصيرون من أهلها إذا انتهوا عما هم عليه؛ فيكون قوله: **أَنْذِر قومك**، إن داموا على ما هم عليه. وفي هذا دلالة على أن المرء[5] إذا أخذ غير طريق الهدى[6] فالسبيل فيه أن يُفْسدَ عليه[7] مذهبه. ثم إذا ظهر فساده عنده أُمر له باتباع سبيل الهدى وبُيّن له الحجج والدلائل لِيَنْجَع فيه ذلك. ليس[8] أن يُحتجَّ عليه[9] بالحجج التي[10] هي حجج مذهبِ أهل[11] الحق قبل أن يبين له[12] فساد ما هو فيه، فإن ذلك لا ينجع فيه ولا يدعوه إلى قبول الحق والتزامه؛ بل يبين له قبح ما هو فيه وفساد ما اعتقده، فإذا بان له ذلك يحتاج إلى أن يسأله عن سبيل الهدى فيه ليعرفه بالتعليم.

ثم الأصل أن الدنيا هي سبيل الآخرة. والضلال سبيل يفضي بمن سلكه إلى العذاب الدائم، والهدى سبيل يفضي إلى الثواب الدائم. فالنِذارة هي تبيين ما ينتهي إليه عاقبة من يَلزم الضلال، والبشارة هي تبيين ما ينتهي إليه عاقبة من يلزم الهدى. وإن شئت قلتَ: إن النِذارة هي أن تبين[13] عُسْر ما يَحُلّ به في العاقبة، والبشارة هي أن تبينه[14] بما يصير إليه في العاقبة من اليسر.

---

[1] ر ن م: + إذا.
[2] ث: إذ داموا.
[3] ر ث م: بهم.
[4] ر م: عن عبادة.
[5] ر م: على أن المراد.
[6] ر م – الهدى.
[7] ر م – عليه.
[8] ر – ليس.
[9] ن ث + ذلك.
[10] ر م – التي.
[11] جميع النسخ – أهل. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٤ظ.
[12] ر ن م – له.
[13] جميع النسخ: أن يبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[14] ث: أن ينبه.

ثم في قوله عز وجل: **أَنْ أَنْذِر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم**، / دلالة أن حجة[١] [٨٤٧و] الإيمان[٢] تلزم[٣] الخلق قبل أن يأتيهم النذير، لأنها لو كانت لا تلزمهم لكانوا في أمن من نزول العذاب بهم قبل أن يأتيهم النذير[٤] فلا يُخَوَّفون[٥] بنزول العذاب بهم قبل أن يُنْذَروا. فلما خُوِّفوا بنزول العذاب بهم[٦] قبل أن يأتيهم النذير دل أن الحجة لازمة عليهم وأن لله[٧] تعالى أن يعذبهم لتركهم التوحيد وإن لم يرسل إليهم الرسل؛ فيكون تأويله قوله عز وجل: وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً،[٨] على عذاب الاستئصال في الدنيا ليس على عذاب الآخرة. والله أعلم.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **قال يا قوم إني لكم نذير مبين**، أي مُبيِّن[٩] لما يقع[١٠] به الإنذار والتخويف، فتكون[١١] الإبانة منصرفة إلى النذارة.[١٢] ويحتمل أن يكون هذا الوصف راجعا إلى نفسه خاصة، كأنه قال: نذير لكم مبين، أي إني لم أَقُمْ في دعائي إياكم إلى عبادة الله تعالى وإنذاركم من عند نفسي ولكن بما اختصَّني[١٣] الله تعالى وولَّاني ذلك.

ثم الأصل أن في الإنذار نهيا وفي النهي[١٤] أمرا لكن الإنذار يقتضي نهيا وَكِيدا، والنهي الوكيدُ يقتضي الأمر بالخلاف أمرا وكيدا. وأما البشارة فهي[١٥] تقتضي الأمر الوكيد وغير الوكيد،

---

[١] م: أن الحجة.
[٢] م - الإيمان.
[٣] ر ث م: يلزم.
[٤] ر ث م - لأنها لو كانت لا يلزمهم لكانوا في أمن من نزول العذاب بهم قبل أن يأتيهم النذير.
[٥] م: فلا يخافون.
[٦] ر م - قبل أن ينذروا فلما خوفوا بنزول العذاب بهم.
[٧] ر ن م: وأن الله.
[٨] سورة الإسراء، ١٥/١٧.
[٩] ر م: يبين.
[١٠] جميع النسخ: بما يقع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٤ظ.
[١١] ر م: فيكون.
[١٢] ن: منصرفه إلى النذاره.
[١٣] م: اقتضي.
[١٤] ن: ومن النهي.
[١٥] ن - فهي.

لأنه يستوجب البشارةَ بكل خير[١] يفعله وإن كان للمرء ترك ذلك الخير بخير آخر يأتي به[٢] فلا يفهم بنفس البشارة[٣] الأمر الوكيد، ويفهم بتصريح النذارة تأكيد الوجهين اللذين ذكرنا هما. وإذا كان كذلك فمطلق البشارة[٤] لا يدل على تحقيق النذارة. وأما النذارة[٥] فهي تدل[٦] على البشارة، لأن النذارة على ما هو فيه من الفعل[٧] يَلزم النهي، وإذا انتهى عنه فقد حصل العفو وفي حصول العفو ارتفاع ما خُوِّف وذهابُه.[٨]

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾[٣]

وقوله عز جل: **أن اعبد الله واتقوه**، فكأنه قال: أنذرهم على عبادة غير الله ومُرْهم بعبادة من يستحق العبادة وهو الله تعالى، إذ الأمر بالإنذار يقتضي النهي عما هم عليه ويدعو إلى خلافه ويبين[٩] لهم الخلاف الذي دُعوا إليه، لقوله عز وجل: **اعبدوا الله واتقوه**، وقيل: اعبدوا الله أي وحِّدوه. وقال قتادة: كل عبادة جرى بها الأمر في القرآن على الإرسال فهي منصرفة إلى التوحيد.[١٠] فكأن الذي حملهم على هذا التأويل هو أن الآيات التي فيها أمرٌ بالعبادة نزلت في أهل الكفر، لأنه خاطب بقوله عز وجل: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ،[١١] ولم يخاطب بقوله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا اعبدوا ربكم. وإذا ثبت أنها في أهل الكفر والكافرُ أولَ ما يؤمر يؤمر بالتوحيد، ليس يخاطَب بعبادة أخرى سواه، لأنه ما لم يأت بالتوحيد لم يقبل منه شيء من العبادات، فجعلوا تأويل العبادة التوحيدَ لهذا، لا أن يكون العبادة عبارة عن التوحيد خاصة. بل العبادة يراد بها التوحيد مرة إذا ذكرت[١٢] عقيب الكفر،

---

[١] ث م: خير.
[٢] ن: نهيه.
[٣] ن + إذا كان.
[٤] ن – تأكيد الوجهين اللذين ذكرنا هما وإذا كان كذلك فمطلق البشارة.
[٥] ر م – وأما النذارة.
[٦] ر م: يدل.
[٧] جميع النسخ: في الفعل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٤ظ.
[٨] م: خوف ذهابه.
[٩] جميع النسخ: وبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٥و.
[١٠] قارن بما ورد في *بحر العلوم* للسمرقندي، ١/١٠١.
[١١] سورة البقرة، ٢/٢١.
[١٢] ن – إذا ذكرت.

وإذا ذكرت في أهل الإيمان فالعبادة منهم أن يَفُوا بمعاملة ما اعتقدوه بالقول وأن يُنجزوا ما وعدوا من أنفسهم.[١] وهذا كما ذكرنا في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة أنهما إذا ذكرتا[٢] في أهل الكفر انصرف المراد من ذلك إلى الاعتقاد لا إلى الفعل، لأنهم ليسوا من أهل الفعل، وإذا ذكرتا[٣] في أهل الإسلام أريد بالإقامة والإيتاء إيجاد الفعل. فكذلك الحكم في العبادة بقوله: **اعبدوا الله**، أي وحدوه **واتقوه**، أي اتقوا الإشراك في عبادته **وأطيعونِ**،[٤] فيما أمركم به من توحيد الله تعالى وأن لا تشركوا[٥] به شيئا.

وجائز أن يكون قوله: **واتقوه**، أي اتقوا[٦] المهالك كلها واتقوا النار، كما قال الله تعالى: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[٧] وقال[٨] تعالى: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا.[٩] فالتقوى[١٠] إذا ذكر على الانفراد مرسلا[١١] اقتضى الانتهاء عما فيه الهلاك واقتضى الأمر بالعبادة والطاعة، وإذا جُمع بين العبادة والتقوى كانت العبادة انصرفت إلى إتيان الأفعال[١٢] والتقوى إلى اتقاء المهالك. وهو كما قلنا في البر والتقوى: إن كل واحد منهما إذا ذكر مفردا اقتضى ما يقتضيه الآخر، وإذا جمعا في الذكر صُرف أحدهما إلى جهة[١٣] والآخر إلى جهة أخرى. وكذلك الإسلام والإيمان إذا أُفرد بذكر أحدهما يكون معنى كل واحد منهما هو معنى الآخر، وإذا جمعا في الذكر صرف كل واحد منهما إلى جهة على حدة. وقال الحسن: في قوله عز وجل: **واتقوه**، أي اتقوا الله في حقه أن تضيّعوه، فهو يجمع ما يؤتى[١٤] وما يُتقى.

---

[١] انظر لذكر العبادة في أهل الإيمان: سورة الأنبياء، ٢١/٩٢؛ وسورة الحج، ٢٢/٧٢؛ وسورة العنكبوت، ٢٩/٥٦.
[٢] ث م: إذا ذكرنا.
[٣] ن ث م: وإذا ذكرنا.
[٤] جميع النسخ: وأطيعوني.
[٥] ر ن م: وأن لا يشركوا.
[٦] ر ث م – أي اتقوا.
[٧] سورة آل عمران، ٣/١٣١.
[٨] جميع النسخ: وقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٥و.
[٩] سورة التحريم، ٦٦/٦.
[١٠] ر م: واتقوا؛ ث: والتقوى.
[١١] ر: ومرسلا.
[١٢] ر ث م + انصرف.
[١٣] ث: إلى جهته.
[١٤] ر ن م: ما يؤدى.

ثم الأصل أن الطاعة قد تكون لمن سوى الله والعبادة لا تكون إلا لله تعالى. فلذلك قال عند الأمر بالعبادة: **اعبدوا الله**، فأضافها إلى الله تعالى وأضاف الطاعة إلى نفسه بقوله: **وأطيعونِ**. ففيه دلالة أن ليس في الطاعة لآخر إشراك بالله تعالى،[1] بل الله تعالى جعل الإشراك في الطاعة بقوله: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّٰهَ،[2] وذَمَّ من يَعدِل بالله تعالى في العبادة بقوله تعالى: وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ.[3] فالعبادة كأنها تقتضي الخضوع والتضرع على الرجاء والخوف، والله تعالى هو الذي يرجى منه ويخاف من نقمته. فأما الطاعة فهي تقتضي[4] فعلا على الأمر لا غيرُ، وعلى ذلك لَمَّا صرفت الكفرة الرجاء والخوف إلى الأصنام بقولهم: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللّٰهِ زُلْفَى،[5] وقولهم: هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّٰهِ،[6] سُموا عُبَّاد الأصنام. فكل من يفعل الفعل على الخوف والرجاء فذلك[7] منه عبادة له.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللّٰهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٤]

[٨٤٧ظ] وقوله عز وجل: **يغفر لكم من ذنوبكم**، إن صرفتَ قوله: اِتَّقُوهُ،[8] إلى اتقاء الشرك / يرجع قوله: **يغفر لكم من ذنوبكم**، إلى ما سلف من الذنوب في حالة الشرك، كقوله عز وجل: إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ،[9] وإن صرفته إلى سائر وجوه المهالك رجع إلى السالف وإلى الآنف[10] جميعا، وهو كقوله تعالى: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ؛[11] فيكون قوله: **من**، صلة على ما ذكره أهل التفسير ومعناه يغفر لكم ذنوبكم. وجائز أن يكون قوله: **من**، على التحقيق ليس على حق الصلة، لأنه قد يكون من الذنوب ذنوب يؤاخذ بها بعد الإسلام،

---

[1] جميع النسخ + في الطاعة.
[2] سورة النساء، ٤/٨٠.
[3] سورة الأنعام، ٦/١٥٠؛ وانظر أيضا نفس السورة، الآية ١.
[4] ث: فأما بطاعة وقوله فهي يقتضي؛ ن: فأما بطاعة فهي تقتضي.
[5] سورة الزمر، ٣٩/٣.
[6] سورة يونس، ١٠/١٨.
[7] ث: فلذلك.
[8] من الآية السابقة.
[9] سورة الأنفال، ٨/٣٨.
[10] ر م: وإلى الآلف.
[11] سورة هود، ١١/١١٤.

وهي التي تكون[١] بينه وبين الخلق من القصاص وغيره، فالمأثم بالقتل وإن زال عنه بالتوبة فإن القصاص لا يرتفع عنه. وقوله عز وجل: **ويُؤَخّرْكم إلى أجل مسمى**، فجائز أن يكون أولئك[٢] القوم كانوا يخافون على أنفسهم الإهلاك[٣] من قومهم بإيمانهم وإجابتهم لنوح عليه السلام فيخرج قوله: **ويؤخركم إلى أجل مسمى**، مخرج[٤] الأمان لهم أنهم بإيمانهم يَبْقون[٥] إلى الأجل الذي ضُرب لهم لو لم يؤمنوا، إذ يكون[٦] معناه أنكم إن أسلمتم بقيتم إلى انقضاء أجلكم[٧] المسمى سالمين آمنين لا يتهيأ[٨] لعدوكم[٩] أن يمكروا بكم.

وقوله عز وجل: **إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون**، وقال في موضع آخر: فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ،[١٠] وجائز أن يكون قوله: لَا يَسْتَأْخِرُونَ، أي لا يتأخرون[١١] عن آجالهم أو لا يؤخَّرون بما يطلبون من التأخير، فيكون في هذا إياس لهم أنهم لا يؤخرون إذا طلبوا التأخير.[١٢] قال الله تعالى: وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ،[١٣] فأخبر جل جلاله أن الموت إذا أتاه طلب التأخير ليبدِّل ما طُلب منه البدل[١٤] قبل ذلك من التصدق والإيمان به، فقطع[١٥] عنهم طمعَهم[١٦] بقوله: وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا،[١٧]

---

[١] ر م: يكون؛ ث – تكون.
[٢] ر – أولئك.
[٣] ن: إلا المهالك.
[٤] ن: فخرج.
[٥] ر ث م: يتقون.
[٦] ث: أن يكون.
[٧] ر ث م: يقسم إلى انقضاء آجالكم.
[٨] ث + لكم.
[٩] ر ن: كعدوكم.
[١٠] سورة النحل، ١٦/٦١.
[١١] م – أي لا يتأخرون.
[١٢] ث: التأخر.
[١٣] سورة المنافقون، ٦٣/١٠.
[١٤] ث: ليبذل ما طلب منه البذل.
[١٥] ن: فتطمع.
[١٦] ن ث م: طمعم.
[١٧] سورة المنافقون، ٦٣/١١.

وبقوله: لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ،[1] وبقوله: **إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر**. وهذه الآية تنقض على المعتزلة قولهم،[2] لأنهم يقولون بأن رجلا لو جاء وقتل[3] آخر فإنما قتله قبل انقضاء أجله. والله تعالى يقول:[4] لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ.[5] والأصل أن الله تعالى إذا علم أنه يُقتل[6] رجل[7] فإنما يجعل انقضاء أجله بالقتل ليس بغيره، لأنه لا يجوز أن يجعل انقضاء أجله بموته حتف أنفه[8] ثم ينقض أجله[9] بغير ذلك، لأنه لو جاز هذا لأدى ذلك إلى الجهل بالعواقب، والجهل بالعواقب يُسقط الربوبية ويثبت[10] الجهل.[11]

وقوله عز وجل: **لو كنتم تعلمون**، أي لو كنتم تعلمون ما يَحُل بكم من الندامة عند انقضاء أجلكم[12] لكنتم تبذلون[13] للحال ما أريد[14] منكم لئلا يحل بكم العذاب. أو أن يكون معنى قوله: **إن أجل الله إذا جاء**، أي أجل العذاب إذا حل وقع لا محالة، فلو علموا بوقوعه لا محالة لارتدعوا عنه.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا**، يحتمل أن يكون هذا من نوح عليه السلام بعد أن أُخبر أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ،[15] فيكون القول منه قول مُعْذِر أنه لم يقصِر في دعوة قومه إلى الإسلام وأنه قد دعاهم إلى الإسلام في كل وقت وحال

---

[1] سورة النحل، ٦١/١٦.
[2] جميع النسخ: قوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٥ظ.
[3] ر م + ليس بغيره.
[4] م: بقوله.
[5] سورة النحل، ٦١/١٦.
[6] ر م: يقبل.
[7] جميع النسخ – رجل. والزيادة من المرجع السابق.
[8] ر ن م: نفسه؛ ث: أنفسه. والترجيح مستفاد من المرجع السابق.
[9] ر ث م: أصله.
[10] جميع النسخ: فثبت. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر ث م – بالعواقب والجهل بالعواقب يسقط الربوبية ويثبت الجهل.
[12] ر ث م: آجالكم.
[13] ر م: تبدلون؛ ن: يبدلون.
[14] ر م: ما ارتد.
[15] ﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾ (سورة هود، ٣٦/١١).

وأنه[1] قد أبلى عذره[2] في ذلك وإنما جاء التفريط والتعدي من جهة قومه. ويحتمل أن يكون هذا منه على الإشفاق والرحمة والتعرض لاستنزال اللِّين والرحمة لعل[3] الله تعالى بلطفه يُليّن قلوبهم فينقادوا للحق ويرغبوا في الإجابة ليتخلصوا من العذاب ويستوجبوا[4] المغفرة من ربهم. فهو يُخرَّج على أحد هذين الوجهين: إن كان قبل الإخبار فهو على التعرض منه لاستنزاله اللين والرحمة، وإن كان بعده فهو على إبلاء العذر لا على الدعاء والرجاء بأن يلين قلوبهم بلطفه فينقادوا للحق، إذ لا يجوز أن يخبر اللهُ تعالى أنهم لا يؤمنون وهو يطمع منهم أن يؤمنوا. ثم قوله: **إني دعوت قومي ليلا ونهارا**، أي دعوت في كل وقت وكل ساعة من الليل والنهار أمكنني فيه الدعاء.

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **فلم يزدهم دعائي إلا فرارا**، وأصل هذا أن عداوتهم كانت قد اشتدت[5] لنوحٍ عليه السلام وكانوا قد استثقلوه وابغضوا كلامه فحدث لهم ببغضهم[6] كلامه واستثقالهم إياه معنىً حَمَلَهم على الفرار،[7] فنسب ذلك إلى الدعاء، لأن حدوث ذلك المعنى كان عند وجود الدعاء، فنسب إلى الدعاء على معنى المجاورة[8] والقرب لا أن يكون الدعاء في الحقيقة سببا لزيادة الفرار، وهو كقوله تعالى: وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ،[9] والقرآن لم يُجعل سببا لزيادة الرجس ولكنهم لما أحدثوا بغضا عند ما تُلي عليهم القرآن فحدث لهم بذلك معنى حملهم على ذلك الوجه فأضيفت تلك الزيادة إلى القرآن، إذ عند ذلك حدث ذلك السبب الزائد في الرجس، فنسب إليه على معنى المجاورة.[10]

---

[1] ر ث م: وآفة.
[2] أبليتُ فلانا عذرا، أي بينت وجه العذر لأزيل عني اللوم. وأبلاه عذرا: أدّاه إليه فقبله (*لسان العرب*، «بلا»).
[3] ر: لعلي.
[4] ر م: ويستوجب.
[5] ر ث م: استبدت.
[6] ن: يبغضهم.
[7] عن قتادة في قوله: ﴿فلم يزدهم دعائي إلا فرارا﴾ قال: بلغني أنه كان يذهب الرجل بابنه إلى نوح، فيقول لابنه: احذر هذا لا يغرنك فإن أبي قد ذهب بي، وأنا مثلك فحذرني كما حذرتك (*الدر المنثور* للسيوطي، ٢٧٩/٨).
[8] جميع النسخ: المجاوزة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٥ظ.
[9] سورة التوبة، ١٢٥/٩.
[10] ر ث م: المجاوزة.

وقال الله تعالى: فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي،[1] وهم لم يكونوا مُنْسِين[2] بل كانوا مذكِّرين[3] يذكّرونهم مرة بعد مرة، لكن بغضهم إياهم[4] واتخاذُهم[5] سخريا أوقع[6] لهم النسيان، فنسب إليهم الإنساء.[7] فعلى ذلك لما أبغضوا واستثقلوا كلامه ودعاءه أحدث لهم ذلك البغضُ زيادةَ نِفارٍ[8] وجحود.[9] ثم نُسب[10] النفار إلى الدعاء للوجه[11] الذي / ذكرنا لا[12] أن يكون الدعاء في الحقيقة منفِّرا.[13] [٨٤٨و]

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾[٧]

وقوله عز وجل: **وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم**، وقال في موضع آخر: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ -إلى قوله- فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ.[14] فيجوز أن يكون هذه الآية فيما كانوا[15] يَدْعُون رؤساءهم وأشرافهم والأَجِلَّة منهم، فإذا دعاهم ردوا[16] أيديهم في أفواه الأنبياء عليهم السلام وضربوهم على ما ذكر في الأخبار. وأما الأتباع منهم والمقلِّدون لهم كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم

---

[1] سورة المؤمنون، ٢٣/١١٠.
[2] ر ث م: منسيين.
[3] ر م: مذكورين.
[4] ث: اتاهم.
[5] م: واتخذهم.
[6] ر: أو وقع.
[7] جميع النسخ: الإنشاء. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٥ظ.
[8] ر: نفاد.
[9] ر: وجحور.
[10] جميع النسخ: ثم سبب. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] جميع النسخ: الوجه. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر: إلا.
[13] ر ن م: منفر.
[14] ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوحٍ وعادٍ وثمودَ والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فَرَدُّوا أيديَهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أُرسِلتُم به وإنا لَفِي شك مما تدعوننا إليه مُريب﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٩).
[15] ر ث م – كانوا.
[16] ن: يردوا.

ويُغَطُّون وجوههم ورُءُوسهم كي لا يسمعوا كلامه فيقع شيء منه[١] في قلوبهم لِما حذَّرهم رؤساؤهم عن ذلك. أو يكون هذا في طائفة منهم وهذا في طائفة إذا كان أيس من قوم وأقبل على آخرين فاختلفت معاملتهم معه على ما كان من أمر نبينا محمد صلى الله. ثم هذا يحتمل وجهين. أحدهما على التحقيق على[٢] ما ذكرنا ليؤيسوه[٣] من الإجابة. والثاني جائز أن يكون على التمثيل؛ فضَرب مَثَلَهم في تركهم الإجابة مثل من جعل أَصْبَعَيْه[٤] في أذنيه واستغشى ثيابه لئلا يسمع ولا يجيب.[٥] وهو كقوله عز وجل: فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ،[٦] ولم يوجد منهم نَبْذٌ ولكنهم أعرضوا عنه إعراض من يَنْبِذه[٧] وراء ظهره، وكذلك في قوله عز وجل: فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ، على التمثيل، وهو أنهم تركوا الإجابة إلى ما دُعوا إليه كترك[٨] الإجابة من الذي يَرُدّ يدَه في فِيهِ لئلا يتكلمه.[٩] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وَأَصَرُّوا**، أي داموا على ما هم عليه وثبتوا على كفرهم. وقال قتادة: **وأصروا**، أي صاحوا في وجوه الأنبياء عليهم السلام ردا عليهم، أو مغالبة في الدعاء، كقوله: وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ.[١٠] وقوله عز وجل: **واستكبروا استكبارا**، أي استكبروا عن طاعة الله تعالى وامتنعوا عن الإجابة لرسوله عليه السلام.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾[٨] ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾[٩]

وقوله عز وجل: **ثم إني دعوتهم جهارا، ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا**، ففي هذا إخبار أنه دعاهم إلى عبادة الله في كل وقت تهيَّأ له من ليل أو نهار ولم يقصّر فيها

---

[١] جميع النسخ: منها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٦و.
[٢] ر م – على.
[٣] جميع النسخ: ليؤيسوهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] جميع النسخ: من أصبعه. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ث: لئلا يجيب ولا يسمع.
[٦] ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتُبَيِّنُنَّه للنَّاس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون﴾ (سورة آل عمران، ١٨٧/٣).
[٧] ر ن م: نبذه.
[٨] ر ث م: ترك.
[٩] ث: لئلا يكلمه.
[١٠] ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ (سورة فصلت، ٢٦/٤١). قال قتادة: قدمًا قدمًا في معاصي الله للتهائهم عن مخافة الله حتى جاءهم أمر الله (*النكت والعيون* للماوردي، ١٠٠/٦).

ودعاهم في كل وقت رجاء الإجابة منهم. ويحتمل **إني دعوتهم جهارا**، أي إذا بَعُدوا مني وازدحموا وكَثُروا[١] فدعاهم جهارا ليعمّهم الدعوة. وقوله عز وجل: **وأسررت لهم إسرارا**، إذا قربوا منه وقلّوا، فلما أدخلوا أصابعهم في آذانهم واستغشَوا ثيابهم أعلن في الدعاء. ثم جائز أن يكون الجهر والإسرار منصرفا إلى الدعوة ويكون الإعلان إعلانا بالحجج وإظهارا للبينات، وإلى هذا يذهب أبو بكر الأصم.

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا**، فالاستغفار طلب المغفرة بما[٢] ذكر من قوله عز وجل: أَعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ،[٣] فيكون هذا منه أمرا لهم بإتيان[٤] الإيمان الذي هو سبب المغفرة لا أمرا[٥] بسؤال المغفرة نفسها[٦] من الله تعالى؛ إذ استغفار كل قوم يرجع إلى أحوالهم، فإن كانوا[٧] كَفَرَةً فهو إيمان بالله تعالى، وإن كانوا أصحاب ذنوب فالتوبة إلى الله تعالى، وإن كانوا مخلصين فمما سلف من ذنوبهم مما لا يعلمونها[٨] ونحو ذلك.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾[١١] ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا**، فيحتمل إنما قال هذا لأنهم كانوا في شدة عَيشٍ وضيقِ حال فوعد[٩] أنهم أن انتهَوا عن الكفر وأجابوا إلى ما يدعوهم إليه غفر الله لهم[١٠] ذنوبهم، وأرسل[١١] السماء عليهم

---

[١] ر م: وأكثروا.
[٢] م + بما.
[٣] الآية ٣ من هذه السورة.
[٤] ر م: بإتياء.
[٥] ر ث م: لا أمر.
[٦] ر ن ث: نفسه؛ م – نفسها.
[٧] جميع النسخ: إذا كانوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٦و.
[٨] ر م: يعملوهما؛ ن: يعملوها؛ ث: يعلمونها. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر م: توعد.
[١٠] ن – لهم.
[١١] ن: وليرسل.

مِدْرارا فيتوسعوا به، على ما قال[١] بعض أهل التأويل: إن الله تعالى قد حبس[٢] عنهم المطر وعقُمت أرحام نسائهم وهلكت مواشيهم وجناتهم لتمام أربعين سنة.[٣] ثم أُهلكوا بعد ذلك وكانوا كلهم كفارا ليس فيهم صغير فلذلك كان نوح عليه السلام يَعِدُهم[٤] بما ذكرنا. **والله أعلم**.

ويحتمل أن يكونوا[٥] خافوا انقطاع النعمة عنهم بالإجابة وزوال السعة عنهم،[٦] ومن الناس من يترك[٧] الإيمان خشية هذا، فأخبر عز وجل أن الذي هم فيه من رغد العيش لا ينقطع عنهم بالإسلام بل يرسل عليهم المطر من السماء مدرارا متتابعا ويمددهم بأموال وبنين مع ما يجعل لهم من الجنات[٨] والأنهار؛ لكن ذووا[٩] الألباب والعقلاء ينظر إلى حسن العاقبة وما إليه مردُّه[١٠] دون الحال، فذلك الذي يُرغِّبه فيه. ولذلك اختلفت دعوة النبي عليه السلام لأمته، فمنهم من بشره[١١] بكثرة أمواله وبنيه،[١٢] ومنهم من رغَّبه في آخرته، [كقوله:][١٣] فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ،[١٤] وقال: قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ،[١٥] الآية. ونظير الأول كقوله عز وجل: وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.[١٦] والأصل أن الرسل عليهم السلام بعثوا مبشرين ومنذرين[١٧] داعين زاجرين محتجِّين مُدْحضين.

---

[١] ر ث م + به.
[٢] ر: قد جلس.
[٣] *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٤٠٢/٣.
[٤] ن: بعدهم.
[٥] ن: أن يكون.
[٦] ر م + بالإسلام.
[٧] ث: من ترك.
[٨] ر م: من الجنان.
[٩] ر ث: ذوى؛ ن م: ذو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٦و.
[١٠] ر ن م: مودة.
[١١] ر ث م: يسره.
[١٢] ث: وبنيته.
[١٣] الزيادة من المرجع السابق.
[١٤] ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ (سورة يونس، ٥٨/١٠).
[١٥] ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله﴾ (سورة آل عمران، ١٥/٣).
[١٦] سورة الأعراف، ٩٦/٧.
[١٧] ن ث: منذرين.

فما تلوا[1] عليهم من أنباء الأولين دخل فيهم جميع الأوجه الثلاثة؛ إذا النِّذارة والبِشارة مرة تقع[2] بالابتداء ومرة بذكر[3] ما ينزل بالمتقدمين المصدقين منهم والمكذبين أن كيف كان عواقب [٨٤٨ظ] / هؤلاء وهؤلاء. وكذلك الدعاء والرحمة يكون مرة بابتداء الدعاء والزجر، و[مرة][4] بذكر[5] الأمم السالفة، وأن الرسل كيف كانوا يدعونهم ثانيا. *والله أعلم.*

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾[١٣] ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **ما لكم لا ترجون لله وقارا**، قال[6] أبو بكر الأصم: تأويله كيف لا ترجون[7] لله ثوابا فتعبدوه[8] فيثيبكم[9] بها وقد علمتم أن الخير كله في يده وأن الذي تعبدونه[10] من دون الله لا يملك[11] لكم نفعا ولا يدفع[12] عنكم ضرا، فجعل قوله: **وقارا**، مكان عبادة. *والله أعلم.* وقال غيره:[13] **ما لكم لا ترجون لله وقارا**، أي[14] ما لكم لا ترجون لأنفسكم عند الله منزلة وشرفا وقدرا. وقال بعضهم: أي ما لكم لا تخافون عظمة الله وقدرته[15] عليكم فتنتهُون[16] عما نهاكم[17] وتأتون ما أمركم به. وحملُ الرجاء على الخوف لما قد ذكرنا أن الرجاء المطلق يقتضي الخوف والرجاء جميعا، وكذلك الخوف المطلق يقتضي الرجاء.[18] *والله أعلم.*

---

[1] جميع النسخ: فما بلوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٦و.
[2] ن: يقع.
[3] ر م – بذكر.
[4] ر م: ويذكر؛ ن ث: وبذكر. والزيادة من المرجع السابق.
[5] ر م: ويذكر.
[6] ر ث م: وقال.
[7] ر ن م: لا يرجون.
[8] ر م: فيعبدوه.
[9] ر ن م: فينبئكم.
[10] ر ث م: تعبدون؛ ن يعبدونه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٦ظ.
[11] جميع النسخ: ما لا يملكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: ولا يدفعون. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ث + وقوله عز وجل.
[14] ر م – ما لكم لا ترجون لله وقارا أي.
[15] ن: وقدرة الله.
[16] ر م: فينتهون.
[17] ث + عنه.
[18] جميع النسخ: رجاء. والتصحيح من المرجع السابق.

والأشبه بالتأويل عندنا أن الرجاء لله[١] تعالى على مثال[٢] الغضب لله والحب لله والبغض لله؛ أي ما لكم لا تسعوْن سعيَ من يرجو ما عند الله على الوقار والهيبة بعد أن شاهدتم من نعم الله تعالى وإحسانه إليكم من خلق السماوات والأرض وتسخير الشمس والقمر وما ذكر من مننه في الآيات التي تتلوها.[٣] وذلك أن المرء إذا سعى لآخر على غير رجاء أو لم يرج أحدا استخف[٤] به. فألزمهم[٥] نوح عليه السلام [فَقْرَهم وحاجتهم إلى ربهم ثم عاتبهم على ترك السعي لله][٦] سَعْيَ من يرجوه على التوقير والهيبة؛[٧] على ما عليه في الشاهد أن الساعي للملوك والكبراء[٨] على الرجاء كيف يكون منهم توقيرهم إياهم وهيبتهم عنهم.[٩] ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **وقد خلقكم أطوارا**، فمن حمل قوله: **لا ترجون لله وقارا**، على حقيقة الرجاء فتأويله كيف لا ترجون[١٠] أن يَعْظُم قدركم عند الله عز وجل إذا أجبتم إلى ما دعاكم إليه. وفيما ذكر من خلقه إياهم أطوارا[١١] تذكير[١٢] لهم حسن صنيعه لهم فيما قلبهم من حال إلى حال من أول ما أنشأهم[١٣] إلى حالهم التي هم فيها، وكيف لا يرجون[١٤] إحسانه في حادث الأوقات إذا أقبلوا على طاعته واشتغلوا بعبادته. وإن كان قوله عز وجل: **لا ترجون لله وقارا**، على الخوف ففي ما ذكر من قوله عز وجل: **وقد خلقكم أطوارا**، تذكير العظمة والسلطان والقدرة. وهو أنه دبَّركم في تلك الظلمات الثلاث،[١٥] ولم يخفَ عليه أحوالكم فيها

---

[١] ر ن م: الله.

[٢] ر م: على مال؛ ن ث: على ما له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٦ظ.

[٣] جميع النسخ: يتلوها. والتصحيح من المرجع السابق.

[٤] جميع النسخ: أو لم يرجو أحدا استحقر. والتصحيح من المرجع السابق.

[٥] ر م: ما لزمهم.

[٦] الزيادة من المرجع السابق.

[٧] ن: والهينة.

[٨] ر م: والكبرياء.

[٩] ر م: عليهم.

[١٠] ر ن م: لا يرجون.

[١١] ر: طوارا.

[١٢] جميع النسخ: تذكر. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٣] ر: ما أنساهم.

[١٤] ر ث م: لا ترجون.

[١٥] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ (سورة الزمر، ٦/٣٩). انظر لتأويل «الظلمات الثلاث» تفسير الآية من *تأويلات القرآن* (٣٠٣/١٢).

بل قَلّبَكم من حال إلى حال كيف شاء، فكيف يخفى عليه أفعالكم في حال بروزكم وظهوركم؟ فيكون في ذكر هذا تنبيه أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمال الخلق، فيدعو ذلك إلى[1] المراقبة ويُلزم[2] التيقظ والتبصّرَ في كل[3] حال لئلا يُتعدى حدود الله ولا يضيّع حقوقُه، فيحُلّ به البوار والهلاك. فإذا حملتَ[4] التأويل على الرجاء فهو يخرج على غير الوجه الذي حملته على الخوف، لأنك إذا حملته على الرجاء[5] كان فيه تذكير عظيم نعمه عليهم من أول ما أنشأهم إلى الوقت الذي انتهوا إليه، فيحملهم ذلك على طلب ما يَشْرُف قدرهم عند الله تعالى وتحمد[6] عاقبتهم. وإن حملتَه على الخوف كان فيه تذكير القدرة والسلطان فيحملهم على المراقبة والاتقاء في حادث الأوقات. ومن حمل قوله عز وجل: **وقارا**، على العبادة فهو يخرج على غير الوجهين اللذين ذكرنا هما في الخوف والرجاء إذا صُرف إليهما التأويل، كأنه يقول:[7] إن الذي خلقكم أطوارا قد تعلمون أنه حكيم ومن هو حكيم[8] لا يسفه[9] وترْكُكم سدًى لا يأمركم ولا ينهاكم ولا يستأدى منكم شكر النعم سفه. فيكون في ذكر هذا ترغيب في العبادة وإخلاص الطاعة. ويكون في ذكر هذا أيضا تثبيت الربوبية وإلزام القول بالوحدانية، لأنه أنشأهم من أول ما أنشأهم نطفة ثم علقة ثم مُضغةً إلى أن خلقهم بشرا سويا.[10] فلو لم يكن المدبر والمنشئ واحدا[11] لكان يعجز عن تقليبه من حال إلى حال، لأنه إذا أراد أن ينشئ من النطفة[12] علقة ومن العلقة مضغة كان للآخر أن يمنعه عن تدبيره فلا يتهيأ له إنشاء علقة ولا مضغة.

---

[1] ر: ما لا.

[2] ن: ويلتزم.

[3] ث – كل.

[4] ر م: حمل.

[5] ر ث م – فهو يخرج على غير الوجه الذي حملته على الخوف لأنك إذا حملته على الرجاء.

[6] جميع النسخ: ويحمد.

[7] ن: يقوله.

[8] م – ومن هو حكيم.

[9] ن م: لا بسفه.

[10] ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سُلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عِظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (سورة المؤمنون، ١٢/٢٣–١٤).

[11] ر: واحد.

[12] جميع النسخ: من النطف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٦ظ.

فارتفاع المانع دليل على أن لا مدبر سواه ولا خالق غيره. فإذا ثبت انفراده بما ذكرنا ثبت أنه هو المستحِق للعبادة من الخلائق. وقال بعضهم معنى قوله: **وقد خلقكم أطوارا**، أي مختلف الأخلاق والصور والألوان والألفاظ والأصوات[١] والنغم[٢] حتى لا تَرَى[٣] أحدا يشبه[٤] آخر بجميع خلقته، وهذا من عظيم[٥] ما يستدل به على قدرته وحكمته. *والله الموفق*.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا**، قد ذكرنا أن قوله: **ألم تروا**، يقتضي تذكير أمر عرفوه فأغفلوا عنه، وقد يقتضي[٦] تذكير أعجوبة لم يَسبِق من الخلائق العلم بها[٧] يقول: قد رأوا أنه خلق سبع سماوات طباقا بغير علائق فوقها ولا أَعْمِدَةٍ[٨] تحتها، ومن قدر على خلق مثله لقادر على خلق كل ما يريد. فيكون فيه إيجاب القول[٩] بالبعث، إذ إعادتهم ليس بأعسر[١٠] من خلق السماوات في تقدير عقولكم، ومن قدر على خلقهن لقادر على البعث. *والله الموفق*.

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **وجعل القمر فيهن نورا**، منهم من يذكر أنه جعله نورا في السماء الدنيا وأضافه إلى جملة السماوات. وقد يجوز أيضا أن يضاف الشيء إلى العدد وإن لم[١١] يوجد ذلك إلا في البعض، يقال: في سبع قبائلَ مسجد واحد، والمسجد إذا كان واحدا فهو لا يكون في سبع قبائل وإنما يكون في قبيلة / واحدة. ويقال فلان توارى[١٢] في دُور قوم، [٨٤٩و]

---

[١] ن - والأصوات.
[٢] ر ث م: والنعم.
[٣] ر ن م: لا يرى.
[٤] ن: تشبيه.
[٥] م: أعظم.
[٦] جميع النسخ: فقد يقتضي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٧و.
[٧] ن - بها.
[٨] م: ولا عمد.
[٩] ث م: لقول.
[١٠] ن: بأعوز؛ ث: بأعور.
[١١] ر م + يكن.
[١٢] ر ث م: يوارى؛ ن: بوارى. والتصحيح من المرجع السابق.

وهو لا يكون متواريا في دور[١] جملتهم وإنما يكون متواريا[٢] في واحدة[٣] منهن، ثم أضيف التواري إلى الجملة. فكذلك أضاف نور القمر إلى السماوات السبع وإن كان القمر في سماء واحدة. ومنهم من ذكر أن نور القمر قد أحاط[٤] بجميع السماوات. وزعم أن وجهه إلى السماوات وظهره إلى أهل الأرض، ولهذا ما يعمل عليه السواتر[٥] من السحاب وغيره، فأما نور وجهه فإنه لا يستره شيء من السواتر. لكن هذا إنما يعرف بالخبر، فإن صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر فذلك هو وإلا فالإمساك عن مثله أحق.

وقوله عز وجل: **وجعل الشمس سراجا**، فذكر السراج هاهنا مكان الضوء في موضع آخر. وهو قوله: جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً،[٦] فذكر في القمر النور[٧] وفي الشمس الضياء، لأن القمر يكون في وقت الحاجة إلى النور، وذلك في ظلمة الليل. ثم الله تعالى أنشأ الليل ليُسْكَن فيه لكن قد يبدو للخلائق[٨] بالليل حوائج يحتاجون إلى قضائها،[٩] فمنَّ الله تعالى عليهم بنور القمر ليتوصلوا بنوره إلى قضاء حوائجهم،[١٠] وجعل الشمس ضياء ليَخْتَطِف ضوءها نورَ الليل ويغلب عليه ولا يختطف نور النهار نورَ الشمس. *والله أعلم*.

﴿وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **والله أنبتكم من الأرض نباتا**، فجائز أن يكون أضاف الإنبات إلى الأرض ويُرَدُّ ذلك إلى الأصل الذي خُلق من التراب وهو آدم عليه السلام، فنسب الفرع إلى الذي خلق [منه][١١] الأصل[١٢] لحدوثه منه، لا أن يكون خلق الجملة من التراب؛ وهو كقوله عز وجل:

---

[١] م + وهو لا يكون متواريا في دور قوم.
[٢] ر م – في دور جملتهم وإنما يكون متواريا.
[٣] ن ث: في واحد.
[٤] ر ث م: أخلط.
[٥] م: السوائر.
[٦] ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا﴾ (سورة يونس، ١٠/٥).
[٧] ر م: نورا.
[٨] م: للخلق.
[٩] ث: إلى قضائهن.
[١٠] ن: ليتوصلوا إلى قضاء حوائجهم بنوره.
[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٧و.
[١٢] ر ث م – وهو آدم عليه السلام فنسب الفرع إلى الذي خلق الأصل.

وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ،[١] والذي لنا في السماء هو المطر لا الذي نرتزق به ولكن الذي نرتزق[٢] به أصله[٣] المطر، فنسب إلى المطر،[٤] لأنه هو الأصل الذي يتوصل به إلى الأرزاق. فكذلك الخلائق لما كانوا من نسل آدم عليه السلام وكان هو أصلا لهم أضيف النسل إلى الذي حدث منه الأصل. ويحتمل أن يكون يرجع هذا[٥] إلى كل في نفسه، وذلك لأن حياة الأبدان وقوامها بالذي يخرج من الأرض وينبت منها من أنواع الأغذية. فإذا كان قوامها بما ينبت منها فكأنما أَنْبَتَنَا منها، فاستقام أن يضاف الإنبات إليها كما يستقيم أن يضاف خروج الثمار إلى الأرَضين وإن كان حدوثها من الأشجار، إذ قوام الأشجار[٦] وبقاؤها بها، فنسب ما يخرج منها إلى الأرضين[٧] على التقدير الذي ذكرنا.

ففي قوله: **والله أنبتكم من الأرض نباتا**، على التأويل الأول إثبات القدرة على البعث وإلزام الحجة على من يجحد كونه، لأنه يذكّرهم قدرته أنه أنشأهم من الأرض ولم يكونوا شيئا، فمن قدر على إنشائهم من الأرض بعد أن كانوا ترابا لقادر على أن يعيدهم إلى الحالة التي كانوا عليها من كونهم بشرا سويا وإن صاروا عظاما رفاتا،[٨] لأنهم كانوا يزعمون أن كيف يُعادون[٩] خلقا جديدا بعد أن صاروا ترابا،[١٠] فاحتج عليهم بأمر[١١] الابتداء من الوجه الذي ذكرنا. وإن كان على التأويل الثاني ففيه تذكير نعمه أن قد أخرج لهم من الأرض ما يتعيشون به ويقيمون[١٢] به أَوَدهم[١٣] ليستأدي[١٤] منهم الشكر. وفيه تذكير قوته وسلطانه ليخوّفهم عقابه فيتقوا سخطه ويطلبوا مرضاته.

---

[١] سورة الذاريات، ٢٢/٥١.

[٢] جميع النسخ: يرزق به ولكن الذي يرزق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٧و.

[٣] ر م: أصل.

[٤] م – فنسب إلى المطر.

[٥] ن – هذا.

[٦] ن + وقوامها.

[٧] ر ث م: إلى الأرض.

[٨] ر ث م: ورفاتا.

[٩] ر ن م: يعادوا.

[١٠] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا أإذا كنا عِظاما ورُفاتا أ إنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ (سورة الإسراء، ٤٨/١٧-٤٩).

[١١] ر: بالأمر.

[١٢] ن: وتقيمون.

[١٣] يقال: أقام أَوَدَه: قوّم اعوجاجه (*المعجم الوسيط*، «أود»).

[١٤] ر م: يستأدى؛ ن ث، أو ليستأدي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٧و.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا**، فجمع بين الإعادة والإخراج بحرف الجمع، وجعل قوله عز وجل: **ويخرجكم**، في موضع ثم، لأن هذا الإخراج يكون بعد الإعادة إلى الأرض، فيكون في هذا دليل أن أحد[١] الحرفين وهو الواو قد يستعمل مكان ثم.

﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **والله جعل لكم الأرض بساطا**، أي جعلها كالشيء المبسوط الذي يُنتفع ببسطه،[٢] ولو لم يجعلها كذلك لم يتوصلوا إلى حوائجهم ولا الانتفاعِ بها.[٣] ففي ذكر هذا تذكير ما لله[٤] تعالى عليهم من عظيم المنة.

﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾[٢٠]

وقوله: **لتسلكوا منها سبلا فجاجا**، قيل: الفجاج هي[٥] الطرق الواسعة؛ وقيل: السُّبل في السهل، والفجاج الطرق في الجبال.[٦] وهذا أيضا من عظيم نعم الله تعالى على عباده، لأن الله تعالى قدّر أرزاق الخلق في البلاد فلو لم يجعل[٧] لهم في الأرض سبلا لم يجدوا طريقا يسلكونه فيتوصلون به إلى ما به قوام أبدانهم، فصارت الطرق المتخذَة لما نسلك[٨] فيها فنصل[٩] إلى حوائجنا وإلى معايشنا كالدواب التي سخرت لنا فنتوصل[١٠] بها إلى حوائجنا. وهذا يبين لك أن مُلك أقطار[١١] الأرض وتدبيرها يرجع إلى الواحد القهار، لأنه أحوجَ الخلقَ في الانتشار[١٢] إلى البلاد لإقامة أَوَدِهم، وجعل لهم سببا يتوصلون إلى ذلك، فثبت أن مالك الأقطار واحد.

---

[١] ن ث: إحدى.
[٢] ر م: يبسط.
[٣] م – بها.
[٤] ر م: بالله.
[٥] ر م – هي.
[٦] ر م: في الجبل.
[٧] ر م: فلو جعل.
[٨] ر: لا يسلك به؛ ن ث م: لما يسلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٧ظ.
[٩] ن: فيصل.
[١٠] ن: فيتوصل.
[١١] ن: أقصار.
[١٢] ر م: في الأنساب؛ ث: في الانتساب.

﴿قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **قال نوح رب إنهم عصوني**، أي عصوني فيما أمرتهم به أو فيما دعوتهم إليه. وقوله عز وجل: **واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا**، يشبه أن يكون المتبوعون هم الكفرةَ[١] الذين كثرت أموالهم وحواشيهم؛ استتبعوا مَن دونهم فتبعوهم[٢] ولم يتبعوا نوحا عليه السلام؛ وقد كان نوح يدعوهم إلى اتباعه. فأخبر أنهم لم يتبعوه وإنما تبعوا من كثرت أمواله وأولاده وحواشيه. فيكون هذه الآية في الأتباع أنهم / اتبعوا[٣] أجلتهم ورؤساءهم ليس في رؤسائهم وما [٨٤٩ظ] تقدم من الآيات في أجلتهم من دعاء نوح عليه السلام إياهم إلى التوحيد وغيره. ويحتمل أن يكون هذه الآية في الأجلة والضعفة جميعا فيكون قوله تعالى: **واتّبعوا**، أي اتبعوا من تقدمهم من أهل الثروة والغنى[٤] والذين[٥] وُسّعت عليهم الدنيا وبسطت لهم، ظنا منهم أنهم أحق بالله تعالى وأقرب إليه في المنزلة. والذي حملهم على هذا هو أنهم[٦] لا يرون أحدا في الشاهد يترك[٧] صلة وليه ويصل عدوه، فيرون أنه إذا بُسطت على رؤسائهم الدنيا [و]وسّع الله تعالى عليهم وضيّق على هؤلاء أن أولئك أقرب منزلة وأعلى حالا وأنهم هم الأولياء، وهم لا يؤمنون بالآخرة وثوابها. فكانوا يزعمون أنه يوفِّر الجزاءَ على الأولياء والمحسنين في الدنيا، وزعموا أن من وُسّع عليه الدنيا فهو أحق أن يكون وليا لله تعالى حيث وصل إليه الجزاء فيها، فهذا الظن هو الذي حملهم على الاتِّباع.[٨]

وقوله عز وجل: **إلا خسارا**، أي بَوارا وهلاكا لذلك المتبوع، فكانت تلك النعم التي ظنوا أنهم أكرموا بها بصنيعهم سببا لخسارهم. ثم قوله عز وجل: **واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا**، كقوله: فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.[٩] ثم قد بينا تأويل شكايته إلى الله تعالى من قومه،[١٠] فهذه الآية وتلك الآيات في معنى تأويل الشكاية إلى الله تعالى واحد.

---

[١] جميع النسخ – الكفرة. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٧ظ.
[٢] ر ن م: فيتبعوهم؛ ث: فاتبعوهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ر م + أنهم اتبعون.
[٤] جميع النسخ: والغنا.
[٥] ث: والغناء الذين.
[٦] جميع النسخ: وهو أنهم.
[٧] ر: ترك؛ ث: بترك؛ م: تركك.
[٨] ر: على اتباع.
[٩] سورة التوبة، ٥٥/٩.
[١٠] انظر تأويل الآية ٥ وما بعدها من هذه السورة.

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **ومكروا مكرا كبارا**، قال بعضهم: إنهم كانوا[١] يمكرون ما يمكرون بألسنتهم، حيث كانوا يدعونهم إلى الكفر والصد عن سبيل الله، فكَنَّى بالمكر عما قالوه بألسنهم[٢] فكان ذلك مكرا كبارا أي قولا عظيما. وجائز أن يكون على حقيقة المكر، وهو أن رؤساءهم مكروا بأتباعهم حيث قالوا: إن هؤلاء لو كانوا أحق بالله تعالى منا لكانوا هم الذين يوسّع عليهم ويُضيّق علينا، فإذا[٣] وُسّع علينا وضيق عليهم ثبت أنا نحن الأولياء والأصفياء دون[٤] غيرنا. وهذا منهم مكر عظيم لأنه يأخذ قلوب أولئك فيصدهم عن سبيل الله تعالى. وجائز أن يكون مكرهم ما ذُكر أنهم كانوا يأتون بأولادهم الصغار إلى نوح عليه السلام ويقولون لهم: إياك واتباعَ هذا فإنه ضال مضل، فكان هذا مكرهم بصغارهم.

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا**، الآية. هذه المقالة منهم كانت بعد أن انقادت[٥] لهم الأتباع واتبعتهم[٦] إلى ما دعوهم إليه من عبادة الأصنام.[٧] فقالوا بعد ذلك: **لا تذرن آلهتكم**، أي لا تذرن عبادتها. وقوله عز وجل: **ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا**، هي أسماء الأصنام التي كانوا يعبدونها.[٨] ثم يحتمل أن يكون الذي بعثهم على عبادة الأصنام ما ذكره أهل التفسير[٩] أن قوم نوح اتخذوا هذه الأصنام

---

[١] ر ن م – كانوا.

[٢] ر: بسنتهم.

[٣] ث: فإذ.

[٤] م: بدون.

[٥] ث م: انقاده.

[٦] م: واتبعهم.

[٧] ر ث م: من الأصنام.

[٨] عن ابن عباس رضي الله عنهما صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بَعْدُ. أما وَدٌّ فكانت لكلب بدُومَة الجَنْدَل، وأما سُواعٌ فكانت لهذيل، وأما يَغُوثُ فكانت لمُرَادٍ ثم لبني غُطَيْفٍ بالجُرُف عند سَبَإٍ، وأما يَعُوقُ فكانت لهَمْدانَ، وأما نَسْرٌ فكانت لِحِمْيَر لآل ذي الكَلَاع، أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح. فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصِبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلم عُبِدَتْ (*صحيح البخاري*، تفسير القرآن ٧١).

[٩] ر: على التفسير.

أولَ ما اتخذوها على صورة رجال عبّاد كانت هذه الأسماء أسماءهم فسمّوا الأصنام بأسماء العُبّاد ليعتبروا بها ويجتهدوا في العبادة إذا نظروا إليها. فلما مضى ذلك القرن الذي اتخذوها عِبرْة وتَخلَّفَهم[١] قرن بعدهم قال لهم الشيطان: إن الذين[٢] مِن قبلكم كانوا يعبدون هذه الأصنام، فعبدوها. ومنهم من ذكر أن جسد آدم عليه السلام كان عند نوح، يترك كلَّ مؤمن في زمانه أن يدخل فينظر إلى جسد آدم[٣] عليه السلام، ومن لم يكن مؤمنا لم يَدَعْه أن ينظر إليه. فجاء إبليس إلى الكفار فقال: أيفخر نوح ومن آمن به عليكم بجسد آدم وأنتم كلكم ولده، فصنع لكل قوم صنما على صورة آدم فكانوا يعبدون تلك الصورة.[٤] ويحتمل أن يكون الذي بعثهم على ذلك هو أنهم لم يروا أنفسهم تصلح[٥] لعبادة رب العالمين كما يرى هؤلاء الذين يخدمون الأجلة في الشاهد لا يَطمع كل واحد منهم في خدمة الملوك ولا يرى نفسه أهلا لخدمتهم، بل يشتغل بخدمة من دونه أوّلاً على رَجاء أن يقربه إلى المَلِك. فكذلك[٦] هؤلاء حسبوا أنهم لا يصلحون لخدمة رب العالمين، فكانوا إذا رأوا شيئا حسنا كانوا يظنون أن حُسْنه لمنزلة له عند الله تعالى لا غير. فكانوا يُقبلون على عبادته رَجاءَ أن يقربهم إلى الله تعالى. فجعلوا الأصنام على أحسن ما قدروا عليه، ثم اشتغلوا بخدمتها وعبادتها رجاء أن يقربهم إلى الله تعالى كما[٧] قال عز وجل حكاية عنهم: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى،[٨] وقال:[٩] وَيَقُولُونَ هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ.[١٠] فجائز أن يكون هذا الحِسْبان هو الذي حملهم على عبادتها وتعظيم شأنها. والله أعلم أيَّ ذلك كان.

---

[١] ن: وحلفهم.

[٢] ر ن م: إن الذي.

[٣] ن: إلى آدم.

[٤] وذُكر أيضًا عن ابن عباس: أن نوحًا عليه السلام، كان يحرس جسد آدم عليه السلام على جبل بالهند، فيمنع الكافرين أن يطوفوا بقبره، فقال لهم الشيطان: إن هؤلاء يفخرون عليكم ويزعمون أنهم بنو آدم دونكم، وإنما هو جسد، وأنا أصوّر لكم مثله تطوفون به، فصوّر لهم هذه الأصنام الخمسة وحملهم على عبادتها (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٣٠٨/١٩).

[٥] جميع النسخ: يصلح. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٨و.

[٦] ث: فلذلك.

[٧] ر ث م – كما.

[٨] سورة الزمر، ٣/٣٩.

[٩] ن – وقال.

[١٠] سورة يونس، ١٨/١٠.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **وقد أضلوا كثيرا**، فجائز أن يكون أريد به الكبراء أنهم أضلوا كثيرا،[١] أي دعوا إلى الضلال وزينوه في قلوبهم فأضلوا[٢] سفهاءهم[٣] بذلك. وجائز أن يكون أريد به الأصنام ولكن حقه إن كان على الأصنام أن يقول: وقد أضللن كثيرا كما قال إبراهيم عليه السلام: رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ.[٤] ولكن الإضلال من فعل الممتحَنين، والأصنام ليست لها أفعال، فلما نسب إليها نسبةَ من يوجد[٥] منه الفعل / أُخرج الخطاب على الوزن [٨٥٠و] الذي يخاطب به من يوجد منه هذا الفعل، وهو كقوله تعالى: وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا،[٦] فأضاف إلى القرية فعل أهلها. والفعلُ إذا أضيف إلى الأهل أضيف بلفظ التذكير، ثم أَنّث هاهنا لإضافة[٧] فعل الأهل إلى القرية، ولو كانت القرية بحيث[٨] يكون منها الفعل لكان الخطاب يقع[٩] عنها بلفظة[١٠] التأنيث لا بلفظة[١١] التذكير. فحيث أضيف إليها فعل أهلها أُنّث كما يوجب لو كان الفعل متحققا منها. ثم الأصنام لا يتحقق منها الإضلال ولكن معنى[١٢] الإضافة هاهنا هو أنها انشئت على هيئة[١٣] لو كانت تلك الهيئة ممن يُضل لأَضلَّ، وهو[١٤] كما قلنا[١٥] في تأويل[١٦] قوله عز وجل: وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا.[١٧]

---

[١] ن – فجائز أن يكون أريد به الكبراء أنهم أضلوا كثيرا.
[٢] جميع النسخ ما ضلوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٨و.
[٣] ث: سفهاهم.
[٤] سورة إبراهيم، ٣٦/١٤.
[٥] ن ث – يوجد.
[٦] سورة الطلاق، ٨/٦٥.
[٧] ر ن ث: الإضافة.
[٨] ث: يبحث.
[٩] جميع النسخ يرتفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ن م: بلفظ.
[١١] ر ث م: لا بلفظ.
[١٢] جميع النسخ: بمعنى. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ر: على هيئته.
[١٤] ر م: هو.
[١٥] ن: قالنا.
[١٦] ر ث م: في تأويله.
[١٧] سورة الأنعام، ٧٠/٦، ١٣٠؛ وسورة الأعراف، ٥١/٧.

وقوله عز وجل: **ولا تزد الظالمين إلا ضلالا**، فهذا يشبه أن يكون بعد ما بُين له أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ،[١] فإذ علم أنهم لا يؤمنون لم يَدْعُ[٢] لهم بالهدى ولكن دعا الله تعالى ليزيد في إضلالهم، ويكون الإضلال عبارة عن الهلاك،[٣] والضلال [عبارة عن][٤] الهلاك،[٥] قال الله تعالى: وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ،[٦] أي هلكنا.[٧]

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا**، فحرف[٨] ما هاهنا صلة في الكلام، ومعناه: بخطيئاتهم أو من خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا في الآخرة، أو أغرقت[٩] أبدانهم وأجسادهم ورُدّت أرواحهم[١٠] إلى النار. **فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا**، أي لم يجدوا لأنفسهم بعبادتهم مَن عبدوا مِن دون الله أنصارا من المعبودين، لأنهم كانوا يعبدون من يعبدون من دون الله ليقربهم[١١] إلى الله ويكونوا لهم شفعاء وعزًّا،[١٢] فلم يجدوا الأمر على ما قدّروه عند أنفسهم.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا**. قيل: تأويله: لا تذر على الأرض من الكافرين ساكن دارٍ، وإذا لم يبق منهم ساكن دار فقد ماتوا جميعا وهلكوا،[١٣] فكأنه يقول: لا تذر منهم أحدا.

---

[١] ﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾ (سورة هود، ٣٦/١١).
[٢] ر ث م: لم يدعو؛ ن: لم يدعوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٨و.
[٣] ر م: من الهلاك.
[٤] الزيادة من المرجع السابق.
[٥] ن ث م: والهلاك.
[٦] ﴿وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد﴾ (سورة السجدة، ١٠/٣٢).
[٧] ر: أي أهلكنا.
[٨] ر م: فحذف؛ ن ث: فحذف. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر: إذا غرقت؛ ن م: إذا مزقت؛ ث: إذا أغرقت. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر م: أزواجهم.
[١١] ر ث م – أنصارا من المعبودين لأنهم كانوا يعبدون من يعبدون من دون الله ليقربهم؛ ث: فقربهم.
[١٢] يقول الله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣/٣٩)؛ ويقول: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ (سورة يونس، ١٨/١٥)؛ ويقول أيضا: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عِزًّا﴾ (سورة مريم، ٨١/١٩).
[١٣] ر ث م: فهلكوا؛ ن: مادوا جميعا وهلكوا.

﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **إنك إن تذرهم يضلوا عبادك**، هذا كلام شنيع في الظاهر من نوح عليه السلام، لأنه خارج مخرج الإنكار على الله تعالى لو تركهم ولم يهلكهم. وهذا يشبه بقول من قال: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ،[١] وهذا أيضا خارج مخرج التنكير[٢] لله تعالى أنه لو أبقاهم أدى ذلك إلى إضلال العباد. وفيه تقدم بين يدي الله تعالى، وذلك عظيم. ولأنه ليس في شرط الألوهية إهلاك مَن عملُه الإضلال، ألا ترى أن إبليس اللعين وأتباعه جُلُّ سعيه في إضلال بني آدم، ثم لم يُستأصلوا و لم يُهلكوا بل أُبقوا إلى الوقت المعلوم. ولكنه يجوز أن يكون دعا[٣] عليهم بعد أن أذن له[٤] بالدعاء[٥] عليهم بالهلاك والبوار،[٦] فيكون الدعاء بالهلاك على تقدم الأدب. والأصل أن الرسل عليهم السلام بُعثوا لدعاء[٧] الخلق إلى الإسلام وكانوا في دعائهم راجين للإسلام[٨] منهم خائفين عليهم بدوامهم على الكفر. فلما[٩] قيل لنوح[١٠] عليه السلام: أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ،[١١] وقع له الإياس عن إسلام من تخلف[١٢] عن الإيمان فارتفع معنى الدعاء إلى الإسلام. فجائز أن يرد له[١٣] الإذن بعد ذلك بالدعاء عليهم بالهلاك فيدعو إذ ذاك. ثم يكون قوله: **إن تذرهم يضلوا عبادك**، خارجا[١٤] مخرج الإشفاق والرحمة على من معه من المؤمنين، وهو أن الذين داموا على الكفر لو أبقُوا خيف منهم[١٥]

---

[١] سورة البقرة، ٢/٣٠.
[٢] ر ن ث: التكبير؛ م: التذكير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٨و.
[٣] ر ث: دعاء.
[٤] ث – بعد أن أذن له.
[٥] ث: دعاء.
[٦] ن: والثواب.
[٧] ر: الدعاء.
[٨] ر ث م: الإسلام.
[٩] جميع النسخ: فيما. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٨ظ.
[١٠] ر م: نوح.
[١١] سورة هود، ١١/٣٦.
[١٢] ن: يخلف.
[١٣] ر + له.
[١٤] ر ث م: خارج.
[١٥] ر ث م: منهم؛ ن + على الكفرة.

أن يُضلوا المؤمنين ويعيدوهم[١] إلى ملتهم.[٢] فيكون شفقته على المسلمين داعية له إلى الدعاء على الإهلاك[٣] على الكفرة[٤] لئلا يتوصلوا إلى الإضلال.

وقوله عز وجل: **ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا**، وقت بلوغهم المحنة والابتلاء، فحينئذ يوجد منهم الفجور لا أن[٥] يلدوا فجارا كفارا، إذ لا صنع[٦] لهم في ذلك الوقت. وهو كقوله تعالى: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ،[٧] أي نبتليه لوقت بلوغه[٨] المحنة والابتلاء لا أن يُبْتَلَى وقتَ ما يُنْشَأُ.[٩] وفي هذه الآية دلالة أن الكفر قد يقع عليه اسم الفجور، لأنه أُخرج[١٠] قوله: **كفارا**، مخرج التفسير لقوله: **فاجرا**، لذلك[١١] استقام أن يحمل تأويل قوله تعالى: وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ،[١٢] على الكفرة.

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا**، هكذا الواجب على المرء في الدعاء والاستغفار أن يبدأ بنفسه ثم بوالديه ثم بالمؤمنين. ثم قوله:[١٣] **بيتي**، قال بعضهم:[١٤] سفينتي، وقال بعضهم:[١٥] **بيتي**،[١٦] ديني، فيكون البيت كناية عن الدين والملة.[١٧]

---

[١] جميع النسخ: ويغيروهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٨ظ.
[٢] ث: أصلهم.
[٣] جميع النسخ: على الهلاك. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] ر م: على الكفر.
[٥] ر ث م: لأن.
[٦] ر ن م: أو لا صنع؛ ث: ولا صنع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] سورة الإنسان، ٢/٧٦.
[٨] ر م: بلوغ.
[٩] ر: ما ينسأ؛ م: ما يشاء.
[١٠] ر ث م: الفجور لو خرج.
[١١] ر ث م – لذلك.
[١٢] سورة الانفطار، ١٤/٨٢.
[١٣] جميع النسخ: + في. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] جميع النسخ: + أي في. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٥] جميع النسخ: + في. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٦] جميع النسخ: + أي في. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٧] الزيادة من المرجع السابق.

وقال بعضهم: إنما هو بيته الذي يسكن فيه لما أطلعه الله تعالى أن من دخل بيته[1] مؤمنا لا يعود إلى الكفر. {قال الشيخ رحمه الله:} ثم إن أرجى[2] الأمور للمؤمنين في الآخرة دعاء الأنبياء والملائكة عليهم السلام في الدنيا، لأنهم إنما يدعون بعد الإذن لهم بالدعاء، ولا يحتمل أن يأذن الله تعالى لهم بالدعاء ثم لا يجيب[3] دعوتَهم.[4] وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن نوحا عليه السلام دعَا بِدَعْوتين. إحداهما للمؤمنين بالاستغفار والتوبة، والثانية على الكفار بالبوار والتبار،[5] وقد أجيبت دعوته فيما دعا على الكفرة فلا يجوز أن يجاب في شر الدعوتين، ثم لا يجاب في خير الدعوتين.[6]

وقوله عز وجل: **ولا تزد الظالمين إلا تبارا**، قيل: كَسْرا وذُلًّا[7] وصغارا؛ فإنه مشتق[8] من التَّبْر / وكل مكسور يقال له: تَبْر، فكأنه يقول: إكْسِرْ مَنَعَةَ الظالمين وشوكتهم. فإن كان التأويل هذا فهو يقع على جميع الظَّلَمة من كان في وقته ومَن بعده. وقيل: التبار الهلاك. فإن كان هذا معناه فهو على ظالمي زمانه، إذ لا يجوز للأنبياء عليهم السلام أن يدعوا على قوم إلا أن يؤذن لهم بالدعاء عليهم، وإنما جاءه[9] الإذن في حق قومه فأما في حق غيرهم لم يثبت، فلا يجوز القول فيه إلا بما تواتر الخبر به[10] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. *والله أعلم*.[11]

[٨٥٠ظ]

---

[1] ن: بينه.

[2] ر: رجى.

[3] ر: لا يجب.

[4] ن: دعائهم.

[5] ث: والثبار.

[6] روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه كان إذا قرأ القرآن في الليل، فمر بآية فيقول لي: يا عكرمة ذكرني عند هذه الآية غدًا. فقرأ ذات ليلة هذه الآية، فقال: يا عكرمة، ذكرني غدًا. فذكرته ذلك، فقال: إن نوحًا دعا بهلاك الكافرين، ودعا للمؤمنين بالمغفرة، وقد استجيب دعاؤه في المؤمنين، فيغفر الله تعالى للمؤمنين والمؤمنات بدعائه، وبهلاك الكافرين فأهلكوا (*بحر العلوم* للسمرقندي، ٣/٤٠٩).

[7] ر: أو ذلا.

[8] م: اشتق.

[9] ر م: جاء.

[10] ن - به.

[11] ر: والله أعلم بالصواب؛ ث - والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجن[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرآنًا عَجَبًا﴾[١]

قوله عز وجل: **قل أُوحِيَ إِلَيَّ أنه استمع نفر من الجن،** اختلف في السبب الذي كان به مجيء الجن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمنهم من ذكر أن إبليس صعد إلى السماء فوجدها قد[2] ملئت حَرَسا شديدا وشُهُبا، فتيقن[3] أن قد حدث في الأرض حادث؛ ففرق جنوده ليعلم علم ذلك. ومنهم من يقول بأن الأصنام [قد][4] خَرَّت لوجوهها[5] حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلم إبليس أنه حدث في الأرض[6] حادث حتى خرّت له الأصنام، ففرق جنوده ليصل إلى علم ذلك. ثم من الناس من يزعم أن قصة هذه السورة وقصة قوله عز وجل:[7] وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ،[8] واحدة. وقال بعضهم بأن هؤلاء النفر الذين ذكروا في هذه السورة كانوا من مشركي الجن، والذين ذكروا في سورة الأحقاف[9] كانوا من يهود الجن،

---

[1] ر – سورة الجن؛ ث + وهي ثمان وعشرون آيات مكية.
[2] م – قد.
[3] م: فتبقن.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٨ظ.
[5] ث: لوجهها.
[6] ر م + خير؛ ن ث + خبر. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ن م – عز وجل.
[8] سورة الأحقاف، ٤٦/٢٩.
[9] ر + الأحقاف.

دليله أنه قال في هذه السورة فيما حكى عن الجن: وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا،[1] واليهود يقرّون بالبعث ولا ينكرونه،[2] فثبت أنهم كانوا من جنس المشركين. وقال في سورة الأحقاف: قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ،[3] فثبت أنه قد كان عندهم علم بالكتاب المنزل على رسول الله موسى[4] صلى الله عليه وسلم وكانوا به مقرين، واليهود هم[5] الذين يؤمنون بكتاب موسى لا غير.

ثم فيما حكى الله تعالى عن الجن من تصديقهم هذا الكتاب واستماعهم[6] ما جرى من المخاطبات فيما بينهم فوائد. أحدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا إلى الجن والإنس حتى صَرف الجن إلى الاستماع إليه. وفيه أنهم لما أخذوا القرآن من لسانه قاموا[7] فيما بين القوم بإنذارهم وأعانوه في التبليغ على ما أخبر عز وجل: فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ.[8] وفيه أن أولئك النفر تسارعوا[9] إلى الإجابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكون فيه تسفيهُ قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين نشأ بين أظهرهم، لأنهم عرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم بالصيانة والعدالة و لم يقفوا منه على كذب قط. وحق من يُعرف بالصدق إن لم يصدَّق أن لا يُتَسارع إلى تكذيبه فيما يأتي من الأنباء، بل يوقَف في حاله[10] إلى أن يتبين[11] منه ما يُظهر كذبه. وقومه استقبلوه بالتكذيب و لم يعاملوا معه[12] معاملة من كان معروفا بالصدق والصيانة. والجن الذين صدَّقوه لم يكونوا عارفين بأحواله فيما قبلُ أنه صدوق أو ممن يُرتاب في خبره، ثم تسارعوا إلى تصديقه بما لاحت لهم الحجة[13] وثبت[14] عندهم آية الرسالة،

---

[1] الآية ٧ من هذه السورة.
[2] ر م: ولا ينكرون.
[3] سورة الأحقاف، ٣٠/٤٦.
[4] ر م – موسى.
[5] ر م: وهم.
[6] ن: وأسماعهم.
[7] جميع النسخ: قالوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٨ظ.
[8] سورة الأحقاف، ٢٩/٤٦.
[9] ن: يتسارعوا.
[10] ر: من الأنبياء بل يوقف في حاله؛ ث – في حاله.
[11] ر ث م: إلى أن تبين؛ ن: إلى أن يبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٩و.
[12] ر م – معه.
[13] ث: الجنة.
[14] ر ن م: و يثبت.

وعاملوا معه معاملة من قد عُرف بالصدق، فدل أنهم كانوا في غاية من السفه. وفيه أيضا دلالة رسالته[١] صلى الله عليه وسلم، لأن قوله تعالى: **فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا** يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ،[٢] إلى آخر ما يحاورون[٣] فيما بينهم إخبار عن علم الغيب وهذا لا يعرف إلا بمن عنده علم الغيب،[٤] فثبت أنه بالله تعالى عَلِمَ.

ثم يجوز أن يكون الذي حملهم على الإيمان به ما عرفوا أنه أتى بالمعجز الذي يُعجز الخلق عن إتيان مثله، وبما وقفوا على[٥] إحكام معانيه وحسن تأليفه ونظمه. وفيه[٦] أن رسول الله صلى الله لم يَشعر بمجيئهم حتى أوحي إليه أنه قد أتاه نفر من الجن واستمعوا إلى ما أوحي إليه، فيكون فيه دلالةٌ على فساد قول الباطنية حيث يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم قَبِلَ الوحي بالجسد الروحاني، لأنه لو كان كما وصفوا لرأى[٧] الجن عند ما حضروا إليه، إذ[٨] الجسد الروحاني مما يُبصر الجنَّ[٩] ولم يكن يوحى إليه فيعرف أن قد حضره نفر من الجن. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام أن يراه على صورته، فقال له جبريل: إنك لا تطيقه، لأن الأرض لا يسعني ولكن انظر إلى أفق السماء.[١٠] ولو كان يأخذ الوحي بالجسد الروحاني لكان قد رأى جبريل عليه السلام على صورته، فيبطل فائدة هذا[١١] السؤال.

---

[١] م: رسالة رسول الله.

[٢] الآية التالية.

[٣] جميع النسخ: إلى آخر القصة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٩و.

[٤] ر م – وهذا لا يعرف إلا بمن عنده علم الغيب.

[٥] ر: فساد.

[٦] ر ث م – وفيه.

[٧] ر: الرأي.

[٨] م – إذ.

[٩] ر ث: الحق.

[١٠] وحكى الثعلبيّ عن ابن عباس، قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل: «إني أحبُّ أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء» قال: لن تقدر على ذلك. قال: «بلى» قال: فأين تشاء أن أتخيَّل لك؟ قال: «بالأبطح». قال: لا يسعُني. قال: «فبِمنًى؟» قال: لا يسعني. قال: «فبعرفات؟» قال: ذلك بالحريّ أن يسعني. فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت، فإذا هو قد أقبل بخَشْخَشةٍ وكَلْكلةٍ من جبال عَرَفات، قد ملأ ما بين المشرق والمغرب؛ ورأسه في السماء ورجلاه في الأرض. فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم خرّ مغشيًا عليه، فتحول جبريل في صورته، وضمه إلى صدره. وقال: يا محمد! لا تخف؛ فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في تُخوم الأرض السابعة، وإن العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل أحيانًا من خشية الله، حتى يصير مثل الوَصَع يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمته (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٤١/١٩؛ وانظر أيضا: *معالم التنزيل* للبغوي، ٣٥٠/٨).

[١١] ر: هذه؛ م – هذا.

فثبت أن الأمر ليس كما زعموا، بل كان يقبله بالصورة الجسدانية وأنه كما وصفه الله تعالى بقوله: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ،[1] الآية. قال القُتَبِي: النفر ما بين الثلاثة إلى التسع.[2]

وقوله عز وجل: **إنا سمعنا قرآنا عجبا**. قال بعضهم: العجب الغريب، وإنما استغربوا ذلك منه لأنهم سمعوا من أمي لا يعرف الكتابة ولا يقرأ الكتب. ومنهم من قال بأن حسن[3] تأليفه ونظمه ورَصْفه[4] هو الذي حملهم على التعجب. ومنهم من قال: إنما تعجبوا من آياته وحججه، / لأنه جاء في تثبيت التوحيد وإثبات الرسالة وإثبات البعث، ولم يكن لهم معرفة بالوحدانية بل كانوا أهل شرك، ولم يكونوا أهل معرفة بالبعث ولا بالرسالة[5] فكانت الآيات عجيبة حيث قررت عندهم هذه الأوجه. ***والله أعلم***. [٨٥١و]

ثم في هذه السورة[6] وفي قوله تعالى: وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ،[7] إخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يَشْعُر بمجيئهم. وروي في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما تلا على[8] أصحابه سورة الرحمن قال لأصحابه: «إن الجن كانوا أحسن إجابةً منكم، إني تلوت عليهم[9] هذه السورة فكانوا يقولون: ما بشيء[10] من آلائك[11] نكذب رَبَّنا فلك الحمد».[12] ففي هذه الخبر دلالة أنه قد رآهم وشعر بمجيئهم، فيكون فيه[13] إثبات الوجهين جميعا أن قد شعر مرة ولم يشعر أخرى. ثم يجوز أن يكون رآهم بما قوّى الله عز وجل بصره

---

[1] سورة الكهف، ١٨/١١٠؛ وسورة فصلت، ٤١/٦.

[2] ﴿نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ يقال: "النفر" ما بين الثلاثة إلى العشرة (*تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٨٩).

[3] ث: بأحسن.

[4] ر م: ووصفه.

[5] ر م: والرسالة.

[6] ر ث م – السورة.

[7] سورة الأحقاف، ٤٦/٢٩.

[8] ن – على.

[9] ر: عليكم.

[10] ر ث م: ما شيء.

[11] ن: من الآلائك.

[12] عن جابر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال: «لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم، كنت كلما أتيت على قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ قالوا: لا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد» (*سنن الترمذي*، تفسير القرآن ٥٥).

[13] م – فيه.

حتى احتمل إدراك الجن وضعفت أبصار غيره عن رؤيتهم،[١] ألا ترى أن أهل الجنة يرون الملائكة عند ما يأتيهم بالتُّحف من ربهم فيقوّي[٢] الله عز وجل بصرهم حتى يعاينوا الملائكة بجوهرهم وإن ضعفت أبصارهم عن الرؤية في الدنيا، فعلى ذلك[٣] يجوز أن يكون الله قوّى بصر نبيه صلى الله عليه وسلم حتى رأى الجن على صورتهم. وجائز أن يكون الله تعالى[٤] صوّر الجن على صورة[٥] الإنس حتى رآهم وشعر بمجيئهم. *والله أعلم*.

ثم ما ذكرنا من السببين[٦] في أمر مجيء الجن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول السورة من قول أهل التأويل لا يُقطَع القول بذلك وإن كان في حد الإمكان والجواز، لأنهم تكلفوا استخراج ذلك بالتدبّر[٧] والاجتهاد، وما كان سبيل معرفته الاجتهادَ لم يجز أن يقطع القول فيه بالشهادة. وقد يجوز أن يكون الذي حملهم على المجيء غيرَ ذَيْنك الوجهين. وهو أن يكون النفر من منذري الجن، لأنه ذُكر أن من الجن نُذُرًا[٨] وأن الرسل من الإنس دون الجن. فتفرقوا[٩] على[١٠] رجاء أن يظفروا برسول فيتلقّفُوا منه ما يقومون[١١] به بالنذارة فيما بين قومهم. أو[١٢] كانوا يصعدون إلى السماء فيسمعون الأخبار وينذرون[١٣] قومهم بها. ثم انقطع علم[١٤] ذلك عنهم حيث لم يجدوا مسلكا إلى الصعود، لأنها قد مُلئت حرسا[١٥] وعلموا أن الله عز وجل لا يقيهم[١٦] حَيَارى،[١٧]

---

[١] ن: عن رؤسهم.
[٢] ر: فيقري.
[٣] جميع النسخ: ففي ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٩و.
[٤] ن – قوى بصر نبيه صلى الله عليه وسلم حتى رأى الجن على صورتهم وجائز أن يكون الله تعالى.
[٥] ث + الإنس.
[٦] جميع النسخ: من السندين. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر ن م: بالتدبير.
[٨] جميع النسخ: نذيرا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ن: فيفرقوا.
[١٠] ث – على.
[١١] جميع النسخ: ما يقوموا. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر م: إذا؛ ن ث: إذ. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ر ن م: وتنذروا؛ ث: وينذروا. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] ر: على.
[١٥] انظر: تفسير الآية ٨ من هذه السورة.
[١٦] ر: لا يقهم؛ ن – لا يقيهم.
[١٧] م: حبارى.

ويقطع عنهم وجه المعرفة.[1] فتفرقوا في الأرض رَجاءَ أن يظفروا بمن يزيل عنهم الشُّبه ويُوضِح لهم الحجج والبراهين، فوصلوا إلى مقصودهم من جهة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. أو يجوز[2] أن يكون عندهم أن لا أحدَ في الأرض من جني أو إنسي يكذب على الله كما حكى الله عنهم بقوله: وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا،[3] فلما تحقق عندهم الكذب خافوا على أنفسهم أن يُبتلوا بها وأن يشتبه عليهم الصراط السويّ، فتفرقوا في الأرض على رجاء أن يظفروا بمن يدلهم على الطريقة المُثلى حتى وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويجوز أن يكونوا لما صعدوا إلى السماء فرأوها مملوءة من الحرس والشهب أيقنوا أن ذلك لحادث[4] خَبَرٍ[5] أو خافوا حلول نقمة بأهل الأرض، فتفرقوا في البلاد لعلهم يصلون إلى علم ذلك.

ثم الذي يُحقق[6] كون هذا الخبر وهو أن السماء قَدْ مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا[7] في حق الكفرة انقطاعُ الكهنة بعد ذلك، ولو كان[8] الأمر على خلاف هذا لكانوا لا ينقطعون. لأن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء فيأتون الكهنة بما يسمعون من الأخبار ويُلْقُونها إليهم فيضلوا بها الخلق، فلو لم يُمنعوا عن السماء لكانوا لا ينقطعون، ومن ادعى الكهانة اليوم فلا يجد عنده خبرا حادثا سوى ما تلقفوه من ألسن الرسل عليهم السلام، وكان أمر الشهاب أمرا ظاهرا عرفتْه الكفرة فيما بينهم. فكانت هذه حجة سماوية برسول الله صلى الله عليه وسلم مقرَّرة عند الكفرة رسالته، إذ لم يدع أحد منهم بكون[9] الشهاب قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم، فصار انقطاع الكهنة دليلا على صدقه في مقالته.[10] *والله المستعان*.[11]

---

[1] ن: المعروفة.
[2] ر م: ويجوز.
[3] الآية ٥ من هذه السورة.
[4] ر م: الحادث.
[5] ن: خبرا.
[6] ر ث م: تحقق.
[7] من الآية ٨ من هذه السورة.
[8] ن – ولو كان.
[9] ن: يكون.
[10] ر: ومقالته.
[11] ن: والمستعان.

﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[٢]

وقوله عز وجل: **يهدي إلى الرشد فآمنا به**، أي إلى الحق على ما ذكرنا بيانه في سورة الأحقاف في قوله تعالى: يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ.[١] وقوله عز وجل: **ولن نشرك بربنا أحدا**، قال أبو بكر الأصم: إنهم كانوا من[٢] مشركي العرب فتبرءوا من الشرك بما استمعوا وسمعوا[٣] القرآن بقولهم: **ولن نشرك بربنا أحدا**، وقد يحتمل هذا الذي قاله.[٤] ويحتمل أنه لم يسبق منهم الإشراك بل كانوا من جملة الموحدين ولكنهم أحدثوا إيمانا بما سمعوا من القرآن وأحدثوا تبريا من الشرك. وقد يتبرأ المرء من الشرك عند ما يحدث له زيادة إيقان،[٥] وإن لم يسبق منه الإشراك، كما قال موسى عليه السلام: سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ.[٦]

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا**. اختلف في تأويل الجد، فمنهم من يقول بأن هذه الكلمة يُتكلم[٧] بها فيمن يظفر بكل ما يريده،[٨] فيوصف بأنه ذو جد. فجائز أن يكونوا أرادوا بهذا أن ربنا هو الظافر بكل ما يريده / لا يستقبله خلاف[٩] ولا تمسه[١٠] [٨٥١ظ] حاجة. وعلى هذا التأويل قوله [عليه الصلاة والسلام]: «ولا يَنفَع ذا الجد منك الجد»،[١١] أي من كان له الجد في الدنيا، فإذا كان في تقدير الله تعالى خلاف ذلك لم يغنه ذلك من عذاب الله شيئا. وإن كان هذا هو المراد، فمعناه أن من هذا وصفه يتعالى عن أن يكون له شريك

---

[١] سورة الأحقاف، ٣٠/٤٦.
[٢] ر م – من.
[٣] ث: واستمعوا.
[٤] جميع النسخ: قالوا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٩ظ.
[٥] م: الإيقان.
[٦] سورة الأعراف، ١٤٣/٧.
[٧] ن: تتكلم.
[٨] ن: ما يزيد.
[٩] ر م: خلافه.
[١٠] جميع النسخ: ولا يمسه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر م + الجد. إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطيَ لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد». (*صحيح البخاري*، الأذان ١٥٥؛ وصحيح *مسلم*، الصلاة ١٩٤).

أو يحتاج إلى صاحبة أو إلى اتخاذ ولد، لأن هذه الأشياء كلها أمارات[1] الحاجة،[2] ومن ظفر[3] بكل ما يريده لم يقع له[4] حاجة. وجائز أن يكون الجد صلة ومعناه: تَعَالَى رَبُّنَا. وجائز أن يكون الجد عبارة عن العظمة والرفعة، يقال: فلان جَدَّ في قومه، إذا عظُم وشرُف فيهم. وقال الحسن: **تعالى جدُّ ربنا**، أي غِنَىَ رَبّنا.[5] ألا ترى كيف ذكر الله تعالى عند ما نزه نفسه عن اتخاذ الأولاد بقوله: قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ.[6] وقد ذكر اتخاذ الولد هاهنا على إثر قوله عز وجل: **جَدُّ ربنا**. ومنهم من يقول: تأويله مُلْكُ ربّنا، وجائز أن يكون أريد به قوة ربنا. فتعالى ربنا عن كل ما لو[7] نسب إليه كان فيه نسبته[8] إلى فعل الرذالة والتسفل. ثم الحق أن لا يتكلم [في][9] تفسير قوله: **جد ربنا**، هاهنا، لأنه حكاية عن مقالة الجن فمراد هذه الكلمة إنما يعرف بإخبار الجن.

ثم الشرك فيما جرى به الكتاب على أوجه أربعة. مرة على العبادة، بقوله عز وجل: وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا،[10] وشرك في الخلق، بقوله عز وجل: أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ،[11] وشرك في الحكم،[12] بقوله تعالى: وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا،[13] وشرك في الملك، بقوله: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ.[14] فثبت أن الشرك يقع مرة في العبادة،[15] ومرة في الخلق،[16] ومرة في الملك، ومرة في الحكم؛ فهم بقولهم: وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا،[17] تبرءوا عن الشرك من هذه الأوجه الأربعة.

---

[1] ن: كلها مارات.
[2] ر: لحاجة.
[3] ث: ومن يظفر.
[4] ر ث م – له.
[5] *تفسير الحسن البصري*، ٢/٣٦٧؛ و*تفسير عبد الرزاق*، ٣/٣٥١؛ و*تفسير الطبري*، ٢٩/١٣٠؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٢٩٨.
[6] سورة يونس، ١٠/٦٨.
[7] ر ث م – لو.
[8] جميع النسخ – نسبته. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٧٩ظ.
[9] الزيادة من المرجع السابق.
[10] سورة الكهف، ١٨/١١٠.
[11] سورة الرعد، ١٣/١٦.
[12] ن: في الحكمة.
[13] سورة الكهف، ١٨/٢٦.
[14] ث – بقوله ولم يكن له شريك في الملك. سورة الإسراء، ١٧/١١١؛ وسورة الفرقان، ٢٥/٢.
[15] ث: على العبادة.
[16] ر م: في العباد.
[17] الآية السابقة.

ثم إذا كان الجَد عبارة عن الذي يَظْفَر بكل ما يريده، ففيه ما ينقض على المعتزلة قولهم، لأنهم يزعمون أن الله تعالى أراد من كل كافر الإيمان، فإذا لم يؤمنوا فهو غير ظافر بما يريد على قولهم. ويدخل عليهم النقض[١] من وجه آخر، وهو أنا قد بينا أن الشرك قد يقع مرة في الخلق، وهم ينفون خلق الأفعال عن الله تعالى، وإذا نفَوا ذلك فقد جعلوا له في الخلق شِرْكا.[٢] وقد أخبر عز وجل أنه هو المتفرد[٣] بخلق الخلائق، فثبت أن الأفعال من حيث الخلق والإنشاءُ من الله تعالى، ومن جهة الكسب والفعل للخلق. فمن الوجه الذي يضاف إلى الله تعالى لا يجوز[٤] أن يضاف من ذلك الوجه إلى الخلق عندنا، فلا يقع في الخلق تشابه، لأنه لا يتحقق[٥] من العباد الفعل من الوجه الذي يتحقق[٦] من الله تعالى. ألا ترى أنه يضاف الملك إلى الله تعالى وإلى الخلق. ثم لا يقع في ذلك[٧] إشراك لأنه من الوجه الذي يضاف إلى الله تعالى لا يتحقق[٨] ذلك الوجه في الخلق، لأن الإضافة إلى الخلق على جهة المجاز والإضافة إلى الله تعالى[٩] على جهة التحقيق. فكذلك إضافة الأفعال إلى الله تعالى وإلى الخلق لا توجب[١٠] الشرك لاختلاف الجهتين. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **ما اتخذ صاحبة ولا ولدا**، لأن اتخاذ الصاحبة من الخلق لغلبة الشهوة وهو منشئ[١١] الشهوات، فلا يجوز أن يغلبه ما هو خَلْقه، فيبعثَه ذلك على اتخاذ الصاحبة. وبهذا نرد[١٢] على من زعم أن الملائكة بنات الله، والبنات يحدثن من الصاحبة، وهو تعالى لم يتخذ صاحبة فأنى تكون[١٣] له بنات. وقوله عز وجل: **ولا ولدا**، فالأصل أن الأولاد يرغب فيهم المرء لإحدى خصال: إما لما يناله من الوحشة فيطلب الولد ليستأنس بهم،

---

[١] ر م: انتقض.
[٢] ر ث م: شركاء.
[٣] ن: المنفرد.
[٤] ر ن م: ولا يجوز.
[٥] جميع النسخ: لا يحقق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٠و.
[٦] جميع النسخ: يحقق.
[٧] ن – في ذلك.
[٨] جميع النسخ: لا يحقق. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر م – لا يحقق ذلك الوجه في الخلق لأن الإضافة إلى الخلق على جهة المجاز والإضافة إلى الله تعالى.
[١٠] ر م: لا يجب؛ ن ث: لا يوجب. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر: منسئ.
[١٢] ر: ترد؛ ن: يرد.
[١٣] ر ث م: تحدث من الصحابة وهو متعال لم يتخذ صاحبة فأنى يكون.

أو يرغب فيهم لما حل به[1] من الضعف فيريد أن يستنصر بهم،[2] أو لما يخاف[3] زوال ملكه فيطلب الولد ليأمن من زواله. وجل الله سبحانه[4] وتعالى عن أن يلحقه وحشة أو يصيبه ضعف أو يخافَ زوال الملك. فإذا كانت الطرق التي بها يُرغب في اكتساب الأولاد منقطعةً في حقه لزم تنزيهه عن اتخاذ الأولاد. ولهذا ما ذكر عند ما ينسبه[5] الملحدة إلى اتخاذ الأولاد [من] غناه بقوله: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾[6] أي غني عن كل الوجوه التي تتوجه[7] إلى اتخاذ الأولاد. **وبالله التوفيق**.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطًا﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا**، فمنهم من ذكر أن سفيههم إبليس، وليس هذا براجع[8] إلى الواحد على الإشارة إليه بل هو براجع[9] إلى كل من يوجد منه فعل السفه. ألا ترى أنه إذا قيل: كان يقول مُسِيئُنا[10] كذا، أو كان يقول فاسقنا كذا لم يُعْنَ به مسيء ولا فاسق[11] واحد على الإشارة،[12] بل يراد به كل معروف بالإساءة والفسق، فعلى ذلك قوله: **وأنه كان يقول سفيهنا**، ليس بمقتصَر على الواحد بل هو راجع إلى كل من يوجد منه ذلك.

ثم في هذه الآية دلالة أن النَّفَر الذين استمعوا كانوا مؤمنين ولم يكونوا من أهل الكفر، لأنهم لو كانوا أهل شرك لكانوا لا يضيفون فعل السفه إلى غيرهم ويخرجون أنفسهم منه وقد وُجد منهم فعل السفه، ولو كانوا مشركين أيضا لكانوا يقولون مكان هذه الكلمة: وإنا كنا نقول على الله شططا، ليكون ذلك منهم توبة ورجوعا عما كانوا فيه من الشرك والكفر،

---

[1] جميع النسخ: بهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٠و.
[2] ر م: أن يستنصرهم.
[3] ن + من.
[4] ن – سبحانه.
[5] جميع النسخ: عند ما يشتبه. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ﴿قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض إنْ عِنْدَكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ (سورة يونس، ٦٨/١٠.
[7] جميع النسخ: يتوجه. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر ث م: يرجع؛ ن: يراجع. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر م – إلى الواحد على الإشارة إليه بل هو راجع.
[10] م: مسيئا.
[11] جميع النسخ: لم يعن به فاسق ولا مسيء. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ر م: على الإساءة.

وشكرا بما أنعم الله عليهم من عظيم النعم[١] بأنْ هداهم[٢] للإيمان لا أن يضيفوا ذلك / إلى سفهائهم، [٨٥٢و] فثبت أنهم كانوا مؤمنين. والشطط الجور،[٣] وقال بعضهم: الكذب، وقال بعضهم: الظلم. والشطط هاهنا الجَور، والجور ما أتوا به من القول الفاحش وهو الشرك بالله تعالى. وهذا يبين[٤] أن الجور قبيح في كل الألسن وفيما بين أهل الأديان. ألا ترى كيف سفَّهوا من يقول على الله تعالى بالجور.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا.** ذكر أبو بكر الأصم أنهم كانوا اعتقدوا أن لله[٥] تعالى صاحبة وولدا،[٦] بما سمعوا الجن والإنس يقولون ذلك، وكان عندهم أنهم في ذلك صادقون، فذلك المعنى هو الذي حملهم على القول بأن لله تعالى ولدا وصاحبة، فلما ظهر عندهم كَذِب من يدعي اتخاذ الولد والصاحبة تبرءوا عمن يقول ذلك، فثبت بهذا أنهم كانوا أهل شرك إلى ذلك الوقت. فلما استمعوا إلى قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم ولَاحَتْ لهم الحجج وارتفعت عنهم الشبه[٧] آمنوا به وتبرءوا من مقالتهم[٨] المتقدمة.[٩] وقد يحتمل غير ما ذكره أبو بكر من التأويل، وهو أن القوم[١٠] كانوا أُنشِئوا على الهدى والإيمان، فكانوا يظنون أن الجن والإنس على الهدى وأنهم لا يَكذبون على الله تعالى حتى ظهر عندهم كذب الإنس والجن[١١] بقولهم: إن لله[١٢] ولدا وصاحبة. وجائز أن يكون معناه أنا كنا نظن أن لا تسخو[١٣] نفس أحد من الممتحنين بالكذب على الله تعالى بما أراهم الله قبح الكذب وقرر عندهم بالحجج والأدلة تنزيهه عن اتخاذ الأولاد والصاحبة حتى ظهر عندهم ذلك بما أظهروه بألسنتهم.

---

[١] ر ث م: النعمة.
[٢] ر: بأن عداهم.
[٣] ث: لا يجوز.
[٤] ر م: تبين.
[٥] م: أن الله.
[٦] ر م: ولا ولدا.
[٧] ر م: الشبهة.
[٨] م: عن مقالتهم.
[٩] ر م: المقدمة.
[١٠] ر م: أن القول.
[١١] ن: بكذب الجن والإنس.
[١٢] ر: إن الله.
[١٣] ر ن م: أن لا يسخوا؛ ث: أن لا يسخو.

ثم الذي يدل على أن التأويل الذي ذكره أبو بكر ليس بمحكم أنه قد كان في الجن والإنس مصدِّق يصف الله تعالى[1] بالتنزيه، وقد كان فيهم من يقول بالولد والصاحبة، ألا ترى إلى قوله حكاية عنهم: وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ،[2] وإلى قوله: وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ،[3] ولا يحتمل أن يقع عندهم أن الفريقين جميعا على الصواب، ولكن كان في ظنونهم أن القوم[4] جميعا على الهدى على ما هم عليه، فلما تبين[5] عندهم الكذب من أولئك قالوا هذا القول. *والله أعلم.*

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا،** ذكر[6] أن الإنس، وهم قوم من العرب، كانت إذا نزلت بواد[7] استجارت بسيد الوادي، وقالت: نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه. ثم اختلف بعد هذا، فمنهم من ذكر أنهم كانوا يجيرونهم،[8] ومنهم من زعم أنهم كانوا لا يجيرونهم[9] وكان ذلك يزيد[10] في رهق الإنس والجن. وقالوا: الرهق الخوف والفَرَق،[11] كذلك روي عن أبي رَوْق.[12] ومنهم من يقول: هو الذلة والضعف، فكانوا يزدادون الضعف والذلة والخوف والفرق[13] بامتناعهم عن الإعاذة.[14]

---

[1] ث: له تعالى.

[2] الآية ١٤ من هذه السورة.

[3] الآية ١١ من هذه السورة.

[4] ر م: بأن القوم.

[5] ر ن ث: فلا تبين.

[6] ر م: وذكر.

[7] ر ن م: بوادي.

[8] ر ث م: يخبرونهم.

[9] ر م: لا يخبرونهم.

[10] ر: تريد.

[11] ث: والغرق.

[12] ر ث م: أبي رؤف. أبو روق أحمد بن محمد بن بكر الهزاني. حدث هو وأبوه من قبله. وهو من أهل البصرة. يروي عن ميمون بن مهران الكاتب، وعبد الله بن شبيب المكي. روى عنه جماعة كثيرة منهم أبو الحسن أحمد بن محمد بن الجندي، وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرئ وغيرهما. ومات بعد سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مائة (*الأنساب* للسمعاني، ٣٢٩/١٢).

[13] ر ث: الغرق.

[14] ر ث م: عن الإعادة.

ومنهم من يقول بأنهم كانوا يجيرون[١] من استجارهم،[٢] ولكن مع هذا كانوا يفرقون منهم ومن كيدهم في الأماكن التي لم يستجيروا فيها إليهم وفي غير الأوقات التي وقعت فيها الإجارة. وعلى اختلافهم اتفقوا أن الجن هي التي كانت تزيد[٣] الإنسَ رهقا. وقيل: إن هذا[٤] الفعل من الإنس وهو الاستجارة[٥] بهم شرك، لأن الله تعالى هو[٦] المجير، فكان الحق عليهم أن يستجيروا بالله تعالى ليدفع عنهم مكايد الجن وأن لا يروا لأنفسهم ناصرا غير الله جل جلاله، فإذا فزعوا في الاستجارة إلى الجن فقد رأوا غير الله تعالى يقوم[٧] عنهم بالذب والنصر، فكان ذلك منهم إشراكا. ولأن الجن أضعف من الإنس، ألا ترى أنها تختفي من الإنس[٨] وتتصور[٩] بغير صورتها فَرَقًا لئلا يَشعُر بها الإنس،[١٠] وبلغ في ضعفها أنها لا تقدر على إتلاف أحد من البشر، ولا تقدر[١١] على سلب أموالهم ولا إفساد طعامهم وشرابهم. واستنصار[١٢] القويّ بالضعيف إراءة الذِلة؛ فيخرج[١٣] تأويل من قال بأن الرَّهَق هو الذلة[١٤] والضعف على هذا.

ومنهم من يقول بأن الإنس هي التي كانت تزيد[١٥] الجن رهقا. وقالوا: الرهق التجبر والتكبر، وقيل: هو السفه والجهل، وقيل:[١٦] هو[١٧] المأثم. وقال القُتَبِي: هو العيث[١٨] والظلم،[١٩]

---

[١] ر م: يخبرون.
[٢] ن: من استخارهم.
[٣] ن: تريد.
[٤] ر ن ث: بأن هذا.
[٥] ن: الاستخارة.
[٦] ر م – هو.
[٧] ر م: لقوم.
[٨] ر م: يختفي من الأصل.
[٩] جميع النسخ: ويتصور. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٠ظ.
[١٠] ر م – الإنس؛ ن: الإنسي.
[١١] ر ث م: ولا يقدر.
[١٢] ن: واستبصار.
[١٣] ر ن ث: الزلة فيخرج؛ م: الذلة فتخرج.
[١٤] ر ث م: هو الزلة.
[١٥] ن: يزيد؛ م: يريد.
[١٦] ر م – وقيل.
[١٧] ر ث م: هي.
[١٨] ر ث م: هو العبث. العيث: الإسراع في الفساد والأخذ بغير رفق (*لسان العرب*، «عيث»).
[١٩] ر م: في الظلم.

يقال: فلان مرهق في دينه إذا كان مفسدا. ووجه زيادة الرهق هو أن الرؤساء من الجن كانوا[1] يرون لأنفسهم الفضل على أتباعهم من الجن وعلى الإنس جميعا بما رأوا من افتقار الإنس إليهم حتى احتاجوا إلى الاستعاذة بهم، فكان يتداخلهم الكبر من ذلك ويزدادون به تجبرا وتعظما،[2] فكان ذلك يمنعهم عن النظر في حجج الرسل. وكذلك أكابر الكفرة من الإنس كانوا يمتنعون عن الإجابة للرسول صلى الله عليه وسلم بما يرون لأنفسهم من الفضل على من سواهم. ألا ترى[3] إلى قوله تعالى: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا[4] الآية. فمن زعم أن الرهَق هو[5] الإثم أو السفه أو الجور أو الظلم أو العيث[6] يرجع كله إلى هذا المعنى الذي ذكرنا، لأن سفههم هو الذي كان يحملهم على التجبر والتكبر، لأنه كان لا يستعيذ بهم إلا الجاهل السفيه، وليس في إعاذة الجاهل السفيه[7] مَنقَبَة[8] مما يُتكبَّرَ لأجلها وهم بتكبرهم [٨٥٢ظ] ازدادوا مأثما[9] وبُعدا من رحمة / الله تعالى. *والله أعلم*.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ [٧]

وقوله عز وجل: **وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا**، فجائز أن يكونوا نفوا القدرة عن الله تعالى بالبعث لما لم يشاهدوا البعث ورأوه أمرا خارجا عن طوقهم وقواهم، فظنوا أن القدرة لا تنتهي إلى هذا، لا أن يكونوا نفوا خروج البعث عن حد الحكمة، لأنهم لو أرادوا به نفي البعث لكانوا يقتصرون على قولهم: **لن يبعث الله**، فلما وصلوا به الكلام الذي يتكلم به للتأكيد وهو قوله: **أحدا**، دل أنهم نفوا القدرة. وجائز أن يكونوا ظنوا أن لن يبعث[10] الله لأنه أمر خارج عن[11] الحكمة، إذ[12] ليس من الحكمة أن يُهلَك

[1] ر م – كانوا.
[2] ن: وتعاظما.
[3] ر م: ألا يرى.
[4] سورة الأنعام، ١٢٣/٦.
[5] ر – هو.
[6] ر ث م: أو العبث.
[7] ر ث م – السفيه.
[8] ر: منقية؛ م: منقبة.
[9] ر ث م: إثما.
[10] ر: أن لا نبعث؛ ن ث: أن لا بعث.
[11] جميع النسخ: من. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٠ظ.
[12] ر: أنه.

ثم يُعاد بل إذا أريد[١] الإبقاء لم يُفْنَ[٢] حتى لا يُحْوِجَ إلى الإعادة. ثم هذا الكلام ليس بحكاية عن الجن بل الله تعالى أخبر[٣] أن الجن ظنت أن لا بعث كما ظننتم أنتم. وقوله عز وجل: **ظننتم**، في الظاهر إشارة إلى الإنس جملةً مسلمهم وكافرِهم، ومعلوم بأن المسلمين لم يكونوا يظنون ذلك، بل قد أيقنوا بالبعث، ولكن معناه أن الكفرة من الجن ظنت أن لا بعث كما ظنت الكفرة منكم أيها الإنس.

ثم[٤] في هذه الآية إبانة أنهم كانوا يقولون: لا بعث، بالظن ليس بالعلم. والذي حملهم على الظن إعراضهم عن السبب الذي يوجب القول بالبعث، وكل يأنف بطبعه[٥] أن يَلزم الظنونَ، وفيه[٦] دعاء وترغيب إلى النظر في حجج[٧] البعث وترك الاعتماد على الظنون. ثم ذكر النحويون أن ما كان[٨] ابتداؤه بالكسر في هذه السورة أعني حرف "إنّ" فهو حكاية عن الجن، نحو قوله تعالى: فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا،[٩] وما كان فيه من الحكاية لا عن الجن فحقه أن يقرأ بالنصب، فاختاروا النصب في قوله عز وجل: **وأنهم ظنوا كما ظننتم**، لما ليس هو بحكاية عن قول الجن. ***والله أعلم***.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾[٨]

وقوله عز وجل: **وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا**، فجائز أن يكون لمسهم السماء ليجدوا أبوابها فيدخلوا فيها للاستماع،[١٠] إذ أخبارها ليست في جملة آفاق السماء ولا أبوابُها محيطة بجملة السماء، فكانوا يلمسونها ليظفَروا بأبوابها فيدخلوا فيها. وجائز أن يكون أريد من لمس السماء لمسّ أبوابها، فكانوا يلمسون أبوابها[١١] ليفتحوها فيدخلوا فيها فيستمعوا[١٢] إلى الأخبار.

---

[١] ر م: إذا زيد؛ ث: ثم يعابل إذا أريد.
[٢] ر: لي يغني؛ ن: لمن يفن؛ م: لن يفني.
[٣] ر م - أخبر.
[٤] ر م - ثم.
[٥] ر ث م: بالطبعه.
[٦] جميع النسخ: ففيه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨١و.
[٧] ر ن م: في الحجج.
[٨] ر م: أن كان.
[٩] الآية ١ من هذه السورة.
[١٠] م: للاستمتاع.
[١١] ر م ليظفروا بأبوابها وجائز أن يكون أريد لمن أبوابها.
[١٢] ر ث م: فيستمعون.

وقوله عز وجل: **فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا**، فجائز أن يكون بعض الأبواب ملئت من الحَرَس وبعضها من الشُّهب، فإن أتوا إلى الأبواب التي ملئت من الحَرَس دفعتهم الحرس وطردتهم، وإن أتوا إلى الأبواب التي فيها الشهب تبعتهم الشهب، كما قال عز وجل: وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.[1] وجائز أن يكون الأبواب كلها مملوءة من الحرس والشهب جميعا، لأن الحَرَس لم يمتحنوا بالحراسة خاصة بل امتُحِنوا بها وبغيرها[2] من الأعمال، فجائز أن يكون اشتغالهم بذلك الأعمال يمنعهم عن الحَرَس، فإذا رأوا استراق السمع في وقت شغلهم تبعهم[3] الشهاب الثاقب وقذفهم عن مرادهم. وجائز أن يصعد الجن إلى المكان الذي لا يراهم الملائكة ويسمع الجن كلامهم، لأن المرء قد يتكلم بكلام فينتهي صوته إلى حيث لا يراه البصر، فيكون الشهب تحت الحرَس فيُقذَفون عنها بالشهب. *والله أعلم*.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾[٩]

وقوله عز وجل: **وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا**،[4] قيل: الشهاب من الكواكب والرصد من الملائكة. الأصل في ذلك أن الجن قد حبسوا وقت مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خبر السماء وكانوا يسترقون السمع قبل ذلك حتى انقطع أمر الكهنة،[5] إذ لا يجوز أن يأتوا بخبر السماء وقت مبعث النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان [لا][6] يختلط أمر الكهنة بأمره صلى الله عليه وسلم، فحُبسوا عن الصعود إلى السماء وإتيان الخبر عنها[7] حتى انقطع أمر الكهنة، فجاءهم الرسول بعد ذلك ليعلموا أن ذلك ليس بكهانة وإنما هو وحي يأتيه[8] من السماء، إذ لو كانت كهانة كان غيره لا يمنع عن مثله كما في سالف الزمان. فهذه الآية كأنها[9] حكاية عن قول الجن[10] لَمَّا رجعوا إلى قومهم منذرين قالوا هذا كلّه لقومهم.

---

[1] سورة الصافات، ٨/٣٧.
[2] جميع النسخ: به وبغيره.
[3] جميع النسخ: تبعتهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨١و.
[4] ن + قيل حبسوا وقت مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم.
[5] ر م: أنقع من الكهنة؛ ث: انقطع من الكهنة.
[6] جميع النسخ: كان يختلط. والزيادة من المرجع السابق.
[7] ث – عنها.
[8] جميع النسخ: ثابتة. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] جميع النسخ: كأنه. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ن – الجن.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم[١] رشدا**، فهو يحتمل وجهين. أحدهما لا ندري[٢] بما قُطعت بالحَرَس والشُّهُب أخبارُ السماء عن أهل الأرض وحُبِس الذين يصعدون السماء عن أخبار السماء، ويُقْذفون من كل جانب[٣] أريد[٤] بأهل الأرض الشر، وهو إنزال العذاب عليهم، أم أريد[٥] بهم أن يُرسَل إليهم[٦] رسول يُرشدهم. وجائز أن يكونوا أيقنوا أن أخبار السماء إنما انقطعت عن أهل الأرض بما يرسل إليهم من الرسول، فيكون الرسول هو الذي يخبرهم بما لهم إليه من حاجة، ولكنهم لم يدروا أنه أريد بهم الرَّشَدُ بإرسال الرسول أو الشر، لأنهم كانوا علموا أن من آمن بالرسول المبعوث ونظر إليه بعين الاستهداء والإرشاد[٧] فقد رشد، ومن نظر إليه بعين الاستخفاف والاستهزاء أُسْتُؤْصل[٨] فلم يدروا أيكذّبون الرسول فيحِلَّ بهم الهلاك في العاقبة، أو يصدقونه فيَرْشَدوا به. وهذا يبين[٩] أن العواقب في الأشياء هي المقصودة، وأن الحكيم[١٠] ما يفعل من الأمر يفعله[١١] للعواقب. وفي هذا / إبانة أن الجن من المسلمين لم يكونوا معتزلة، إذ من قول المعتزلة أن الله تعالى [٨٥٣و] لا يفعل بعباده إلا ما هو أصلح لهم[١٢] في الدين والدنيا في حقهم، والجن قد أيقنوا أن الله تعالى قد يريد الشر بمن يعلم أنه يؤثر فعل الشر على فعل الخير، ويريد الخير بمن يعلم أنه يؤثر[١٣] [فعل الخير][١٤] على فعل الشر.

---

[١] ن – ربهم.
[٢] ن: لا يدرى.
[٣] جميع النسخ + دحورا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨١و.
[٤] ر ث م – أريد.
[٥] ر ن: أو أريد.
[٦] ر م – إليهم.
[٧] م: والاسترشاد.
[٨] ر ث م: استوصلوا.
[٩] ر م: تبين.
[١٠] ن: وأن الحكم.
[١١] ن م: بفعله.
[١٢] ن – لهم.
[١٣] جميع النسخ: يؤثره. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] الزيادة من المرجع السابق.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾[١١]

وقوله عز وجل: **وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك**، قال بعضهم: الصالحون هم المؤمنون، ودون ذلك هم[١] الكافرون. ويشبه أن يكون الصالحون، ودون[٢] ذلك ليس على الإيمان والكفر، لأن هذا قد ذكر فيما تقدم من الآيات بقوله: وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ،[٣] ولو كان التأويل على ما ذكروا لكان يقع موقع التكرار، ولكن تأويله عندنا **وأنا منا الصالحون**، أي منا مَن عُرِف بالصلاح والسِّتْرِ[٤] ومنا دون ذلك وهم الفسقة، فيكون فيه إبانة أن كل أهل دين فيهم الصالح المرضيُّ وفيهم الفاسق المفسد في دينه؛ قال الله تعالى: وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ،[٥] ولو لم يكن منا غير صالح لم يكن لاشتراط[٦] الصالحين معنًى، وكقوله تعالى: وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ،[٧] فلو لم يكن منا أهل فسق لم يقل هذا.

وقوله عز وجل: **كنا طرائق قِدَدا**، أي أهواء متفرقة، ولم يذكروا في الأهواء المتفرقة[٨] الأصلح والأدون وذكروا[٩] ذلك عند ذكر الفاسق والصالح، لأن أهل الأهواء كلٌّ [منهم] في نفسه أنه هو المحق وغيره على الباطل، وأما الفاسق فهو يَعرف أنه يتعاطى بفسقه ما لا يحل له ويرتكب ما نهي عنه، وكذلك كل من شاهد فسقه يعرف أنه على الباطل. وإذا كان[١٠] كذلك ظهر الدُّون فيه وظهر الصالح ولم يظهر ذلك في اعتقاد المذاهب فلم يتكلم فيه بالدون والصالح. ثم الطرائق[١١] هي المذاهب والأهواء، والقِدد القِطَعُ، يقال: قدَّه[١٢] أي قطعه، فمعناه أنا كنا على مذاهب متفرقة وأهواء متشتة.[١٣] ففي الآية أن في الجن أهواء متفرقة كما أن[١٤] ذلك في الإنس.

---

[١] ن: هو.
[٢] ر م: دون.
[٣] الآية ١٤ من هذه السورة.
[٤] السِّتْر: الحياء والحِجْر والعقل (*لسان العرب*، «ستر»).
[٥] سورة النور، ٣٢/٢٤.
[٦] ر م: الاشتراط.
[٧] سورة الطلاق، ٢/٦٥.
[٨] ر ث م + في.
[٩] ر ث م: ذكروا.
[١٠] ر م: إذا كان.
[١١] ر ن: ثم الطريق.
[١٢] ر ن م: قد.
[١٣] ر ث: متسننة.
[١٤] ن ث – أن.

والأصل فيه أن طريق معرفة المذهب والدين الفكرُ والاجتهاد ليوصَل به[١] إلى الحق، والمجتهد قد يصيب الطريق مرة ويَزيغ عنه أخرى، فلهذا ما أصاب البعض من الخلائق الطريق المستقيمَ ومنهم من زاغ عنه. ويعلم بهذا أن سبيل الجن في التوحيد وسبيل الإنس واحد وهو الفكر والاجتهاد،[٢] وأن فيهم آيات متشابهةً كما في الإنس إذ عن المتشابه يتولد الزيغ، لذلك تفرقوا على أهواء متفرقة[٣] مختلفة. وأما أسباب الفسق مجتمعة، فيعرف بالمعاينة فيظهر الأدون والأرفع في الدين.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعجِزَ اللهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا.** ذكر أبو بكر الأصم أنهم[٤] على كفرهم ظنوا أن لا يعجزون الله تعالى، ولكن أكثر أهل التأويل ذكروا[٥] أن الظن هاهنا في موضع العلم. ويؤيد تأويلهم قراءة حفصة رضي الله عنها فإنها كانت تقرأ "وأنا[٦] علمنا أن لن نعجز الله في الأرض فَرَرَةً[٧] ولن تَسبقه هَرَبا".[٨] فقوله: **لن نعجز الله في الأرض،** أي لن نفوته[٩] ولا يتهيأ لنا أن نعجز الله بأهل الأرض عن إيصال[١٠] نقمته وعذابه إلينا. ويخرج قوله: **هربا،**[١١] على ذلك أي لو فررنا[١٢] من عذابه لن نعجزه أن لا يعذبنا؛ والفرار قد يكون بدون الطلب، قال الله عز وجل: فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ[١٣] ولم يرد به الفرار من الطلب، وأما الهرب فإنه لا يكون إلا عن طلب، فكأنهم قالوا: لا يتهيأ لنا الفرار عن عذاب الله تعالى لكثرة الأعوان والأنصار ولا يعجزه[١٤] هربنا عن طلب.

---

[١] ر: للتوصل؛ ث: التوصل؛ م: المتوصل.
[٢] ر ث م: وله اجتهاد.
[٣] ن – متفرقة.
[٤] جميع النسخ: أنه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨١ظ.
[٥] ر م: ذكر.
[٦] ر ث م: أنا.
[٧] ر ن ث: فرره.
[٨] قارن بما ورد في *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٣/٤٠٦.
[٩] جميع النسخ: لن يفوته. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨١ظ.
[١٠] ر: شر إيصال.
[١١] ن م: فرره.
[١٢] ر م: لو قررنا.
[١٣] سورة الذاريات، ٥١/٥٠.
[١٤] ن: ولا نعجزه.

أو أن يكون قوله عز وجل: لن نعجز الله في الأرض وإن دخلنا[1] تحت تُخوم الأرضين ولن نعجزه بالهرب على وجه الأرض، فيكون فيه إقرار بأنا لا نقدر[2] بالحيل والأسباب أن نحترز[3] من عذاب الله[4] تعالى، كما يتهيأ الاحتراز عن ملوك الأرض بالحيل والأسباب.

ثم مثل هذا الكلام يصدر عن أهل الإسلام، لأن مثل هذا الكلام إنما يتكلم به من يخاف حلول نقمة الله تعالى عليه والذي أيقن[5] بالبعث ويذكر مُقامه بين يدي ربه. وأما أهل الكفر فلم يؤمنوا بالبعث حتى يحملهم خوف العاقبة على النظر في مثل هذا، فثبت أن هذه المقالة صدرت عن أهل الإسلام ليس عن أهل الكفر كما[6] ذكره أبو بكر الأصم.[7] *والله أعلم.*

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به**، فالهدى هو الدعاء إلى الحق، فيحتمل أن يكون لما دُعينا[8] إلى الحق وهو القرآن آمنا به، ألا ترى إلى قوله تعالى: يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ،[9] أي يدعو إليه، وقال الله في أول السورة:[10] يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ.[11] ويجوز أن يكون الهدى هو الاهتداء، أي لمّا سمعنا ما به [الهدى][12] اهتدينا. وظن أبو بكر الأصم أنهم كانوا كفرة إلى أن سمعوا الهدى فآمنوا به، لأنه لو كانوا على الهدى من قبل لكان الإيمان منهم سابقا فلا يكون بقوله: **آمنا به** -وقد آمنوا من قبل- معنى. وليس يثبت كفرهم بما ذكر، لأنه قد يجوز أن يكونوا على الإيمان فلما سمعوا[13] الهدى أحدثوا إيمانا بهذا الهدى على ما سبق منهم من الإيمان بالجملة،

---

[1] ث: وإن دخلنا.
[2] م: لا يقدر.
[3] ن: أن يحترز.
[4] ن: من الله.
[5] ر ث م: أتقن.
[6] ر م - كما.
[7] ر ث م + أن هذه المقالة صدرت.
[8] م: فأدعينا.
[9] ﴿قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/٣٠).
[10] ن: قال في أول السورة.
[11] الآية ٢ من هذه السورة.
[12] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨١ظ.
[13] ر م: فلا سمعوا.

ألا ترى إلى قوله عز وجل: فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا.[١] وقال: لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ،[٢] أي زادوا إيمانا بالتفسير[٣] على ما سبق منهم من الإيمان بالجملة، لا[٤] أنهم لم يكونوا من قبل مؤمنين فأحدثوه للحال. وكذلك / قال: اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ،[٥] وقد هُدوا الصراط المستقيم ولكنهم [٨٥٣ظ] يريدون بهذا الدعاء أن اهدنا بالإشارة إليه والتعيين الصراط المستقيمَ على ما هديتنا في الجملة. فكذلك إحداثهم الإيمان بما سمعوا من الهدى لا ينفي عنهم الإيمان فيما سبق من الأوقات، بل يجوز أن يكونوا مؤمنين من قبل، ثم يحدثون الإيمان[٦] بكل أمر يجيئهم من عند الله عز وجل، ولا يدل إيمانهم به على أنهم لم يكونوا من قبل مسلمين. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **فمن يؤمن بربه فلا يَخاف بَخْسا ولا رَهَقًا،** {قال رحمه الله:} إنه لا أحد من أهل الإيمان من جني ولا إنسي يخاف البخس والرهق من الله تعالى إلا المعتزلة، فإنهم يخافون ذلك لأنهم ليسوا يُخرجون مرتكبي الكبائر من الإيمان،[٧] ثم يطلقون القول فيهم أنهم يخلَّدون في النار، وفي التخليد خوف البخس والرهق، بل فيه ما يزيد على البخس؛ لأن البخس[٨] هو النقصان، وفي التخليد ذهاب منفعة الإيمان ومنفعة الخيرات التي سبقت[٩] منهم. وقال تعالى: رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا،[١٠] والمعتزلة يزعم أنه لو أخذهم بالخطأ[١١] والنسيان كان جائرا.[١٢] وقال: رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا،[١٣] وهم يزعمون أنه لو أزاغ قلوبهم بعد الهدى كان ذلك منه جورا وظلما، فهم أبدا على خوف من جور ربهم.

---

[١] ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيُّكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون﴾ (سورة التوبة، ١٢٤/٩).

[٢] ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾ (سورة الفتح، ٤/٤٨).

[٣] ر م: لتفسير.

[٤] ر م - لا.

[٥] سورة الفاتحة، ٦/١.

[٦] ث - الإيمان.

[٧] ر م - من الإيمان.

[٨] ر م - لأن البخس.

[٩] م + سبقت.

[١٠] سورة البقرة، ٢٨٦/٢.

[١١] ن: بالخطيا.

[١٢] ر م: جائزا.

[١٣] سورة آل عمران، ٨/٣.

ونحن نقول بأنه لو أخذهم به كان يكون ذلك منه عدلا، وإذا عفا عنهم كان ذلك منه إنعاما وإفضالا؛ فنحن ندعو الله تعالى ونتضرع إليه أن لا يعاملنا بعدله فنَهْلِكَ بل يعاملنا بالإفضال والإنعام. وعلى قول المعتزلة من[1] ارتكب كبيرة رُدَّت عليه حسناته وصار عدوًّا لله تعالى وخلد[2] في النار أبدا الآبدين. والله يقول: إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا [وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا].[3] وأَولى[4] الحسنات التي تُستوجَب[5] عليها المضاعفة هو الإيمان بالله تعالى، فلا يجوز أن يُخلّد في النار ويُذهب عنه منفعة الإيمان. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ثم قوله: **بخسا ولا رهقا**، يحتمل وجهين. أحدهما[6] البخس النقصان أي لا يُنْقص من حسناته، والرهَق الظلم -كقوله تعالى: فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا-[7] بأن[8] يُحمَل عليه من سيئات ارتكبها غيره. والثاني **فلا يَخاف بخسا**، أي لا يقبَل حسناتِه[9] إذا تاب، **ولا رهقا**، أي يظلم فلا يحسِب له من حسناته[10] شيئا.

﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون**، فالقاسط الجائر والمقسط[11] العادل. ثم في العدل ثلاث لغات، يقال: عدل عنه إذا مال وجار، وعدل به إذا جعل شريكا وعديلا، وعدل فيه إذا حكم بالعدل. وقوله عز وجل: **فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا**، التحري والتوخي[12] هو القصد، فكأنه يقول: [فقد][13] قَصَدَ قصْد[14] الرشد بالإسلام.

[1] ر ث م – من.
[2] ر م – وخلد.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨٢و. سورة النساء، ٤/٤٠.
[4] ث م: والو.
[5] جميع النسخ: يستوجب.
[6] م: أحدها.
[7] ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما﴾ (سورة طه، ٢٠/١١٢).
[8] ن ث: فإن يحمل.
[9] ر م: حسنا.
[10] ر م: أي فظلم فلا يحسب له حسناته.
[11] ر م – والمقسط.
[12] ث: والترحي.
[13] الزيادة من المرجع السابق.
[14] ر ث م – قصد.

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا**، قال أبو بكر الأصم: دلت الآية على أن للجن[١] لحما ودما كما للإنس، لأنه قال في الإنس: وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ،[٢] فلو لم يكونوا لحما ودما لم يصيروا لجهنم حطبا.[٣] ولكن هذا لا يدل [على ذلك]، لأن اللحم من شأنه أن يحترق وينضج[٤] ولا يصلح أن يكون[٥] وقودا، ولكن الله تعالى باللطف صير لُحمان الإنس وَقودا ليس أن صار حطبا بما كان لحما. فليس في الآية دلالة[٦] ما ذكر، بل فيه أن الجن قد امتحنوا بالعبادة كما امتُحن بها[٧] الإنس، وأنهم[٨] إذا عصوا ربهم استوجبوا العقاب مثل ما يستوجبه الإنس.

ثم ذكر عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: ليس للجن ثواب وعليهم العقاب إذا عصوا. ومعنى قوله: ليس لهم ثواب عندنا ليس يريد به أن الله تعالى لا يرضى عنهم إذا عبدوه ولا يَعظُم منزلتهم عنده، ولكنه يريد به أن الذي وعد للإنس من المآكل والمشارب والأزواج الحسان والحور في الجنة على الخلود ليس لهم، لأن الوعد من الله تعالى بها جرى للإنس ولم يَجرْ الوعد للجن ولا ذُكر ذلك في شيء من القرآن. والذي وعد به الإنس طريقه[٩] الإفضالُ والإنعام لا أن يكون ذلك حقا للإنس قِبلَه، فإذا لم يَجْرِ[١٠] لهم الوعد بذلك لم يجب القول لهم بالموعود. وأما العقاب فإن الحكمة توجب[١١] التعذيب لمن كفر به، فلا يجوز أن يكون الحكمة توجب[١٢] تعذيب الكفرة ثم لا يعذب الجن إذا كفروا، ولذلك وجب القول بعقابهم ولم يجب القول بالثواب. ***والله الموفق***.

---

[١] ر ن م: أن الجن.

[٢] سورة التحريم، ٦٦/٦.

[٣] ن – قال أبو بكر الأصم دلت الآية على أن الجن لحما ودما كما للإنس لأنه قال في الإنس وقودها الناس والحجارة فلو لم يكونوا لحما ودما لم يصيروا لجهنم حطبا.

[٤] ر م: وينتضج.

[٥] ر ث م: أن يكونوا.

[٦] أي في قوله تعالى: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حَطَبا﴾.

[٧] م: بالعبادة.

[٨] ن: فإنهم.

[٩] ر ن م: طريقة.

[١٠] ن: فإذا لم يجز.

[١١] ن: يوجب.

[١٢] ن: يوجب.

﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا**، اختلف فيه. فمنهم من قال: طريقة الهدى، ومنهم من قال: طريقة الكفر.

١) فمن قال: المراد هو طريقة الهدى قالوا: إن الطريقة المعروفة المعهودة هي طريق الله تعالى، فعند الإطلاق ينصرف[١] إليه، كالدين متى ذكر مطلقا ينصرف إلى دين الحق، وكذلك السبيل المطلق. قال الله تعالى: اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ،[٢] وهو الإسلام. ثم يخرج هذا على وجوه. أحدها ينصرف إلى الكفرة[٣] أنهم **لو استقاموا على الطريقة**، أي لو أجابوا إلى ما يدعَون إليه من الهدى **لأسقيناهم ماء غدقا**، أي وسّعنا عليهم العيش[٤] وكثرنا أموالهم. ويكون ذكر الماء هاهنا كناية عن السعة، لأن سعة الدنيا كلها يتصل بالماء، والماء أصلها، قال الله تعالى: وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ،[٥] فأخبر أن رزق الخلق / [٨٥٤و] من السماء. والذي ينزل من السماء الماء[٦] وهو المطر وجعل ذلك رزقا إذ هو أصل رزق الخلق، فكذلك ذكر الماء هاهنا كناية عن السعة من الوجه الذي ذكرنا. فإن كان على هذا فيكون الخطاب راجعا إلى الوقت الذي كانوا ابتُلوا فيه بالقحط والسِّنِينَ، فوعد لهم أنهم لو أجابوا إلى ما دعوا إليه يرفع عنهم القحطَ والسنين[٧] ويوسّع عليهم في الرزق؛ وهو كقول[٨] نوح[٩] وهود[١٠] وغيرهما[١١] ووعْدِهم[١٢] قومَهم بإرسال الأمطار وتكثير الأنزال[١٣] والأموال والأولاد ونحوه.

---

[١] ر: يتصرف.
[٢] سورة الفاتحة، ٦/١.
[٣] ن: إلى الكفر.
[٤] ر م – العيش.
[٥] سورة الذاريات، ٢٢/٥١.
[٦] ر ث م: ماء.
[٧] ن – فوعد لهم أنهم لو أجابوا إلى ما دعوا إليه يرفع عنهم القحط والسنين.
[٨] ر م: قول.
[٩] ﴿فقلتُ استغفروا ربكم إنه كان غفارا يُرسلِ السماءَ عليكم مِدْرارا﴾ (سورة نوح، ١٠/٧١-١١).
[١٠] ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويَزِدْكم قوةً إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين﴾ (سورة هود، ٥٢/١١).
[١١] ﴿ولو أن أهلَ القرى آمنوا واتقَوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ (سورة الأعراف، ٩٦/٧).
[١٢] ر م: ووعد.
[١٣] ر ث م: الأمطار.

ويجوز[١] أن يكون هذا في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنهم كانوا في أول الإسلام في ضيق الحال وشدة من العيش، وكانوا يتفرقون في الشعاب والأودية لشدة ما حل بهم من الجوع ليصيبوا من عُشْبها.[٢] وعند اشتداد الحال يخاف[٣] التغيير[٤] من أهلها والتبديلُ؛ فوُعِدوا السعةَ في العيش أن[٥] لو استقاموا على الطريقة التي كانوهم عليها أي داموا عليها و لم يبدلوا الدين الحق والهُدَى بالباطل، كما وعد لهم النصر والظفر على الأعداء مع قلة أنصارهم[٦] إن داموا على الإسلام.[٧] ويحتمل ما قال بعضهم: إن تأويل[٨] قوله عز وجل: **وأن لو استقاموا على الطريقة**، أي لو أسلم أهل الأرض كلُّهم جميعا[٩] لوسّعنا عليهم الدنيا وكثّرنا أموالهم وأولادهم حتى يُفتنوا فيها ويُمتحنوا[١٠] بمحن شديدة، فيتحمّل البعض منهم فيبقَوا مؤمنين ولا يتحمّل البعض فيبغُوا[١١] ويعودوا إلى ما كانوا عليه من الكفر حتى لا يقعَ التخلف في وعدنا. فإن الله تعالى وعد أن يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين،[١٢] ولا يجوز أن يقع في وعيده خلف، وهم لو استقاموا على الطريقة و لم يَبغُوا أدى ذلك إلى خلف الوعيد، لأنها لا تملأ[١٣] إذا داموا على الطريقة و لم يبغوا. ويكون الحكمة في بغيهم أن يعرف الخلقُ أن الله لم يخلقهم لمنافع تحصل له،[١٤] ولكن خلقهم لأنفسهم، إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أساءوا فعليهم،[١٥] ولو أبقاهم على الطريقة المستقيمة وظهرت الموالاة في الجملة لكان يسبق إلى الأوهام أنه إنما خلقهم لمنافع نفسه.

---

[١] ن – ويجوز.
[٢] ر ث م: من عيشها.
[٣] ن: تخاف.
[٤] جميع النسخ: النفس. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٢ظ.
[٥] ر ث م: وأن.
[٦] ث: أبصارهم.
[٧] كما في قوله تعالى: ﴿ولا تهنُوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ (سورة آل عمران، ١٣٩/٣).
[٨] ر: تأويله.
[٩] ث م: جميع.
[١٠] ر: فيمتحنوا.
[١١] ر م: فيبقوا.
[١٢] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجِنّة والناس أجمعين﴾ (سورة السجدة، ١٣/٣٢).
[١٣] ر ن ث: لأنه لا يملأ؛ م: لأنه يملأ.
[١٤] جميع النسخ: يحصل له: والتصحيح من المرجع السابق.
[١٥] يقول الله تعالى: ﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾ (سورة الإسراء، ٧/١٧)؛ ويقول أيضا: ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ (سورة فصلت، ٤٦/٤١).

وهذا من الله تعالى بيان علمه بما لا يكون أن لو كان كيف يكون، إذ الله تعالى علم الإيمانَ من البعض والكفرَ من البعض للحكمة التي ذكرنا وغيرِها مما يقف على بعضها الخلقُ دون البعض وحكم كذلك. ثم أخبر أنه لو حكم بأن يستقيم الكل على طريقة الحق ويؤمنوا لم يحكم على طريق[1] الأبد في حق الكل،[2] بل حكمُه أن يستقيم عليها البعضُ إلى مدة ثم يترك ويبدّل الحق بالباطل[3] ويدوم البعضُ عليها تحقيقا لما ذكرنا من الحكمة.[4] وهو كقوله تعالى: لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ،[5] أي لو لم يُفْرَض[6] عليهم الجهاد والخروج إلى القتال لبرز الذين[7] منتهى آجالهم القتل إلى حوائج أنفسهم فيُقْتَلُوا، بيانا منه[8] لحكمه[9] الذي [لم][10] يحكم أنه لو حكم كيف كان، فكذا هذا.

٢) وأما من قال: معناه طريقة الكفر فهو أن يكون المراد من الاستقامة[11] هاهنا الإقامة، ولفظة الإقامة يعبر بها عن الإقامة على الكفر والإسلام جميعا؛ ويكون الطريقة هاهنا إشارة إلى الطريقة التي كانوا عرفوها قبل الإسلام وهي الكفر -وإن كانت الطريقة إذا أطلق ذكرها أريد بها طريقة الهدى- لأن طريقة الكفر هي التي كانت معروفة فيما بينهم. وكذلك ذكر أهل التأويل أن الطريقة هاهنا طريقة الكفر.

وقوله:[12] **لأسقيناهم ماءً غدقا**، أي وسَّعنا عليهم وكثرنا أموالهم ليعلموا جود ربهم حيث بسط عليهم الرزق مع اختيارهم عداوته كما بسط الرزق على أوليائه، وليعلموا حلمه حيث لم يؤاخذ هم بذنوبهم ولم يَعجل[13] بإنزال النقمة عليهم.[14] *والله أعلم*.

---

[1] ن: على ظهر.
[2] ر ث م - الكل.
[3] ر ث: الباطل.
[4] ر: من الحكم.
[5] ﴿يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليَبتليَ الله ما في صدوركم وليمحِّص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾ (سورة آل عمران، ١٥٤/٣).
[6] جميع النسخ: لم نفرض. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٢ظ.
[7] جميع النسخ + كتب عليهم القتل. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر: منه بيانا؛ م: منه بيان.
[9] ر ن: لحكمة؛ م: الحكمة.
[10] والزيادة من المرجع السابق.
[11] ر م: بالاستقامة.
[12] ر ث م: فقوله.
[13] ث: ولم يعمل.
[14] ر ث م - عليهم.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **لنفتنهم فيه**، فالفتنة المحنة[١] التي فيها الشدة، فإن كان هذا في أهل الكفر ففي بسط الرزق عليهم محنة شديدة، لأن ذلك يمنعهم عن الخضوع والانقياد لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما يروا من الفضل على مَن دونهم في المال والسعة. ألا ترى إلى قوله: وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ،[٢] [وقال:][٣] وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا.[٤] وإن كان التأويل منصرفا إلى أهل الإسلام ففي التوسيع عليهم محنة شديدة وكذلك جميع ما امتُحنّا به فيه شدة،[٥] قال الله تعالى: وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً،[٦] فما من حال يعترض الإنسان إلا وله فيها شدة.

وقوله عز وجل: **ومن يُعرِض عن ذكر ربه**، فجائز أن يكون ومن يعرض عن طاعة ربه وعبادته، أو يعرض عن توحيده، أو يعرضْ عن القرآن إذ هو ذكر. والإعراض هاهنا عبارة عن الإيثار والاختيار، أي من يختار ذكر غير الله تعالى على ذكره، أو طاعةَ غيره على طاعته. وقوله عز وجل: **يَسْلُكْه عذابا صَعَدا**، وقال في موضع آخر: سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا،[٧] فجائز أن يكون الصعَد والصعود[٨] على التحقيق، كما ذكره أهل التفسير أنهم يكلفون بالصعود[٩] على جبل من نار لا يقدرون إلا بعد شدة عظيمة، ثم إذا بلغوا أعلاها يَهْوُون فيها، فذلك دأبهم. وجائز أن يكون على التمثيل، وذلك / لأن الصعود أشد من الهبوط،[١٠] فيكون الصعود عبارة عن المشقة هاهنا أنه[١١] يستقبله ما يَشُقّ عليه. وقيل المشقة التي[١٢] عليه هي[١٣] ما يَحُلّ به من العذاب متتابعا عذابا بعد عذاب. [٨٥٤ظ]

---

[١] ر + المحنة.
[٢] سورة السبأ، ٣٤/٣٤.
[٣] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨٣و.
[٤] سورة الأنعام، ٦/١٢٣.
[٥] ر م – شدة؛ ث – فيه شدة.
[٦] سورة الأنبياء، ٢١/٣٥.
[٧] سورة المدثر، ٧٤/١٧.
[٨] ر ث م – وقال في موضع آخر سأرهقه صعودا فجائز أن يكون الصعد والصعود.
[٩] جميع النسخ: الصعود. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر: من الهيوط.
[١١] ر م: أن.
[١٢] ن + هي.
[١٣] جميع النسخ: هو. والتصحيح من المرجع السابق.

وقال القُتَبِي: الصَّعود المشقة، يقال: تصعّد عليّ هذا الأمرُ أي[1] شقّ[2] علي.[3] وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: ما تصعّدني أمر ما تصعدني خطبة النكاح، أي ما شق عليّ.[4] ***والله أعلم.***

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾[١٨]

وقوله: **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا**، أي ما يُسجد فيه هو البِقاع وما يسجد به هو الجوارح. فكأنه يقول بان البقاع التي يسجد فيها والأعضاءَ التي يُسجَد بها لله تعالى، لأنه هو الذي خلقها وأنشأها، والمساجد التي بنيت فإنما تبنى لعبادة الله تعالى وليُدعى[5] فيها، فلا تشركوا[6] غيره في العبادة والدعاء.[7] وقال بعضهم: أراد بالمساجد مسجد الحرام،[8] روي ذلك عن الضحاك وغيره. فكأنه إنما صرف التأويل إلى المسجد[9] الحرام لأن هذه السورة مكية ولم يكن في غيرها من البقاع مساجد. وقال بعضهم: المساجد هاهنا البِيَع والكنائس، لأن البيع والكنائس بنيت ليُعبد الله تعالى فيها[10] فنهاهم أن يعبدوا فيها غير الله. فيخرج هذا مخرج الاحتجاج أنكم قد علمتم أن المساجد بنيت ليعبد الله تعالى فيها فلا تعبدوا فيها غيره، أو إذا[11] كان الله منشئها وخالقها دون غيره، فكيف تشركون[12] معه غيره في العبادة والدعاء وليس هو بمنشئ لها.

وقوله عز وجل: **فلا تدعوا مع الله أحدا**، فجائز أن يكون [هذا][13] على الدعاء نفسِه فيكون معناه أنْ لا تدعوا[14] مع الله أحدا. لأن الإله اسم المعبود وكان القوم إذا عبدوا شيئا سموه إلها فيقول:

---

[1] ر م - أي.
[2] جميع النسخ: يشق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٣و.
[3] *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٩١.
[4] جميع النسخ: يصعّدني أمر ما يصعدني خطبة النكاح، أي ما يشق علي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٣و.
[5] ث: وليدعها.
[6] جميع النسخ: فلا يشركوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر ن م: الدعاء.
[8] انظر: *تفسير ابن كثير*، ٨/٢٧٠.
[9] ن + إلى المسجد.
[10] ث + غيره.
[11] ر م: وإذا.
[12] ر م: يشركون.
[13] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨٣و.
[14] ر ث م: أن لا يدعوا.

لا تدعوا[1] معه أحدا إلها، فإنه هو الإله وهو المستحق للعبادة[2] من كل أحد. وجائز أن يكون أريد بالدعاء العبادة. قال عليه السلام: «الدُّعاء مُخُّ العبادة».[3] وقال تعالى: أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ[4] فجعل دعاءهم إياه عبادة منهم له، فيكون قوله: **فلا تدعوا مع الله أحدا**، أي لا تشركوا غيره[5] معه في العبادة. ***والله أعلم***.

﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا**، فمنهم من يقول: إنهم كادوا يكونون عليه لبدا على جهة الرغبة فيه[6] وموالاتهم له، فقوله: **كادوا يكونون عليه لبدا**، أي كاد[7] يلتصق بعضهم إلى بعض ليَتصِلوا[8] برسول الله صلى الله عليه وسلم، أو **كادوا يكونون عليه**، أي على رسول الله صلى الله عليه وسلم كادوا يلتصقون[9] به حبا لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم[10] حرصا على حفظ ما سمعوا أو تعجبا مما سمعوا.[11] فكانوا[12] يحرصون على حفظ ما سمعوا؛ لأنهم كانوا من منذري الجن فحرصوا على حفظه ووعيه لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم. وتعجبوا مما سمعوا، لأنهم سمعوه من مكان لم يكن مكان قراءة الكتب، وسمعوا من الأمي الذي لم يقرأ كتابا قط ولا عرف المكتوب، فتعجبوا منه أشد التعجب. والتلبد،[13] التصاق الشيء بالشيء التصاقا لا يُفْصل بعضه من بعض، وسمى اللِّبد لَبَدا من هذا، لأن الصوف يلتصق بعضه من بعض حتى لا يُمَيَّز.[14]

[1] ر م: لا يدعوا.
[2] ن: للمعبودية.
[3] سنن *الترمذي*، الدعوات ١.
[4] سورة المؤمن، ٤٠/٦٠.
[5] ن - غيره.
[6] ر ث م + لبدا؛ ن + على جهة الرغبة فيه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٣و.
[7] ر ث م: كادوا.
[8] جميع النسخ: ليتصلوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر ث م: يلتصقوا.
[10] ن + أو.
[11] ر م - أو تعجبا مما سمعوا.
[12] جميع النسخ: فكان. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن: واللبد.
[14] ر ث م: لاسر.

ومنهم من زعم أنهم فعلوا هذا لشدة[1] معاداتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكون على[2] هذا منصرفا إلى الكفرة: الإنس منهم والجن [جميعا]،[3] فيخبر أنهم اجتمعوا وتظاهروا ليطفئوا نور الله، فأبى الله تعالى إلا أن يتم نوره. فإن كان منصرفا إلى الكفرة[4] فقوله: **لما قام عبد الله يدعوه**، معناه أي لما قام محمد صلى الله عليه وسلم يوحد الله تعالى ويدعو الخلق على عبادته وطاعته فهمّ المشركون من الإنس والجن[5] وتلبدوا[6] على هذا الأمر أن يطفئوه فأبى[7] الله تعالى إلا أن ينصره ويُمْضيه. وإن كان هذا من أهل الإسلام من الجن فالدعاء[8] راجع إلى العبادة فكأنه يقول: لما قام بعبادة الله تعالى وهي الصلاة كادوا يكونون عليه لبدا لشدة حرصهم في تحفظ ما سمعوا وشدة حبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولِمَا سمعوا.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا**، ففيه إخبار عن دينه أن دينه التوحيد لا الإشراك بالله تعالى، وإخبار عما يدعو الخلق إليه، وذلك توحيد الله تعالى والقيام بطاعته. وجائز أن يكون هذا على إثْر سؤال منهم ودعوتهم إلى عبادة الأصنام على ما ذكر في الأخبار أنهم قالوا له: نعبد[9] إلهك يوما وتعبد آلهتنا يوما، وهو كقوله عز وجل: وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللهِ وَأُشْرِكَ بِهِ [مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ]،[10] الآية. وجائز أن يكون كلاما مبتدأ يؤيسهم ويقنِّطهم[11] ويقطع طمعهم عن[12] عوده إلى ما هم عليه.

---

[1] ر ن م: هذه الشدة.
[2] ن – على.
[3] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨٣ظ.
[4] ر ث م – فيخبر أنهم اجتمعوا وتظاهروا ليطفئوا نور الله فأبى الله تعالى إلا أن يتم نوره فإن كان منصرفا إلى الكفرة.
[5] ن: من الجن والإنس.
[6] ر: ويلبد؛ ن: ويلبدوا؛ م: ويلبدن.
[7] م + قال.
[8] جميع النسخ: والدعاء. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر م: إنا نعبد؛ ن ث: لو نعبد. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] سورة المؤمن، ٤٠/٤١-٤٢.
[11] ن: وتغيظهم.
[12] ر م: على عوده.

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾[٢١]

وقوله عز وجل: **قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا**، أي ضرا في الدين ورشدا في الدين. والأصل في الأسماء المشتركة أن يُنظَر إلى مقابلها فيَظهر[١] مرادها بما يقابلها، قال الله تعالى: وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ،[٢] والقاسط الجائر، وقد يكون غير الكافر جائرا، ثم صرف الجور إلى الكفر فظهر مراده بمقابله[٣] وهو قوله: وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ. والضَّرّ قد يكون في الدين وفي المال والنفس، ولكنه لما ذكر قوله: **رَشَدا**، والرشد[٤] يُتكلم به في الدين عُلم أن[٥] قوله: **ضرا**، راجع إليه أيضا، فكأنه يقول: لا أملك إضلالكم ولا رُشدكم، إنما ذلك / إلى الله، [٨٥٥و] يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،[٦] الآية.

والمعتزلة[٧] تزعم[٨] أن الله تعالى لا يملك رُشد أحد ولا غَيّه، بل رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر[٩] مِلكا، لأنه يملك أن يدعو الخلق إلى الهدى بنفسه والله تعالى لا يملك ذلك إلا برسوله. وقال عز وجل: لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ،[١٠] وقال: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ.[١١] ولو كان المراد من الهداية المضافةِ إلى الله تعالى الدعوة والبيانَ لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهديهم لأنه داع ومبيّنٌ، فثبت أن في الهداية من الله تعالى لطفا لا يبلغه تدبير البشر.

﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللّٰهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا**، فكأنهم طلبوا منه ترك تبليغ الرسالة إلى قوم أو كتمانَ شيء مما أُمر بإظهاره أو محاباةَ أحد من الأجلّة،

---

[١] ر م: فينظر.
[٢] الآية ١٤ من هذه السورة.
[٣] ن: بمقابلة.
[٤] ن: وللرشد.
[٥] ث: أننا.
[٦] سورة النحل، ٩٣/١٦.
[٧] ث + هو.
[٨] جميع النسخ: يزعم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٣ظ.
[٩] ر م: أكبر.
[١٠] سورة البقرة، ٢٧٢/٢.
[١١] سورة القصص، ٥٦/٢٨.

فأمر أن يخبرهم[١] أنه لا يجيره أحد من الله تعالى ولا يجد لنفسه ملجأ إن فعل ذلك سوى أن يبلِّغ[٢] رسالات ربه فيجيره من عذابه ويكونَ[٣] له عنده ملجأ.

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **إلا بلاغا من الله ورسالاته**، فمنهم من جعل قوله: **إلا بلاغا من الله ورسالاته**، استثناء من قوله: قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا،[٤] **إلا بلاغا من الله**، أي إني لا أملك لكم هدايتكم ولا إضلالكم إلا ما كُلِّفْتُ لأجلكم من تبليغ الرسالة. ومنهم من جعل هذا استثناء من قوله: قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ،[٥] إن عدلتُ عن أمره و لم أبلغ الرسالة فلا يجيرني من عذابه إلا أن أبلّغ[٦] الرسالة؛ قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ،[٧] وقال: فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ،[٨] لأنه[٩] لا يجوز أن يقع له الحاجة إلى الإجارة من عذاب الله تعالى و لم يقع[١٠] منه تقصير ولا تضييع يستوجب[١١] به العقاب، فلا بد من أن يمكن فيه ما ذكرنا من التقصير في التبليغ والعدول عما كُلِّف حتى يستقيم ذكر الإجارة فيه.

وذكر أبو معاذ صاحب التفسير[١٢] أن الاستثناء راجع إلى قوله: قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا، ليس إلى قوله: قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ، واستدل على ذلك بقراءة[١٣]

---

[١] ر: أن يخبرهم؛ ث م: أن يجيرهم.
[٢] ر: أن تبلغ.
[٣] ر ث م: فيكون.
[٤] الآية ٢١ من هذه السورة.
[٥] الآية السابقة.
[٦] ن: لن أبلغ.
[٧] سورة المائدة، ٦٧/٥.
[٨] سورة النور، ٥٤/٢٤.
[٩] م: الآية.
[١٠] ن: و لم يح.
[١١] ر: ليستوجب.
[١٢] بُكَير بن معروف الأسدي أبو معاذ أو أبو الحسن النيسابوري، ويقال الدَّامِغاني (ت ١٦٣هـ/٧٨٠م)، صاحب التفسير، كان على قضاء نيسابور ثم سكن دمشق، روى الحديث عن أبي حنيفة ومقاتل وغيرهم. انظر: *تهذيب التهذيب* لابن حجر، ٤٣٤/١؛ و*طبقات المفسرين* للسيوطي، ٤٢/١.
[١٣] ر: بقرائته.

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ: "قل إني لا أملك لكم غيًّا ولا رشدا إلا بلاغا من الله".[١] وليس فيما ذكر ما يوجب قطع[٢] الاستثناء عن قوله:[٣] قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا، للوجه الذي ذكرنا؛[٤] ولأن أكثر أهل التأويل[٥] أجمعوا على صرف الاستثناء إلى قوله: قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ أَحَدٌ، فلا يجوز أن يحمل قولهم على الخطأ بما[٦] ذكره أبو معاذ، ولما ذهبوا إليه وجه الصحة والسداد.

وجائز أن يكون البلاغ والرسالة واحدا فيكون الذي يبلغ بلاغا من الله ورسالاته ويكون ذلك على التكرار، وهو كقوله: وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ،[٧] قيل: إنهما واحد. وجائز أن تكون الرسالة نفس ما أُنزل وهو الكتاب، والبلاغ ما أُودع فيه من الحكمة والمعاني. وكذلك قيل في قوله: وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، إن الكتاب هو المنزّل نفسُه، والحكمة ما ضُمّن[٨] فيه من المعاني. وجائز أن يكون البلاغ من الله تعالى منصرفا إلى حكمه، ورسالاتُه إلى خبره،[٩] أو يكون رسالاته حكمه والبلاغ خبره، وهو كقوله تعالى: وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا، أخباره وَعَدْلًا،[١٠] أحكامه. أو **بلاغا من الله**، حق الله عليهم، **ورسالاته**، بما به مصالحهم. ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا،[١١] قالوا:[١٢] ملجأ ومُمالاً، أي موضعا[١٣] يمال إليه. والالتحاد الإمالة،[١٤] سمي اللحد لحدا من هذه[١٥] لأنه يمال عن سننه.

---

[١] ويدل عليه قراءة أُبي: غيا ولا رشدا. ومعنى الكلام أن النافع والضار، والمرشد والمغوي هو الله وأن أحدًا من الخلق لا قدرة له عليه (*مفاتيح الغيب* للرازي، ٣٠/١٦٤).

[٢] ر ث م: فيما ذكرنا قطع؛ ن: فيما ذكر بأقطع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٣ظ.

[٣] جميع النسخ: على قوله. والتصحيح من المرجع السابق.

[٤] ر م: ذكر.

[٥] ن: أهل التفسير.

[٦] ر م: لما.

[٧] سورة آل عمران، ٣/٤٧.

[٨] جميع النسخ: تضمن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٤و.

[٩] جميع النسخ: إلى غيره. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٠] ر – وعدلا. سورة الأنعام، ٦/١١٥.

[١١] ن: من هذا.

[١٢] ر ث م: مالولا؛ ن + لا. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٣] ر م: وموضعا.

[١٤] المُلْتَحَد: الملجأ لأن اللاجئ يميل إليه. قال الفراء: ﴿ولن أجد من دونه ملتحدا إلا بلاغا من الله ورسالاته﴾ أي ملجأ ولا سَرَبا ألجأ إليه (*لسان العرب*، «لحد»).

[١٥] ن: من هذا.

وقوله عز وجل: **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا**، وقال في موضع آخر: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،[1] وقال: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا،[2] وكل من ارتكب المأثم فقد دخل في[3] حد العصيان وإيذاء الرسول. ولكن المراد هاهنا من يعتقد عصيان الرسول وأذاه، لأن الله تعالى أضاف الأذى والعصيان إلى نفسه ولا أحد يقصد قصد أذى الله[4] تعالى، والله عز وجل لا يؤذَى،[5] ولكن أضاف أذى الرسول وعصيانه إلى نفسه وقد كانوا يعتقدون عصيانه وأذاه، فجعل عصيانهم وأذاهم لرسوله أذًى منهم لله[6] تعالى وعصيانا له، فثبت أن هذا في الاعتقاد. وقال عز وجل:[7] مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ،[8] وقال: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ،[9] فجعل طاعة الرسول طاعة له وعصيان[10] رسوله[11] عصيانا له؛ ولأنه ذكر العصيان على إثر[12] تبليغ الرسالة، فثبت أن العصيان هاهنا في ترك القبول بما أُنزل على الرسول وفي اعتقاد العصيان له. وروي عن أبي حنيفة[13] رحمه الله أنه قال: من آمن بالله تعالى ولم يؤمن برسوله فهو ليس بمؤمن لأن جهله بالله تعالى هو الذي حمله على تكذيب الرسول،[14] لأن الرسول ليس يدعوه إلا إلى ما يقربه / إلى الله تعالى وإلى ما ينجيه من عذابه، فلو كان يحب الله تعالى ويؤمن به لكان يدعوه ذلك إلى حب الرسول وإلى طاعته، فثبت أن المكذب للرسول جاهل بربه والمطيع له مطيع لله عز وجل. [٨٥٥ظ]

---

[1] سورة الأحزاب، ٥٧/٣٣.
[2] سورة الأحزاب، ٣٦/٣٣.
[3] م – في.
[4] ن: لله.
[5] ن: ولا يؤذى.
[6] ر م: الله.
[7] ن: وقال الله تعالى و.
[8] سورة النساء، ٤/٨٠.
[9] سورة النساء، ٤/ ٦٥.
[10] ن: وعصيانا.
[11] ن: لرسوله.
[12] ر م – اثر.
[13] ث: عن أبيحنيفة.
[14] ن – الرسول.

﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا،** وقال في موضع آخر: فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا.[١] يحتمل[٢] أن يكون هذا في الدنيا والآخرة جميعا، ويكون ذلك راجعا إلى يوم بدر كما ذكره[٣] أهل التأويل إذ قد ظهر في ذلك اليوم أنهم شر مكانا وأضعف جندا وأضعف ناصرا. ويشبه أن يكون هذا في الآخرة، لأنهم[٤] يعلمون أنهم أقل عددا في الآخرة لأن كل واحد منهم تبرأ عن صاحبه وناصره ومعينه في الدنيا[٥] ويصير عدوا له فيقلُّ عددهم، وأما في يوم بدر فقد كانوا أكثر عددا من المسلمين فلم يتبين[٦] لهم أنهم أقل في العدد. ويجوز أن يكون يوم بدر يكون المسلمون أكثر عددا، لأن الله تعالى أمد[٧] المسلمين بملائكته فصار[٨] عددهم أكثر في التحقيق وإن كانت الكفرة في رأي العين[٩] أكثر منهم عددا.[١٠] ثم يشبه أن يكون هذه الآية نزلت على إثر تخويف الكفرة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم[١١] بكثرة عددهم وقوتهم في أنفسهم وقلة عدد المسلمين، فوعد الله تعالى نبيه عليه السلام بالنصرة وكثرة العدد عند وقوع الحاجة إليها. *وبالله التوفيق.*

---

[١] ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا﴾ (سورة مريم، ٧٥/١٩).

[٢] جميع النسخ: ويحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٤و.

[٣] ر م: ذكر. قارن بما ورد في *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٤٠٨/٣.

[٤] ر م: فإنهم.

[٥] انظر مثلا: ﴿إذ تبرّأ الذين اتُّبِعُوا من الذين اتَّبَعُوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتَّبَعُوا لو أن لنا كَرَّةً فَنَتَبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار﴾ (سورة البقرة، ١٦٦/٢-١٦٧).

[٦] ر م: فلم تبين.

[٧] ر: أعد.

[٨] ن: فكان.

[٩] ن – صلى الله عليه وسلم.

[١٠] يقول الله تعالى: ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزَلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ (سورة آل عمران، ١٢٣-١٢٦)؛ وانظر أيضا: (سورة الأنفال، ٩/٨-١٠).

[١١] ر م – العين.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا**، فهذا ذَكَره عند ذكر الوعيد، وهو قوله: فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا،[١] فكأنهم سألوه متى وقتُ[٢] هذا الوعيد؟ فأمر أن يقول: **قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا.** قد ذكرنا فيما تقدم من الآيات أن ليس في بيان وقت الوعيد فضلٌ[٣] يقع في الوعيد بل إذا لم يبين وقتَ الوعيد كان فيه فضلُ[٤] تخويف وتحذير لا يوجد فيما يبين، لأنه إذا بين[٥] فإن كان فيه أمدٌ سوَّف الناسُ وأخروا التوبة لما أمنوا حلول النقمة بهم إلى مجيء ذلك اليوم، وإذا لم يُمهَلوا صاروا إلى الإياس، فيرتفع الخوف والرجاء، وفيه ارتفاع المحنة،[٦] لأن المحنة[٧] في الأصل بالعمل على الرجاء والخوف. ولأنه إذا لم يبين كانوا على الحذر والخوف فيحملهم ذلك على التسارع في الخيرات والانقلاع عن المساوئ، فأُمر أن يقول هذا، وإلا فالذي [أمره][٨] بأن يقول هذا عالم بالوقت الذي يقع فيه الوعيد.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾[٢٦] ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول.** الأصل فيما غيّب الله تعالى عن الخلق أنه على منازلَ ثلاثةٍ. أحدها ما قد[٩] أعجز الخلق عن احتمال الوقوف عليه بالخلقة، نحو الكيانات[١٠] التي هي أصول الأشياء لو أراد أحد أن يعرف المعنى الذي به صلح أن يكون كيانا لم يقف عليه، ونحوَ الماء جُعل حياة لكل شيء ولو أراد أحد

---

[١] الآية السابقة.
[٢] ر ث م: وقعت.
[٣] ن ث: فصل.
[٤] ث: فصل.
[٥] ث + فكا.
[٦] ن + والرجاء.
[٧] ر م – لأن المحنة.
[٨] ر ث م: والذي. الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨٤ظ.
[٩] ر: قد؛ م: فقد.
[١٠] ث: الكنايات.

أن يتعرف المعنى الذي به صلح أن يجعل حياة لم يقف عليه، وكذلك هذا في كل ما جعل كيانا موجود.[١] والثاني ما مكنَ الخلقَ[٢] معرفته وبلوغه إليه بالتأمل والنظر بدون معرفة السمع والأثر نحو معرفة[٣] الصانع ومعرفة وحدانيته. والثالث هو الذي لم يعجزهم عن إدراكه ولا مكنّهم من الوقوف عليه دون خبر يَرِد. فقوله: **فلا يُظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول**، في هذا وهو الذي[٤] مكنوا فيه، لكنهم لا يبلغونه إلا بمعونة الخبر.[٥] وذلك نحو الأشياء التي ترجع[٦] إلى مصالح الخلق والذي يوصل إلى مصالح الأغذية مما ظهر بين الخلق، ولكنها لا تعرف[٧] إلا بالسماع ممن[٨] له علم من الخلق وانتشاره فيهم،[٩] وهو بحيث لا يحتمل إدراكه بالنظر، فبيَّنَ أن ذلك بالرسول، ومتى وجد ذلك من شخص مشار إليه دل ذلك على الاختصاص له بالرسالة.

ثم ذكر بعضهم أن في هذه الآية دلالة تكذيب[١٠] المنجمة، وليس كذلك، لأن فيهم من يَصدق خبره ويعرف الْمَطالع والمغارب والمشارق والكواكب التي بها يتوالد[١١] الخلق والتي يقع عندها التغير والتبدل، وذلك مما لا يوقف على علمه بالتأمل والتدبر. وكذلك المتطببة[١٢] منهم من يعرف طبائع النبات أنه[١٣] يصلح لكذا وهذا[١٤] يصلح لكذا فيقع به المصالح للخلق. ومعلوم[١٥] أن هذا [كله][١٦] من نوع ما لا يدرك بالتأمل والنظر، فعلم أنهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع أثره وبقي علمه في الخلق. *والله أعلم*.

---

[١] جميع النسخ: موجودا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٤ظ.

[٢] ر م – الخلق.

[٣] ن + نحو معرفة.

[٤] ر م: والذي.

[٥] م – الخبر.

[٦] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] جميع النسخ: لا يعرف. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] ر م: فمن.

[٩] ر: وإشارة فهم؛ م: وإشارة فيهم.

[١٠] ر: يكذب؛ م: بكذب.

[١١] ر: توالد.

[١٢] ر: المتطبة.

[١٣] جميع النسخ: أنها. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٤] ث م + لا.

[١٥] ر م: معلوم.

[١٦] الزيادة من المرجع السابق.

وقوله عز وجل: **إلا من ارتضى من رسول**، أي اختاره[1] واصطفاه. والأصل أن الرسالة تُلزم[2] الخلق[3] الشهادة له بالصدق في كل خبر، وبالعدل[4] في كل حكم، بقوله: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ،[5] وبالإصابة في كل أمر فيما لم يبلغ مبلغا يوجب الأمر، فهؤلاء يختصها[6] للرسالة وفي الاختصاص[7] نعمة عظيمة على الخلق، إذ به وصل الخلق إلى تعرّف ما تبلغهم[8] إليه الحاجة في أمر معاشهم ومعادهم ودينهم ودنياهم.

وقوله عز وجل: **فإنه يَسلك من بين يديه ومن خلفه رَصَدا**، قيل: رصدا من بين يدي الرسول ومن خلفه من الملائكة ليمنع الإنس عن الرسل في منعهم الرسل[9] عن التبليغ حتى يبلّغوا.[10] ذكر هذا / عن الحسن البصري رحمه الله. وكذلك قال في قوله: إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ.[11] إن إحاطته هي أن يعصمه من الناس من أن يصل إليه منعُ الناس إياه عن تبليغ الرسالة. ويحتمل أن يكون الملائكة جُعلوا رصدا عن الجن عن استراق[12] ما يوحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعن تلقنه[13] حتى يكون الرسول هو الذي يبلغ إلى الخلق؛ ويشتهر ذلك فيما بين الخلق أن الرسول هو الذي قام بتبليغه إلى الخلق، لأنهم إذا لم يُجعلوا رصدا أمكن[14] الجنَّ أن يسترقوه ويبلغوه فيأتوا بلدة لم يتيسر عندهم علم ذلك من جهة الرسول، فيعرفوا ذلك من عند الجن قبل أن يبلغهم الرسول، فإذا بلّغ الرسول من بعدُ التبس الأمرُ

[٨٥٦و]

---

[1] ن: أي أخباره.

[2] جميع النسخ: يلزم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٤ظ.

[3] ر م: خلق.

[4] م: بالعدل.

[5] سورة النساء، ٤/٦٥.

[6] ث: يخصصه.

[7] ر م + من.

[8] جميع النسخ: ما يبلغهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ر م - الرسل.

[10] قال ابن عباس وابن زيد: ﴿رَصَدًا﴾ أي حَفَظة يحفظون النبيّ صلى الله عليه وسلم من أمامه وورائه من الجنّ والشياطين (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/٢٩).

[11] سورة الإسراء، ١٧/٦٠.

[12] ر م: استغراق.

[13] ن: وعن تلقته.

[14] ر م: لكن.

على الذين ظهر فيهم العلم من جهة الجن، فجعل عليهم رصدا حتى ينتشر علم ذلك من جهة الرسول، فيرتفع التشبيه.[١] أو يكون الرصد يمنع[٢] الجن الذين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغوا قومهم من الجن حتى ينتهي الخبر إليهم من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقال بعضهم: **من بين يديه ومن خلفه رصدا**، إن الملائكة كانوا يَرْصدون النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا جاءه الملك قالوا هذا وحي من الله تعالى، وإذا جاءه الشيطان أخبروه[٣] به. ولكن هذا بعيد، لا يحتمل أن يخفى عليه وحي الشيطان من وحي جبريل عليه الصلاة والسلام. وقال بعضهم: **من بين يديه ومن خلفه رصدا**، أي بين يدي من يبلّغ[٤] الرسالة إلى الرسول وهو الملك الذي ينزل بالوحي جُعل بين يديه ومن خلفه ملائكة يرصدونه كي لا يستلب[٥] الشيطان عنه أو يُحدث[٦] فيه حدثا من التغيير والتبديل ليعلم رسول الله أنه إنما يبلغ إليه رسالة[٧] ربه. وهذا بعيد أيضا، لأن بالمبلِّغ[٨] من القوة[٩] ما يدفع أذى الجن[١٠] عن نفسه وهو أمين لا يخاف منه التغيير والتبديل حتى يُجعل[١١] عليه الرصد فيُؤمَن من تبديله، ألا ترى إلى قوله عز وجل: ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ،[١٢] فوصفه الله تعالى بالقوة والأمانة جميعا. لكنه جائز أن يكون المبلّغ ممتحَنا بالتبليغ والذين معه من الرصد امتُحنوا بأمور أُخَرَ لا أن جُعلوا رصدا من الجن. وجائز أن يكونوا أُرسلوا معه[١٣] لمكان تعظيم الوحي وتشريف الرسالة. *والله أعلم.*

---

[١] ن: المتشبهة.
[٢] ر ث م: تمنع.
[٣] م: أخبره.
[٤] ن: من تبليغ.
[٥] ث: كي يستلب.
[٦] جميع النسخ: ويحدث. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٥و.
[٧] ن ث: رسالات.
[٨] جميع النسخ: المبلغ. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ر ث م: بالقوة.
[١٠] ر: أدى الخير؛ ث م: أدى الخبر.
[١١] ر: يجعله.
[١٢] ﴿إنه لقول رسولٍ كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين﴾ (سورة التكوير، ٨١/ ١٩-٢١).
[١٣] ر ث م - معه.

﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم،** قال قائلون: ليعلم محمد بالرصد أن قد بلّغ[١] سائر الرسل رسالات ربه[٢] على الوجه الذي أمروا كما بلّغ هو. والثاني أن يعلم كل[٣] في نفسه أن قد أبلغ رسالات ربه، أو ليعلم الأعداء أن قد بلغ[٤] محمد صلى الله عليه وسلم رسالات ربه على الوجه الذي أمر لم يقع فيه تغيير من شيطان ولا جني ولا عدو. وقوله عز وجل: **وأحاط بما لديهم،** أي بما عند الرسل،[٥] وبما عند الملائكة أو بما عند الخلق.

وقوله عز وجل: **وأحصى كل شيء عددا،** أي أحاط العلم بالذي هو معدود لا بالعدد،[٦] وهو كقوله عز وجل: وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ،[٧] أي ما يوزن[٨] عند الخلق. أو أحاط العلم بما لَدَى الكفرة لا بالرصد، وأن في نصب الرصد محنة وتكليفا على الرصد لا أن يقع بهم الحفظ، وهو كقوله عز وجل: هٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.[٩] فبين أن النصر من عنده وأن الملائكة إنما أرسلت لتطمئن بها قلوب المؤمنين وتركن إليها طباعهم. **وأحصى كل شيء عددا،** أي كلُّ شيء[١٠] عنده معدود ومُحْصًى[١١] لا يَغْفُل جل جلاله عن معرفة[١٢] عدده ولا يعتريه أحوال يَعزُب عنه[١٣] فيها علم ذلك، خلافا لما عليه أمر[١٤] الخلق. *والله أعلم.*[١٥]

---

[١] ر ن م: أبلغ.
[٢] ث: ربهم.
[٣] ث + نفس.
[٤] ر م: أبلغ.
[٥] ر م: الرسول.
[٦] ن: لا بالعد.
[٧] سورة الحجر، ١٥/١٩.
[٨] ر: ما يؤزن.
[٩] سورة آل عمران، ٣/١٢٥-١٢٦.
[١٠] ر م – أي كل شيء.
[١١] ث: محصي.
[١٢] ث – معرفة.
[١٣] ر م: عنها.
[١٤] ن: من.
[١٥] ن: والله الموفق؛ ث: والله الموفق الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المزمل[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾[١]

قوله عز وجل: **يا أيها المزمل**، فالمزمل والمدثر يقتضيان معنى واحدا على ما يذكر في سورة المدثر.

﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٢] ﴿نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾[٣] ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[٤]

وقوله عز وجل: **قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه**، فجائز أن يكون هذا الأمر كله منصرفا إلى وقت واحد، فإذا صرفت إلى وقت واحد[2] فإما أن يكون قوله عز وجل: **إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه**، منصرفا إلى قوله: **قم الليل**، أو إلى قوله: **إلا قليلا**. فإن صرفتَ النقصان إلى قوله: **إلا قليلا**، زدت في الأمر بالقيام، وإن صرفت النقصان إلى قوله: **قم الليل**، فقد زدت في قوله: **نصفه أو انقص منه قليلا**. فإلى[3] أيهما[4] صُرف اقتضى الزيادةَ في أحدها والنقصانَ في الآخر فيتفق معناهما. وهذا نظير قوله: يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ،[5]

---

[1] ث + وهي عشرون آيات وهي مكية.

[2] م – فإذا صرفت.

[3] ن: قال.

[4] م: أيها.

[5] سورة النساء، ٤/١٧٦.

فمنهم من جعل الكلالة اسما للميت الموروث عنه ومنهم من أوقع هذا الاسم على الحي الذي يرث الميتَ،[1] وأيُّهما كان فهو يقتضي معنى واحدا، لأن منزلة الحي من مُورِثه ومنزلة المورَث من الحي واحدة لا تختلف.[2]

وجائز أن يكون هذا على اختلاف الأوقات على ما ذكره أهل التفسير، فيكون قوله: **قم الليل إلا قليلا**، أمرا بإحياء أكثر الليالي، ثم يكون في قوله: **أو انقص منه** / **قليلا**، تخفيفُ [٨٥٦ظ] الأمر عليه، فيكون فيه أن له أن ينقص عن الأكثر. وقوله: **أو زد عليه**، أي[3] على المقدار الذي أبيح له الانتقاص، وإذا ارتفع النقص عاد الأمر إلى ما كان مأمورا به في الابتداء.

ثم القليل ليس[4] باسم لأعين الأشياء ولكنه من الأسماء المضافة، فإذا قيل: قليل، اقتضى ذكره تثبيت ما هو أكثر منه حتى يصير[5] هذا قليلا إذا قوبل بما هو[6] أكثر منه، فلذلك قالوا: بأن قوله: **قم الليل إلا قليلا**، يقتضي أمر القيام أكثر الليل. ولهذا قال أصحابنا فيمن أقرّ أن لفلان[7] عليه ألفَ درهمٍ إلا قليلا:[8] إنه يلزمه أكثر من نصف الألف، لأنه استثنى القليل، فلا بد من أن يكون المستثنى منه أكثر من المستثنى[9] حتى يكونَ المستثنى قليلا كما استثنى. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ورتّل القرآن ترتيلا**، فالترتيل[10] هو التبيين في اللغة[11] أي بَيِّنْه[12] تبيينا. وقيل: اقرأه حرفا حرفا على التقطيع لما ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع القراءة. ولكن جائز أن يكون قراءته[13] على التقطيع لأن التبيين كان في تقطيعه وإنما أمر بالتبيين

---

[1] ن – الموروث عنه ومنهم من أوقع هذا الاسم على الحي الذي يرث الميت.
[2] جميع النسخ: لا يختلف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٥و.
[3] ن – أي.
[4] ر – ليس.
[5] ر ن م – يصير.
[6] ر م – هو.
[7] ر م: الفلان.
[8] ث: إلا قليل.
[9] ر ن + منه.
[10] ن – فالترتيل.
[11] ن – في اللغة.
[12] ر: تبينه.
[13] جميع النسخ: قرائة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٥ظ.

لأن القرآن لم يُنَزّل ليُجوِّد[١] قراءته فقط،[٢] لكنه لمعان[٣] ثلاثة. أحدها أن يُقرَأ للحفظ والبقاء إلى يوم القيامة لئلا يَذهب ولا يُنسى. والثاني أن يقرأ لتذكر[٤] ما فيه وفهم ما أُودع من الأحكام وما لله عليهم من الحقوق وما لبعضهم على بعض. والثالث يُقرأ ليعمل بما فيه ويتعظ[٥] [المرء] بمواعظه[٦] ويجعلونه إماما يتبعون أمره وينتهُون عما نَهى عنه. فتنفيذ[٧] قراءته في الصلاة يُلزمنا هذا كلَّه، ولا يدرك ذلك[٨] إلا بالتأمل وذلك عند قراءته على الترتيل. وهذا الذي ذكرناه يوجب اختيار [قول][٩] من يرى الوقوف في القرآن، لأن ذلك أدل[١٠] على المعنى وأقرب إلى الأفهام. وفيه دلالة أن المستحب فيه ترك الإدغام وترك الهمز الفاحش لأن ذلك أبلغ في التبيين. والأصل أن السامع للقرآن[١١] مأمور بالاستماع إليه وإذا لزمه الاستماع –وفي الاستماع الوقوف على حسن نظمه وعجيب حكمته والوقوفُ على معانيه– فلزم القارئ[١٢] تبيينه ليصل السامع إلى معرفة معانيه ويقفَ على حسن نظمه وعجيب تأليفه، وذلك يكون أقرب في أفهام السامع والقارئ لما فيه من لطائف المعاني. ثم الترتيل منصرف إلى القراءة وسمي القراءة[١٣] قرآنا على جهة المصدر إذ[١٤] ما هو كلام الله تعالى لا يوصف بالترتيل. **والله الموفق**.

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[٥]

وقوله عز وجل: **إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا**، و لم يقل ثقيلا على من؟ فجائز أن يكون الثِّقل راجعا إلى الكفرة والمنافقين، ويكون الثقيل الأمرَ بالجهاد لأنه اشتد على الفريقين جميعا

---

[١] ن: ليجرد.
[٢] ر: فقطعه.
[٣] ر: المعان لكنه؛ ن ث م: لمعاني. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٥ظ.
[٤] ن: لتذكير.
[٥] ن: وحفظ؛ م + هو.
[٦] م: بمواعظ.
[٧] جميع النسخ: فنفذ.
[٨] ن – ذلك.
[٩] الزيادة من المرجع السابق.
[١٠] جميع النسخ: أداء. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر ث م: في القرآن.
[١٢] ن + فلزم القاري.
[١٣] ن + وسمي القراءة.
[١٤] جميع النسخ: أن. والتصحيح من المرجع السابق.

وأيس الكفار عن المسلمين أن يعودوا[1] إلى ملتهم، قال الله تعالى: ﴿اَلْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾[2] وتخلّف المنافقون عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقل ذلك عليهم.[3] فجائز أن يكون قوله: **ثقيلا**، أي على الكفرة والمنافقين وكذا على أهل الكتاب[4] ثقيل أيضا، لأنهم لم يتمنوا أن ينزل عليهم[5] الكتاب. وأما على المسلمين فليس ثقيل بل هو كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.[6] وجائز أن يصرف ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه أمر بتبليغ الرسالة إلى الفراعنة وإلى[7] الخلق كافة، وفي القيام[8] بالتبليغ إلى الفراعنة مخاطرة بالروح والجسد، والقيام بما فيه مخاطرة بالروح والجسد[9] [أيضا، وهذا] أمر[10] ثقيل صعب[11] جدا. أو يكون ذلك منصرفا إلى قيام الليل، فيكون معناه **قولا ثقيلا**، أي الوفاء بما[12] يوجبه ذلك القول. وجائز أن يكون هذا منصرفا إلى أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنصاره، فيكون قوله من الوجه الذي كلِّفوا القيام بفرائضه وحفظ حدوده وتحليل حلاله واجتناب حرامه.

وزعمت الباطنية أن القول[13] الثقيل هو أن كُلِّف الناطق وهو الرسول عليه السلام تفويضَ الأمر إلى الأساس وهو الباب، وكذلك الأساس، والباب هو علي ابن أبي طالب رضي الله عنه عندهم. وهم يسمون[14] الرسل[15] نطَّقا ويقولون بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بتبليغ التنزيل إلى الخلق، فلما بلغ التنزيل إليهم واستغنوا عنه احتاجوا إلى من يعلمهم التأويل

---

[1] ر م: أن يعود.
[2] سورة المائدة، ٥/٣.
[3] ر ث م – وثقل ذلك عليهم.
[4] ر ث م: الكبائر.
[5] جميع النسخ: عليه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٥ظ.
[6] سورة القمر، ٥٤/١٧.
[7] ر ث م: إلى الفراعنة والخلق.
[8] ن: وفي الأمر.
[9] ر ث م – والقيام بما فيه مخاطرة بالروح والجسد.
[10] ر م: أم.
[11] م – صعب.
[12] ن + بما.
[13] ر م: بأن القول.
[14] ر: يسمعون.
[15] ر ث م: الرسول.

فأُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يسند أمر التأويل إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليكون هو الذي يتولى تعليمَ الخلق تأويلَه فذلك[١] هو القول[٢] الثقيل؛ إذ أُمر[٣] أن يُسند [الأمر][٤] إلى غيره فاشتد عليه إذ صار[٥] غيره وليَّ الأمر وبقي هو ساكتا لا ينطق.

فيقال لهم: إن في الأمر بإسناد الأمر إلى من ذكرتم تخفيفَ[٦] الأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بزعمكم، لأن من مذهبكم أنه إذا فُوّض الأمر إلى عليّ رضي الله عنه قبض هو عليه السلام، وصورة القبض عندكم أن يميّز الصورة الروحانية النورانية[٧] من الصورة الجسدانية التي كانت محتَبَسَة في الصورة الجسدانية، ثم تُتْلَف الصورة الجَسَدانية وتبعث الصورة الروحانية النورانية إلى دار الكرامة والحبور. والخلاص[٨] من الحبس لِمَ يشتد ذلك عليه ولم يثقل؟ بل كان فيه ما يرغّبه / إلى التفويض ويدعوه إليه. ثم من مذهب[٩] الباطنية أنهم [٨٥٧و] لا يعلِّمُون أحدا مذهبَهم إلا بعد أن يُحلّفوه بالأيمان المغلَّظة[١٠] بأن لا يخبر به[١١] أحدا إشفاقا على أنفسهم. ولو كان الأمر على ما قدّروا أن التلف يَرِد على الصورة الجسدانية التي هي سبب لحبس الصورة الروحانية، وإذا تَلِفت رُدَّت الروحانية إلى دار فيها كل أنواع السرور، فما الذي يحُوجهم إلى الاستحلاف، وما بالهم يُشفقون على أنفسهم؟ وليس في إتلاف أنفسهم[١٢] إلا الخلاصُ من الحبس والوصولُ إلى الكرامات، ومَن هذا وصفه حُقَّ عليه الموت. لِيُعْلَمْ أنهم[١٣] يعاملون الخلق على خلاف ما يوجبه اعتقادهم، ولو كان ما اعتقدوه حقا لما استجازوا مخالفته. ولكن الذي دعاهم إلى ما ذكرنا تسويل الشيطان وتزيينه في قلوبهم.

---

[١] ر م: كذلك؛ ن: فكذلك؛ ث: فلذلك.
[٢] ر ث م: هو قول.
[٣] ر م: إذا أمر.
[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨٥ظ.
[٥] ر م: إذا صار.
[٦] ن: يخفف.
[٧] ر ث م – النورانية.
[٨] ر ث م: والإخلاص.
[٩] جميع النسخ: ومن مذهب. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ث م: الغليظة.
[١١] ث – به.
[١٢] ن – أنفسهم.
[١٣] أي الباطنية.

وما مثلهم إلا مثَلُ[1] اليهود الذين ادَّعوا أن الدار الآخرة لهم خالصةً من دون الناس فقيل لهم: فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ.[2] لأنكم لا تصلون إلى الآخرة إلا بعد الموت،[3] فإن كنتم محقين في دعواكم[4] فتمنوا الموت[5] لتصلوا إليها. فكان في امتناعهم عن التمني ما يظهر كَذِبهم ويبطل مقالتهم ويبين[6] تَمويهَهم. فكذلك في إشفاق هؤلاء على أنفسهم من الهلاك إظهار وأنباء أنهم قصدوا به قصد التمويه على الضعفة ليصلوا إلى المَأْكلَة ويتوسعوا به[7] في أمر دنياهم من غير حجة لهم في ذلك.

وبهذا الفصل الذي ذكرنا نحتج[8] على الثنوية، فإن من مذهبهم تحريمَ القتل والذبح. وأحق[9] من يرى القتل والذبح مباحَين هم،[10] لأن من مذهبهم أن العالم إنما هو بامتزاج[11] النور والظلمة. فما من جزء من أجزاء النور إلا هو مشوب بجزء واحد من أجزاء الظلمة. وكانا متباينين، فغلبت الظلمة على النور فامتزجت به،[12] فصارت الظلمة حابسة[13] للنور. ومعلوم بأن في القتل تخليص أجزاء النور[14] من حبس الظلمات، لأن في القتل إزالةَ السمع والبصر والعقل، ومعلوم بأن النور والبصر في هذه الأشياء إذ بها رؤية الأنوار. فإذا امتازت هذه الأشياء من الجسد وبقى[15] الجسد الظلماني لا يبصر شيئا فقد وصل جوهر النور إلى غرضه[16] ومقصوده بالقتل وصار إلى مَقَرِّه.[17]

---

[1] ث: الأمثل.

[2] ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنَّوُا الموت إن كنتم صادقين﴾ (سورة البقرة، ٩٤/٢).

[3] ر ن ث: إلا بالموت.

[4] م: في دعواتكم.

[5] ن – الموت.

[6] ر ن م: وتبين، ث: وتبيين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٦و.

[7] ر: وهم سعوا به؛ م: وهم سعوا.

[8] ر ث م: يحتج.

[9] ر م: وحق.

[10] ر ث م – هم.

[11] ر: بأضواع؛ ث م: بأضواح.

[12] ر – به.

[13] ر: مابسة.

[14] ر ث م: ومعلوم أن في القتل تخليص أجزاء النوراني.

[15] ر م: وأبقي.

[16] ر م: حرصه؛ ث: حرضه.

[17] ن ث: مقرة؛ ر: إلى مفره.

فإذا كان القتل يوصله إلى غرضه[١] ويخلّصه عن وَثاق الظلمة وحبسه فقد أحسن القاتل[٢] إليه بالقتل والذبح، فلا يجيء أن يحرم القتل على مذهبهم بل يجب أن يُمدَح المرء على ذلك الفعل ويُستصوب ذلك منه.

وقال القتبي: القول الثقيل كلام الله تعالى وثقله هو تبجيله وتعظيم حرمته ليس ككلام[٣] السفهاء الذين لا يُكترَث به ولا يُؤْبَهُ به.[٤] وقال الزجاج: الثقيل الوَزِين أي الذي له وزن[٥] وقدر في القلوب الذي يجب أن يعظمَ ويوقَّر ليس بالقول[٦] الذي يستصغر. وجائز أن يكون القول الثقيل هو[٧] الحق، على ما روى في بعض الأخبار أن الحق ثقيل مُرٌّ والباطل خفيف وبيء.[٨] وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: حُقَّ لميزان لا يوضع فيه إلا الخير أن يَثقُل، وحق لميزان لا يوزن فيه إلا الباطل أن يَخِفّ فيكون ثقله العملَ بما فيه.[٩] وجائز أن يكون القول الثقيل هو تكليفَ القيام عامةَ[١٠] اللَيل.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا**، قرئ "وِطاءً" و"وَطْأً"،[١١] فمن قرأ وطاء بالمد فتأويله من المواطأة وهي الموافقة، أي موافق للسمع والبصر والفؤاد؛ لأن القلب يكون أفرغ بالليالي عن الاشتغال التي يَحول المرءَ عن[١٢] الوصول إلى حقيقة درك معاني[١٣] الأشياء،

---

[١] ر م: حرصه، ث: حرضه؛ ث + ويصله.
[٢] ر ث م – القاتل.
[٣] جميع النسخ: كلام. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٦و.
[٤] انظر: *تفسير غريب القرآن* لابن قتيبة، ٤٩٣.
[٥] انظر: *معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٥/٢٤٠.
[٦] ن: القول.
[٧] ن ث: أي.
[٨] ر: وقي؛ ن – وفي؛ ث م: وفي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٦و. قال حذيفة بن اليمان: «إن الحق ثقيل، وهو مع ثقله مريء، وإن الباطل خفيف، وهو مع خفته وبيء، وترك الخطيئة أيسر -أو قال: خير من طلب التوبة- ورب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا» (*الزهد والرقائق* لابن المبارك، ١/٢٩١). الباطل وبيء لا تحمد عاقبته. قال ابن الأعرابي: الوبيء العليل (*لسان العرب*، «وبأ»).
[٩] قارن بما ورد من كلام أبي بكر في *تاريخ دمشق* لابن عساكر، ٣٠/٤١٣.
[١٠] ن: عليه.
[١١] ث: ووطاء. انظر: *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٥١.
[١٢] ر م: على.
[١٣] ر: تعالى؛ م: مقالي.

وكذلك السمع والبصر يكون أحفظ للقرآن وأشد استدراكا لمعانيه. ومن قرأ وَطْأً فهو من الوطء بالأقدام، فتأويله أنه أشد على البدن وأصعب؛ لأن المرء قد اعتاد التقلب والانتشار في الأرض بالنهار ولم يَعْتَدْ ذلك بالليل بل اعتاد الراحة فيه، فإذا كُلِّف القيام والانتصاب برِجْلَيه في الوقت الذي لم يعتد فيه بالقيام كان ذلك أشد عليه وأصعب على بدنه؛ ولأن المرء بالنهار ليس ينتصب قائما في مكان واحد فيمكث فيه كذلك بل ينتقل من موضع إلى موضع، ولو كلف الانتصاب في مكان اشتد عليه ولحقه الكَلال والعَناء من ذلك. ثم أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينتصب قائما يصلي إلى نصف الليل أو أكثر، فكان في ذلك محنة شديدة[1] وكلفة شاقة. ***والله أعلم.***

ثم الأصل أن المرء ينتشر[2] بالنهار لطلب[3] ما يعيش به[4] وليصل[5] إلى ما يتمتع[6] في أمر دنياه، وينام الليل طلبا[7] للراحة وإيثارا[8] للتخفيف.[9] وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممنوعا عن اكتساب الأشياء التي يتوصل بها إلى سعة[10] الدنيا إلا القدرَ الذي يقيم به مُهْجته.[11] وكذلك منع عن الراحة بالليالي وأمر بإحياء الليل إلا القدر الذي لا بد منه. ***والله أعلم.*** وجائز أن يكون في الأمر بقيام الليل نوع[12] من الراحة والتخفيف، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُلزم بتبليغ الرسالة إلى الناس كافة، / فحُمِّل تبليغها[13] إليهم بالنهار ورفعت عنه الكلفة [٨٥٧ظ] بالليل وأمر بأن يتفرغ لعبادة ربه. وكان الأمر بالتفرغ للعبادة أيسر[14] من الأمر بتبليغ[15] الرسالة؛

---

[1] ث: شدة.
[2] ر: تيسير؛ ث: يتيسر؛ م: تيمر.
[3] ن: أو طلب.
[4] ر ث م - به.
[5] ر م: ويصل.
[6] م: إلى ما يمنع.
[7] ر م: طالبا.
[8] ر م: وأشار.
[9] ر م: التخفيف.
[10] ن: إلى سعيه.
[11] ر: بهجته.
[12] ر ث م: بنوع.
[13] ن: يبلغها.
[14] ر م: وأيسر.
[15] ر م: تبليغ.

لأن الأمر[١] بالتبليغ أمر بما فيه المخاطرة بالروح والجسد، وليس في الأمر بالانتصاب قائما أكثرَ الليل ذلك،[٢] وإنما فيه إيصال الوجع إلى بعض أعضائه فيكون فيه بعضُ التخفيف.

فإن قيل على التأويل الأول: كيف خُصَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في باب النكاح حيث أبيح له فضل العدد و لم يُبَحْ لأمته، وفي ذلك زيادة تمتع بشهوات الدنيا؟

وجوابه أن يقال بأن المعنى الذي به حُظر[٣] على غيره الزيادةُ على الأربع وقصر الأمر على[٤] الأربع هو خوف الجور،[٥] ألا ترى إلى قوله تعالى: فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً.[٦] وإذا كان التحريم للوجه الذي ذكرنا ارتفع الحظر[٧] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الله عز وجل عصمه عن الجور[٨] ومكّنه من العدل بين النساء. ثم ليس في إباحة زيادة العدد سوى فضل محنة وكلفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كأنه إذا[٩] أمر أن يقوم فيما بينهن بالعدل وأن يبتغي مرضاتَهن بحسن العشرة معهن –وإنما يصل المرء إلى الإرضاء بالأموال و لم يتمتع هو من الدنيا مقدار ما يصل إلى إرضائهن بالأموال– لم يتهيأ له أن يرضيهن[١٠] إلا بسعة الأخلاق وأن يلين[١١] لهن لِتَقَرَّ أعينهن ولا يحزنَّ،[١٢] فثبت أنه ليس في إباحة العدد فضل تمتع بل فيه زيادة محنة وابتلاء.

وفيه أيضا ما يحقق رسالته ويثبت نبوته، لأن المرء إنما يصل إلى توفير الحقوق الواجبة عليه بالنكاح إذا تناول من فضول[١٣] الدنيا وطَعِم من لذاتها[١٤] وأعطى النفس شهواتها.

---

[١] ر ث م: لأن في الأمر.
[٢] ث م + قائما.
[٣] ر م: خطر.
[٤] ث + وقصر الأمر على.
[٥] ر: الجوهر.
[٦] سورة النساء، ٣/٤.
[٧] ر ن م: الخطر.
[٨] ر: عن الجوهر؛ ن: من الجور.
[٩] ث – إذا.
[١٠] جميع النسخ: أن يصيبهن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٦ظ.
[١١] ر: وأن بين؛ م: وأن يتن.
[١٢] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿تُرْجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيتَ ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تَقَرَّ أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلُّهن﴾ (سورة الأحزاب، ٥١/٣٣).
[١٣] ر م + الطعام.
[١٤] ر ث م: وطعم لذاتها.

ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ممنوعا من إعطائه[1] النفس شهوتها،[2] ومع ذلك قام بإيفاء حقوق الأزواج، فثبت أنه باللطف من الله تعالى وصل إلى إيفاء حقهن ليس بأسباب البشرية.

وفي هذه الآية دلالة أن الصلاة تشتمل على الذكر والفعل جميعا لأنه قال: **أشد وطأ**، أي[3] أشد على البدن، وشدته يكون بالفعل، وقال: **وأقوم قِيلًا**، وذلك يرجع إلى الذكر.

ثم يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكلف بتبليغ[4] الرسالة بالليالي؛ لأن أعداءه من الفراعنة وغيرهم كانت همتهم أن يقتلوه ويمكروا به،[5] ولم يكن يتهيأ لهم إيصال الأذى به لمكان أتباعه، والليالي هي أوقات غفلة الأتباع. فلو[6] كُلِّف التبليغَ فيها لتمكنوا[7] من إيصال المكر به، فوضع عنه التبليغ وامتُحن بالقيام لعبادة ربه.

وقوله عز وجل: **إن ناشئة الليل**، أي ساعة الليل، وقيل: هو من نشأ ينشأ أي نما، فسميت[8] ناشئة لأن الأوقات تحدث[9] وتترادف. وجائز أن يكون المراد من ناشئة الليل أي ما يوجد من الأحوال في الليل من القيام للصلاة والاشتغال بعبادة الرب جل جلاله.

وقوله عز وجل: **وأقوم قيلا**، أي أصوبُ كلاما. والأقوم هو المبالغة في الوصف مما أريد بالقيام، فإن أريد به الكلام فحقه أن نَصرفه[10] إلى الصدق إذ الأقوم من الأخبار أصدقها؛ وإن أريد به القيام بوفاء[11] ما يقتضيه ذلك الكلام فمعنى قوله: **أقوم**، أي أبلغ في وفاء ما يوجبه القول؛ وإن أريد به القراءة[12] نفسها فهو بالليالي أقوم قراءة.

---

[1] ن: من إعطاء.

[2] يقول الله تعالى: ﴿ولا تَمُدَّنَّ عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرةَ الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ (سورة طه، ٢٠/١٣١).

[3] م – أشد وطأ أي.

[4] ر م: تبليغ.

[5] ر م – به.

[6] ر م – فلو.

[7] ر م: ليمكنوا.

[8] ن: أي بما قسمت.

[9] ر ن م: يحدث.

[10] م: جميع النسخ: أن يصرف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٦ظ.

[11] ر م: بقاء.

[12] ن: القرآن.

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾[٧]

وقوله عز وجل: **إن لك في النهار سبحا طويلا**، قال أبو بكر [الأصم] والزجاج: السبح السعة،[١] كأنه قال: إن لك في النهار سعة طويلة[٢] في تبليغ الرسالة والقيام به فتفرغ[٣] بالليالي لعبادة ربك. وقيل: **إن لك في النهار سبحا طويلا**، أي فراغا وبقية[٤] ومُتقلَّبا، فالسبح يذكر ويراد به الفراغ ويذكر ويراد به المشي والتقلب. وهذا الذي قالوه محتمل ولكن لا يجيء أن يصرف تأويل الآية إلى الفراغ والتقلب[٥] إلى حوائج نفسه، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يتناول من الدنيا إلا[٦] قدر ما يقيم به مُهجته،[٧] فلا يحتاج إلى فضل تقلب ولا إلى كثير فراغ ليتوسع في أمر دنياه، ولكن حقه أن يصرف تقلبه[٨] إلى تبليغ الرسالة ودعاء الخلق إلى توحيد الله تعالى وإلى ما يَحق عليهم. فيكون في قوله: **إن لك في النهار سبحا طويلا**، ترخيصٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أن ينتصب[٩] بالليالي للقيام بين يديه واجتزاءٌ منه[١٠] بتبليغ الرسالة بالنهار.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾[٨]

وقوله عز وجل: **واذكر اسم ربك**، أي أذكر[١١] ربك. دليله قوله على إثره: **وتبتل إليه تبتيلا**، والتبتيل[١٢] يقع إليه لا إلى اسمه. ثم ذكْر الرب جل جلاله هو أن ينظر [المرء][١٣] إلى[١٤] أحوال نفسه

---

[١] قوله: ﴿إن لك في النهار سبحا طويلا﴾ معناه فراغا طويلا ومتصرفا طويلا (*معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٥/٢٤٠).

[٢] جميع النسخ: طويلا.

[٣] جميع النسخ: فيفرغ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٦ظ.

[٤] ر – قال أبو بكر والزجاج السبح السعة كأنه قال إن لك في النهار سعة طويلة في تبليغ الرسالة والقيام به فتفرغ بالليالي لعبادة ربك وقيل إن لك في النهار سبحا طويلة أي فراغا وبقية.

[٥] ر م: وتقلب.

[٦] ر م + ما.

[٧] ر ث: مهمه، ن م: مهمة. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] ر: بقليد؛ ن ث م: بقلبه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٧و.

[٩] جميع النسخ: في أن ينصب. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.

[١٠] ر ن ث: واجتراء منه؛ م: وأخبر أمته. والتصحيح من المرجع السابق.

[١١] ر م: أي ذكر.

[١٢] ر م: والتبتل.

[١٣] الزيادة من المرجع السابق.

[١٤] م – إلى.

ما الذي يلزمه من العبادة[1] في تلك الحال، فيكون ذكر ربه بإقامة تلك العبادة لا بأن يذكر الله تعالى بلسانه فقط، وهو كقوله: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا،[2] واستغفارهم أن يأتمروا بما أُمروا وينتهُوا عما نُهوا لا أن يقولوا بألسنتهم: نستغفر الله، لأنهم وإن قالوا: نستغفر[3] الله لم يقبل ذلك منهم إذا كانوا كفرة، فثبت أن استغفارهم[4] أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه[5] نوح، فلذلك[6] ذكر الله تعالى يقع بوفاء ما يلزمهم حالةَ القيام به وذلك / يكون بالأفعال[7] مرة وبالأقوال ثانيا. [٨٥٨و]

ومنهم من صرف الأمر إلى الاسم على ما يؤديه[8] ظاهر اللفظ، فأُمر بذكر[9] اسم الرب لما[10] يحصل له من الفوائد بذكرها، لأن من أسمائه أسماءً ترغِّبه[11] في اكتساب الخيرات والإقبال على عبادة الرب تعالى،[12] ومنها ما يدعوا الذكرَ إلى الخوف والرهبة، ومنها ما يوقف[13] على عجائب حكمته ولطيف تدبيره وتقرير سلطانه وعظمته في قلبه، ومنها ما يُحدث له زيادة علم وبصيرة.[14] وهي الأسماء المشتقة من الأفعال، وإذا تأمل فيها عرف الوجه الذي منه اشتق تلك الأسماء، فذكر أسمائه يحدث له ما ذكرنا من الفوائد والعلوم.

وقوله عز وجل: **وتبتل إليه تبتيلا**، فالتبتيل هو الانقطاع إلى الله تعالى، [وحق الكلام أن يقول: وتبتل إليه تبتيلا لكنه أُمر بالانقطاع إلى الله تعالى][15] وأن يقطع[16] نفسه من شهواتها

---

[1] ن: من العادة.
[2] سورة نوح، ٧١/١٠.
[3] ر ث م: يستغفر.
[4] ث + إلى.
[5] ن - إليه.
[6] ث: فكذلك.
[7] ر م: الأفعال.
[8] ر م: يؤذيه.
[9] ر: يذكر.
[10] ر ث م: لها.
[11] جميع النسخ: يرغبه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٧و.
[12] ر ث م - الرب تعالى.
[13] ر م: ما يقف، ن: ما يوفقه.
[14] ر م: بصيرة.
[15] الزيادة من المرجع السابق.
[16] ن: تقطع.

ويصرفها[١] عن لذاتها، فكأنه قال: **وتبتل إليه**، وبَتِّلْ[٢] نفسك **تبتيلا**، من الشهوات واللذات، ولذلك سميت مريم رضي الله عنها[٣] البتول[٤] لأنها قطعت نفسها عن منافع الدنيا وأقبلت إلى الآخرة وانقطعت إليه.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[٩]

وقوله عز وجل: **رب المشرق والمغرب**، قال أبو بكر الأصم: تأويله مَلِك المشرق والمغرب، فحقه أن يقال: مالك المشرق والمغرب لأنه هو المالك على التحقيق.[٥] وقال بعضهم:[٦] الرب هو المصلح. ثم خص المشرق والمغرب بالذكر وإن كان هو مالكهما[٧] ومالك الخلائق أجمعَ، لأن ذكر المشرق يقتضي ذكر السماوات والأرضين، وفي ذكر السماوات والأرضين ذكر أعلى[٨] العليين وأسفلِ السافلين، لأنه إذا نظر إلى المشرق ورأى ما يَطلُع في المشرق من عين الشمس، ثم تجرى في أقطار السماء وتقطع كل يوم مسيرةَ ألفِ عامٍ، ثم تَغرُب في عين حَمِئَةٍ،[٩] فتصير إلى أسفل السافلين وتجرى كذلك حتى[١٠] تصل إلى مطلعها،[١١] ثم تطلع هنالك. فدل ذلك على أن مدبر السماوات والأرضين ومُنشئهما واحد، وأن سلطانه في الأرض كسلطانه في السماء، ويُعلَم أن من بلغت قدرته هذا المبلغ في أن يسيّر[١٢] عين الشمس في يوم واحد[١٣] مسيرة ألف عام مّا يشتد على الخلق قطع هذه المسافة في مُدد كثيرة لا يجوز أن يُعجزه شيء. ودل على أن ملكه دائم لا ينقطع، لأن عين الشمس تجري في كل يوم على ما سُخرت

---

[١] جميع النسخ: وتصرفها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٧و.
[٢] ر ث م: وتبتل.
[٣] ن: عليه السلام.
[٤] ث: بتولا.
[٥] ر م: على الحقيق.
[٦] ر ث م + هو.
[٧] ر: مالكها.
[٨] ر م: على.
[٩] فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما﴾ (سورة الكهف، ٨٦/١٨).
[١٠] ر: بمعنى.
[١١] ر: إلى مطلهما.
[١٢] ر م: في أن سير؛ ث: في أن تسير.
[١٣] ر م: واحدة؛ ث: واحده.

لا تتبدل ولا تتغير[1] باختلاف الأزمنة والأوقات، وجُعل منافع أهل الأرض متصلة بمنافع السماء. ولو لم يكن مدبرهما واحدا لارتفع الاتصال وانقطعت منافع السماء عن أهل الأرض. فكان في ذكر المشرق والمغرب دلالةُ وحدانيته[2] وإظهار قوته وسلطانه والوقوفُ على عجائب حكمته ولطائف تدبيره. ثم تخصيص ذكر المشرق والمغرب دون السماء والأرض هو -والله أعلم- لأن هذا أوصل إلى معرفة التوحيد وأسرع إلى الإدراك من ذكر السماوات والأرض وإن كان في التدبير في أمر السماء والأرض تحقيق ذلك. وفي قوله عز وجل: **رب المشرق والمغرب**، أي الذي أمرتَ بذكره هو **رب المشرق والمغرب**، وفيه تعريف الوجه الذي يصل إلى معرفة ربوبيته.

وقوله عز وجل: **لا إله إلا هو**، أي لا معبود يستحق العبادة إلا هو، لأن الذي يحمل[3] الإنسان على عبادة المعبود الخوف والرجاء، وإذا عرّفهم بذكر المشرق والمغرب أن تدبير الخلائق كلها راجعة إليه وأنه هو القاهر عليهم والقادر،[4] وبيده الخزائن والمنافع أجمعُ علموا أنه هو الإله الحق والرب القاهر، وأن من سواه مربوب مقهور لا يملك نفعا ولا ضرا فكيف يستوجب العبادة والإلهية؟

وقوله عز وجل: **فاتخذه وكيلا**، فجائز أن يكون أراد أن كِلْ أمورَك كلها إلى الله تعالى حتى يكون هو الذي يدبر ويحكم ولا تَرَ لنفسك فيها تدبيرا.[5] والوكيل في الشاهد هو الذي يدخل في أمرِ آخَرَ على جهة التبرع لينصره فيه ويعينه، فيكون قوله: **فاتخذه وكيلا**، أي اطلب من عنده النصر والمعونة. والمرء في الشاهد إنما يفزع[6] إلى الوكيل ليزيح[7] عنه عِلله ويقضي عنه حوائجه ويقوم عنه في النوائب، فكأنه يقول: افزع[8] إلى الله تعالى في نوائبك فيكون هو الذي يزيح[9] عنك العلل ويقضى عنك الحوائج ويكون معتمدك في النوائب. ***والله أعلم.***

---

[1] جميع النسخ: لا يتبدل ولا يتغير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٧و.
[2] ر: وحدانية.
[3] ر م: يحتمل.
[4] ر م + عليهم.
[5] ث: تدبير.
[6] م: يفرغ.
[7] ر م: إنما ليريح.
[8] ر: افرغ.
[9] ر م: يريح.

﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **واصبر على ما يقولون**، قال أهل التفسير: تأويله: اصبر على تكذيبهم إياك، ألا ترى إلى قوله في سياق الآية: وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ،[١] فثبت أنه دعا إلى الصبر على التكذيب. وجائز أن يكون منصرفا إلى هذا وإلى غيره؛ لأنهم كانوا لا يقتصرون على تكذيبه[٢] بل كانوا ينسبونه إلى الكذب مرة[٣] وإلى السحر ثانيا وإلى الجنون ثالثا وإلى أنه يتيم رابعا، فكانوا يؤذونه[٤] بأنواع الأذى، فجائز أن يكون قوله: **واصبر على ما يقولون**، منصرفا إلى كل ذلك.

ثم الأمر بالصبر[٥] يقع بخصال ثلاث. أحدها أنْ لا تُجازِهم[٦] على تكذيبهم إياك تكذيبَك إياهم، ولا تجزع عليه، وفي الجزع بعض التسلي والتشفي، أو لا تدعُ[٧] عليهم بالهلاك والتَّبار بل اصبر لذلك.

ولقائل أن يقول: كيف كان يشتد عليه[٨] تكذيبهم إياه حتى كاد يتحزّن لذلك[٩] والذين[١٠] نسبوه إلى الكذب كانوا من أعدائه، وليس[١١] / يُستثقل[١٢] التكذيب[١٣] من العدو ولا يستكثر منه، [٨٥٨ظ] لأنه بما يعاديه يعتقد أن يسيء إليه بجميع ما يمكّنه وسعه، وإنما يستثقَل[١٤] الكذب من أهل الصفوة والمودة. فكيف استثقله وكيف بلغ به[١٥] التكذيب مبلغا يحزن به حتى يُدعَى إلى الصبر بقوله: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ،[١٦] الآية، وبقوله: **واصبر على ما يقولون؟**

---

[١] الآية التالية.
[٢] ر م: على تكذيب.
[٣] ر م – مرة.
[٤] ث: يؤذنه.
[٥] ر: بالتصبر.
[٦] ر: لاتخاذهم.
[٧] ر: والتسفي أو لا يدع؛ ن: والتسفي ولا يدع؛ م: أو لا يدع.
[٨] ر ث م: عليهم.
[٩] ث: لأولئك.
[١٠] ر م: والذي.
[١١] ر: وآيس.
[١٢] ر م: يشتغل.
[١٣] ر م: الكذب.
[١٤] ر: وإنما يشتغل.
[١٥] ن: يد؛ ث: بذا.
[١٦] سورة الأنعام، ٦/٣٣.

والجواب عن هذا أن الكذب والجهل مما يستثقلهما العقل والطبع جميعا؛[1] وكذلك التكذيب والتجهيل أمر ثقيل على الطبع والعقل جميعا حتى إن الكذوب[2] إذا نسبت إلى الكذب اشتد عليه ذلك و لم يتحامل،[3] وكذلك الجهول إذا عُرف بالجهل[4] ثقل ذلك عليه. فإذا كان التكذيب مستقبحا[5] في عقول الخلق وطبائعهم وإن كانت طبائعهم مشوبة بالآفات وفي عقولهم نقص،[6] فرسول الله صلى الله عليه وسلم مع صفاء عقله وسلامة طبعه عن الآفات أحق أن يَثقل عليه فيحزنَ[7] لذلك. ثم ما من إنسان ينسب إلى الكذب فيما يحدّث عن نفسه أو عمن سواه من الخلائق ممن[8] علت رتبتهم أو انحطّت إلا وهو يجد لذلك ثِقلا. فكيف إذا أخبر عن الله تعالى وكُذّب فيه أليس هذا أحق أن يثقُل على القلب ويتحزن له؟ ويجوز أن يكون [الذي][9] حمله على الحزن شدة إشفاقه على المكذبين، لأن تكذيبهم يُفضي بهم إلى العَطَب والهلاك فأشفق عليهم باشتغالهم بما به هلاكهم وحَزِن لذلك. أو يكون حزنه غضبا لله تعالى، إذ الرسل كانوا يغضبون لله تعالى ويشتدّون على أعدائه.

والجواب عن قوله:[10] "إن المكذبين كانوا من أعدائه فكيف اشتد عليه تكذيبهم وذلك أمر غير مستبدَع من الأعداء".

فنقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعاملهم معاملة الولي مع وليه الصفي ولم يكن يعاملهم بما يعامل به الأعداء؛ لأنه كان يدعوهم إلى ما فيه نجاتهم وشرفهم في أمر دنياهم وآخرتهم، ومن عامل مع آخر معاملة أقرب الأصفياء منه[11] كان الحق عليهم أن يجازوه[12] بالإحسان، فإذا تركوا ذلك وقابلوه بالتكذيب اشتد عليه وحزِن لذلك.

---

[1] م – جميعا.
[2] ر م: أن الكذب.
[3] ر م: ولم يتجاهل.
[4] ر م: الجهل.
[5] ر م: مستحقا.
[6] ث: بغض.
[7] ن: فيتحزن.
[8] ر ن م: لمن.
[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٨٧ظ.
[10] م – قوله.
[11] جميع النسخ: معه. والترجيح من المرجع السابق.
[12] ن: أن يجازوهم.

ثم في قوله: **واصبر على ما يقولون**، وفي قوله: وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ،[١] إبطال قول من قال: إن الله تعالى لا يفعل بعبده[٢] إلا ما هو أصلح[٣] له، لأنا نعلم أنه إذا أذن لنبي[٤] من الأنبياء بالدعاء على استعجال الهلاك واستجيب فيما دعا كان فيه ما يحمل القوم على الإيمان ويزدَعهم[٥] عن التكذيب،[٦] لأنهم يخافون حلول النقمة عليهم، فيتركون التكذيب ويُقبلون على الإجابة، فيكون فيه نجاتهم عن الهلاك وشرفُهم في أمر دنياهم وآخرتهم، فإذا لم يؤذنوا[٧] دل أنه ليس من شرط الله تعالى أن يفعل بعباده ما هو أصلح لهم.

فإن قيل: كيف لم يؤذن لهم[٨] بالدعاء عليهم ليحملهم ذلك على الإسلام ويمنعهم عن التكذيب؟

قيل له: لأن فيما ذكرتَه رفعَ المحنة والابتلاء، لأن الحجة إذ ذاك تقع[٩] من جهة الضرورة، لأنهم إذا علموا[١٠] أنهم يُستأصلون بالتكذيب امتنعوا عنه وأجابوا إلى الإسلام كرها، فيصير الحجج اضطرارية لا تمييزية واختيارية، وحجج الرسل عليهم السلام اختيارية لا ضرورية؛ لما ذكرنا أنها لو جعلت اضطرارية لارتفعت المحنة، فجُعلت حججهم من وجه يقع بها الشُّبه ليوصَل إلى معرفتها بالفكر لئلا ترتفع[١١] المحنة.

فإن قال قائل:[١٢] إن أبا حنيفة رحمه الله ذكر في كتاب *العالم والمتعلم* أن إيمان الملائكة وإيمان الرسل وإيماننا واحد،[١٣] ثم قال: فإذا استوينا نحن والرسل في الإيمان فكيف صار الثواب لهم أكمل وخوفهم[١٤] من الله أشد؟ فأجاب عن هذه السؤال بأجوبة، وقال في جملة ما أجاب:

---

[١] ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم﴾ (سورة الأحقاف، ٤٦/٣٥).
[٢] ر م: بعبد.
[٣] ن: ما يصلح.
[٤] ر: النبي.
[٥] ن: ويودعهم؛ م: ويرد عنهم.
[٦] ن + لأنهم عن التكذيب.
[٧] ر م: لم يؤذن.
[٨] ر ن م – لهم.
[٩] ر ن م: يقع.
[١٠] ر م: علمهم.
[١١] جميع النسخ: لئلا يرتفع.
[١٢] ر – قائل.
[١٣] *العالم والمتعلم* لأبي حنيفة، ١٤.
[١٤] م: وحزنهم.

إنهم لو ارتكبوا الزلات لحلّ بهم العقاب عقيب[1] الزلل، فصار خوفهم بالله تعالى ألزم من هذه الجهة.

ولسائل أن يسأل على هذا فيقول:[2] فإذن[3] إيمانهم بالله تعالى وتركهم المعاصي ضروري لا اختياري؟ فيجاب عنه بأن يقال بأن الأنبياء عليهم السلام لم يتبين لهم العصمة بل كانوا على خوف من وقوعهم في المهالك، ألا ترى إلى قول إبراهيم عليه السلام: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ،[4] ولو كانت العصمة له[5] ظاهرة لكان يستغني عن السؤال. وقال في قصة شعيب عليه السلام: وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا،[6] فثبت أنه لم يتبين[7] لهم العصمة. ونحن إنما شهدنا لهم بالعصمة بالوجود لا أن الحكمة توجب[8] العصمة، والرسل عليهم السلام أمروا بتبليغ الرسالة ولم يؤذن لهم بالنظر في أمر من تقدمهم من[9] الرسل ليظهر لهم العصمة بالتدبر والتفكر. فثبت أنهم كانوا على الخوف والرجاء في فَكاك أنفسهم وفي وقوعها في المهالك، وأن إيمانهم بالله تعالى لم يكن ضروريا بل وصلوا إلى معرفته بالتمييز، لذلك عظمت درجاتهم.

والثاني أن الأنبياء عليهم السلام قد كان تقرر[10] في قلوبهم هيبة الله تعالى وعظمتُه، فكانت المعرفة هي[11] التي دعتهم إلى الإيمان به، لا خوفُ حلول العقوبة بهم[12] لو ارتكبوا الزلات. وأما الكفرة فلم يعرفوا عظمة الله تعالى ولا قدرته ولا سلطانه حتى يحملهم ذلك على الإيمان به، فلو حلت العقوبة / بهم بالتكذيب لكان الخوف هو الذي يحملهم على الإيمان لا غير، [٨٥٩و]

---

[1] ر م – عقيب.
[2] ن ث: فنقول.
[3] جميع النسخ: فإذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٨و.
[4] سورة إبراهيم، ٣٥/١٤.
[5] ر ث م – له.
[6] ﴿قد افترينا على الله كذبا إن عُدْنَا في ملتكم بعد إذ نجّانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما﴾ (سورة الأعراف، ٨٩/٧).
[7] جميع النسخ: لم يبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] جميع النسخ: يوجب. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر م – من.
[10] ن: تعزز.
[11] ث – هي.
[12] ن: لهم.

فيصير إيمانهم ضروريا، فلهذا لم يعاقبوا بالتكذيب لئلا يرتفع المحنة وخولف بينهم وبين غيرهم. وهذا كما نقول[١] بأن أنباء من تقدم[٢] من الرسل حجة لرسولنا صلى الله عليه وسلم في إثبات نبوته وإن كانت تلك الأنباء قد عرفها أهل الكتاب وأُخبروا بها، لأن أهل الكتاب عرفوا تلك الأنباء بالتعلم والتلقين، و لم يختلف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من عنده علم تلك الأنباء، فعُلم أنه بالله تعالى عَلم لا بتعليم أحد، فصارت الأنباء حججا لذلك[٣] و لم تصر[٤] لغيره[٥] حجة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **واهجرهم هجرا جميلا**، فجائز أن يكون تأويله اهجرهم وقت سبهم ونسبتهم إياك إلى ما لا يليق بك ولا تَعْبَأْ[٦] بهم ولا تَكترث[٧] إليهم وإلى ما يتقولون عليك، لأن ذلك بعض ما يَزجُر المتقوِّل والسابَّ عما هو فيه، وهو كقوله عز وجل: وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا.[٨] ويحتمل أن يكون تأويله أن انقطع عنهم انقطاعا جميلا. والانقطاع الجميل ألا يترك شَفَقته عليهم ولا يدعوَ عليهم بالهلاك ولا يمتنع عن دعائهم إلى ما فيه رشدهم وصلاحهم، ولذلك قال في وقت أذاهم إياه: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون».[٩] ويحتمل أن يكون هَجْره إياهم[١٠] هجرا جميلا هو ألا يكافئهم بالسيئة السيئةَ،[١١] بل يدفع السيئة بالحسنة، كقوله تعالى: اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ،[١٢] إذ ذلك أدعى للخلق إلى إجابة من يفعل ذلك بهم[١٣] عند المعاملة. *والله أعلم*.

---

[١] جميع النسخ: كما يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٨و.
[٢] ر ث م: ما تقدم.
[٣] ث – لذلك.
[٤] ر ث م: ولم يصر.
[٥] ر ث م – لغيره.
[٦] ث: ولا يعبأ.
[٧] ث: ولا يكترث.
[٨] ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هَوْنًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ (سورة الفرقان، ٢٥/٦٣).
[٩] *الدر المنثور* للسيوطي، ٣/١١٧ عن عبد الله بن عبيد قال: لما كسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشج في جبهته فجعلت الدماء تسيل على وجهه قيل: يا رسول الله، ادع الله عليهم فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى لم يبعثني طعانا ولا لعانا، ولكن بعثني داعية ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» (شعب الإيمان للبيهقي، ٣/٤٥).
[١٠] ر م ن: إياه.
[١١] ر ث م – السيئة.
[١٢] ﴿...نحن أعلم بما يصفون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٩٦).
[١٣] ث – بهم.

ثم من الناس من يقول بأن هذه الآية نسختها آية السيف.[1] ومنهم من قال بأنها لم تنسخ،[2] وصرفوا تأويل الآية إلى جهة لا يَعمل عليها النسخ. وذلك أن في قوله: **واهجرهم هجرا جميلا،** منعَ المكافأة لأجل ما آذوه ولم يُفرَض عليه القتال ليكافئهم بأذاهم[3] وينتقم منه بذلك، بل رجع قتاله إلى نصرة الدين ولتكون[4] كلمة الله تعالى هي العليا، لذلك لم يكن في آية السيف ما يوجب نسخ هذا، ولا نسخ العمل بقوله: فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ.[5] والثاني[6] أنه ليس في قتالهم انتقامٌ منهم بل فيه ما يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله، وإذا آمنوا بذلك نجوا من العقاب وفازوا بعظيم الثواب، فيصير القتال رحمة لهم لا عقوبة. ووجه جعله رحمة هو أنهم إذا رأوا غلبة[7] المسلمين عليهم مع قلة عددهم والضعفِ الذي حل بأبدانهم لاشتغالهم بعبادة ربهم وكثرة عدد المشركين مع قوة أبدانهم أيقنوا أنهم[8] لم ينالوا الغلبة بالحيل[9] والأسباب، بل الله تعالى هو الذي قوّاهم عليهم وقام بنصرهم، فيتقرر عندهم كون أهل الإسلام على الحق. وإذا أيقنوا بالحق التزموه[10] فيُحرزون[11] به جزيل الثواب وكريم المآب، فصار القتال رحمة لهم لا أن يكون[12] عقوبة عليهم لسوء صنيعهم. وإذا كان كذلك بقي العمل بقوله عز وجل: **واهجرهم هجرا جميلا،** ثابتا باقيا. وبهذا يجاب من سأل فقال: إن الله تعالى يقول لنبيه عليه السلام: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ،[13] وفي القتال ترك الرحمة فكيف فُرض عليه؟ فيقال: أن ليس في القتال تركُ الرحمة بل هو من أبلغ الرحمة وتمامها إذ يحملهم على الإيمان وترك التكذيب فتعلوا[14] منزلتهم ويَشرُف قدرهم في الدنيا والآخرة. ***والله أعلم.***

---

[1] أي قوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مَرصد﴾ (سورة التوبة، ٥/٩).
[2] ث: لم ينسخ.
[3] ر م: عليهم القتال ليكافئهم بما ذاهم.
[4] جميع النسخ: وليكون.
[5] سورة البقرة، ١٠٩/٢.
[6] جميع النسخ: الثاني. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٨ظ.
[7] ر ن: علية.
[8] ن – أيقنوا أنهم.
[9] ر م: بالخيل.
[10] ر م: التزموا.
[11] جميع النسخ: فيحرزوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] ث + عليهم.
[13] سورة الأنبياء، ١٠٧/٢١.
[14] جميع النسخ: فيعلوا.

وجواب آخر أن يقال بأن الحجة في القتال ليس في القتل، لأنهم إذا خافوا القتال تركوا التكذيب وأقبلوا على الداعي، ألا ترى أنه ذُكر أن القوم قبل أن يُفرض عليهم القتال كان يدخل الواحد منهم بعد الواحد في هذا الدين، فلما شُرع القتال جعلوا يدخلون فيه فوجا فوجا وقبيلة قبيلة. ثم إباحة القتل يكون بالضرورة لأنهم إذا علموا أنهم[١] لا يُقتَلون[٢] لم يقع لهم الخوف بالقتال وإذا لم يخافوا تركوا الإجابة، فشُرع القتل فيه لتحقيق الخوف فلم يكن فيه[٣] ترك الرحمة. وهو كقوله: وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ،[٤] وفي إقامة القصاص تلف النفس وليس[٥] فيه إحياء،[٦] ولكن وجه[٧] الإحياء فيه هو أن القاتل إذا فكّر قتلَ نفسه بقتل[٨] صاحبه ردعه[٩] ذلك عن القتل، فيكون فيه إحياءُ النفس جميعا، فيصير إيجاب القصاص سببا للإحياء في الحقيقة وإن كان في الظاهر سببا للإتلاف. فكذلك هؤلاء إذا أيقنوا بالقتل بامتناعهم عن الإجابة تركوا الامتناع وأقبلوا على الإجابة فيكون موضع[١٠] القتل للرحمة في التحقيق،[١١] وإن كان في الظاهر خارجا مخرج ترك الرحمة. ***والله أعلم.***

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾[١١]

وقوله عز وجل: **وذرني والمكذبين أولي النعمة**، وفيه أن أهل الخِصْب[١٢] والدَّعة هم الذين اشتغلوا بالتكذيب وهم الذين كانوا يصدون الناس عن سبيل الله، كما قال: وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا،[١٣] وقال: وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا،[١٤]

---

[١] ر م – أنهم.
[٢] جميع النسخ: لا يقبلون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٨ظ.
[٣] ر ن م + فيه.
[٤] سورة البقرة، ١٧٩/٢.
[٥] ر م: ليس.
[٦] ن: واجبا.
[٧] ر م: وجد.
[٨] ن: يقتل.
[٩] ر م: روعه.
[١٠] ن: موضوع.
[١١] ر م: وفي التحقيق.
[١٢] ر م: الحصبة.
[١٣] سورة الأنعام، ١٢٣/٦.
[١٤] ﴿...إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ (سورة سبأ، ٣٤/٣٤).

فخصّ أولي النعمة بالذكر لهذا. ثم في قوله: **وذرني والمكذبين**، إيهام بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق منه المنع، ولم يوجد من رسول الله حيلولة ومنعٌ،[1] ولكنْ مثلُ هذا / الخطاب [٨٥٩ظ] موجود في كتاب الله تعالى في غير آي من كتابه؛ وهو أن يخرج مخرجا يوهِم أن هناك مقدمةً وإن لم يكن فيها مقدمة في التحقيق. قال الله تعالى: وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا،[2] ولم يكن فيه تحقيقُ الوضع وإن كان الرفع يستعمل في الشيء الموضوع، وكان تأويل الرفع هاهنا بأنها خلقت مرفوعة؛ وقال: وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ،[3] ولم يكن مرفوعة فوضعها، وكان معناه أنها خلقت موضوعة. وقال يوسف عليه السلام، إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ،[4] ولم يسبق منه دخول في دين أولئك فيكون تاركا له بعد ما دخل فيه؛ وقال: اَللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ،[5] ولم يقتض قوله عز وجل: يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، كونهم في الظلمة، ولا اقتضى قوله: يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ، كونهم في النور فيخرجهم منه، وإن كان في الظاهر يؤدى ذلك. فعلى ذلك قوله: **وذرني والمكذبين**، وإن كان في الظاهر يقتضي حيلولة[6] ومنعا فليس في الحقيقة إثبات منع. ونذكر[7] غير هذا في سورة المدثر.

ثم قوله: **وذرني والمكذبين**، معناه[8] لا تجازهم بصنيعهم ولا تستعجل[9] عليهم بالدعاء بل أمهلهم قليلا، فسيكفيكهم اللهُ. وقيل في الفرق بين النَّعمة والنِعمة: إن النَّعمة ما يعطَى للعبد إرادة استدراجه فيها وهلاكه، كقوله عز وجل: وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ.[10] والنِعمة هو منة الله تعالى على عباده تفضلا عليهم، كقوله: وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً.[11] *والله أعلم*.

---

[1] ر م: منع.
[2] سورة الرحمن، ٥٥/٧.
[3] سورة الرحمن، ٥٥/١٠.
[4] سورة يوسف، ١٢/٣٧.
[5] سورة البقرة، ٢/٢٥٧.
[6] ن: حلوله.
[7] جميع النسخ: ويذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٩و.
[8] ر م: ومعناه.
[9] ر ث م: لا يستعجل؛ ن: ولا يستعجل. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ﴿واترك البحر رهوًا إنهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونَعْمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين﴾ (سورة الدخان، ٤٤/٢٤-٢٨).
[11] ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ (سورة لقمان، ٣١/٢٠).

﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيمًا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **إن لدينا أنكالا وجَحِيمًا،**[١] قال ابن عباس رضي الله عنه: الأنكال هو السلاسل والقيود.[٢] وقال أبو بكر الأصم: الأنكال ما يُنكَّل[٣] به ويعتبر به غيره. قال الله تعالى: فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً [لِلْمُتَّقِينَ]،[٤] تأويله ما بين يديها من القرى[٥] وما خلفها من القرى أيضا. فإن كان على ما ذكره أبو بكر الأصم فقد يكون في الدنيا ويكون منصرفا إلى يوم بدر –والله أعلم– وكان الأول أشبه. والجحيم هو معظم النار.

ثم في هذه الآية دلالة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآية رسالته، لأن قوله: **إن لدينا أنكالا وجحيما**، راجع إلى قوله: وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ،[٦] فإن لهم لدينا أنكالا وجحيما وإنما يُنكلُّون ويعذبون بالجحيم إذا ماتوا على الكفر،[٧] ففيه إبانة أنهم يموتون وهم كفار، وعلى ذلك ماتوا وخُتِم أمرهم ولم يُسلم منهم أحد، فيخرج ما أخبر عن غيب كما أخبر، وذلك لا يعلم إلا بالله تعالى، فثبت أنه لم يخترعه من تلقاء نفسه بل عَلِم بالله تعالى، وعلم الغيب من أعظم آيات رسالته.

﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **وطعاما ذا غصة وعذابا أليما**، فالذي يَغَصّ [المرء به] ولا يقدر على ابتلاعه ليس بطعام في الحقيقة؛ وقال: لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ،[٨] فالحميم[٩] ليس بشراب في التحقيق. ولكن سُمي الأول طعاما لأنه يُمضَغ مضغَ الطعام، والصديد والحميم يسيلان سيل الشراب، فذكر في الأول طعاما وفي الثاني شرابا لهذا، ولأن الطعام اسم لما يطعم فهو مطعوم وإن كان كريها، والحميم مشروب وإن كان في نفسه كريها.

---

[١] ن ث + وطعاما ذا غصة وعذابا أليما.

[٢] ﴿إِنَّ لَدَيْنَا﴾ عندنا لهم في الآخرة ﴿أَنكَالاً﴾ قيودًا تُقيد بها أرجلهم وأغلالا تغل بها أيمانهم إلى أعناقهم وسلاسل تُوضَعُ في أعناقهم (*تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، ٦٢١).

[٣] ر: ما يتكل.

[٤] سورة البقرة، ٦٦/٢.

[٥] ر م: من قرى.

[٦] الآية السابقة.

[٧] ر: الكفرة.

[٨] سورة الأنعام، ٧٠/٦؛ وسورة يونس، ٤/١٠.

[٩] ن: والحميم.

ثم الأصل أن الكفرة بكفرهم تركوا شكر نعم الله تعالى وذِكْرَه[1] وقابلوها بالكفران[2] فأبدل الله تعالى لهم في الآخرة مكان كل نعمة نقمة، ألا ترى إلى قوله تعالى: وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا،[3] فأبدلهم مكان البصر عَمًى ومكان السمع صَمَما لتركهم شكر ما أُنعموا من البصر والسمع واللسان، وأبدلهم مكان اللباس قَطِرانا ومكان المراكب السَّحْب إلى النار على أقدامهم ووجوههم،[4] فكذلك أبدلهم مكان الطعام والشراب زَقّوما وحميما لتركهم شكر نعم الله تعالى.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا**، قد ذكرنا الرجفة في غير موضع.[5] وقوله: **كثيبا مهيلا**، أي رَمْلاً سائلا. ففيه إخبار عن شدة هول[6] ذلك اليوم، لأن الجبال من أصلب الأشياء وأشدها في أنفسها، ثم يبلغ هول ذلك اليوم مبلغا لا يحتمله الجبال مع شدتها وصلابتها. فالإنسان[7] الضعيف المهين أنى يقوم لشدته وهوله؟ فذكّرهم حال ذلك اليوم ليرتدعوا وينتهُوا عما هم عليه في التكذيب والضلال.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا**، قوله: **شاهدا عليكم**، قال أبو بكر الأصم: تأويله مبيّنا لكم[8] ما لله تعالى عليكم من الحق. وجائز أن يكون **شاهدا عليكم**، أي لكم وعليكم جميعا، فيكون على الكفرة شاهدا، بقوله: وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هٰؤُلَاءِ،[9] ويكون للمؤمنين شاهدا. وقد يذكر "عليكم" ويراد به "لكم"،

---

[1] ر: ذكره.
[2] ر م: بالكفر.
[3] سورة الإسراء، ٩٧/١٧.
[4] يقول الله تعالى:﴿سرابيلهم من قَطِران وتَغشى وجوهَهم النار﴾ (سورة إبراهيم، ٥٠/١٤)؛ ويقول أيضا: ﴿يوم يُسْحَبُون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقَر﴾ (سورة القمر، ٤٨/٥٤).
[5] انظر تفسير الآية ٧٨ و ٩١ من سورة الأعراف.
[6] ر: قول.
[7] ر م: فإن الإنسان.
[8] ر ث م: عليكم.
[9] ﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء﴾ (سورة النحل، ٨٩/١٦).

كقوله: وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ،[١] أي للنصب،[٢] لأنهم كانوا يذبحون لها لا عليها. وخُصّ ذكر موسى عليه السلام وفرعون من بين الجملة، ففائدة ذكر التخصيص هو -والله أعلم- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نُشؤه بين ظَهراني الذين كذبوه ولم يكن وقفوا منه على كَذبه[٣] قط بل كانوا عرفوه / بالصيانة والعدالة، وكان بمحل يرونه أهلا للشهادة، فكيف [٨٦٠و] ينسبونه إلى الكذب ولم يعهدوا ذلك منه؛ وكذلك موسى عليه السلام كان نشأ بين أظهر[٤] أولئك الذين أُرسل إليهم وكانوا عرفوه بالصيانة والعدالة[٥] وعرفوا أنه يصلح للشهادة.

ومنهم من يقول بأنهم أَزْدَرَوْا برسول الله صلى الله عليه وسلم واستصغروه اعتبارا بما شهدوا من حاله عند الصغر إذ[٦] كان نُشؤه فيهم، فكذلك[٧] ازدرَوا بموسى عليه السلام حين بعث إليهم[٨] واستخفوا به استخفافهم به في حالة الصغر حتى قالوا: أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ،[٩] فنزل بهم ما نزل بألئك من الاستئصال بتكذيبهم إياه وازدرائهم به، فذكرهم حال مكذبي موسى عليه السلام وما نزل بهم من مقت الله تعالى بتكذيبهم وازدرائهم به، ليعتبروا به فينقلعوا عن الازدراء لئلا يحل بهم ما حل بأولئك، ولئلا[١٠] يغتروا بقُواهم وكثرة عددهم وأموالهم، فإن مكذبي موسى عليه السلام كانوا أكثر أموالا وأولادا وأعدادا وأشد بطشا فلم يغنهم ذلك من الله تعالى شيئا.

وجائز أن يكون خَصّ ذكر موسى عليه السلام وفرعون ونبأهما لأن خبره كان منتشرا فيما بين أهل مكة، لأنهم كانوا جِيرَةَ[١١] اليهود والذين عندهم نبأ موسى عليه السلام وفرعون، فكانوا يخبرونهم بما حل بفرعون وقومه بتكذيبهم الرسول، فذكّرهم نبأ موسى عليه السلام

---

[١] ﴿حرمت عليكم الميتة ... وما ذبح على النصب﴾ (سورة المائدة، ٥/٣).

[٢] ث: أي للمنصب.

[٣] ث: على كذب؛ م: على كذبة.

[٤] جميع النسخ: بين ظهر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٨٩ظ.

[٥] م - وكان بمحل يرونه أهلا للشهادة فكيف ينسبونه إلى الكذب ولم يعهدوا ذلك منه وكذلك موسى عليه السلام كان نشأ بين أظهر أولئك الذين أرسل إليهم وكانوا عرفوه بالصيانة والعدالة.

[٦] ر م: استصغروه اعتبارا بما شهدوا من حاله عند الصغر إذا.

[٧] ث: وكذلك.

[٨] ر: حيث بعث إليهم؛ م: حيث بعث طلبهم.

[٩] سورة الشعراء، ٢٦/١٨.

[١٠] ن: يحل لهم ما حل بأولئك ولئلا؛ ث: يحل بهم ما حل بأولئك ولا.

[١١] ن: حيرة؛ م: حبرة.

لينتهوا عما هم عليه من التكذيب؛ ولأن لله تعالى[1] أن يحتج عليهم بآحاد الحجج[2] وله أن يحتج عليهم بجُمَلها، إذ في ذلك قطع الشُّبَه وإزاحة العذر؛ أو ذكَّر هم نبأ موسى عليه السلام وقومه لأن العهد به كان أقرب، إذ قومه كانوا آخرَ قوم استُؤْصِلوا في الدنيا.

﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا**، أي شديدا، ومنه المطر الشديد يسمى الوابل. وقال أبو بكر [الأصم : الوابل] اسم لكل مغضِلة.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا**، فهو يحتمل أوجها. أحدها أي كيف تتقون[3] النار في الآخرة إذا سَلكتم في الدنيا سبيلها -وهو الكفر- وأنتم تعلمون أن من سلك طريقا لشيء ولا مَنْفَذَ لذلك الطريق إلا إلى ذلك الشيء فإنه يَرِد عليه لا مَحالة؛ أو كيف تتقون[4] النار في الآخرة وقد تركتم القيام بما عليكم من شكر النعم؛ أو كيف تتقون[5] العذاب في الآخرة وأنتم تُدفَعون إليها وتُضْطَرُّون، بقوله عز وجل: ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ،[6] وبقوله: يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ،[7] وبقوله:[8] خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ،[9] وقد مُكِّنتم في الدنيا من الإيمان بالله تعالى ومكنتم الانتهاء عن الكفر ثم لم تنقلعوا عنه، فأنَّى يتهيأ لكم المخلص من عذابه وأنتم تُدْفعون إليه؟ أو كيف تنتفعون بإيمانكم في الآخرة و لم تؤمنوا في الدنيا وقد مكنتم منه؟

والأصل أن دار الآخرة ليست بدارٍ لاستحداث الأسباب وإنما هي دار وقوع المسبّبات، فهم إذا لم يستحدثوا الأسباب التي جعلت لدفع العذاب في الدنيا لم يُمكَّنوا من استحداثها في الآخرة

[1] ر: ولأن الله تعالى.
[2] ر م: عليهم بالحجج.
[3] ن ث: يتقون.
[4] ن: يتقون.
[5] ن: يتقون.
[6] سورة لقمان، ٢٤/٣١.
[7] سورة القمر، ٤٨/٥٤.
[8] ر م: أو بقوله.
[9] سورة الدخان، ٤٧/٤٤.

فينتفعوا بها ولم يكونوا أهلا لوقوع المسبَّبات لما لم يستحدثوا الأسباب في الدنيا. وإنما قلنا: إنها ليست بدار محنة وابتلاء، لأن المحنة لاستظهار الخفيات، والثواب والعقابُ قد شوهد وعُوين. فإذا قيل: إذا فعلت كذا دخلت النار -وهو يعاين النار ويراها- فهو يمتنع عن الإقدام على ذلك الفعل. وإذا قيل له:[1] إذا آمنت بالله تعالى أُكرمت بالجنة -وهو يشاهد الجنة ويراها- فهو يؤمن لا محالة، فلا وجه للابتلاء في الآخرة، بل هي دار وقوع المسبَّاب[2] يعني الثواب والعقاب.

والذي يدل على هذا[3] قوله: **يوما يجعل الولدان شيبا،** فأخبر[4] أنهم يَشيبون لا بسبب المَشيب، والمشيب في الدنيا لا يوجد إلا بعد وجود سببه وهو الكِبَرُ، ليعلم أن الدار الآخرة ليست بدار استحداث الأسباب، فما يستحدثون[5] من الإيمان بالله تعالى لا ينفعهم في ذلك اليوم ولا يَقِيهم من عذاب الله تعالى.

وقوله عز وجل: **[يوما] يجعل الولدان شيبا،** فجائز أن يكون هذا على التحقيق، فيشيب[6] الولدان لهول ذلك اليوم ويصير[7] الشيب سكارى لشدة هوله، كما قال: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى.[8] وجائز أن يكون على التمثيل لا على تحقيق الشيب، فمثَّله به لعظم ذلك اليوم وشدة هوله. وقد يجوز أن يُمثَّل الشيء بما يبعد عن الأوهام تحقيقُه على تعظيم ذلك الشيء، كقوله: تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَدًا،[9] فذكر هذا على التمثيل لعظم ما قيل فيه لا على تحقيق الانفطار والانشقاق. وجائز أن يكون معناه أنه لولا أن الله تعالى بعثهم للإبقاء وأن[10] لا يتغيرُوا ولا يتفانَوْا وإلا كان هول ذلك اليوم يبلغ مبلغا يُشيِّب[11] الولدان.

---

[1] ث - له.
[2] ر: مسببات؛ ث م: مستثات.
[3] م - على هذا.
[4] ن + بهم.
[5] جميع النسخ: فيما يستحدثون.
[6] جميع النسخ: فشيب. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٢٩٠و.
[7] ر م: يصير.
[8] ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كلُّ ذاتِ حملٍ حملَها وترى الناس سُكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (سورة الحج، ٢٢/٢).
[9] سورة مريم، ١٩/٩٠-٩١.
[10] م: أن.
[11] ر ن ث + به.

﴿ٱلسَّمَاءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **السماء منفطر به**، أي بما يجعل الولدان شيبا وهو هول ذلك اليوم وشدة فزعه، أو منفطر بالغمام، وقيل منفطر بالله أي بقضائه وحكمه. ***والله أعلم***. ثم قال: **منفطر به**، ولم يقل: منفطرة والسماء / مؤنث، فذكر الزجاج أن معنى قوله: **منفطر به**، أي ذات انفطار، فعبر بها كما يعبر عن الذكور كما يقال: امرأة مرضع أي ذات إرضاع.[١] [٨٦٠ظ]

وقوله عز وجل: **كان وعده مفعولا**، أي الذي وقع به الوعد مفعول، لا أن يكون الوعد هو المفعول، فكذا قوله: إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا،[٢] والوعد لا يؤتَى بل الموعود هو الذي يؤتَى، ولكن نسب[٣] الموعود إلى الوعد لأنه من آثاره. وهذا كما يقال: المطر رحمة الله، أي برحمة الله ما أُمطروا لا أن يكون المطر رحمة؛[٤] ويقال: الصلاة أمر الله، أي بأمر الله ما يُقامُ لا أن يكون أمرَه الذي يوصف به، فكذلك الموعود نسب إلى الوعد إذ بالوعد ما استوجبوا لا أن يكون الوعد هو المفعول وهو المأتِيّ.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **إن هذه تذكرة**، فجائز أن يكون قوله: **هذه**، منصرفا إلى الأهوال[٥] التي ذكرها فيكون ذكرها[٦] تذكرة. ويحتمل أن تنصرف[٧] إلى الرسالة، أي رسالة محمد صلى الله عليه وسلم تذكرة.[٨] ويحتمل أي هذه السورة أو الآيات كلها تذكرة. وقوله عز وجل: **فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا**،[٩] إلى ما دعاه إليه[١٠] ربه، وذلك يكون بالإجابة فيما دعاه إليه، أو من شاء اتخذ إلى ما وعد له ربه في الآخرة سبيلا في أن يُقبل على طاعته ويَشغل نفسه[١١] بعبادته.

---

[١] قال الزجاج: وتذكير السماء على ضربين. أحدهما على أن معنى السماء معنى السقف. والثاني على قولهم: امرأة مرضع على جهة النسب. فالمعنى: السماء ذات انفطار، كما أن المرضع ذات الرضاع (*زاد المسير* لابن الجوزي، ٨/٣٩٤).

[٢] سورة مريم، ٦١/١٩.

[٣] جميع النسخ: بسبب. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٢٩٠و.

[٤] ر ث م: برحمته.

[٥] م: إلى الأهواء.

[٦] ر م – فيكون ذكرها.

[٧] جميع النسخ: أن ينصرف. والتصحيح من المرجع السابق.

[٨] ن – تذكرة.

[٩] ن ث + قال بعضهم من شاء اتخذ عند ربه جاها ومنزلة لنفسه أو من شاء اتخذ إلى ربه سبيلا.

[١٠] ن – إليه.

[١١] ر: ويشغل نفيه؛ م: ويشتغل نفسه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنَ من ثلثي الليل ونصفه وثلثه**، قال أبو عبيد:[١] الصواب أن يُقرأ "ونصفِه وثلثِه" بالخفض على معنى إضافة أدنى إليها،[٢] فكأنه يقول: إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل أو أدنى من نصفه أو أدنى من ثلثه[٣] "وأدنى" يكون على الزيادة والنقصان جميعا، لأن فضل ما بين الثلث إلى النصف هو السدس، فإذا زاد على الثلث أقلُّ من نصف السدس فهو إلى الثلث أدنى، وكذلك إذا نقَص من الثلث شيئا قليلا فهو إلى الثلث قريب، فيكون إليه أدنى، وكذلك الفضل[٤] فيما بين النصف إلى الثلثين[٥] هو السدس، فإذا زاد على النصف أكثرُ من نصف السدس فهو إلى الثلثين[٦] أدنى، وإذا نقص من نصف السدس فهو إلى النصف أدنى وأقرب. ومنهم من اختار النصب فيهما والوجهان جميعا محتملان، لأن قوله: **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنَ من ثلثي الليل ونصفه**، ليس فيه إيجاب حكمٍ مبتدأً وإنما فيه إخبار عن القيام الذي وُجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجائز أن يكون وجد منه ذلك كله، وهو أن يكون قريبا من الثلثين وقريبا من النصف وأدنى من الثلث على ما ذكره أهل المقالة الأولى. ويكون قد قام أدنى من ثلثي الليل وقام نصفه وثلثه وأدنى من نصفه وأدنى من ثلثه، فذكَر في الثلثين الأدنى لما وُجد منه الأدنى من جهة الزيادة والنقصان و لم يوجد [منه][٧] موافقة الثلثين،

---

[١] ن: أبو عبيدة.

[٢] قال أبو عبيد: الاختيار الخفض في ﴿نصفه وثلثه﴾. حجة *القراءات* لابن زنجلة، ٧٣٢. هو أبو عُبيد القاسم بن سلّام البغدادي، الإمام المشهور، ذو التصانيف، له كتب في معاني القرآن وغريب الحديث والفقه وغير ذلك. وكان ثقة علامة. مات سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ١٠/ ٤٩٠-٥٠٩؛ و*تقريب التهذيب* لابن حجر، ٤٥٠.

[٣] جميع النسخ: وأدنى من نصفه وأدنى. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٢٩٠و.

[٤] ر: الفصل.

[٥] ر ن: إلى الثلاثين.

[٦] جميع النسخ: إلى الاثنين. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] الزيادة من المرجع السابق.

وأخبر بالنصف والثلث بالأمرين جميعا لوجود الموافقة، وهو أن يكون قام نصفَ الليل وقام ثلثه وقام أدنى من النصف وأدنى من الثلث. وإذا كان هذا كلُّه محتملا لم يجز[1] أن يدفع أحد الوجهين ويُتمسك بالوجه الآخر. وهذا كقوله تعالى: قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزلَ هٰؤُلَاءِ،[2] فقرئ برفع التاء ونصبه جميعا[3] لما وجد الأمران جميعا، وهو أن يكون موسى عليه السلام وفرعون علما بها[4] أي بالآيات جميعا. وكذلك قال في سورة سبأ، رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا،[5] وقرئ ربُّنا بَاعَد بين أسفارنا،[6] لوجود الأمرين جميعا وهو الدعاء والإجابة، فقوله عز وجل: رَبَّنَا بَاعِدْ، دعاء، وقوله: ربُّنا بَاعَد، على الإجابة، ففُرِّق بينهما بالإعراب. فكذلك هاهنا لما استقام وجود الوجهين من رسول الله صلى الله عليه وسلم استقام أن يقرأ بالنصب والخفض جميعا ويُفرَّق بينهما بالإعراب.[7] *والله أعلم*.

ثم يجوز أن يكون المفروض من القيام قَدْرَ ثلث الليل ويكونَ الزيادة بحكم النافلة، ويجوز أن يكون كله مفروضا وإن طال وزاد على الثلث والنصف والثلثين[8] وإن كان[9] يجوز له الاقتصار على ثلث الليل، ألا ترى أن فَرْض الركوع والسجود يُقضَى بإدراك جزء منه وكذلك فرض القيام بالجزء منه. ثم إن الركوع وإن طال فهو من أوله إلى آخره فرض حتى إن داخلا لو شاركه[10] في أول الركوع ثم رفع رأسه، [وآخرُ شاركه في وسط الركوع ثم رفع رأسه،][11] وشاركه ثالث في آخر ركوعه ثم رفع رأسه مع الإمام صار كل واحد منهم مدركا لفرض الركوع، وإن كان الإمام لو اقتصر على جزء منه كفاه ذلك عن فرضه. فكذلك الفرض لما انصرف إلى قيام الليل فصار جميع ما يؤتى من القيام في الليل –وإن طال– فرضا وإن كان قد يجوز الاجتزاء ببعضه.[12]

---

[1] ر: لم يخبر.
[2] سورة الإسراء، ١٧/١٠٢.
[3] *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٢٧٢؛ وحجة *القراءات* لابن زنجلة، ٤١١.
[4] ر م – بها.
[5] سورة سبأ، ٣٤/١٩.
[6] ر م – بين أسفارنا. قرأ يعقوب من الأئمة العشرة بذلك. انظر: *النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٤٥٦.
[7] أي «مِن ثلثي الليل ونصفَه وثلثَه»، و«من ثلثي الليل ونصفِه وثلثِه».
[8] ر م: الثلثين.
[9] جميع النسخ: فإن كان. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٢٩٠ظ.
[10] جميع النسخ: حتى لو أن داخلا شاركه. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[11] الزيادة من المرجع السابق.
[12] ر ث م: بنقصه.

وقوله عز وجل: **وطائفةٌ من الذين معك**، في هذه الآية وفي قوله عز جل: **فتاب عليكم**، دليل على أن فرض القيام كان على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى من تبعه من المؤمنين وإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخصوصَ بالخطاب بقوله: يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ،[1] لأنه لو لم يكن الفرض شاملا عليهم لم يكن لقوله: **فتاب عليكم**، معنى؛ ألا ترى أنه إذا لم يُفرَض علينا قيام الليل في يومنا هذا لم نحتج[2] في ترك القيام إلى أن يتوب الله علينا. ثم إن الله ذكر في التوبة وفيما فيه النسخ[3] خطابا لجمع[4] الجميع، بقوله: **فتاب عليكم**،[5] وبقوله: **فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**، وذكر[6] فيما فيه الأمر خطابا يقتضي / الآحاد وهو قوله: قُمِ اللَّيْلَ [٨٦١و] إِلَّا قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً.[7] ففي هذا أنه قد يجوز أن يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم على إدخال غيره فيه تبعا له ولا يجوز أن يخاطَب غير النبي صلى الله عليه وسلم ويرادَ به إشراك النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر الخطاب؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المتبوع، فجائز إلحاق غيره به، وغيرُه لا يكون متبوعا حتى يُلحقَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله عز وجل: **والله يقدر الليل والنهار**، ففيه أن الليل والنهار ليسا يمضيان على الْجُزاف ولكن بتقدير سبَق من الله عز وجل. وآية ذلك ظاهر لأنهما يجريان مذ خُلقا على تقديرٍ واحد لم يتقدما ولم يتأخرا ولم ينتقصا ولم يزدادا،[8] فيكون فيه إبانة أن مدبرهما واحد وأن الذي قدرهما هكذا ممن لا يبيد[9] ملكه ولا يَنْفُدُ سلطانه.

وقوله عز وجل: **علم أن لن تُحصوه**، قال بعضهم: علم أن لن تطيقوه. قال أبو بكر الأصم: هذا لا يستقيم، لأنه لا جائز[10] أن يكلفهم الله تعالى ما لا يطيقونه، ألا ترى إلى قوله: لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.[11] وليس فيما ذكره أبو بكر ما يدفع هذا التأويل، لأنه يقال:

---

[1] الآية الأولى من هذه السورة.
[2] ر ث م: لم يحتج.
[3] ر م: الشح.
[4] ر م: بجمع.
[5] جميع النسخ: تاب الله عليكم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٠ظ.
[6] ر ث م – وذكر.
[7] الآيتان ١ و ٢ من هذه السورة.
[8] ر ن م: ولم يزدا.
[9] ر ث م: ممن لا تبيد.
[10] ر م: لأنه جائز.
[11] سورة البقرة، ٢/٢٨٦.

للأمر[1] إذا اشتد وتعسر:[2] لا يطاق[3] هذا الأمر، وإن لم يكن ذلك خارجا من الوسع، ألا ترى إلى قوله: رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ،[4] وتأويله لا تحملنا أمرا يشتد علينا عمله، ليس أنهم خافوا أن يحمّلهم أمرا لا يحتمله وسعهم. فيكون قوله: **علم أن لن تُحصوه**، إن كان تأويله أن لن تطيقوه، على ذلك. ***والله أعلم***. وجائز أن يكون قوله: مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، أي لا تحمّلنا أمرا تَهلك فيه[5] طاقتنا لا أن يُحَمَّلوا[6] أمرا لا يطيقونه، ألا ترى [أن][7] الإنسان يحتمل القتل ولكن قتله يُهلك طاقته. وجائز أن يكون قوله: لَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، أي اعصمنا من الشهوات واللذات، لئلا نُؤْثرها،[8] فنكونَ[9] مضيّعين بارتكابها قوة الفعل الذي تُعبّدنَا به فلا نصل[10] إلى فعله، وهذه هي القوة التي لا تزايل[11] الفعل بل تطابقه.[12] وأما[13] الفعل الذي هو خارج عن احتمال الوسع والطاقة فذلك هو الذي لا يقع بمثله التكليف.

وجائز أن يكون تأويل قوله تعالى: **علم أن لن تحصوه**، أي لن تحصوا حدّ[14] ما أمركم به لو حُدّ[15] عليكم في الأمر[16] بتقدير[17] الثلث والنصف لم يمكنكم ذلك إلا بعد جهد، ففَرضَ عليكم قيام الثلث من الليل وجعل لكم الإمكان في أن تزيدوا عليه، فَيُحْبَطَ[18] عملكم بقيام الثلث[19]

---

[1] ر م: الأمر.
[2] ت: أو تعسر.
[3] م: لا بطان.
[4] سورة البقرة، ٢/٢٨٦.
[5] ر م – فيه.
[6] ن: لا أن تحملنا.
[7] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٩١و.
[8] ر م: لئلا يؤثرها.
[9] جميع النسخ: فيكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ر: فلا تصل.
[11] جميع النسخ: لا يزال. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: بل بطابقة. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] م: وأن.
[14] ر م: أحد.
[15] جميع النسخ: لو أخذ. والتصحيح من المرجع السابق.
[16] جميع النسخ: في أمر. والتصحيح من المرجع السابق.
[17] يتقدر.
[18] ت: فيحيط.
[19] ن – من الليل وجعل لكم الإمكان في أن تزيدوا عليه فيحبط عملكم بقيام الثلث.

ولو كان على حد واحد لم يمكنكم حفظه إلا بعد شدة وجهد، وفي ذلك كلفة عسيرة. ويؤيد هذا تأويل من قال: **علم أن لن تحصوه**، أي لن تطيقوه، ويكون الطاقة[١] عبارة[٢] عن التعسير واشتداد الأمر.

ثم في هذه الآية دلالة على إباحة تعليق الحكم بالاستحسان، لأنه قد فَرَض عليهم قيام ثلث الليل ولا يمكنهم تدارك الثلث بتقدير الإحاطة وإنما يمكنهم بالتقدير الذي يغلب على القلب، فثبت أنه قد يجوز أن يكون الحكم معتبرا بما يقع في القلوب ويغلب على الظنون، والاستحسان ليس إلا تعليقَ الحكم بما يغلب على القلوب. والذي يدل على أن الحكم لازم[٣] بما ذكرنا أن الله تعالى ألزم الحد على القاذف وعلى الزاني،[٤] ولم يبين[٥] مبلغ وقوع الضرب فيه ولا ما يُضرب به، فَقُدّر ذلك بما يقع في القلوب أن مثل هذا الضرب[٦] يصلح لمثل هذه الجناية. وكذلك قِيم الأشياء والأروش[٧] والنفقات وتسويةُ المكاييل[٨] والموازين، يعتبر ذلك كله بغلبة الظنون من غير أن كان لشيء من ذلك أصل يقدَّر النوازل به ويُنتزَع منه. فثبت أنه يجوز أن يُحكَم بالذي يَغلب على القلوب وأن المجتهد[٩] يرجع إلى وجهين، مرة ينظر في غيره[١٠] فيتمثل بهذا فيسمى ذلك قياسا، ومرة يحكم فيها بما يغلب على الظنون فيسمى ذلك استحسانا.

وفي هذه الآية دلالة أن سؤال من يسأل أبا حنيفة رحمه الله "أن الوتر لو كان له مُشابِه في الفرض لكان لا يُختَلف في عدده"[١١] سؤال غير مستقيم؛ لأنه قد فَرَض على القوم أن يقوموا ثلث الليل،

---

[١] ر م: الطاعة.

[٢] ر: عبادة.

[٣] جميع النسخ: يلازم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩١و.

[٤] على الزاني.

[٥] ن: لم يبين.

[٦] ر م + فيه ولا ما يضرب به فقدر ذلك بما يقع في القلوب أن مثل هذا الضرب.

[٧] ر: والأرؤس؛ م: والأروس. الأَرْش من الجراحات ما ليس له قدر معلوم، وقيل هو دِيَةُ الجراحات. وقد تكرر في الحديث ذكر الأَرْشِ المشروع في الحُكومات وهو الذي يأخذه المشتري من البائع إذا اطَّلَع على عيب في المَبيع. وأُرُوش الجنايات والجراحات جائزة لها عما حصل فيها من النَّقْص. وسُمِّي أَرْشًا لأَنه من أَسباب النزاع يقال: أَرَّشْتَ بين القوم إذا أَوقعت بينهم (*لسان العرب*، «أرش»).

[٨] م: والميكاييل.

[٩] ن: وأن المجتهدين.

[١٠] ر م: ينظر غيره.

[١١] ر: لعدده.

وقد أخبر عز وجل أنهم لا يُحصون[1] حدّ ما أمرهم به، وإذا لم يحصوا فلا بد من أن يقع[2] هناك زيادة أو نقصان، فكذلك الوتر وإن كان حد عدده غير معروف وهو لا يخرجه عن حكم الفرائض. *والله أعلم*.

ثم في قوله عز وجل: **علم أن لن تحصوه فتاب عليكم**، هو أن الله تعالى وقّت ما فرض عليهم علم أنهم لا يحصونه، ولكن بيّن هذا ليعلموا أن لله تعالى[3] أن يكلفهم[4] إقامة العبادة إلى وقت لا يتهيأ لهم إحاطة مبلغ ذلك الوقت إلا بعد جَهد ليعرفوا منة الله عليهم إذا أسقط عنهم ذلك التكليف، وهو كقوله عز وجل: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾،[5] ولكن ذكر هذا ليعلموا أنهم يكلّفون القيام للعشرة[6] وإن كان بهم ضعف، لكن إذا خَفَّف [٨٦١ظ] / عنهم عرفوا ما لله عليهم من عظيم المنة.

وقوله عز وجل: **فتاب عليكم**، يحتمل[7] أن تكون[8] طائفة منهم امتنعوا عن القيام، فيكون التوبة راجعة إليهم. ألا ترى إلى قوله تعالى: **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنىَ من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك**، فهذا يبين أنهم جميعا لم يقوموا معه وإنما قامت معه طائفة فيكون التوبة راجعة إلى الطائفة التي امتنعت عن القيام. وجائز أن يكون راجعة إليهم وإلى الذين قاموا معه، فيكون الذين قاموا معه[9] قصروا القيام عن الحد الذي شُرط عليهم، فافتقروا إلى التوبة أيضا كما افتقر إليهم مَن تخلَّف عن القيام، فتاب الله عليهم جميعا. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فاقرءوا ما تيسر من القرآن**، فمنهم من ذكر أن قيام الليل صار منسوخا بهذه الآية. ومنهم من يقول بأن النسخ وقع بقوله تعالى: **وأقيموا الصلاة**، وهي الصلاة المفروضة، وليس بينهما فرق عندنا وإنما نسخ بهما جميعا. ووجه النسخ به[10] هو أن فرض القيام[11]

---

[1] ن: لا تحصون.
[2] ر م: فلا بد أن يقع.
[3] ر م: أن الله تعالى.
[4] ن: أن كلفهم.
[5] سورة الأنفال، ٨/٦٦.
[6] ن: للعسرة؛ م: للعشرة اليسيرة.
[7] جميع النسخ: فيحتمل.
[8] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩١و.
[9] م + فيكون الذين قاموا معه.
[10] ر ث م – به.
[11] ن: للقيام.

فلو كان باقيا لكان لا يجوز لهم أن يكتفُوا من القراءة بما تيسر عليهم، لأنهم إذا قاموا إلى ثلث الليل لزمهم تبليغ القراءة إلى حد يتعسر عليهم ويشتد، فإذا أُذن بالاقتصار على القدر الذي تيسر علم أنه قد سقط عنهم أن يقوموا[١] ثلث الليل. ثم هو إذا قام صلاة المغرب والعشاء فقد قرأ[٢] من القرآن ما تيسر عليه فصار قاضيا لما اقتضاه قوله: **فاقرءوا ما تيسر من القرآن**، فمن هذا الوجه[٣] استدلوا بهذه الآية على نسخ حكم القيام بالليل. ثم هذه القراءة يقيمها في الصلاة فيكون النسخ واقعا بهما جميعا.[٤]

ثم من الناس من يزعم أن فرض القيام سقط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أمته واستدلوا بقوله: وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ،[٥] ولو كان[٦] الفرض عليه قائما لم يكن التهجد به نافلة. ومنهم من زعم أنه لم يَسقط عنه فرض[٧] القيام بل دام عليه إلى أن قُبض عليه السلام، واحتج بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كُتب عليّ قيام الليل ولم يُكتب عليكم»،[٨] ومعناه بقي عليّ مكتوبا ورفع عنكم، إذ قد دللنا أن القيام في الابتداء كان عليه وعليهم جميعا. وقد قال بعض الناس: إن صلاة الليل لم تكن[٩] فرضا على أمته بهذا الحديث، وما ذكرناه حجة عليهم. ثم الجواب عن التعلق بقوله:[١٠] فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ، معناه غنيمةً لك، لا أن يكون القيام منه تطوعا. ووجه صرفه إلى الغنيمة وهو أن العبادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج مخرج الشكر لله تعالى فيصير بها مكتسبا[١١] للفضيلة وليس يقع ذلك موقع التكفير[١٢] للسيئات، لأنه تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلم يكن يحتاج إلى إتيان الحسنات ليكفَّر عنه السيئات. فثبت أن الفعل منه يقع موقع اكتسابه الفضيلة

---

[١] ن: إذ يقوموا.
[٢] ر ث م: قد قرأ.
[٣] ر ث م + الذي.
[٤] ر ث م – جميعا.
[٥] سورة الإسراء، ٧٩/١٧.
[٦] جميع النسخ: وإن كان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩١ظ.
[٧] ث + الليل.
[٨] قال عليه السلام: «فُرض عليّ قيام الليل و لم يُفرض عليكم» (*روح البيان* لإسماعيل حقي)، ٤٧٢/٨.
[٩] جميع النسخ: لم يكن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩١ظ.
[١٠] ر ث م – بقوله.
[١١] ر: مكتبا.
[١٢] ن: التكفر.

فتدوم[1] له تلك[2] الفضيلة[3] ويستوجب بها جزيل الثواب وذلك من أعظم الغنائم. والذي يدل على أن فعله يخرج مخرج الشكر ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] أنه صلى[5] حتى تورّمت قدماه، فقيل له: يا رسول الله ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال عليه السلام: «أفلا أكون عبدا شكورا».[6] وأما غيره فإن الحسنات منهم مكفرة لسيئاتهم ومطهرة لزلاتهم، قال الله تعالى: إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ،[7] فهم بحسناتهم لم يصيروا مكتسبين الفضيلة في مستأنف الأوقات فيصيروا بها مغتنمين، بل رفعوا بها زلاتهم وطهّروا أنفسهم من المآثم فلم يصر القربة منهم نافلة.[8] والله أعلم. فلهذا ما سُمّي تهجده[9] نافلة لا أن يكون قيامه نفلا.

وقوله عز وجل: **علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يَضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله**، فمنهم من زعم أن هذه السورة كلها مكية، ومنهم من زعم أن أولها مكية وآخرها مدنية ويحتج هؤلاء بقوله تعالى: **وآخرون يضربون في الأرض**، وبقوله: **وآخرون يقاتلون في سبيل الله**، وذلك أن الجهاد فرض على المسلمين بعد الهجرة إلى المدينة و لم يوجد منهم الضرب في الأرض في حال كونهم بمكة، وفي هذا إخبار عن جهاد طائفة وعن ضرب بعض في الأرض، فثبت أن نزول هذه الآيات كانت بالمدينة. واحتجوا أيضا بقوله: **فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**، وقالوا:[10] إن الزكاة إنما فرضت عليهم بعد ما هاجروا إلى المدينة، وفي هذا أمر بإيتاء الزكاة، فثبت أن نزولها كانت بالمدينة. وأما أول السورة فهو[11] في موضع المحاجّة على أهل الشرك و لم يكن بالمدينة مشرك بل كانوا أهل الكتاب.

---

[1] جميع النسخ: فيدوم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩١ظ.

[2] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من المرجع السابق.

[3] م - الفضيلة.

[4] ن - صلى الله عليه وسلم.

[5] ر م - أنه صلى.

[6] عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال: «يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا» *مسند أحمد بن حنبل*، ١١٥/٦؛ وصحيح *البخاري*، التهجد ٦؛ وصحيح *مسلم*، صفات المنافقين ١٨.

[7] سورة هود، ١١٤/١١.

[8] ر م - نافلة.

[9] م: التهجد.

[10] ر ث م: قالوا.

[11] ر ث م: فهي.

ومن ذكر أنها كلها مكية فهو يحمل قوله: **وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله**، على الوعد والبِشارة ليس على الإيجاب والوجوب، ألا ترى إلى قوله عز وجل: **علم أن سيكون منكم مرضى**، فأخبر أنه / "سيكون منكم مرضى" لا [٨٦٢و] أن كانوا مرضى في ذلك الوقت، فلم يكن فيما ذكر دلالةُ كونها مدنية. ثم الآية إن كانت على الوعد ففيه أنهم كانوا في ضيق من العيش وكانوا من القوم في خوف، فيكون فيه بشارة أنه يَرفع عنهم الضيق بما يضربون في الأرض ويوسّع عليهم العيش وأنه يفتح لهم الفتوح ويكثر أنصارهم حتى يَقهروا العدو ويقع لهم من ناحيتهم الأمن،[١] وقد آل الأمر إلى ما بُشروا به. ففيه آية رسالته عليه السلام إذ أخبرهم عن علم الغيب وكان الأمر على ما أخبر.

ثم قوله عز وجل: **علم أن سيكون منكم مرضى**، في موضع الاعتلال أنه إنما خَفّف عليهم الأمر بما ذكر من الأعذار[٢] من المرض والضرب في الأرض والمجاهدة في سبيل الله. والتخفيف إذا وجب[٣] لعذر[٤] فما لم يلاق العذرُ حالةَ الفعل[٥] لم يُخفَّف، فكيف خُفّف عنهم قبل وقوع الأعذار. ولكن هذه الأعذارَ[٦] وإن تحققت وهي[٧] لا يلاقي الفعل بل يتقدمه. لأن المجاهدة تكون بالنهار لا بالليل، وكذلك الضرب في الأرض وقته النهار لا الليل[٨] والقيام كان بالليل ليس بالنهار، ثم قد وُضع عنهم قيام الليل وإن لم يكن العذر ملاقيا للقيام،[٩] فعلى ذلك جائز أن يُرفع عنهم القيام بالليل وإن لم يأت بعدُ وقتُ المجاهدة ولا كان الضرب موجودا، إذ ليس في ذلك كله إلا عدم[١٠] ملاقات العذر حالة القيام. ثم[١١] وجه رفع قيام الليل عنهم بالمجاهدة والضرب في الأرض وإن كانا يحصلان في النهار[١٢] لا بالليل

---

[١] ن: الأمر.
[٢] ر ن م: من الاعتذار.
[٣] م: وجد.
[٤] ر م: العذر.
[٥] ث – فما لم يلاق العذر حالة الفعل.
[٦] ث – ولكن هذه الأعذار.
[٧] ر ث م: هي.
[٨] ث: لا بالليل.
[٩] ن – للقيام.
[١٠] ر م: عدام.
[١١] ر م – ثم.
[١٢] ر ث م: بالنهار.

هو أن المجاهدة بالنهار تُضعفهم[1] وتوهن[2] قواهم فيتعذر عليهم قيام الليل، وكذلك الضرب في الأرض. فمنّ الله تعالى عليهم بأن رفع عنهم قيام الليل وإن لم يوجد منهم الاشتغال بالجهاد بالليالي. *والله أعلم*. ثم الضرب في الأرض يكون للتجارة ولغيرها من الوجوه لطلب العلم وغيره من الأسباب فلا يحصل أمر الضرب على التجارة خاصة.

وقوله عز وجل: **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**، قال أبو بكر [الأصم] في قوله: **وآتوا الزكاة**: [فيه] دلالة أن هذه الآية مدنية، لأن الزكاة إنما فرضت عليهم بالمدينة. فإن كان الأمر على ما ذكر أن فرضيتها[3] نزلت بالمدينة فذلك عندنا مصروف إلى زكاة المواشي خاصة، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن لهم بمكة سوائمُ، لأنهم كانوا يخافون العدو، فلم يتهيأ لهم إسامة المواشي، وأما ما رجع من الزكاة إلى غيرها من الأموال فيشبه أن يكون واجبة عليهم في حال كونهم بمكة وبعد مفارقتهم منها، ولا يكون في الأمر بإيتاء الزكاة دلالة نزولها بالمدينة. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وأقرضوا الله قرضا حسنا**، فالقرض في لغة العرب القطع، يقال: قرض الفأر[4] الجِراب، أي قطعه، فسمي القرض قرضا لهذا، لأنه يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه[5] إلى غيره، وكذلك هو بالتصدق يقطع ذلك القدر فيجعله لله تعالى خالصا فسمى إقراضا لهذا. ويجوز أن يكون أضافه[6] إلى نفسه لئلا يَمُنَّ على الفقير فيما يتصدق عليه، إذ الإقراض حصل فيما بينه وبين ربه فيصير الفقير معاونا له[7] في تلك القربة. ولأن المرء في الشاهد إنما يُقرِض[8] ما يَفضُل[9] من حاجته فيدفعه إلى من يثق[10] به ليستردَّ منه عند حاجته إليه. فكذلك الصدقة أُوجبت في المال الذي يفضل[11] عن حاجات فيقرضها لله تعالى فيجدها مهيأة عند ما تمسه الحاجة.

---

[1] جميع النسخ: يضعفهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٢و.
[2] ن: ويوهن.
[3] ث: فرضيها؛ م: أن فرضيتهما.
[4] ر م: القار.
[5] ن: حاله ورفعه.
[6] ر ث م: أضاف.
[7] ر م – له.
[8] جميع النسخ + في الشاهد. والتنقيص من المرجع السابق.
[9] ن ث: ما يفصل.
[10] ن: يتق.
[11] ر ن: يفصل.

ثم المال الذي يدفعه إلى الفقير على جهة التصدق هو مال لله تعالى،[١] ثم جعل الله تعالى ذلك منه إقراضا له جل جلاله وأضافه إلى نفسه، فيكون الفائدة في الإضافة إلى نفسه هي[٢] تفضيل عمله[٣] ليرغّبه في مثل ذلك الفعل على جهة التكرم منه. وهو كما سمى الثواب الذي يتفضل على عباده أجرا، بقوله: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ،[٤] ومن عمل لنفسه لم يستوجب الأجر على غيره. وسمى الذي يُقتل شهيدا بائعا نفسه لله تعالى على تفضيل وترغيب العباد[٥] في مثله لقوله: إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ.[٦]

وقوله عز وجل: **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله**، معناه تجدوه حاصلا لكم، وإلا فكل شيء يقدمونه[٧] من خير أو شر يجدونه[٨] حاضرا في ذلك اليوم ولكن الشر يكون عليهم. قال الله تعالى: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا،[٩] وقال عز وجل: لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا.[١٠] وقوله عز وجل: **هو خيرا وأعظم أجرا**، ومن حق[١١] الكلام أن يقول: هو خير، لأن **هو**، يرفع ما بعده، ولكنّ **هو** كالفصل[١٢] هاهنا، وحقه الحذف وإذا حذف انتصب الكلام، لأنه معناه: إن الذي تجدونه عند الله خيرا لكم مما خلّفتم، فيكون خيرا مفعولا.

ثم قوله عز وجل: **هو خيرا وأعظم أجرا**، يحتمل أوجها. أحدها أنه خير لكم / وأعظم أجرا [٨٦٢ظ] مما خلّفتم لورثتكم، فيكون فيه[١٣] أن الذي يخلّفه لورثته له فيه خير ولكن ما يقدم لآخرته خير له.[١٤]

---

[١] ر ث: مال الله تعالى.
[٢] ر ث م: هو.
[٣] ن + له.
[٤] سورة فصلت، ٤٦/٤١؛ وسورة الجاثية، ١٥/٤٥.
[٥] ر ث م: للعباد.
[٦] سورة التوبة، ١١١/٩.
[٧] ر ث م: تقدمونه.
[٨] ر ث م: تجدونه.
[٩] سورة آل عمران، ٣٠/٣.
[١٠] ﴿ووُضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مَالِهٰذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ (سورة الكهف، ٤٩/١٨).
[١١] جميع النسخ: وفي حق الكلام. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٢ظ.
[١٢] ن: كالفضل.
[١٣] ن – فيه.
[١٤] ن: ما تقدم لأجرته خير له؛ م: ما يقدم لا خير له.

والذي يدل على أن له فيما يخلفه لورثته خيرا قوله عليه الصلاة والسلام: «إنك أن تَدَعَ ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم فقراء يتكفّفون الناس».[1] والثاني أن المرء في الشاهد قد تسخو[2] نفسه ببذل المال للأجلّة[3] لما يأمل منهم من الثواب العاجل، فيكون في قوله: **هو خيرا وأعظم أجرا،** ترغيب للعباد في تقديم الأموال لوجه الله تعالى، لأنهم[4] إذا رَغِبت أنفسُهم في بذل الأموال للأجلة طمعا للمنافع التي تحصل[5] لهم، فكان بذل المال لوجه الله تعالى أعظم في الأجر فهو [أحق][6] أن يقع فيه الرغبة.[7] ولأن النفس قد تتحمل[8] المكروه في الشاهد لمنافعَ يَأملُها في ثاني الحال، فإذا طمعت لما يبذل لوجه الله تعالى الثواب الجزيل والأجر الجميل[9] العظيم خفّ عليها تحمل المكروه الذي يناله[10] بالبذل. ويجوز أن يكون قوله عز وجل: **وأعظمَ،** بمعنى عَظُم إذ قد يستعمل حرف أفعل في موضع فعل، كما يقال: أكبرُ بمعنى كبير.[11] ***والله أعلم.***

وقوله عز وجل: **واستغفروا الله،** فالاستغفار هو طلب المغفرة وذلك يكون باللسان مرة وبالأفعال ثانيا. فطلب المغفرة من جهة الفعل أن ينتهي[12] عن الفعل الذي يستحق عليه العقاب[13] ويجيب إلى ما دُعي إليه، قال الله تعالى: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ،[14]

---

[1] عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء النبي صلى الله عليه وسلم يعودني وأنا بمكة وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها قال: «يرحم الله ابن عفراء». قلت يا رسول الله أُوصِي بمالي كله. قال: «لا» قلت: فالشطر؟ قال: «لا»، قلت: الثلثُ؟ قال: «فالثلثُ والثلث كثير، إنك أن تَدَعَ ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكفّفون الناس في أيديهم، وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمةُ التي ترفعها إلى في امرأتك، وعسى الله أن يَرفعك فينتفعَ بك ناس ويَضُرَّ بك آخرون». ولم يكن له يومئذ إلا ابنة (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/١٧٣؛ وصحيح *البخاري*، الوصايا ٢؛ وسنن *النسائي*، الوصايا ٣).

[2] جميع النسخ: قد يسخو.

[3] جميع النسخ: ببذل الأجلة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٢ظ.

[4] ر ث م: لأنه.

[5] جميع النسخ: يحصل. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] الزيادة من المرجع السابق.

[7] ن: للرغبة.

[8] جميع النسخ: قد يتحمل. والتصحيح من المرجع السابق.

[9] ر ن م – الجميل.

[10] ر م: الذي ويناله؛ ن: الذي الذي يناله.

[11] ن: أكثر بمعنى كثير.

[12] جميع النسخ: أن ينوي. والتصحيح من المرجع السابق.

[13] ن – العقاب.

[14] سورة الأنفال، ٣٨/٨.

فجعل انتهاءهم عن الكفر ودخولهم في الإسلام سبب مغفرتهم. وقال الله عز وجل: إِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا،[1] وليس استغفارهم أن يقولوا باللسان: اللهم اغفر لنا، ولكن معناه أن انتهُوا عما أنتم فيه[2] من الكفر وأَجيبوا[3] ربكم فيما دعاكم إليه، فهذا هو الاستغفار من جهة الأفعال. وأما الاستغفار باللسان وهو طلب المغفرة، [فهو] يكون على وجهين. أحدهما أن تسأل[4] ربك التجاوز عن سيئاتك.[5] والثاني أن يسأل[6] حتى يوفقه[7] السبب الذي إذا جاء به[8] استوجب المغفرة.[9] وعلى هذا التأويل يخرج استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه وهو أنه طلب من ربه أن يوفقه لما فيه نجاته وهو الإسلام لا أن يسأل ربه أن يغفر له مع دوامه على الكفر، ألا ترى أنه امتنع عن الاستغفار له حيث تقررت عنده عداوته لله تعالى، وعلم أنه لم يوفَّق السببَ الذي يستوجب به المغفرة، قال الله تعالى: فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّٰهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ.[10] فثبت أنه لم يطلب منه المغفرة مع دوامه على الكفر ولكن للوجه[11] الذي ذكرنا. *والله أعلم*.[12]

---

[1] سورة نوح، ١٠/٧١.

[2] ر ث م: عليه.

[3] ن: وأخبتوا.

[4] ر ن م: أن يسأل.

[5] ن + وعلى هذا التأويل.

[6] ر ث م: أن تسأل.

[7] ن + لما فيه نجاته وهو الإسلام أن يسأل ربه.

[8] ر + المغفرة.

[9] ن ث + المغفرة.

[10] ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن مَوْعِدَةٍ وعدها إياه فلما تبين له أنه عَدُوٌّ لله تبرّأ منه﴾ (سورة التوبة، ١١٤/٩).

[11] ر ث م: الوجه.

[12] م – والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المدثر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[١] ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[٢]

قوله عز وجل: **يا أيها المدثر**، قيل: إن الذي حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على التدثر أنه كان في بعض طرق مكة إذ سمع صوتا من السماء والأرض، فنظر عن يمينه وعن شماله[2] وأمامه وخلفه فلم ير شيئا، فرفع رأسه فرأى شيئا[3] ففرِق منه فأتى بيته وقال: زَمّلوني، فدثّروه. فإن صح ما قالوا وإلا لم يسعهم أن يشهدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي حمله على التدثر ما ذكروا من الفَرَق، ولأن التدثر ليس مما يَسكن به الرَّوع الذي يَحُلّ بصاحبه من الصياح. وذكروا أن أول ما نزل من الوحي قوله: **يا أيها المدثر**، فإن صح ما ذكروا فأول ما أوحى إليه هو الصياح الذي سمعه إذ كان ذلك[4] متقدما على قوله: **يا أيها المدثر قم فأنذر**. وقيل: إن كفار مكة قذفوه بالسحر وأجمعوا آراءهم[5] على أن ينسبوه إليه وفشا هذا القول فيهم له، أحزنه ذلك فدخل بيته وتدثر بثيابه فأمره[6] الله تعالى أن يقوم فينذرهم، بقوله: **يا أيها المدثر قم فأنذر**. وعلى هذا التأويل يكون الوحي[7] نازلا قبل نزول هذه السورة حتى سموه ساحرا لما يرون[8] منه من الآيات. ***والله أعلم***.

---

[1] ر – سورة المدثر؛ ث + وهي ست وخمسون آيات؛ م + وهي مكية.

[2] ر ث م: وعن يساره.

[3] ر م – فرفع رأسه فرأى شيئا.

[4] ر م: إذا كان ذلك؛ ن: إن كان ذلك؛ ث: إذ كان لك؛ م: إذا كان لك.

[5] جميع النسخ: رأيهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣و.

[6] ر: فأمر.

[7] ر م – الوحي.

[8] ر م: لما تروا؛ ن ث: لما يروا. والتصحيح من المرجع السابق.

وذكر أن موسى -صلوات الله على نبينا وعليه- قال: أتاني ربي من طُورِ سِيناءَ، وسيأتي من طُورِ ساعُورا وسيطْلُع من جبل فَاران. فإن صح هذا الخبر فمعنى قوله: أتاني ربي أي[1] أوحى إلي، وقوله: وسيأتي من طور ساعورا[2] هو الوحي إلى عيسى عليه السلام، وقوله: وسيطلع من جبل فاران هو[3] القرآن الذي أنزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. وفي هذا الخبر دلالة أن الأخبار التي فيها ذكر نزول الرب في كل ليلة إلى سماء الدنيا هو[4] على نزول أمره إلى ملائكته أن قولوا: هل من داع فيجاب، هل من مستغفر فيغفر له؟[5] فجائز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول ما أوحي إليه كان بجبل فاران وهو جبل من جبال مكة أو كان ذلك الجبل منسوبا إلى ذلك المكان.

ثم في قوله عز وجل: **يا أيها المدثر**، تثبيت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآية[6] رسالته. وذلك أن تعريف المرء بما عليه من الثياب[7] ونسبته إليه / [٨٦٣و] لا يخرجه مخرج التعظيم والتبجيل، وإنما التبجيل فيما يُدعَى باسمه أو بكنيته. فلو كانت[8] الأمر على ما زعمت الكفرة أن هذا القرآن ليس من عند الله وأن رسول الله هو الذي اخترعه من ذات نفسه لكان لا يعرّف نفسه بثيابه بل يعرفها بما فيه تبجيلها وتعظيمها. فإذ لم يفعل ثبت أنه كان رسولا حقا بلّغ الرسالة على ما أوحي إليه وأدى كما أمر. على ما ذكرنا في الآيات التي خرجت مخرج المعاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيها تثبيتَ رسالته نحو قوله: عَبَسَ وَتَوَلَّى،[9] وغير ذلك من الآيات. وجائز أن يكون نسبته[10] إلى ثيابه ليعلم الخلق أن لا بأس للمرء أن يعرّف أخاه بثيابه.

---

[1] ر م - أي.

[2] م: ساعوراء.

[3] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣و.

[4] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما اجتمع قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وتغشتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده». وقال: «إن الله يُمهل حتى إذا كان ثلثُ الليل الآخِرُ نزل الله عز وجل إلى هذه السماء فنادى: "هل من مذنب يتوب، هل من مستغفر هل من داع، هل من سائل" إلى الفجر» (*مسند أحمد بن حنبل*، ٤٣/٣؛ وصحيح *مسلم*، صلاة المسافرين ١٦١-١٧٢).

[6] ن: وتأييد.

[7] ر م: من الثبات.

[8] ث: فلو كان.

[9] سورة عبس، ١/٨٠.

[10] ر: نسبة.

وجائز أن يكون نسبته إلى الثوب الذي تدثر[١] به يخرج مخرج التعظيم لذلك الثوب لموافقته حال نزول الوحي. وهذا لما ذكرنا[٢] أن إضافة الأشياء إلى الله تعالى نحو الجزئيات تخرج[٣] مخرج تعظيم[٤] ذلك الأشياء، كقوله: نَاقَةُ اللهِ،[٥] ومَسَاجِدَ اللهِ[٦] ورَبُّ الْعَرْشِ،[٧] على تعظيم العرش وتعظيم أمر الناقة وتشريف المسجد. وإضافة الأشياء إليه نحو الكليات تخرج[٨] مخرج تعظيم الله تعالى، كقوله: رَبِّ الْعَالَمِينَ،[٩] رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا.[١٠] ثم أُذن للمرء أن يسبح في ركوعه فيقول: سبحان رَبِّيَ العظيم فيَخُصّ نفسه بقوله: "ربي". والحق في مثله أن يقول: "سبحان ربنا" لئلا يخرج ذلك مخرج تعظيم النفس، كقوله: رَبِّ الْعَالَمِينَ، ورَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، إذ الإضافة من الجانبين على السواء[١١] فيما ذكرنا، لكنّ ذلك الذكر[١٢] إذا وافق الحالة التي فيها تعظيم الرب ووصفُه بالعلو وهي الركوع والسجود أُذن له بأن يأتي بهذا الذكر وإن خرج ذلك مخرج تعظيم النفس. فكذلك ذلك الثوب الذي تدثر به النبي صلى الله عليه وسلم إذا وافق حال نزول الوحي عظم شأنه من ذلك الوجه[١٣] فنُسب إلى ذلك الثوب. ثم المرء إنما يتدثر عند ما يريد أن ينام أو عند طلب الراحة، وليست تلك الحالة حالة يستحب[١٤] المرءُ مصاحَبة[١٥] الكبراء العظام في مثل تلك الحالة[١٦] فضلا من أن يصحب الملَكَ في مثل تلك الحالة.[١٧]

---

[١] ر ن م: يدثر.
[٢] ن: كما ذكرنا.
[٣] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣و.
[٤] م: التعظيم.
[٥] سورة الأعراف، ٧/٧٣.
[٦] سورة البقرة، ٢/١١٤.
[٧] سورة التوبة، ٩/١٢٩.
[٨] جميع النسخ: يخرج. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] سورة الفاتحة، ١/٢.
[١٠] سورة مريم، ١٩/٦٥.
[١١] ر: على السؤال.
[١٢] ر ث م - الذكر.
[١٣] ن: للوجه.
[١٤] م: يستصحب.
[١٥] ر م: صاحبة.
[١٦] ر ن م: الحال.
[١٧] جميع النسخ: الحال. والتصحيح من المرجع السابق.

فيكون في هذا دلالة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَطّلع على الأوقات التي كان يأتي فيها الوحي، وإذا لم يعلم كان الأمر عليه أصعب وأشد منه إذا بُيّن له، لأنه إذا لم يبين له لزمه أن يصون نفسه في الحالات كلها عن أشياء يُستحيى[1] مع مثلها الخلوةُ بالملائكة. ولهذا لم يبين[2] لأحد منتهى عمره ليكون أبدا مستعدّا[3] للموت فَرِقًا أن يَحُلّ به ساعة بعد ساعة ويكون أبدا على خوف ووجل من ذلك. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **قم فأنذر**، خص النذارةَ دون البِشارة وقد كان هو نذيرا وبشيرا، ففي ذكر النذارة ذكر البشارة وإن أمسك عنها لأن النذارة ليست يرجع إلى نفس الخلائق، وإنما النذارة هي تبيين[4] عواقب ما ينتهي إليه حال من التزم الفعل[5] المذموم، فإذا استوجب النذارة بالتزامه ذلك الفعل فقد استوجب البشارة في تركه؛ فثبت أن في النذارة بشارة وفي البشارة نذارةً أيضا، فاقتصر بذكر إحداهما عن ذكر الأخرى. وليس في قوله: **قم**، إلزام قيام ولكن معناه: قم في إنذار الخلق وبشارتهم على ما ينتهي إليه وسعك.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وربك فكبر**، أي عظّم. وتعظيمه أن يجيبه فيما دعاه[6] إليه ويطيعَه فيما أمره وأن يتحمل[7] ما لزمه[8] عمله، فذلك هو[9] تعظيمه لا أن يقول بلسانه: يا عظيمُ فقط. وجائز أن يكون تأويله أن عظّمه[10] عن المعاني التي قالت فيه[11] الملحدة[12] من أن[13] لله[14] تعالى ولدا

[1] ث ن: يستحي.
[2] ن: ما لم يبين.
[3] ث - مستعدا.
[4] ن: حتى يتبين.
[5] ن - الفعل.
[6] م: فيما دعا.
[7] ر: وأن يتحل.
[8] ن ث: ما ألزمه.
[9] ر ث م - هو.
[10] جميع النسخ: أي عظمه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣ظ.
[11] ن - فيه.
[12] م: ملاحدة.
[13] ن - أن.
[14] ر ن م: الله.

وأن له شريكا[١] ونزِّهه عنها، أو عظم حقه وأدِّ[٢] شكر نعمه. وهذا كما نقول:[٣] إن محبة الله تعالى طاعته وائتمار أوامره لا أن يكون هي[٤] شيئا يعتري في القلب فيصْعق منه المرء ويُغْشَى عليه، فكذلك تعظيم الله تعالى يكون بالمعاني التي ذكرنا لا أن يكون بالقول خاصة.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وثيابك فطهر**، جائز أن يكون أريد بالثياب نفسه ويُجعلَ الثياب كناية عنها، كما ذكر أن العرب كانت تقول[٥] إذا كان الرجل ينكث العهد وليس بذي وفاء: إنه لَدَنِس الثياب، وإذا كان له وفاء قالوا: إنه لطاهر الثياب. فإن كان الخطاب متوجها إلى النفس فتأويله -والله أعلم- أن طهِّر خُلقك وأفعالك وأقوالَك عما تُذَمّ[٦] عليه. وجائز أن يكون أريد بها الثياب فيكون قوله: **وثيابَك فطهّر**، متوجها إلى التطهير من النجاسة[٧] وإلى التطهير من الأدناس. فأما التطهير من الأجناس فقد امتُحنّا جميعا نحن ورسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما التطهير من الأدناس فجائز أن يؤمر به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، لأنه كان مأمورا[٨] بتبليغ الرسالة إلى الخلق فنُدب إلى تطهير ثيابه من الدنس لئلا يُستقذر[٩] / بل يُنظر إليه بعين التبجيل والعظمة. [٨٦٣ظ] وليس هذا على تطهير الثياب خاصة بل أُمر أن يطهّر[١٠] جميع ما يقع له به التمتع من المآكل والمشرب والملبس وغيرها. *والله أعلم*. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: أي[١١] لا تلبس الثوب على فخر ولا غدر.[١٢] قيل: وكان الرجل إذا كان غادرا في الجاهلية يقال: إنه دَنِس الثياب.

---

[١] ر ن م: شريك.

[٢] ر م: أو؛ ن: وأن أد.

[٣] جميع النسخ: يقول. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣ظ.

[٤] ر: هو.

[٥] ن: يقول.

[٦] جميع النسخ: يذم. والتصحيح من المرجع السابق.

[٧] ث ن: من النجاسات.

[٨] ث + بها.

[٩] ن: لئلا يستقدر.

[١٠] ن: أن يظهر.

[١١] ر م - أي.

[١٢] ر ث م: ولا غذر. عن عكرمة أن ابن عباس سئل عن قوله: ﴿وثيابك فطهر﴾ قال: لا تلبسها على غدرة ولا فجرة (*الدر المنثور* للسيوطي، ٣٢٦/٨).

وقال الحسن: خُلُقَك فحسّنه.[١] وقال بعضهم: أي قصّر ثيابك ولا تُطوّلها، فيقعَ أطرافها[٢] على الأرض، فيصيبها النجاسات.[٣] *والله أعلم.*

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **والرجز فاهجر**، فالرجز اسم للمأثم واسم لما يعذَّب به،[٤] فيكون منصرفا إلى ما يتأذى به النفس ويتألم به النفس كالسيئة[٥] في أنها اسم لما يتأذَّى به ولما[٦] يتألم عليه النفس، قال الله تعالى: لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ.[٧] فالمأثم اسم لما يتأذى به والعذاب مما يتألم به النفس فهو اسم للأمرين جميعا.[٨] وصرف أهل التأويل الرجز إلى المأثم هاهنا. وذكر قتادة أنه كان بمكة صنمان إسافٌ ونائلةُ، فكان من أتى عليهما من المشركين مسح وجوههما. فأمر الله عز وجل نبيه[٩] صلى الله عليه وسلم أن يعتزلهما[١٠] بقوله: **والرجز فاهجر.** وقيل أيضا بأن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: لو مسحت وجوههما لكان [أحرى][١١] أن نؤمن لك ونتبعك فأنزل الله تعالى **والرجز فاهجر**، أي فاهجر عبادة الأوثان. وقيل: **الرجز**، العذاب. فجملته ترجع إلى ما ذكرنا أنه اسم للعذاب ولما يعذب عليه. *والله أعلم.*

---

[١] ر م: محسنة. *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/٦٤؛ وانظر أيضا، *روح المعاني* للآلوسي، ١٥/١٤٧.

[٢] ر: أطراقها.

[٣] ر ث م: فيصيبه النجاسة.

[٤] جميع النسخ: عليه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣ظ.

[٥] ر م: كالسب؛ ن ث: كالشبه. والتصحيح من المرجع السابق.

[٦] ر م: ولا.

[٧] سورة سبأ، ٣٤/٥.

[٨] ر: فالمأثم اسم لما يتأذى به النفس فهو اسم للأمرين العذب في ما يتألم به جميعا؛ ن: فالمأثم اسم لما يتأذى بها النفس فهو اسم للأمرين والعذاب مما يتألم به جميعا؛ ث: فالمأثم اسم لما يتأذى به النفس فهو اسم للأمرين جميعا والعذاب مما لم يتألم به جميعا؛ م: فالمأثم اسم لما يتأذى به النفس فهو اسم للأمرين العذاب وما يتألم به جميعا. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ث: بنبيه.

[١٠] ر: أن يعيرهما؛ ن ث م: أن يعبرهما. والتصحيح من المرجع السابق. عن قتادة: ﴿والرجز فاهجر﴾ إساف ونائلة، وهما صنمان كانا عند البيت يمسح وجوههما مَن أتى عليهما، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجتنبهما ويعتزلهما (*تفسير الطبري*، ٢٩/١٨٤).

[١١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٩٣ظ.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **ولا تمنن تستكثر**، قال مجاهد والحسن: تأويله أن لا تستكثر عملك فتمنّ به على ربك، على التقديم والتأخير.[١] فإن كان التأويل هذا فالمراد من الخطاب غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان هو المذكورَ في الخطاب، إذ لا[٢] يتوهم أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنّ على ربه ولا أن يستكثر عمله لله تعالى، لأن هذا النوع من الصنيع لا يفعله واحد من العوامّ الذي خُصّ بأدنى خير،[٣] فكيف يتوهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأن الامتنان على الله تعالى من فعل المنافقين، قال الله تعالى: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ.[٤] ويجوز أن يكون الخطاب له وإن كان هو معصوما من ذلك، بقوله:[٥] وَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ،[٦] ونحوه. وهذا كما ذكرنا أن العصمة لا تمنع[٧] وقوع النهي إذ العصمة يُنتفع[٨] بها مع ثبات النهي، فإذا لم يكن فلا فائدة في العصمة. وقال بعضهم: **ولا تمنن تستكثر**، أي لا تعط[٩] عطية تلتمس بها أفضل منها في الدنيا من الثواب. نُهي عن اكتساب الأسباب التي يتوصل بها إلى استكثار المال في الدنيا من التجارة وغيرها إلا القدرَ الذي لا بد له منه[١٠] ويقع إليه الحاجة. ألا ترى إلى قوله: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ،[١١] فإذا نهي عن مدّ عينيه إلى ما مُتِّعوا فمن[١٢] اكتساب أسباب[١٣] المال أحقّ. ثبت أن الله تعالى نهاه عن اكتساب ذلك وجمعه،[١٤] وجعل رزقه عليه السلام من الوجه الذي لا يبلغه حيل البشر وهو الفيء والغنيمة.

---

[١] قال الحسن البصري: لا تمنن عملك تستكثره على ربك (*تفسير الطبري*، ٢٩/١٨٦).
[٢] ر ن م: ألا.
[٣] ن: خير.
[٤] سورة الحجرات، ٤٩/١٧.
[٥] جميع النسخ: لقوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٣ظ.
[٦] سورة القصص، ٢٨/٨٨.
[٧] ر ث م: لا يمنع.
[٨] ر ث م: لا ينتفع.
[٩] ر ن م: لا تعطيه؛ ث: لا تعطه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤و.
[١٠] ر ث م – منه.
[١١] سورة طه، ٢٠/١٣١.
[١٢] جميع النسخ: ففي. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ر م – أسباب.
[١٤] ر + ذلك.

ثم نهى عن إمساكه وادّخاره لنفسه بل أمر أن يصرفه في أمته بقوله عليه السلام: «مالي من هذا المال إلا الخُمُس والخمس مردود فيكم».[1] وقال الله عز وجل: مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى،[2] الآية. وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدّخر لغد، وقال الله تعالى: لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ،[3] فثبت أنه كان منهيا عن اكتساب الأسباب التي يتوصل بها إلى اكتساب الأموال وإلى الجمع، فَنُهي عن العطايا التي يُلتمس بها أفضلُ منها في الدنيا. **والله أعلم**.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [٧]

وقوله عز وجل: **ولربك فاصبر**، ففي هذا دعاء إلى إخلاص الصبر لله تعالى وإلى[4] الصدق فيه. وفي قوله عز وجل: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ،[5] دعاء إلى نفس الصبر. وجائز أن يكون هذا أيضا على الأمر بالصبر، فيكون على التقديم والتأخير، كأنه يقول: فاصبر لربك أي اصبر على ما تؤذَى[6] ولا تجازهم بصنيعهم فإن الله تعالى يكفيهم. فيكون في هذا إبانة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امتحن بالأمور التي يكرهها نفسه ويشتد عليها فدعاه الله تعالى إلى الصبر على تحمل المكاره. **والله أعلم**.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [٨]

وقوله عز وجل: **فإذا نقر في الناقور**، نُقر أي نفخ، والناقور الصور وهي كلمة [من][7] كتب[8] الأولين. ذَكَر هاهنا **فإذا نقر في الناقور**، وقال في موضع آخر: فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ،[9] وقال في موضع آخر: إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً،[10] فجائز أن يحمل هذا كله على التحقيق،

---

[1] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما لي من هذا إلا مثلَ ما لأحدكم إلَّا الْخُمُسَ وهو مَرْدُودٌ فِيكُمْ فَأَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمَخِيطَ فما فوقهما وإياكم وَالْغُلُولَ فإنه عَارٌ وَشَنَارٌ على صاحبه يومَ القيامة» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١٢٧/٤).

[2] ﴿...والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دُولةً بين الأغنياء منكم﴾ (سورة الحشر، ٧/٥٩).

[3] ﴿لا يغُرّنك تقلُّب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ (سورة آل عمران، ١٩٦/٣-١٩٧).

[4] ر م + أن.

[5] ر + أي. سورة الإنسان، ٢٤/٧٦؛ وانظر أيضا: سورة الطور، ٤٨/٥٢.

[6] جميع النسخ: على ما يؤذي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤و.

[7] الزيادة من المرجع السابق.

[8] ر: كما كتب.

[9] سورة الحاقة، ١٣/٦٩.

[10] سورة يس، ٢٩/٣٦.

فيتحقق الصيحة والزَّجرة[١] والنَّقْرة، ثم يَعقُبها الساعة. وجائز أن يكون هذا على التمثيل، فيكون فيه إخبار عن سهولة ذلك الأمر وهَونه على الله تعالى، لأن اللمحة والزجرة والنفخة والنقرة أمر سهل لا يشتد على أحد. أو يكون[٢] على تقصير الوقت على الذين ينفخ فيهم الروح، أي الأرواح ترد[٣] عليهم في قدر النفخة والزجرة والصيحة؛ خلافا لأمر النشأة الأولى لأنه في النشأة الأولى إنما نفخ فيه الروح بعد كونه نطفة في بطن أمه أربعين يوما ثم علقة ثم مضغة لذلك القدر / من المدة، ثم نفخ فيه الروح بعد مُدَد وأوقات،[٤] وفي النشأة الأخرى ينفخ الروح[٥] [٨٦٤و] بالقصير[٦] من المدة وذلك قَدْرُ النفخة والزجرة[٧] والصيحة واللمحة. *والله أعلم*.

وإنما قلنا بأن التأويل قد يتوجه إلى التمثيل دون التحقيق -وإن ذكر في بعض الأحاديث تثبيت الصّورِ[٨] والناقور- لأنها من أخبار الآحاد، وخبر الواحد[٩] يوجب علم العمل ولا يوجب علم الشهادة، وفي تحقيق الصور والناقور ليس إلا الشهادة، لذلك لم يحصل الأمر على التحقيق والقطع لئلا يُقطعَ الحكم على الشهادة.

ثم قد ذكرنا أن قوله: **إذا**، جواب سؤال واقع عن تبيين وقت كأنه قيل له: فاصبر إلى أن يُنْقَر في الناقور؛ أو يكون جوابا لقوله: **قم فأنذر**، أي أنذرهم عما[١٠] يَحُلّ بأهل الشر من العذاب بنقر الناقور؛ أو يكون جوابا لقوله:[١١] سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا،[١٢] إذا نقر في الناقور؛ أو كان السؤال[١٣] واقعا عن أمر لم يُشَرْ إلى ذلك الأمر. *والله أعلم*.

---

[١] ر: والرجزة.
[٢] م: ويكون.
[٣] جميع النسخ: يرد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤و.
[٤] لعل المؤلف رحمه الله تعالى يشير إلى مثل قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مُخلَّقة وغير مخلقة لنُبيّن لكم ونقِرّ في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم﴾ (سورة الحج، ٢٢/٥).
[٥] ن م – الروح.
[٦] جميع النسخ: بالقصر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ث م – والزجرة.
[٨] ر ن م: الصورة.
[٩] ر: وجب الوحد؛ ث: وخبر الآحاد.
[١٠] ن: عملا.
[١١] ر ث م – لقوله.
[١٢] الآية ١٧ من هذه السورة.
[١٣] ر ث م: بالسؤال.

﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾[٩] ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير**، ذلك اليوم يومُ رحمة للمؤمنين إذ في ذلك اليوم يُكرمون ويُنالون عظيم الدرجات من ربهم. ولكن الله عز وجل ذكر ذلك اليومَ في غير آي[١] من كتابه والأحوالَ التي تكون[٢] فيها وإن كانت تلك الأحوال تنزل[٣] على غير المؤمنين. فمرة سماه واقعة، ومرة قارعة، ومرة حاقة.[٤] وإنما يقع العذاب على الكفرة ويحق عليهم، فلذلك سماه عسيرا وإن كان هو عسيرا[٥] على فريق يسيرا على غيرهم. وجائز أن يكون عسيرا على الخلائق أجمعَ بعضُ هول[٦] ذلك اليوم يشمل الفرق كلها، كما قال: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى.[٧] ثم إن المؤمنين تُفَرّج[٨] عنهم الأهوال بما يأتيهم من البِشارات والكرامات عن الله تعالى ويبقى عُسْره على أصحاب النار.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[١١]

وقوله عز وجل: **ذرني ومن خلقت وحيدا**. ذكر أن هذه الآية نزلت في شأن الوليد بن المغيرة. والأصل أن الأنباء التي ذكرت عن الأنبياء المتقدمة في المخاطبات التي جرت بينهم وبين الفراعنة فيها إبانةُ أنها جرت بينهم وبين الآحاد منهم؛ وذلك أن فرعون كل نبي كان[٩] واحدا وكان مَن سواه يصدر عن رأيه وينتهي إلى تدبيره، فكان يَستغني عن مخاطبة مَن سواه. وقد كثرت فراعنة نبينا صلى الله عليه وسلم فكان كل واحد منهم يدعى الرياسة لنفسه ويمتنع عن متابعة غيره والصدور عن رأيه والانقيادِ له. منهم أبو جهل ومنهم الوليد بن مغيرة ومنهم أبو لهب وغيرهم.

---

[١] م: أي.

[٢] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤و.

[٣] جميع النسخ: ينزل. والتصحيح من المرجع السابق.

[٤] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/١-٢)؛ وإلى قوله:﴿القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة﴾ (سورة القارعة، ١٠١/١-٣)؛ وإلى قوله: ﴿الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة﴾ (٦٩/١-٣).

[٥] ث - وإن كان هو عسيرا.

[٦] ن: هو.

[٧] ﴿يوم ترونها تَذْهَلُ كل مُرضعة عما أرضعت وتضع كلُّ ذاتِ حَمْل حملها وترى الناس سُكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ (سورة الحج، ٢٢/٢).

[٨] م: يفرح.

[٩] م - كان.

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتاج إلى أن[1] يخاطب كلا في نفسه. ومن احتاج إلى مخاطبة أقوام وإجابة كل واحد بحِيَالِه كان الأمر عليه أصعبَ من الذي احتاج إلى مخاطبة واحد. ففي هذا[2] أن المحنة على رسولنا[3] عليه السلام كانت أكثر مما امتُحن بها[4] من تقدمه من الرسل عليهم السلام.

ثم قوله: **ذرني ومن خلقت وحيدا**، ليس[5] فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمنعه عن شيء حتى يقول له: **ذرني**، ولكن هذا الكلام مما يتكلم به على الابتداء على جهة إظهار القوة؛ يقول الرجل[6] لآخر: "خَلِّ بيني وبين فلان" و"دَعْني وإياه" من غير أن يكون سبق منه المنع، فيريد به إظهار القوة من نفسه أنه كافيه وقادر على دفع شره عن نفسه. فيكون في قوله: **ذرني ومن خلقت وحيدا**، دعاءٌ[7] من الله تعالى إياه إلى أن لا يتعرض[8] له ولا يجازيَه بصنيعه، فإن الله تعالى يكفيكه ويدفع عنك شره؛ أو يكون فيه نهي عن أن يدعوَ عليه بالهلاك والثبور ويصبِّره إلى أن يأتيه أمر الله تعالى، فيكون في هذا مَسْلاةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك أن المتنازعَين[9] إذا تنازعا في شيء وحدث بينهما شر فانتصب ثالث في نصر أحدهما خف الأمر على المنصور ويفرح[10] لذلك ويسلو[11] به. فإذا كان الله تعالى هو الذي يقوم بنصر المصطفى عليه الصلاة والسلام ويكفيه عن عدوه كان ذلك أكثر في التسلي والتفرح،[12] فيكون في هذا تمكين من الصبر[13] الذي دُعي إليه بقوله: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ،[14] وبقوله: فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ،[15] الآية.

---

[1] م – أن.
[2] ر ث م: و هذا.
[3] ن: على رسوله.
[4] ر ن م – بها.
[5] ر م – ليس.
[6] ن – الرجل.
[7] ن: دعا.
[8] ر: للتعرض.
[9] ن: أن المسارعين.
[10] ر ن: ويفرج.
[11] م: ويسلوا.
[12] ر ن: والتفرج.
[13] ر: من المصبر.
[14] سورة الأحقاف، ٣٥/٤٦.
[15] سورة الإنسان، ٢٤/٧٦.

ثم قوله[1] عز وجل: **خلقت وحيدا**، يحتمل وجهين. أحدهما[2] أي خلقته وحدي ولم يكن لي في الخلق ناصر ومعين ولا مشير. وجائز أن يكون معناه أي خلقته وحيدا لا مالَ له ولا ولد. فيكون في هذا وعيد وتخويف لذلك اللعين، أي كيف لا يخاف أن يعاد إلى الحالة التي كانت عليها يوم خُلق بلا مال ولا ناصر، كقوله: وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ.[3]

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُودًا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وجعلت له مالا ممدودا**، قيل: **مالا ممدودا**، أي مالا لا ينقطع بل يكون له مَدد. وذكر عن مجاهد أنه قال: كان ذلك ألف دينار.[4] وقال السُّدّي: **مالا ممدودا**، ثلاثة عشر ألفا.[5] وقيل: أراد به ما جعل له من الضياع بالطائف تثمر[6] في السنة مرتين. ولكن عندنا المال الممدود هو[7] المتتابع لا ينقطع مدده، والذي لا ينقطع مدده لا يقع تحت الإحصاء.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾[١٣]

[٨٦٤ظ] وقوله عز وجل: **وبنين شهودا**، / أي حضورا لا يغيبون.[8] ويكون فيه وجهان من الحكمة. أحدهما أن ماله قد كثر حتى لم يحتج إلى تفريق أولاده في الجمع والاكتساب بل كان يأتيه[9] سمحا لا يحتاج إلى تكلف أسباب الجمع. والثاني أن غاية ما يراد ويتمنى ويُلتَمس من البنين هو أن يُستأنس بالنظر إليهم ويستعان[10] بهم ويستنصر إذا احتاجوا إلى ذلك. ففيه أنه قد نال مُناه[11] ووصل إلى ما يرغب إليه النفوس من كثرة الأموال والأولاد.

---

[1] ن ث: ثم في قوله؛ ر م: في قوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤ظ.
[2] م – أحدهما.
[3] سورة الأنعام، ٩٤/٦.
[4] عن مجاهد ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا﴾ قال: كان ماله ألف دينار (*تفسير عبد الرزاق*، ٣٦٤/٣؛ *وتفسير الطبري*، ١٩١/٢٩).
[5] ر م – ثلاثة عشر ألفا. قارن بما ورد في *معالم التنزيل* للبغوي، ٢٦٦/٨-٢٦٧.
[6] ر ث م: ثمر؛ ن: يثمر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤ظ.
[7] ر م: هو.
[8] ر ث: لا يعينون.
[9] ر م: تأتيه.
[10] جميع النسخ: ويستعين. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ن: متناه.

﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **ومهدت له تمهيدا**، أي بسطت له في الدنيا بسطا، وقيل: التمهيد هو التمكين.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾[١٥] ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **ثم يطمع أن أزيد كلا**، فجائز أن يكون طمعه منصرفا إلى الزيادة في الآخرة، كقوله: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[١] فحسبوا أنهم إذا ساوَوا[٢] أهل الإيمان في الدنيا أن يُساوُوهم[٣] في الآخرة لو كان الآخرة حقا، فكذلك هذا اللعين حسب أنه يبسط عليهم نعيم الآخرة كما بسط[٤] عليه نعيم الدنيا فكان قوله: **كلا**، ردا عليهم. فإن كان على هذا ففيه أعظم الدلالة على إثبات رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر أن ليس له نصيب في الآخرة، وإنما يُحرَم النصيب إذا خُتم على الكفر وقد ختم[٥] على الكفر[٦] كما قال، فكان في هذا[٧] إخبار منه عن أمر الغيب، فصدق خبره وخرج الأمر حقا كما قال، فثبت أنه بالله تعالى عَلِمه. وجائز أن يكون طمعه الزيادة في الدنيا فقطع عليه طمعه بقوله: **كلا**. وذُكر أن ماله بعد نزول هذه الآية أخذ في الانتقاص إلى أن أهلكه الله تعالى ولم يزد شيئا، فيكون في هذا أيضا ما في الأول[٨] من إثبات الرسالة.

وقوله عز وجل: **إنه كان لآياتنا عنيدا**، في هذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الله تعالى أكثر نعمه[٩] عليه، ثم ذلك الملعون مع كثرة نعم الله عليه وإحسانه إليه عاند [آياته][١٠] ولم يطعه في أوامره، فكيف ترجوا أنت منه أن يعاملك بخلاف ما يعامل ربه،[١١]

---

[١] ﴿...سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ (سورة الجاثية، ٤٥/٢١).

[٢] ث: ساؤوا.

[٣] ر م: أن يساوونهم؛ ن ث: أن يساونهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٤ظ.

[٤] م: كما يبسط.

[٥] جميع النسخ: وأختم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٥و.

[٦] ر ث م - وقد ختم على الكفر.

[٧] ن: وفي هذا.

[٨] ر م: أيضا في الأول.

[٩] ث: نعمة.

[١٠] الزيادة من المرجع السابق.

[١١] جميع النسخ: في معاملته إياك مع معاملتك إياه بما يخالف مراده وهواه. والتصحيح من المرجع السابق.

فيكون فيه ما يدعوه إلى الصبر. والعناد هو مخالفة الحق عن علم بظهور الحق، فيكون قوله: **إنه كان لآياتنا عنيدا**، إنباء[١] أنه بعد علم وإحاطة ويقينٍ عاند آيات الله وخالف أمر رسول الله واستكبر. والمكابر هو الذي يكابر عقله فيخالف ما يثبته عقله بالأقوال أو بالأفعال.

ثم في قوله عز وجل: **ثم يطمع أن أزيد كلا**، إبطال قول من قال: إن الله تعالى لا يفعل بعباده إلا ما هو أصلح لهم، لأن قوله: **أن أزيد**، لا يخلو إما أن تكون الزيادة التي كان يطمعها خيرا له وفي شرط الله تعالى عندهم أن يزيده وفي قوله: **كلا**، قطع طمعه للزيادة، فيصير بحرمان الزيادة عنه[٢] جائرا،[٣] فكيف جعَل آيةَ رسالته من الوجه الذي هو جور عندكم؟ وإن كان حرمان الزيادة خيرا له[٤] وأصلحَ فكيف جعل الحرمان أيضا علما لنبوته وكان عليه أن يُحرمه على زعمكم. وفي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ثم يطمع أن يزيد.[٥]

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **سأرهقه صعودا**، فجائز أن يكون على تحقيق الصعود وهو العقبة التي يشتد الصُّعود عليها كما ذكره بعض[٦] أهل التأويل، فيُكلَّف الصُّعودَ عليها.[٧] وجائز أن يكون على التمثيل، وذلك أن الصَّعود في الشاهد[٨] مما يشق على المرء الصعود [عليها]، والهبوطَ مما يسهل على المرء الانحدار[٩] عنه.[١٠] فإن كان على هذا ففيه أنه يصيبه في الآخرة مما يشتد ويشق على نفسه تحمُّل ذلك.

---

[١] ر ث م – إنباء.
[٢] ث – عنه.
[٣] ر م – جائزا.
[٤] ن – له.
[٥] ر م: أن أزيد.
[٦] ن – بعض.
[٧] ن: عليه.
[٨] ر م: في التشاهد.
[٩] ر ن: للانحدار.
[١٠] الصَّعود: الطريق صاعدا. مؤنثة. وفي التنزيل ﴿سأرهقه صعودا﴾ أي على مشقة من العذاب. قال الليث وغيره: الصَّعُودُ ضد الهَبُوط والجمع صعائدُ وصُعُدٌ مثل عجوز وعجائز وعُجُز والصَّعُودُ العقبة الكئود وجمعها الأَصْعِدَةُ. ويقال: لأُرْهِقَنَّكَ صَعُودًا أي لأُجَشِّمَنَّكَ مَشَقَّةً من الأَمر وإنما اشتقوا ذلك لأَن الارتفاع في صَعُود أَشَقُّ من الانحدار في هَبُوط. وقيل: فيه يعني مشقة من العذاب. ويقال: بل جَبَلٌ في النار من جمرة واحدة يكلف الكافرُ ارتقاءَه ويُضرب بالمقامع فكلما وضع عليه رجله ذابت إلى أسفلِ وَرِكِهِ ثم تعود مكانها صحيحة (*لسان العرب*، «صعد»).

ثم يقال للمعتزلة في هذه الآية وفي قوله: سَأُصْلِيهِ سَقَرَ:[١] إن في هذا وعيدا من الله تعالى بأن يصليه سقر وسيُرهقه صعودا، فأراد الله تعالى أن يَصدُق خبرهُ ويُنجز وعدَه أو أراد أن يُكذب خبرَه ويخالف وعده؟ فإن قلتم بالثاني فقد نسبتموه إلى الكذب وإلى خلف الوعد، ومَن هذا وصفه فهو سفيه جاهل لا يصلح أن يكون إلها. وإن قلتم: بلى، أراد أن يصدق خبره وينجز[٢] وعده قلنا لكم: أراد[٣] أن ينجز وعده مع دوامهم على الكفر أو عند انقلاعهم عنه؟ فإن زعمتم أنه إنما أراد أن يصليهم سقر على الخروج من الكفر فهذا منه جور، لأنه يصليه سقر بشيء لا إرادة له فيه،[٤] وإن سلّمتم أنه أراد إصلاءهم سقر إذا داموا على الكفر واستقروا عليه فقد لزمكم أن تقولوا: إن الله تعالى أراد من كل أحد ما علم أنه يختاره ويكون منه. ويقال لهم: إن الله تعالى يقول: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ،[٥] ولو كان الأمر على ما زعمتم أنه يريد من كل كافر أن يُسلم ويؤمن به ويريد الكافرُ أن يكفر به ويعاديه، فإذًا قد أراد أن يكون له ولي من الذل، لأنه يريد أن يواليه مع اختيار[٦] الكافر في معاداته. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **إنه فكر وقدر.** {قال الفقيه رحمه الله:} إن فراعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقدوا معاندة الحق واعتقدوا صد الناس عن سبيل الله وأن يطفئوا[٧] نوره، فأرادوا أن يُجمعوا على أمر ينسبونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه ينفون عن أنفسهم سِمَة الجهل وتُهمة الكذِب في ذلك؛ على ما / ذكروا أن الوليد جمع أصحابه فقال: إن هذا [٨٦٥و] أيام الموسم وإن الناس سائلوكم عن هذا الرجل فماذا تقولون؟ فقال بعضهم: نقول:[٨] هو[٩] شاعر، قال: إنهم قد سمعوا الشعر وما قوله بقول شعر. وقال بعضهم: نقول: هو كاهن،

---

[١] الآية ٢٦ من هذه السورة.
[٢] م: وينجزه.
[٣] ث - أن يصدق خبره وينجز وعده قلنا لكم أراد.
[٤] ن - فيه.
[٥] سورة الإسراء، ١٧/١١١.
[٦] ر م: اختياره.
[٧] ر م: أن يطفئوا.
[٨] ث - نقول.
[٩] ن: انه.

فقال: إن الكهانة معروفة عند العرب وإذا سمعوا قوله عرفوا أنه ليس بكاهن فيكذبونكم. وقال بعضهم: نقول: هو كذاب، فقال: إنا قد اختبرناه[١] فما أخذنا[٢] عليه كَذْبَةً قطّ. فقال بعضهم: نقول: هو[٣] مجنون، فقال: إذا نظروا إليه علموا أنه ليس بمجنون. فأعيا عليهم [الأمر]. ففكّر[٤] في نفسه وقدّر، فَقَالَ إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ،[٥] ما هذا الذي أتى به إلا سحر يَأْثُره عن غيره أي يرويه.[٦] فاتفقت كلمتهم على تسميته ساحرا، وقالوا: الساحر يفرق بين اثنين وقد وُجد منه التفريق بين الآباء والأولاد وبين ذوي الأرحام؛ رَجاءَ أن يَصِلوا إلى مرادهم من صد الناس عن سبيل الله تعالى وإطفاء نوره مكرا منهم، وهو كقوله تعالى: وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ.[٧] ووجه رجوع المكر إلى أنفسهم ذكروا فيه أوجها. أحدها رجوع المكر إلى أنفسهم أن الله تعالى أظهر سوء صنيعهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله آية تتلى[٨] إلى يوم القيامة، فيكون فيه ظهور كذبهم وإلحاق العار[٩] بهم إلى يوم التنادي[١٠] [مع] تواتر[١١] اللعن. والثاني أن الكبراء إذا اجتمعوا في مكان للتدبير اتصل بهم[١٢] أوساطهم واختلط[١٣] بهم صغارهم، فيقع لجملتهم[١٤] العلم بالذي[١٥] وقع[١٦] عليه التدبير واتفقت عليه الكلمة، وإذا وقفوا على تدبيرهم جملة انتشر علم ذلك في الآفاق، فيقف الناس على كذبهم وافتعالهم، فيتحقق عند ذلك جهلهم بحال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[١] ث: قد اخترناه.
[٢] ر م: فما أخذناه.
[٣] ث – هو.
[٤] م + ففكر.
[٥] الآية ٢٤ من هذه السورة.
[٦] ر: أي يروي؛ م: أي يزود.
[٧] ﴿... وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة الأنعام، ٦/١٢٣).
[٨] ن: يتلى.
[٩] ر: الغار.
[١٠] جميع النسخ: التناد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٥ظ.
[١١] ر م: وتوارد؛ ن ث: وتواتر. والزيادة مع التصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن: لهم.
[١٣] ر: والختلط.
[١٤] ر م: لحيلتهم.
[١٥] ر ث م: الذي.
[١٦] ر ث م – وقع.

ويصير كذبهم شائعا في الخلق ظاهرا من الوجه الذي أرادوا نفي[١] سِمَة الجهل عن أنفسهم ويتحقق عند الناس كذبهم. فلا يركنون[٢] إلى قولهم ولا يلتفتون إلى أخبارهم عن حاله، إذ قد تبين جهلهم بحاله. فيكون ذلك سببا لترغيب الناس إلى الإسلام ودعائهم[٣] إليه لا أن يكون سببا للصد عن سبيل الله، فصار المكر راجعا إليهم.

ثم قوله: **إنه فكّر**، أي فكر في الأمر الذي أراد إحكامه، أو فكر في الكلمات التي ألقوها فيما بينهم أيها أليق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتنسب[٤] إليه. وقوله عز وجل: **وقَدّر**، يخرج على هذا أيضا.

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[١٩]

وقوله: **فقتل كيف قدر**، قيل:[٥] لُعن، واللعن هو الإبعاد عن رحمة الله تعالى. وقد ظهر الإبعاد لأن مادة ماله قد انقطعت في الدنيا وأخذ ما كان اجتمع عنده في الانتقاص إلى أن أهلكه الله تعالى ثم ساقه إلى النار خالدا فيها. وقوله عز وجل: **كيف قدر**، أي كيف لم يَسْتَحْيِ[٦] عن تقديره الذي قدّر من تسمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ساحرا وقد علم أنه في إنشاء[٧] ذلك الاسم كاذب، أو كيف اجترى على الله وتجاسر وهو يعلم أنه رسول حق، فعاند آياته[٨] واجترى على ذلك و لم يَخَفْ نقمة الله تعالى.

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **ثم قتل كيف قدر**، فلعنه مرتين وقد ظهر[٩] أثر اللعن فيه في الدنيا والآخرة جميعا، لأن الله تعالى فضحه بما أظهر كذبه للخلائق فبقى ذلك العار إلى آخر الأبد،[١٠]

---

[١] م – نفي.
[٢] ر ن م: فلا يركنوا.
[٣] م: في دعائهم.
[٤] جميع النسخ: فينسب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٥ظ.
[٥] ر م – قيل.
[٦] ث: لم يستح.
[٧] م: في إنشاد.
[٨] ر ث: إبانة.
[٩] م – ظهر.
[١٠] ر: العاد إلى آخر أبد.

وأبعده من رحمته حيث أخذ مالُه في الانتقاص وانقطعت مادة ماله، فهذا أثر اللعنة في الدنيا، ووعد أن يصليه سقر وأنْ سَيُرْهقه صعودا، وذلك خزيه ولعنه في الآخرة، فظهر إحدى اللعنتين في الدنيا ويلحقه الثانية في الآخرة.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾[٢١]

ثم نظر، فجائز أن يكون نظر في كلمات القوم التي ألقوها فيما بينهم.[١]

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **ثم عبس وبسر**، فجائز أن يكون الذي[٢] حمله على العبوس والبُسُور هو ما ألقوا إليه[٣] المختلَف من الكلمات فعبس وجهَه عليهم لما في اختلافهم ظهور كذبهم، أو يكونَ الذي دخل عليه من شدة الغيظ في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهمَّه وأحزنه حتى أثّر ذلك في وجهه فعبس لذلك[٤] وجهه.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾[٢٣]

وقوله عز وجل: **ثم أدبر واستكبر**، يحتمل أن يكون أدبر عن أولئك القوم الذين اجتمعوا للتدبير[٥] واستكبر[٦] عليهم، أو أدبر[٧] عن طاعة الله واستكبر على رسوله حيث أعرض عنه ولم يجبه إلى ما دعاه إليه.

﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **فقال إن هذا إلا سحر يؤثر**، أي هذا الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم مما يؤثر من أفعال السحر، أو هذا الذي يخبرنا[٨] أنه أتى به من عند الله هو سحر يؤثر عمن تقدمه، ولكنْ قال هذا على علم منه أنه ليس بسحر.

---

[١] ر م – ثم نظر فجائز أن يكون نظر في كلمات القوم التي ألقوها فيما بينهم.
[٢] ر ث م – الذي.
[٣] ث: إليها؛ م – إليه.
[٤] ر م: كذلك.
[٥] ر: المتدبرين؛ ن: التدبير.
[٦] جميع النسخ: واستكبروا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٥ظ.
[٧] ر م: و أدبر.
[٨] ر م: يخبر.

{قال الفقيه رحمه الله:} ولو كان الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم سحرا كما قرفوه[1] به فهو لا يخرج من أن يكون حجة له في صدق مقالته وإثبات رسالته؛ لأنه لا وجه لمعرفة السحر من طريق الرأي والتدبير وإنما سبيل الوصول إليه التلقن[2] والتلقف عن الغير، وقد علموا أن رسول الله صلى الله / عليه وسلم لم يَلتقَن[3] [من] أحد[4] ولا وجد منه الاختلاف [٨٦٥ظ] إلى مَن عنده علم ذلك، فوقع لهم الإيقان أنه بالله تعالى علم لا بأحد من الخلائق، فيصير الذي قرفوه به من أعظم الحجة. ولكن الله تعالى طهره عن السحر ونزّهه عن ذلك وأمره بمعاداة السحرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقتلوا كل ساحر وساحرة»، وقال: «توبة الساحر ضربة بالسيف».[5]

ثم الأصل أن الساحر يفرق بين الاثنين ويعمل سحره في التفريق على وجه لا يوقَف على سبب التفريق. وكان سبب تفريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا، لأنه كان[6] يأتيهم بالحجج فيعلم مَن أمعن النظر فيها صدقَه فيما يدّعي من الرسالة فيؤمن[7] به ومن ترك النظر فيها ولم يعط من نفسه النَّصَفة ترك الإيمان به،[8] فبطل أن يكون تفريقه كتفريق السحر. ولأن كلا منهم لو تفكر فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وأمعن النظر فيه حمله ذلك على الإيمان به والتصديق لرسالته، فيصير الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم سبب الاجتماع والألفة لا أن يكون سبب التفريق بين الأحبة. ثم الأصل أن الساحر بُغْيته[9]

---

[1] ر م: كما فرقوه.

[2] جميع النسخ: الالتقان.

[3] ن ث: لم يلتقنه.

[4] جميع النسخ: أحدا.

[5] عن جُنْدَب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حَدّ الساحر ضربة بالسيف» (*سنن الترمذي*، الحدود ٢٧). حدثنا سفيان عن عمرو سمع بَجَالة يقول: كنت كاتبا لِجَزْءِ بن معاوية عم الأحنف بن قيس فأتانا كتاب عمر قبل موته بسَنَةٍ أن اقتلوا كل ساحر، وربما قال سفيان: وساحرة، وفرقوا بين كل ذي محرم من المجوس وانْهَوْهم عن الزمزمة. فقتلنا ثلاثة سواحر... (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/١٩٠). وعن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة أنه بلغه أن حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرَتْها وقد كانت دَبَّرَتْها فأمرت بها فقتلت (*الموطأ* للإمام مالك، العقول ١٩).

[6] ر م – كان.

[7] ر ث م: فيؤمر.

[8] ن م – به.

[9] ث: بغنية.

وقصده من سحره نيل الجاه عند العظماء والرؤساء واستفادة[1] السعة في الدنيا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يطلب بما أتى به الجاهَ عند الرؤساء بل عاداهم وأظهر الخلاف لهم،[2] فدعا الخلق إلى الزَّهادة في الدنيا لا إلى الاستكبار هاهنا، فكيف يجوز أن يُنسب إلى السحر وقد أتى بما يُضادّ فعل السحرة.

﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **إن هذا إلا قول البشر**، قد عَلم أنه ليس بقول البشر لما عجز البشر عن إتيان مثله وقال: إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا،[3] فثبت أنه على العلم منه بأنها آيات عانَد.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **سأصليه سقر**، فالسقر لون من العذاب. وقيل: السقر هي الدركة الخامسة.[4] وقيل: السقر من أبواب جهنم،[5] ومعناه سأدخله جهنم من باب السقر. ***والله أعلم***.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾[٢٧] ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **لا تبقي ولا تذر**، يحتمل أي لا تبقى [له][6] حياة يتلذذ بها ولا تذره[7] يَهْلِك فيستريح، بل يبقى أبدا في الهلاك، كما قال تعالى: فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا.[8] ويحتمل[9] لا تُبقي[10] له جلدا ولا لحما ولا عظما بل تُنضج[11] جلده وتأكل[12] لحمه

---

[1] ن: واستنقاذه.

[2] ر ث م – لهم.

[3] الآية ١٦ من هذه السورة.

[4] عن ابن جريج رضي الله عنه في قوله: ﴿لها سبعة أبواب﴾ قال: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية (*الدر المنثور* للسيوطي، ٨١/٥). قال مقاتل: يعني: الباب الخامس (*بحر العلوم* للسمرقندي، ٤٢٢/٣).

[5] ر م – جهنم. يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ سأورده بابا من أبواب جهنم اسمه سقر (*تفسير الطبري*، ١٩٧/٢٩).

[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٩٦و.

[7] ر ث م: ولا يذره.

[8] سورة طه، ٧٤/٢٠.

[9] ر م – ويحتمل.

[10] ن: لا يبقى.

[11] جميع النسخ: بل ينضج. والتصحيح من المرجع السابق.

[12] جميع النسخ: ويأكل: والتصحيح من المرجع السابق.

وتكسر[1] عَظْمه ولا تذره[2] على تلك الحال: كسيرَ[3] العظم مأكول اللحم نضيج[4] الجلد بل يعاد جلده ولحمه وعظمه فتحرقها[5] كذلك أبدا ولا تُبقي له رَوْحا[6] ولا تذره فيهرب منها فيتخلص من عذابها.

﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **لوّاحة للبشر**، قيل فيه بوجوه. قيل: **لوّاحة للبشر**، أي محرقة[7] للجلد، فالبَشَر الجلد، فجائز أنه[8] خص الجلد بالتلوّح[9] لأن الجلد من الإنسان هو الظاهر، فيكون ظاهر الإحراق مؤثرًا فيه فخصه بالذكر لهذا، كما سُمّي الإنسان إنسانا لظهوره لكل من هو من أهل الرؤية وسُمّي الجن جنا لاستتاره عمن ليس بجنسه، وهو كقوله عز وجل: كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ.[10] وقيل: **لواحة**، أي[11] ظاهرة للبَشر، كقوله تعالى: وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ،[12] وقوله: وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى،[13] أي يظهر لهم ويلوح فينظرون إليها ويتيقنون بالعذاب. ويحتمل أن يكون قوله: **لواحةٌ**، لأن النار تأكل جلودهم ولحومهم فتظهر[14] منهم[15] عظامهم[16] وتلوح، [لأن الله تعالى خلق العظام وكساها باللحم ثم كسا اللحم بالجلد، فتحرق النار جلدَه وتأكل لحمه فيظهر عظمه ويلوح][17] عن ذلك، ثم تبدَّل جلودا ولحوما أبدا، على هذا مَدارُ أمرهم.

---

[1] جميع النسخ: ويكسر: والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٦و.
[2] ر ث م: ولا يذره.
[3] ر م: كسر.
[4] جميع النسخ: نضج: والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: فيحرقها: والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر م: ولا يبقي له روحا؛ ن: ولا يبقي روحا.
[7] ن: مخرقة.
[8] ر ن م: أن.
[9] جميع النسخ: بالتلويح. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] ﴿كلما نَضِجت جُلودهم بَدّلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾ (سورة النساء، ٥٦/٤).
[11] ث – أي.
[12] سورة الشعراء، ٩١/٢٦.
[13] سورة النازعات، ٣٦/٧٩.
[14] جميع النسخ: فيظهر. والتصحيح من المرجع السابق.
[15] ن – منهم.
[16] م – عظامهم.
[17] الزيادة من المرجع السابق.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **عليها تسعة عشر**. روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنهم خزنة جهنم مع كل واحد من الأعوان ما لا يحصى.[١] وذكر أن ستة منهم يقودون[٢] الكفرة إلى النار، وستة يسوقونهم وستة يضربون[٣]وجوههم[٤] بمقامع الحديد والنيران، والآخر هو الخازن الأكبر وهو مالك يأمرهم بما أُمر هو به.[٥] ويحتمل أن يكون في السقر تسعةَ عشَر دَرْكا وقد سُلّط على كل درك ملك. وذلك أن جهنم ذات حد في نفسها لأن الله تعالى وعد أن يملأها من الجنة والناس أجمعين.[٦] ولو لم يرجع إلى حد لكان لا يتحقق امتلاؤها بالقدر الذي ذكروا. ويحتمل أن يعذَّب فيها بتسعةَ عشرَ لونا من العذاب وقد[٧] وُكّل كل واحد منهم أن يعذب بنوع من ذلك. والأصل أن الله تعالى حكيم يُعلِم أن في كل فعل من أفعاله حكمة عجيبةً ولكن لا كلُّ حكمة يوصَل إليها بالعقل ويُنْتهَى إلى معرفتها بالتدبير. ألا ترى أن الله تعالى جعل في الماء[٨] معنى يحيا به[٩] كلُّ شيء، ولو أراد أحد[١٠] أن يتكلف استخراج المعنى الذي به صلح أن يكون طبعه[١١] موافقا لإحياء كل شيء لا يمكنه ذلك، وجعل في الطعام ما يُغذّي وينمّي. ولو أراد أحد أن يتعرف المعنى الذي يقع به الاغتذاء والإنماء لم يتدارك. وكذلك جعل في العدد الذين سماهم[١٢] حكمة ولكنا[١٣] لا نصل إلى تعرفها بعقولنا وتدبيرنا.

---

[١] قارن بما ورد في *تفسير الطبري*، ١٩٩/٢٩.
[٢] ن: يعودون.
[٣] ر: يعتبرونهم؛ ن: يضربونهم.
[٤] ر ن – وجوههم.
[٥] قارن بما ورد في *تفسير النسفي*، ٤٥٥/٤.
[٦] يقول الله تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ (سورة هود، ١١٩/١١)؛ وانظر أيضا: سورة السجدة، ١٣/٣٢.
[٧] ر ن م: قد.
[٨] ث: في المائية.
[٩] ر – به.
[١٠] ن: أخذ.
[١١] ر ث م: طبيعة؛ ن: طبعة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٦ظ.
[١٢] أي عدد ملائكة العذاب.
[١٣] ر: ولكنه.

وزعمت الباطنية أن في ذكر الأعداد التي عليها تركيب العالم تعريفَ الأعداد المجعولة في الروحانيات. فيقال لهم: من جعل الأعداد التي عليها[١] تركيب العالم أولى بأن يُتعرف بها الأعداد المجعولة[٢] في الروحانيات من أن يُجعل / الأعداد التي في الروحانيات عَلَما لاستدراك[٣] [٨٦٦و] المجعولة في الجسدانيات؟ ثم يسألون عن الأعداد المجعولة في الرحانيات لأي معنى جعلت وأية[٤] حكمة فيها؟ فليست جوابهم بعد هذا إلا العجز والاعترافَ بالجهل، فَلْيُقِرُّوا بالجهل من الابتداء من غير أن يتكلفوا استخراج ما يوجب عن حقيقة كان فيها[٥] ظهور عجزهم. ***والله أعلم.***

والأصل عندنا ما ذكرنا أن أهل التوحيد اعتقدوا أن الله تعالى حكيم وأنه لا يجوز أن يخرج فعله عن حد الحكمة في الشاهد،[٦] لأن الذي يحمل[٧] الإنسان على الخروج عن حد الحكمة في الشاهد أحد معانٍ[٨] ثلاثة: إما الجهل وإما العجز وإما الحاجة. والله تعالى عالم لا يجهل وقوي لا يلحقه عجز عن وفاء ما وعد وغَنِيّ لا تمسه[٩] حاجة. فانتفت عنه الأسباب التي لديها يقع الخروج عن حد الحكمة. فثبت أنه لا يجوز أن يخرج فعله عن حد الحكمة. وكذلك أهل الكفرة وأهل الأهواء أقروا أنه حكيم وأنه لا يجوز خروج فعله عن حد الحكمة،[١٠] لكنهم إذا لم يعرفوا الحكمة بعقولهم و لم يتداركوها بتدبيرهم ظنوا أنه لا حكمة فيه وأنكروا أن يضاف ذلك[١١] إلى الله تعالى. فأهل الدهر أنكروا البعث وأنكروا الصانع لما رأوا أشياء في الشاهد هي في الظاهر خارجة[١٢] مخرج العبث،[١٣] وفعل الحكمة لا يخرج مخرج العبث[١٤] فنفوا بهذا أن يكون للأشياء[١٥] صانع.

---

[١] ر م – عليها.
[٢] جميع النسخ: المجعول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٦ظ.
[٣] ر: بملحا لاستدراك؛ م: على الاستدراك.
[٤] ر ن م: وأي.
[٥] جميع النسخ: فيه.
[٦] ر ن م – في الشاهد.
[٧] ر م: يحل.
[٨] جميع النسخ: معاني. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] جميع النسخ: لا يمسه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ن م – وكذلك أهل الكفرة وأهل الأهواء أقروا أنه حكيم وأنه لا يجوز خروج فعله عن حد الحكمة.
[١١] ن – ذلك.
[١٢] ر: فإنها.
[١٣] م: التعبث.
[١٤] م: التعبث.
[١٥] ر م: الأشياء.

ومن بنى [بناءً][1] ثم نقضه ثم أعاده إلى الحالة التي كان عليه قبل النقض لم يكن حكيما بل كان جاهلا سفيها؛ فقاسوا أمر البعث على ذلك وظنوا أنه خارج مخرج العبث، إذ[2] ليس فيه إلا الإعادة إلى الحال التي كان عليها قبل الموت. وما ذكرنا من الاعتبار هو الذي حمل الثنوية على القول بإلهين اثنين، لأنهم[3] رأوا في الشاهد خيرا وشرا، وصلاحا وفسادا، وظلمة ونورا. ولا يجوز أن يكون جوهر الظلمة والنور واحدا، ولا يجوز أيضا أن يكون فعل الحكيم يخرج على الاختلاف والتناقض، فتبينوا[4] بهذا أن خالق الشر والخير مختلف. فبهذا أنكرت المعتزلة خلق أفعال العباد، لأن الفعل يكون مرة خيرا ومرة شرا، ومرة صلاحا ومرة فسادا؛ ولا يجوز أن يكون الشر مضافا إلى الله تعالى ولا أن يكون الفساد منسوبا إليه، فأنكروا أن يكون لله تعالى في أفعال العباد صنع.[5]

وأهل التوحيد سلّموا الأمر إلى الله تعالى وفوضوا العلم إليه في كل ما جاء عنه جل وعز[6] وإن لم يتداركوا ما فيه من الحكمة بعقولهم، لوجودهم أشياء هي خارجة عن[7] أن يتداركوها[8] بعقولهم ويقفوا عليها بعلومهم. كما ذكرنا من أمر الماء أنه[9] قد جعل فيه معنى بذلك[10] المعنى يحيي الأشياء، ولو أرادوا أن يعرفوا ذلك المعنى بالعقول والآراء لم يمكنهم ذلك. وكذلك[11] هذا في الطعام وفي الأشياء المشروبة موجود، ثم لم يجب بهذا إنكار المياه وسائر الأطعمة والأشربة. ولذلك لا يجب إنكار العدد الذين سماهم الله تعالى من الملائكة ولا إنكار[12] البعث ولا إنكار كل شيء لا يقفون[13] على حكمته بعقولهم. *والله أعلم*.

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٩٦ظ.

[2] ر: مخرج العبث أن؛ م: مخرج التعبث أن.

[3] ر م: أنهم.

[4] ر ث م: فقد بنوا؛ ن: فقد نفوا. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] جميع النسخ: صنعا. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] ن: جل وعلا.

[7] ر ن م – عن.

[8] ن – لوجودهم أشياء هي خارجة عن أن يتداركوها.

[9] ن – أنه.

[10] جميع النسخ: ذلك. والتصحيح من المرجع السابق.

[11] ر ن م: ولذلك.

[12] ن: ولا إنكارهم.

[13] ر م: لا يفقوا؛ ن: لا نقفوا.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة**. فلقائل أن يقول في هذا: إذا لم يجعل أصحاب النار إلا ملائكة لم يوجد فيها إنسي ولا جني، فكيف قال: لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ؟[١] وجوابه أن معنى قوله: **وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة**،[٢] أي ما جعلنا على أصحاب النار إلا ملائكة يعذبون أهلها بها لا أن يكون الملائكة تمسهم النار ويتأذوّن بها. وفي هذا دلالة على أن من قرأ مكان قوله تعالى: "أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ"[٣] "[أُولَٰئِكَ] أَصْحَابُ النَّارِ"[٤] في صلاته لا تفسد[٥] صلاته،[٦] لأنه ليس في تسمية[٧] أصحاب الجنة أصحابَ النار إيجابُ عذاب عليهم،[٨] كما لم يكن في قوله: **وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة**، إيجابُ عذاب على الملائكة واستحقاقهم. ***والله أعلم***.

وإنما خصهم[٩] لذلك –والله أعلم– لأنهم خُلقوا يَسخَطون ويَغضِبون لله تعالى، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون،[١٠] لم يميلوا إلى أحد ولم يرحموا بما رأوا عليه من العذاب في معصية الله وخلافه، ليسوا على طباع الإنس والجن[١١] أن قلوبهم ربما يميل ويرحم من لا يستحق[١٢] الرحمة.

وذكر أهل التأويل أن قوله: **وما جعلنا أصحابَ النار إلا ملائكة**، رد على أولئك الكفرة الذين قالوا: إنا لنكفِي هؤلاء العِدّةَ –حين سمعوا عليها تِسْعَةَ عَشَرَ–[١٣] فنغلب عليهم ونخرج من النار.

---

[١] سورة هود، ١١/١١٩.
[٢] جميع النسخ: وهو لم يجعل أصحاب النار إلا ملائكة. والمضبوط من *الشرح*، ورقة ٢٩٦ظ.
[٣] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/٨٢.
[٤] انظر مثلا: سورة البقرة، ٢/٣٩.
[٥] جميع النسخ: لا يفسد. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] ر م – صلاته.
[٧] ر م: نسبة؛ ن ث: في نسبته. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر: أليم.
[٩] أي ملائكة العذاب.
[١٠] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم نارا وقُودُها الناسُ والحجارة عليها ملائكة غِلاظٌ شِدادٌ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ (سورة التحريم، ٦٦/٦).
[١١] ن ث: على طباع الجن والإنس.
[١٢] م: من يستحق.
[١٣] الآية السابقة.

فأخبر أنهم ليسوا برجالٍ أمثالِكم إنما هم ملائكة؛ ووصف الملائكة قد روي[1] في الأخبار من هَول خِلقتهم وعظمتهم[2] وشدة بأسهم وبطشهم وأن لهب النيران يخرج من أفواههم وأن بِنْيتهم[3] لا تحتمل[4] الحرق والآلام ليس على ما عليه بنية البشر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا**، الفتنة قد يتكلم بها على وجهين؛ فيذكر الفتنة ويراد بها المحنة التي فيها الشدة، ويذكر ويراد بها العذاب. فإن كان يراد بها العذاب[5] فمعناه أنه جعل العدد الذين / ذكرهم فتنة عليهم أي عذابا عليهم، إذ هم قد سُلِّطوا على تعذيب[6] الكفرة،[7] وهو[8] كقوله: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ،[9] أي يعذبون. وإن كان يراد بها المحنة فيخرج على وجوه. أحدها أي ما جعلنا ذكر عددهم إلا لافتنان الذين كفروا، أي مَن عَلِم الله تعالى منهم أنه يكفر بآيات الله تعالى جعل ذلك سببا لفتنته، إذ[10] كان في علم الله تعالى أنه ممن يبتغي[11] الفتنة. فأما[12] من علم أنه ينظر في آيات الله مسترشدا فلم يزده[13] ذلك إلا إيمانا وتصديقا، إذ علموا أن لله تعالى أن يمتحنهم بأنواع المحن فآمنوا به وسلَّموا ذلك لله تعالى، فيكون في جعل عدتهم تسعةَ عشرَ شدةً على الكفرة، إذ[14] كان سببَ كفرهم، فلذلك سمى المحنة على هذا الوجه فتنة.[15]

[٨٦٦ظ]

وقوله عز وجل: **فتنة للذين كفروا**، بمعنى على الذين كفروا. ثم جاز أن يكون ذلك على حدوث الكفر وهو في قوم قد آمنوا به، فلما سمعوا هذا زعموا أن لا حكمة في هذا العدد

---

[1] جميع النسخ: وقد روي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٧و.
[2] ر ث م: وعظمهم.
[3] ر: وأن بنتيهم.
[4] جميع النسخ: لا يحتمل. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر ن – ويراد بها المحنة التي فيها الشدة ويذكر ويراد بها العذاب فإن كان يراد بها العذاب.
[6] ن + فتنة عليهم أي عذابا عليهم إذ هم قد سلطوا على تعذيب.
[7] ر م: للكفرة.
[8] ر ن + وهو.
[9] سورة الذاريات، ١٣/٥١.
[10] ر ن م: إذا.
[11] ن ث م: ممن ينبغي.
[12] ن: وأما.
[13] ن: فلم يرده.
[14] ر م: إذا.
[15] ن: فتنته.

وليس هذا العدد[١] بأولى[٢] أن يُجعَلوا أصحابَ النار من العشرين[٣] أو من ثمانية[٤] عشرَ فكفروا به. وهو كقول موسى عليه السلام: إنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ،[٥] وذلك على حدوث إضلال لم يكن من السامريّ موجودًا[٦] لا أن الإضلال متقدما بغيرها. وجائز أن يكون فتنتهم هي[٧] أنهم ازدادوا بذكر هذا العدد كفرا إلى كفرهم، لأنهم نظروا إليه بعين الاستخفاف والاستهزاء ولم ينظروا إليه بعين التبجيل والتعظيم، فازدادوا بذلك[٨] كفرا. *والله أعلم*.[٩]

وقوله عز وجل: **ليستيقنَ الذين أوتوا الكتابَ ويزدادَ الذين آمنوا إيمانا**، فالاستيقان[١٠] والزيادة واحد، لأن في الاستيقان زيادةَ إيمان وفي الزيادة استيقان، فمعناه ليستيقن الذين أوتوا الكتاب الذين آمنوا. ووجه استيقانهم أنهم يجدون هذا العدد موافقا للعدد الذي في كتابهم ويحملهم ذلك على الاستيقان أنه من عند الله تعالى. ويحتمل أن يراد[١١] به أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا إذا وجدوا ذلك موافقا لما في كتبهم، فيستيقنوا أنه إنما يخبر عن الله عز وجل؛ وليرتفع عنهم الارتياب ليكون أدعَى لهم إلى الإيمان به إن أراد منهم الإيمان وأقربَ إلى إلزام الحجة عليهم إن لم يرد[١٢] منهم الإيمان. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ويزداد الذين آمنوا إيمانا**، وتصديقا على ما سبق منهم من التصديق بالجملة. وكذلك روى عن أبي حنيفة رحمه الله في قوله: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا.[١٣] وفي كل موضع ذكر فيه الزيادة في الإيمان أن معنى الزيادة فيه أنهم زادوا بالتفسير تصديقا على تصديقهم بالجملة، لأنهم إذا وحدوا الله تعالى وآمنوا به فقد أقروا بأن له الخلق[١٤] والأمر كلَّه،

---

[١] ر م - وليس هذا العدد.
[٢] م: أول.
[٣] جميع النسخ: في العشرين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٧و.
[٤] جميع النسخ: من الثمانية. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ﴿... وتهدي من تشاء﴾ (سورة الأعراف، ١٥٥/٧).
[٦] جميع النسخ: موجود. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: هو.
[٨] ر - بذلك.
[٩] ر م - والله أعلم.
[١٠] جميع النسخ: والاستيقان. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ر م: أن يريد.
[١٢] ن: إن لم يرو.
[١٣] سورة التوبة، ١٢٤/٩.
[١٤] ر: وإذا وجدوا لله تعالى وآمنا به فقد أقروا بأن الخلق.

وفي الإقرار بأن له الخلق إيمانٌ بالرسل وتصديق منه إياهم بجميع ما أنزل عليهم من الكتب عن الله تعالى، فصار بإيمانه[١] معتقدا للتصديق بكل رسول على الإشارة[٢] إليه. فإذا آمن بالرسول والكتاب المنزل إليه فقد أتى بزيادة تصديق على ما وُجد[٣] منه من التصديق بالجملة.

وجائز أن يكون[٤] الزيادة منصرفة إلى الثبات والاستقامة، لأن الإيمان له حكم التجدد في كل وقت،[٥] إذ المؤمن في كل وقت[٦] مأمور[٧] باجتناب الكفر وإذا اجتنب الكفر فقد أتى بضده وهو الإيمان. فثبت أن الإيمان له حكم التجدد[٨] في كل وقت، وإذا كان كذلك استقام صرف الزيادة إلى الثبات والقرار عليه. فإن شئت فَسَمِّ الدوام على الإيمان زيادة، وإن شئت فسمه إيمانا، وإن شئت فسَمِّه ثباتا. وفي الكتاب ما يُطلِق جوازَ هذا كله؛ قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ،[٩] فندبهم إلى الإيمان بعد ما آمنوا، وما ذلك إلا الثبات على ما هم عليه؛ وقال: يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،[١٠] وهو الإيمان؛ وقال في آية أخرى: لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا،[١١] فجعل دوامهم على الإيمان واستقامتهم عليه إيمانا؛ وقال تعالى: زَادَتْهُمْ إِيمَانًا،[١٢] وقال: لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ؛[١٣] وأطلق فيهم[١٤] اسم الزيادة واسم الثبات واسم[١٥] الإيمان. وإن كانت الزيادة[١٦] منصرفة إلى الأعمال فهو عندنا على الزيادة من جهة الفضيلة والكمال لا إلى الزيادة في عينه؛ لأن الشيء إذا استحق الزيادة بغيره فاستحقاقه يقع من جهة الفضيلة والكمال،

---

[١] م: إيمانه.
[٢] ر: على الإسادة.
[٣] ن: وجدت.
[٤] ث: أن تكون.
[٥] ن: التجدد وكل وقت.
[٦] ر م – إذ المؤمن في كل وقت.
[٧] ر م: بأمور.
[٨] ر م: فقد أتى بضده وهو الإيمان له حكم التجدد.
[٩] سورة النساء، ١٣٦/٤.
[١٠] سورة إبراهيم، ٢٧/١٤.
[١١] سورة النحل، ١٠٢/١٦.
[١٢] سورة الأنفال، ٢/٨.
[١٣] سورة الفتح، ٤/٤٨.
[١٤] ر ث م – وقال تعالى زادتهم إيمانا وقال ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم وأطلق فيهم.
[١٥] ن: والاسم.
[١٦] م – الزيادة.

ألا ترى إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة فِي مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرامَ».[١] ومعلوم أنه لم يرد به التفاضل من جهة العدد إذ هو يأتي بأعين الأفعال التي يلزمه إتيانها في غير ذلك، فكانت الزيادة منصرفة إلى الكمال والفضل لا إلى الزيادة من جهة العدد. وكذلك قال: «صلاة في جماعة تفضل على صلاة المرء وحده بخمس وعشرين درجة»،[٢] ولم يرد به الزيادة من جهة العدد وإنما أريد به الزيادة من جهة الفضل والكمال. وكذلك الزيادة التي[٣] تقع[٤] للإيمان من الأعمال الصالحة إنما هي من جهة الفضيلة والشرف، إذ الأعمال[٥] ليست من جنس الإيمان إذ الإيمان هو التصديق، وذلك[٦] غير موجود في الأفعال. ثبت أن زيادته من الوجه الذي ذكرنا دون غيره.

وقوله عز وجل: **ولا يرتابَ الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا.** في هذا الفصل[٧] كلام[٨] / بيننا وبين المعتزلة. [٨٦٧و] فهم يزعمون أن ذلك العِدّة وهي عدة الملائكة جعلت محنة لأهل الإسلام وأهل الكتاب وأهل الكفر وللذين في قلوبهم مرض ليؤمنوا بها ويستسلموا لها،[٩] لا ليكفر بها من كفر ويقول: **ماذا أراد الله بهذا مثلا.** ولكن لما وُجد منهم ذلك القول نسب الجعل[١٠] إليه لا أن خُلقوا لذلك الوجه، وهو كقوله تعالى: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا،[١١] نسب إليهما الالتقاط وإن كان الالتقاط لغير ذلك الوجه، وكذلك قال: وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا،[١٢] ومعلوم أن الإملاء لم يكن لازدياد الإثم ولكنهم لما ازدادوا إثما نسب الإملاء إليه وإن لم يكن الإملاء لذلك الوجه.

---

[١] صحيح *البخاري*، التهجد ١؛ وصحيح *مسلم*، الحج ٩٤؛ وسنن *الترمذي*، الصلاة ١٢٦.
[٢] صحيح *البخاري*، الأذان ٣٠؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٤٢؛ وسنن *الترمذي*، الصلاة ٤٧.
[٣] ن – التي.
[٤] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٧ظ.
[٥] ر: إن الأعمال.
[٦] ر: إن الأعمال هو التصديق وفي ذلك.
[٧] ر م: الفضل.
[٨] ن – كلام.
[٩] ن ث م: بها.
[١٠] م: الجمل.
[١١] سورة القصص، ٢٨/٨.
[١٢] سورة آل عمران، ٣/١٧٨.

وكذلك يقال في الكلام السائر:

[له ملَكٌ ينادي كلَّ يوم]   لِدُوا للموت وَابْنُوا للخراب[1]

ولا أحد[2] يبني[3] البناء للخراب، ولكن مصيره لما كان إلى الخراب نسب البناء إليه وإن لم يكن البناء[4] لذلك الوجه؛ ويقال: سرق السارق ليُقطع يده، ومعلوم بأنه ليس يسرق للقطع ولكن بسرقته إذا لزمه القطع ولأجلها ما قُطع نسب الفعل إليه وإن كانت السرقة لغير ذلك الوجه. فكذلك العِدّة التي ذكرت في الآية جعلت فيه بجهة واحدة وهي التي ذكرناها[5] هنالك، لكنه[6] لما وُجد من الكفرة ما ذكرنا نُسب الخلق إلى ذلك الوجه لا أن كان الجعل لذلك.

ولكنا نقول: لو كان الأمر على ما زعموا أدى ذلك إلى إسقاط الربوبية، إذ في الحكمة من عمل عملا يريد غير الذي يكون أوجب ذلك جهلا بالعواقب أو جُعل عابثا في فعله، ومن هذا وصفه لم يصلح أن يكون إلها بل يكون جاهلا سفيها؛ ألا ترى أن من بنى لشيء[7] يعلم[8] أنه لا يكون [له] كان ذلك منه عبثا، وإذا كان[9] غير الذي يريده كان جاهلا به. فإذا ثبت هذا فنقول: لو أراد الله من الكافر غير الذي كان منه لكان فعله خارجا مخرج الخطإ أو العبث.[10] فثبت أن الله عز وجل شاء لكل فريق ما علم أن يكون منهم، فإذا علم من عنده أنه يؤثر الضلال على الهدى فقد شاء له الضلال، وإذا علم أنه يؤثر فعل الخير شاء له ذلك ووفقه[11] له وهداه إليه.

---

[1] «له ملك ينادي كل يوم / لدوا للموت وابنوا للخراب». روي هذا الكلام حديثا مرفوعا وموقوفا من طرق ضعيفة. انظر: *كشف الخفاء* للعجلوني، ٢/١٤٠-١٤١. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَلَكٌ بباب من أبواب السماء يقول: من يُقرض اليوم يجدْ غدا، وملك بباب آخرَ يقول: اللهم أَعْطِ مُنفقا خلَفا، وأعط ممسكا تلفا، وملك ببابٍ آخر يقول: يا أيها الناس هَلُمُّوا إلى ربكم، فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وملك بباب آخر يقول: يا بني آدم لدوا للتراب، وابنوا للخراب». وعن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من صباح يُصبحه العباد إلا وصارخٌ يَصرخ: يا أيها الناس لدوا للتراب، واجمعوا للفناء، وابنوا للخراب» (*شعب الإيمان* للبيهقي، ١٣/٢٣٢-٢٣٣).

[2] ر ث ن – أحد.

[3] ن: بنى.

[4] ن: بنى.

[5] ر م: ذكرنا.

[6] ر م – لكنه.

[7] ر ث م: بشيء.

[8] ث: لا يعلم؛ م – يعلم.

[9] ث: وإن كان.

[10] ر م: و العبث.

[11] ر: وفقه.

والجواب عن قوله عز وجل: فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا،[١] فمعناه ليكون لهم في علم الله عدوا وحزنا لا أن كان الالتقاط منه لذلك الوجه، بل لو علموا أنه يصير لهم عدوا وحزنا لم يلتقطوه ولكنهم جهلوا ما ينتهي إليه العاقبة فالتقطوه رجاء أن ينتفعوا به. ولا يجوز أن يخفى على الله تعالى عواقب الأشياء فيكونَ فعله في الابتداء لغير ذلك الوجه.

وقولهم: «لِدُوا للموت وابنُوا للخراب»، فهذا يُتكلم به في موضع التذكير والدعاء، لئلا يحرص المرء في بناء الأبنية بل يَزهد عنه[٢] ولا يجوز[٣] أن يخفى على الله أمر فيخرج الأمر فيه[٤] مخرج التذكير، فثبت أنه على التحقيق. *والله أعلم*.

ثم قوله عز وجل: **وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا**، والمثل يذكر بمعنى البيان، كقول القائل: أُمَثِّل لك صورةَ كذا، يريد أُبَيِّن لك.

وقوله عز وجل: **كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء**، فهذا كله[٥] تفسير قوله تعالى: **وما جعلنا عِدَّتَهم إلا فتنةً**، الآية، أي يُضل به من كان في علمه أنه يختار الضلال، واختياره الضلال هو أن ينظر في آيات الله تعالى بعين الاستهزاء والاستخفاف، ومن كان نظره في آيات الله[٦] ما ذكرنا أضله الله تعالى وزاده غَوَايةً. ومن نظر في آيات الله[٧] بعين الاستهداء والاسترشاد واستقبلها بالتبجيل والتعظيم[٨] لها وفقه الله تعالى ومنّ عليه بالهداية، وهو كقوله تعالى: قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى،[٩] وغير ذلك. *والله الموفق*.

وقالت[١٠] المعتزلة: قوله: **كذلك يضل الله من يشاء**، أي يسميه ضالا أو يحكم عليه بالضلال إذا ضل لا أن يكون الله تعالى يضله[١١] ويشاء ضلالته. فيقال لهم: إذا كان الله يريد

---

[١] سورة القصص، ٢٨/٨.
[٢] ن – عنه.
[٣] ر م: ويجوز.
[٤] ر م: أمر فيه.
[٥] ن – كله.
[٦] ث: آته.
[٧] ن: في آياته.
[٨] ر: والعظيم.
[٩] سورة فصلت، ٤١/٤٤.
[١٠] ر ث: وقال.
[١١] ث م: يضل.

أن يؤمن به -وذلك إرادته في كل أحد عندكم- فتسميته إياه ضالا وحكمه بالضلال وهو يريد أن يهتدي جور منه، وفيه تحقيق كذبه. جلّ الله تعالى عن أن يَلحق وصف الجور في فعله أو يُنسب إلى الكَذب.

وقال أبو بكر الأصم: تأويله أن الله نصب[1] طريقا من سلكه أفضى به إلى الهداية ومن زاغ عنه صار إلى الضلال، ولا يتهيأ لأحد من الخلائق أن يَنصِب مثله.

فنقول:[2] لو كان التأويل[3] على ما زعم لكان حقه أن يقال: كذلك يضل الله ما يشاء ويهدي ما يشاء، فلما قال: **من يشاء**، و"من" يعبَّر به عن الأشخاص العقلاء لا[4] عن الطرق[5] التي لا تعقل[6] ثبت أن الذي قاله ليس بشيء يعتمد عليه.

ثم الأصل أن قوله: **يضل من يشاء ويهدي من يشاء**، من صفات الربوبية وفيه[7] امتداح الرب تعالى بالفعل لما يريد، فلو لم يكن مريدا منهم ما قد كان و لم يرد كون ما علم أنه يكون سقط الامتداح وخرج عن أن يكون من صفات الربوبية. فثبت أن الله تعالى / شاء لكل فريق ما علم أن يكون منهم. [٨٦٧ظ]

وقوله عز وجل: **وما يعلم جنود ربك إلا هو**، فالجند[8] هو اسم للجماعة التي يُنتقَم بها[9] وينتصر بها. وجائز أن يكون قوله تعالى: **وما يعلم جنود ربك**، منصرفا إلى الملائكة التي هم أصحاب النار ليس ما جعله من خزنة النار عددا[10] قليلا لقلة[11] جنودها.[12] **وما يعلم جنود ربك إلا هو**، أي مقاديرَ قِوامهم وأحوالهم إلا الله، فمعناه **لا يعلم جنود ربك**، أي لا يعلم قوة هؤلاء الجنود وبطشهم وهيبتهم، **إلا هو**. ثم يجوز أن يكونوا سُلّطوا على تعذيب أهل النار

---

[1] جميع النسخ: ينصب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٨و.
[2] ن: فيقول.
[3] ن – التأويل.
[4] ر م – لا.
[5] جميع النسخ: عن الطريق. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] جميع النسخ: لا يعقل. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ن ث م: وفي.
[8] ر م: فالجنود.
[9] ن – بها.
[10] ث: عدوا.
[11] ر ث م: لعله.
[12] جميع النسخ: جنوده.

على جهة الامتحان للملائكة كما امتحن بعضهم بإيصال التحف[1] والكرامات إلى أهل الجنة، وكما امتُحن بعضهم في الدنيا لقبض الأرواح وبعضهم باستنزال الأمطار وغير ذلك. وجائز أن يكون تسليطهم على أهل النار على جهة الثواب والجزاء لهم، لأنهم يتلذذون بما يعذِّبون أهل النار وينتقمون من أعداء الله، لأن المرء في الشاهد إذا وصل إلى الانتقام من عدوه تلذذ[2] به وتنعم. ويحتمل أن يكون قوله عز وجل: **وما يعلم جنود ربك**، أي وما يعلم كثرة جنود ربك، **إلا هو**. ويحتمل **وما يعلم**، السبب الذي به يجعل[3] الجنود ويُصلَحون[4] للانتقام **إلا هو**، إذ هو القادر على[5] أن يجعل أضعف شيء من خلقه جندا ينتقم به من أعدائه؛ كما في قصة البعوض في زمن نُمْرُوذَ[6] وغير ذلك من إرسال الطير إلى أصحاب الفيل وإمطار الحجارة على قوم لوط ونحو ذلك. ويحتمل أن يكون قوله عز وجل: **وما يعلم جنود ربك**، أي لا يعلم ما الذي يتخذ الله تعالى جندا للانتقام من الأعداء إلا هو، ألا ترى أن الله عز وجل انتقم من بعض الأعداء بالغرق وهم قوم فرعون وقوم نوح،

---

[1] ر: التخف.

[2] ر م: وتلذذ.

[3] ر ث م: يجعل به.

[4] ن: ويصلحوا.

[5] ث – على.

[6] ر ث م: نمرود. عن زيد بن أسلم، أن أول جبار كان في الأرض نمروذ، قال: وكان الناس يخرجون يمتارون من عنده الطعام، قال: فخرج إبراهيم عليه السلام يمتاره مع من يمتار، فإذا مر به ناس قال: من ربكم؟ قالوا: أنت. حتى مر به إبراهيم قال: من ربك؟ قال: الذي يحيي ويميت. قال: أنا أحيي وأميت. قال إبراهيم: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر [انظر: سورة البقرة ٢/٢٥٨]. قال: فرده بغير طعام، قال: فرجع إبراهيم إلى أهله فمر على كثيب من رمل أَعْفَرَ فقال: ألا آخُذُ مِن هذا فآتي به أهلي فتطيب أنفسهم حين أدخل عليهم. قال: فأخذ منه فأتى أهله فوضع متاعه، ثم نام، قال: فقامت امرأته إلى متاعه ففتحته فإذا هو بأجودِ طعامٍ رآه أحد، فصنعت له منه فقرّبته إليه، وكان عهده بأهله أنه ليس عندهم طعام فقال: من أين هذا؟ فقالت: من الطعام الذي جئت به. فعرف أن الله رزقه فحمد الله. ثم بعث الله إلى الجبار ملكًا أن آمِنْ بي وأتركك على ملكك، قال: فهل رَبٌّ غيري؟ قال: فجاءه الثانية فقال له ذلك: فأبى عليه، ثم أتاه الثالثة فأبى عليه فقال له الملك: فاجمع جموعك إلى ثلاثة أيام. قال: فجمع الجبار جموعه قال: فأمر الله المَلَك ففتح عليه بابًا من البعوض قال: فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها. قال: فبعثها الله عليهم فأكلت لحومهم وضربت دماءهم. فلم يَبْقَ إلا العظام، والمَلِك كما هو لم يصبه من ذلك شيء. فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره، فمكث أربعَمِائَةِ سَنَةٍ يضرب رأسه [بالمطارق] وأرحم الناس به من جمع يديه ثم ضرب بها رأسه، وكان جبارًا أربعمائة سنة فعذبه الله أربعمائة سنة كملكه، ثم أماته الله وهو الذي كان بنى صَرْحًا إلى السماء، فأتى الله بنيانه من القواعد، وهو الذي قال الله: ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ (*تفسير عبد الرزاق*، ١/٣٦٦؛ و*الدر المنثور* للسيوطي، ٢/٢٤).

وأهلك بعضا منهم بالرياح واتخذها جنودا عليهم، وأهلك بعضهم منهم[1] بالخسف، فيكون في هذا إيجابُ المراقبة من حلول النقمة والسَّخْطة. وقوله عز وجل: **وما هي إلا ذكرى للبشر**، فجائز[2] أن يكون منصرفا إلى السقر إنها **ذكرى للبشر**، أي موعظة وتذكير[3] لهم ما إليه مرجع أمورهم. وجائز أن يكون منصرفا إلى عِدَّة الملائكة.

﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾[٣٢] ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾[٣٣] ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **كلا**، قيل: حقا، وقيل: هو على الردع والتنبيه. وقوله عز وجل: **والقمر والليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر**، فهذا في موضع القسم، وقد ذكرنا أن القسم لتأكيد ما قُصد[4] إليه بالذكر. وإدبار الليل بمجيء النهار. فجائز أن يكون ذكرُ آخر الليل يقتضي ذكر أوله[5] وذكرُ أول النهار يقتضي ذكر[6] النهار كله، فيكون القسم بها قسما بالليل كله وبالنهار[7] كله. ثم الليل إذا أقبل عملت[8] ظلمته في ستر الأشياء كلها بساعة لطيفة، وكذلك النهار إذا أقبل عمل في دفع الظلمة عن الخلائق جملةً بساعة لطيفة[9] ما لو اجتهد المرء في جميع عمره وإن طال على عدِّ تلك الأشياءِ ليحيط علما بجملتها لم يتمكن منه. وإذا كان للّيل من السلطان ما ذكرنا ولإقبال النهار من الأمر ما ذكرنا كان[10] الذي ذكرنا أمرا مشاهدا معاينا. ولو أريد معرفة ما فيهما[11] من الحكمة أنه لأي معنى ما صلح أن يكون الليل ساترا[12] عن درك أعين الأشياء واستقام أن يكون النهار مزيلا للستر لم يُقْدَر عليه. فيكون فيه إبانة أنه لا يجب إنكار كل ما لا يوصل إلى درك الحكمة فيه بالعقول والآراء، فيكون فيه إيجاب التصديق بالأنباء التي يأتي بها الرسل

[1] م – منهم.
[2] ر ث م: وجائز.
[3] ر ن م: وتذكيرا.
[4] ن – قصد.
[5] ر م: أول.
[6] ر م – وذكر أول النهار يقتضي ذكر.
[7] جميع النسخ: النهار. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٨ظ.
[8] م: علمت.
[9] ن – وكذلك النهار إذا أقبل عمل في دفع الظلمة عن الخلائق جملة بساعة لطيفة.
[10] ر ث: وكان؛ ن: وهذا.
[11] ر م: ما فيها.
[12] ر ن ث: سائرا.

وإن كان فيها ما لا يوقف عن الحكمة المجعولة فيها بالآراء. وفيه أن منشئ الليل والنهار واحد وأن الخلائق بجملتهم تحت سلطانه وتدبيره يحكم فيهم ما يشاء ويفعل[١] ما يريد. وجائز أن يكون القسم منصرفا إلى الوقتين اللذين وقع عليهما الذكر وهما إدبار الليل وإسفار الصبح، فيكون فيهما[٢] ما في الأول.

وقوله عز وجل: **أَسْفَرَ**، أي أضاء[٣] وانتشر. وقوله: **إذ أدبر**، أي ذهب. وحكي عن الكيساني[٤] أنه قال: إن "دَبَرَ" لغة قرشية، يقولون: ذهب كالأمس الدابر أي الذاهب[٥] ويقولون:[٦] "دبر" في الأيام والشهور والسنين ولا يقولون في غير ذلك، لا يقولون: دبر الرجل ودبر الأمر، ولكن يقال أدبر.[٧] وفي حرف ابن مسعود "إذَا أدبر"، وفي [بعض][٨] الحروف: إذْ أدبر، والمعروف إذا دَبَرَ كما قلنا.[٩]

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **إنها لإحدى الكبر**، قيل: يعني السقرَ. ثم عذاب أهل النار ألوان وفي جهنم دركات، والسقر إحدى دركاتها إذ هي لون من ألوان العذاب، فصارت هي من إحدى الكُبر.

---

[١] ن: ويحكم.

[٢] ر ن م: فيها.

[٣] ث: أي أضار.

[٤] هو أبو بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم (ت نحو ٢٢٥هـ/٨٤٠م)؛ فقيه معتزلي مفسر. وله «تفسير»، و«مقالات» في الأصول، و«مناظرات» مع العلاف. وله أيضا أنباء في الرفض والتجسيم. انظر: (*لسان الميزان* لابن حجر العسقلاني، ٥١٩/٣).

[٥] ن ث: الذاهب.

[٦] جميع النسخ: فيقولون. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٨ظ.

[٧] م – يقال أدبر.

[٨] الزيادة من المرجع السابق.

[٩] ودَبَرَ الرجلُ ولَّى وشَيَّخَ، ومنه قوله تعالى: "والليل إذا دَبَرَ" أي تبع النهارَ قَبْلَه. وقرأ ابن عباس ومجاهد ﴿والليل إذ أَدْبَرَ﴾. وقرأها كثير من الناس "والليل إذا دَبَرَ". وقال الفراء: هما لغتان دَبَرَ النهار وأَدْبَرَ ودَبَرَ الصَّيْفُ وأَدْبَرَ. وكذلك قَبَلَ وأَقْبَلَ، فإذا قالوا: أَقبل الراكب أو أَدبر لم يقولوا إلا بالأَلِف. قال: وإنهما عندي في المعنى لَواحدٌ لا أُبْعِدُ أين يأْتي في الرجال ما أَتى في الأزمنة. وقيل: معنى قوله والليل إذا دَبَرَ جاء بعد النهار كما تقول: خَلَفَ. يقال: دَبَرَنِي فلان وخَلَفَنِي أَي جاء بعدي. ومن قرأَ "والليل إذا أَدْبَرَ" فمعناه ولَّى ليذهب ودَابِرُ العَيْشِ آخره (*لسان العرب*، «دبر»).

﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **نذيرا للبشر**، فمنهم من صرف النِذارة إلى السقر ومنهم من صرفها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو كقوله تعالى: وَهٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا،[١] فمنهم من قرأ: لتنذر، بالتاء وصرف النذارة إلى النبي،[٢] فمنهم من قرأ بالياء وصرفها إلى القرآن.

ثم الأصل أن ما خرج مخرج الأفعال مضافا إلى الأشياء التي[٣] ليست لها[٤] أفعال فهو[٥] يقتضي أمرين. أحدهما ذكرُ الأحوال التي تقع[٦] لديها مما لو لم تكن تلك[٧] الأشياء لم تحدث[٨] تلك الأحوال[٩] من غير أن تكون[١٠] علة[١١] لها، فنسبت إليها إذ[١٢] صارت سببا[١٣] لحدوث تلك الأحوال، وهو كقوله عز وجل: / وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا،[١٤] وحياة الدنيا لا تَغُرّ أحدا ولكنهم [٨٦٨و] اغتروا بزينتها، فنسب إليها الغرور لما كانت سببا لتغريرهم. والثاني أنها أنشئت على هيئة لو كان من أهل التغرير لكان تَغُرّ فنسب إليه الغرور لذلك. وقال في قصة إبراهيم صلوات الله على نبينا وعليه: رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ،[١٥] والأصنام ليست ممن ينسب إليها الإضلال لأنه لا فعل لها، ولكنْ عُبَّادُها لما ضَلّوا بها نسب الإضلال إليها؛ وهي أيضا على صورة لو كانت لها أفعال لكان يقع منها الإضلال فنسب إليها الإضلال للوجهين اللذين ذكرناهما.[١٦]

---

[١] سورة الأحقاف، ١٢/٤٦.
[٢] ر ث م – فمنهم من قرأ لتنذر بالتاء وصرف النذارة إلى النبي.
[٣] ن: اللاي.
[٤] جميع النسخ: لهن. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٨ظ.
[٥] ر ث م – فهو.
[٦] جميع النسخ: يقع. والترجيح من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: لم يكن ذلك. والترجيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: لم يحدث. والترجيح من المرجع السابق.
[٩] ن – يقتضي أمرين أحدهما ذكر الأحوال التي تقع لديها مما لو لم تكن تلك الأشياء لم تحدث تلك الأحوال.
[١٠] جميع النسخ: أن يكون. والترجيح من المرجع السابق.
[١١] ر م: علته.
[١٢] ر ث م: إذا.
[١٣] ر ث م: شيئا.
[١٤] سورة الأنعام، ٧٠/٦؛ وسورة الأعراف، ٥١/٧.
[١٥] سورة إبراهيم، ٣٦/١٤.
[١٦] ر م: ذكرناها.

فكذلك النذارة أضيفت إلى النار[١] هاهنا لأنه عند ذكرها يقع النذارة، فأضيفت إليها لذلك؛[٢] أو خلقت[٣] على هيئة لو كانت من أهل النذارة لكانت نذيرة.[٤] ***والله أعلم.***

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر**، قيل: هو على التهديد، كقوله: فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ،[٥] وذلك إنما يكون على أثر المبالغة في العظات[٦] وتذكير عواقب الأمور، وقد بالغ ذلك في هذه السورة وبيّن عواقب أمور العباد. ثم قوله عز وجل: **أن يتقدم أو يتأخر**، قيل: أن يتقدم إلى طاعة الله أو يتأخر عنه[٧] إلى معصية الله تعالى. والأصل أن المرء جُبل على حب المنافع لنفسه والخيرات[٨] وعلى بغض[٩] الشر والمضار. ومن أحب شيئا طلبه ومن أبغض[١٠] شيئا اجتنبه وهرب منه، وإذا طلب تقدم إليه وإذا هرب من شيء تأخر عنه. فكنىَ عن الطلب بالتقدم وعن الهرب بالتأخر. فقيل في تأويل قوله عز وجل: **يتقدم**، أي إلى طاعة الله،[١١] لأن طاعته[١٢] تُجْدي[١٣] إليه المنافع في الآخرة وتجلب[١٤] إليه المحاسن. أو يتأخر[١٥] عن طاعته،[١٦] إذ في الإعراض عن طاعته إيقاع النفس في المهالك وأنواع الشرور.[١٧]

---

[١] جميع النسخ: إلى النذر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٨ظ.
[٢] جميع النسخ: كذلك. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ر م: وخلقهن؛ ن ث: أو خلقن. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] ن – نذيرة.
[٥] سورة الكهف، ٢٩/١٨.
[٦] ن: في الغطات؛ م: في العطات.
[٧] ر م – عنه.
[٨] ر: الخيرات.
[٩] ر: وعلى بعض.
[١٠] ر: ومن البعض.
[١١] ر م: أي طاعة الله.
[١٢] ر ث م – لأن طاعته.
[١٣] ر ث م: يجدي.
[١٤] ر ث م: ويجلب.
[١٥] ن: إذ يتأخر.
[١٦] ر م: إلى طاعته.
[١٧] ر م: الشر.

وجائز أن يكون قوله: **لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر**، معناه يتقدم ويتأخر بتخليق الله تعالى فعل التقدم والتأخر منه، فيكون فعلا له وكسبا لوجوده في حيز قدرته وخلقا لله تعالى، فيكون مثل قولنا: لا حجة علينا في إضافة التقدم والتأخر إلينا. ***والله الموفق.***

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٣٨]

[وقوله تعالى: **كل نفس بما كسبت رهينة**، تأويله -والله أعلم- كل نفس في الآخرة رهينة بما كسبت في الدنيا، ورهينة أي غَلِقَةٌ. وفي هذا دليل على أن الرهن يُحبَس عند المرتهن على الدوام وينغلق ولا يكون لصاحبه أن ينتفع به ويُزيل عنه الحبس إلا بعد قضاء الدَّين. وفيه دلالة أن الرهن إذا هلك هلك بما فيه، لأن الأنفس صارت رُهونا بالعذاب لحق المجازاة، فصار العذاب جزاء لها. ومعلوم بأن الأنفس تَهلِك فيما حل بها من العذاب، وكذلك الرهن حُبس لأجل الدَّين وأقيم مقامه، فيكون هلاكه بالدين. ***والله أعلم.***][1]

﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **إلا أصحاب اليمين** فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ.[2] أصحاب اليمين هم الذين وصفهم الله تعالى في موضع آخر في كتابه وهو قوله عز وجل: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ،[3] فاستثنى أصحاب اليمين من جملة المرتهنين، لأنه ذكر الرُّهون بلفظة[4] يُعبَّر بها عن الجميع[5] وهو قوله: كُلُّ نَفْسٍ،[6] فاستقام استثناء الجماعة من تلك الجملة. أي أصحاب اليمين قد سبقت منهم الأعمال التي يستوجبون بها الإطلاق عن الحبس، لأن المجرمين صاروا مرهونين بأجرامهم، وأصحاب اليمين قد اكتسبوا الخيرات وعملوا الصالحات، والأعمال الصالحة جعلها الله[7] تعالى مكفرة للمساوئ والأجرام، كقوله تعالى: [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ.[8]

---

[1] تفسير هذه الآية من أوله إلى آخره لا يوجد في جميع النسخ. وما نقلناه من *الشرح*، ورقة ٢٩٩و.
[2] الآية التالية.
[3] سورة الحاقة، ١٩/٦٩؛ وسورة الانشقاق، ٧/٨٤.
[4] ر ث م: بلفظ.
[5] ر ث م: عن الجمع.
[6] الآية السابقة.
[7] ر ث م: فعلها الله.
[8] سورة العنكبوت، ٧/٢٩.

﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[٤٠] ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾[٤١] ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾[٤٢] ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[٤٣] ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾[٤٤] ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾[٤٥] ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سَلَكَكُمْ في سقر**، فظاهر هذا يؤدى إلى أن التساؤل[١] كان من أهل الجنة بعضِهم بعضا، وإذا صدر السؤال عن بعضهم بعضا[٢] فحقه أن يقال: ما سلكهم[٣] في سقر، لأن أهل السقر لم يَسألوا، بل سأل[٤] عنهم غيرهم، ألا ترى أنه قال: **عن المجرمين**، ولم يقل: يتساءل[٥] المجرمون، فثبت أن الظاهر يقتضي[٦] أن يكون المخاطبون غير المجرمين، لذلك قلنا: إن حق مثله أن يقال: ما سلكهم في سقر. لكنه يحتمل أن يكون قوله عن زيادة في الكلام وحقه الحذف والإسقاط، وإذا حذف ارتفع الريب والإشكال، كأنه قال: في جنات يتساءلون المجرمين، فيكون فيه تثبيت أن أهل السقر هم الذين خوطبوا بالسؤال.

وجائز أن يكون أهل الجنة يسأل بعضهم بعضا عن مكان المجرمين: أين مكانهم وأين هم؟ فيطَّلعون عليهم، فيسألونهم: **ما سلككم في سقر**، فيقولون إذ ذاك: **لم نك من المصلين**، إلى آخر الآية. ألا ترى إلى قوله عز وجل: فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ.[٧] فثبت أنهم يطّلعون على أماكنهم، فإذا رأوا سألوهم عن ذلك بقوله: **ما سلككم في سقر**، فأجابوا بما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: **لم نك من المصلين ولم نك نُطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين.**

والأصل[٨] أن الأفعال التي يتعلق جوازها بالإيمان إذا أضيف إلى من ليس من أهل الإيمان أريد بها القبول، وإذا أضيفت إلى أهل الإيمان أريد بها أعين تلك الأفعال. والذي يدل على هذا

---

[١] ر م: إلى التساؤل.

[٢] ر ث م - بعضا.

[٣] جميع النسخ: ما سلككم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٩و.

[٤] ر ث + سئل؛ ن + يسئل.

[٥] جميع النسخ: يتساءلون.

[٦] ث: تقتضي.

[٧] ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أإنك لمن المصدِّقين أإذا مِتنا وكنا ترابا وعظاما أإنَّا لمدينون قال هل أنتم مطَّلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم﴾ (سورة الصافات، ٣٧/٥٠-٥٥).

[٨] ث: الأصل.

هو أن الكافر يُسلك به إلى سقر إذا كان مكذّبا بيوم الدين وإن أقام الصلاة وأطعم المسكين وآتى الزكاة، ولو آتى الزكاة وأقام الصلاة وأطعم المسكين[1] لم ينفعه ذلك حتى يوجد منه الإيمان. فثبت أنه لم يَرد بذكر هذه الأفعال إتيان أعينها وإنما أريد بها القبول والإقرار بها. والذي يدل على صحة ما ذكرنا قوله عز وجل: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ [إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ]،[2] فثبت أنهم جحدوا أن يكون عليهم إطعام؛ فدل أنه أريد بذكر الإقامة / قبولها لا وجود عينها، وعليهم أن يقبلوا إقامة الصلاة [٨٦٨ظ] ويُقِرّوا بإيتاء الزكاة. وقد يجوز أن يذكر[3] إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ويراد بهما[4] القبول، قال الله تعالى: فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ،[5] ولم يكن إيجاد الإقامة وإيجاد الإيتاء من شرائط[6] التخلية بل كان معناه على القبول فإذا أقروا بالصلاة وقبلوا إقامتها وأقروا بالزكاة لزم[7] تخلية سبيلهم وإن لم يوجد منهم الفعل بعد. فلذلك صلح حمل التأويل على القبول ولم يحمل على وجود حقيقة[8] الفعل لما ذكرنا. هذا إذا ثبت أن تأويل قوله: **لم نك من المصلين**، منصرف إلى الصلاة المعروفة، فكيف وقد يجوز أن يكون أريد بالمصلين الموحدين هاهنا، لأن أهل الصلاة هم المسلمون يقال: أجمع أهل[9] الصلاة على هذا ويُعنَى به المسلمون.

ثم الله عز وجل جمع في الذكر بين التكذيب بيوم الدين وبين ترك الصلاة وترك الإطعام، وهذا -والله أعلم- يحتمل وجهين. أحدهما[10] أن الذي يقر بالصلاة والإطعام وإيتاء الزكاة هو الذي يقر بيوم الدين، لأن المرء إنما يرغب[11] في فعل هذه الأشياء لما يطمع من المنافع في العواقب ويتقي بتركها مخافة التَّبِعة في العواقب. فإذا لم يقر بيوم الدين لم يَرْجُ[12] المنافع ولا خاف المضارّ،

---

[1] ر ث م – وآتى الزكاة ولو آتى الزكاة وأقام الصلاة وأطعم المسكين.
[2] سورة يس، ٤٧/٣٦. تمام الآية من *الشرح*، ورقة ٢٩٩ظ.
[3] ر: أي يذكر.
[4] جميع النسخ: ويراد به. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] سورة التوبة، ٥/٩.
[6] ر ث م: من شراط.
[7] ر + بالزكاة.
[8] ر: وحقيقة.
[9] ن – أهل.
[10] ر م: إحداهما.
[11] ن: إنما رغب.
[12] جميع النسخ: لم يرجعوا. والتصحيح من المرجع السابق.

فيحملُه ذلك على ترك الإطعام وتضييع الصلاة وعلى ترك إيتاء الزكاة وعلى جحدها كلها وعدم قبولها، وهو كقوله عز وجل: أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ،[١] لعدم رجاء العواقب. فإذا لم ير لفعله عاقبة لم يَقُم بالانتصار لليتيم ولا قام بإحسان المسكين، بل تكذيبه بيوم الدين يحمله على الجور على اليتيم وترك الإحسان إلى المسكين؛ فلذلك[٢] جَمَعَ في الذكر بين تكذيب[٣] يوم الدين وبين ترك الصلاة وإيتاء الزكاة وترك الإطعام. وجائز أن يكون الذي حملهم على التكذيب بيوم الدين هذه الوظائفَ التي وضعت عليهم بالإسلام، لأنهم إذا آمنوا بيوم الدين لزمهم تحمل هذه الأفعال[٤] من إقامة الصلاة[٥] وإيتاء الزكاة وإطعام المساكين وصيام شهر رمضان وغير ذلك من العبادات، فاشتد عليهم فتركوا الإيمان بها لأن لا يلزمهم تحمل هذه الأفعال التي حَمِلَها أهل الإيمان.

وقوله عز وجل: **وكنا نخوض مع الخائضين**، فالخائض هو الذي يخوض في الباطل.

﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **حتى أتانا اليقين**، أي حتى أيقنا[٦] أنا كنا على باطل فيما كنا نخوض فيه.

﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **فما تنفعهم شفاعة الشافعين**، معناه أن لا شفيع لهم. والأصل أن الشفاعة إذا أضيفت إلى أهل الكفر فقيل: "ليس لهم شفعاء" أو "لا تنفعهم[٧] شفاعة الشافعين" اقتضت[٨] نفي الشفاعة أي لا شفيع لهم، وإذا أضيفت[٩] إلى أهل الإيمان اقتضت[١٠] نفي الانتفاع بشفاعة الشفعاء

---

[١] سورة الماعون، ١٠٧/١-٣.
[٢] ر م: فكذلك.
[٣] ن - تكذيب.
[٤] ر ن م: الأحمال.
[٥] جميع النسخ: من إقامة الأفعال والصلاة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٩ظ.
[٦] ر م: أتقنا.
[٧] ر م: أو لا ينفعهم.
[٨] جميع النسخ: اقتضى.
[٩] جميع النسخ: وإذا أضيف. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] جميع النسخ: اقتضى. والتصحيح من المرجع السابق.

ولم تقتض[1] نفي الشفاعة، كما ذكرنا أن الأفعال التي يكون قوامها بالإيمان إذا أضيفت إلى الكفار فهي[2] تقتضي نفي القبول، وإذا أضيفت إلى أهل الإيمان فهي تقتضي[3] نفي الفعل.

وقولنا بأنه إذا قيل: لا شفيع له وأريد به أهل الإسلام فهو يقتضي نفي الانتفاع ولا يقتضي[4] نفي الشفاعة، فذلك ينصرف عندنا إلى أهل الاعتزال والخوارج؛ لأنا نرى أصحاب الكبائر من أهل الإسلام مستوجبين للشفاعة، وهم يقولون: لا يجوز في حكم الله تعالى أن يعفو عن أصحاب الكبائر بل يُخلدهم في النار، لأن الله تعالى أوعد النار لمن ارتكب الكبائر وأخبر أنهم يُخلّدون فيها، فلا يجوز أن يقع في وعده خلف أو يتحقق[5] في خبره كذب. ولو استوجبوا[6] الشفاعة ونالوا بها المغفرة من رب العزة لصار فيما وعد مخلفا وفيما أخبر كذوبا. فمثل هؤلاء إذا ارتكبوا الكبائر لا يرجى لهم الخلاص بالشفاعة أبدا بل يحكم عليهم بالخلود في النار فيرتفع ما يُثبت الكذب وينتفي ما يوجب خلف وعد. ولأنهم لما اعتقدوا التخليد في النار لمن ارتكب الكبائر وجب أن يكون نفيهم الشفاعة بزعمهم على ذلك؛ لأن الله تعالى يقول: كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ،[7] فلا يجوز أن يَحق عليهم العذاب ثم لا ينالهم العذاب إذا بعثوا. ثم احتج فريق منهم بنفي الشفاعة في الآخرة بقوله: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ،[8] وبقوله: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ،[9] وبقوله: وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ.[10] وزعموا أن شفيع كل امرئ[11] منهم عمله يومئذ؛ فمن حسن عمله نجا به ومن ساء[12] عمله حق عليه العذاب و لم يكن له شافع.

[1] جميع النسخ: و لم يقتض. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٩٩ظ.

[2] ن: فهو.

[3] جميع النسخ: يقتضي نفي القبول وإذا أضيف إلى أهل الإيمان فهي يقتضي. والتصحيح من المرجع السابق.

[4] ر م - نفي الانتفاع ولا يقتضي.

[5] ر م: و يتحقق.

[6] ر م: ولو استوجب.

[7] سورة الأعراف، ٧/٢٩-٣٠.

[8] سورة الشعراء، ٢٦/١٠٠.

[9] سورة البقرة، ٢/٢٥٤.

[10] سورة البقرة، ٢/١٢٣.

[11] ر م: أمر.

[12] ن: ومن شاء.

ولو وجب نفي الشفاعة بما ذكر من هذه الآيات الظاهرة لوجب تحقيقها بقوله: وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ،[١] وبقوله: يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا،[٢] إذ في هاتين الآيتين أن الله تعالى قد يأذن بالشفاعة يومئذ للبعض. فثبت / أن ما ذكرتم من نفي الشفاعة لم يقتض نفيا على الإطلاق بل النفي انصرف إلى بعض [٨٦٩و] الخلائق ووجب القول بثبوتها[٣] لبعضهم،[٤] ثم جاءت الأخبار مفسّرة[٥] على إيجاب القول بالشفاعة لأهل الكبائر. فثبت أن ما ذكر من قوله عز وجل: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ،[٦] وقوله: وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ،[٧] منصرف إلى أهل الكفر وبه نقول.

ومن المعتزلة من يحقق الشفاعة ولكنه يراها للذين يستوجبون استغفار الملائكة في الدنيا، وهم الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ،[٨] فأما أصحاب الكبائر فإنهم[٩] لا ينالهم شفاعة[١٠] أحد بل يُخلّدون في النار.

فيقال لهم: فأية منفعة تحصل[١١] للذين تابوا واتبعوا سبيله في الشفاعة وهم قد استوجبوا الخلاص بتوبتهم واتباعهم سبيل الرشاد.[١٢] فإن قالوا: منفعتهم بها أنه[١٣] يعظم[١٤] قدرهم عند الله تعالى ويستوجبون[١٥] بها فضل الدرجات، كما ترى[١٦] المرءَ في الشاهد يذكر أخاه عند الملوك بحسن السيرة

---

[١] سورة الأنبياء، ٢١/٢٨.
[٢] سورة طه، ٢٠/١٠٩.
[٣] ر: ثبوتها.
[٤] ر: لبعض.
[٥] ن: مضطرة.
[٦] ﴿وما أضلّنا إلا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾ (سورة الشعراء، ٢٦/٩٩-١٠١).
[٧] سورة البقرة، ٢/٢٥٤.
[٨] ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون...﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٧).
[٩] ن: فإنه.
[١٠] م + شفاعة.
[١١] ن: حصل.
[١٢] ن + وهم قد استوجبوا.
[١٣] ن: أية.
[١٤] جميع النسخ: لعظم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٠و.
[١٥] ن: وتستوجبون.
[١٦] ن ث: كما يرى.

ويذكره بما فيه من المناقب الجميلة والمحاسن ويبتغي[1] بذلك إعلاء منزلته وإعظام قدره عندهم ليعظموه ويبجلوه، فكذلك الشفعاء في الآخرة يُثْنُون عند الله تعالى من أوليائه خيرا ليزيد في درجاتهم ويُعْظِمَ منزلتهم عند الله تعالى.

والجواب أن هذه الزيادة في الدرجات ليست إلا إلى الوصول إلى فضول الشهوات، وفضول الشهوات[2] والزيادة في اللذات لا تذكر[3] في المنافع إذ لا حاجة لهم إلى ما هو في حق الفضول من الشهوات، فيكون في مثلها[4] دفع الحاجة والوصول إلى المنفعة. ومعلوم بأنهم إنما أُطمعوا في الشفاعة لما يحصل لهم بها من المنفعة[5] وإنما[6] يحصل لهم بها[7] المنفعة إذا وقعت إليها[8] الحاجة، وأهل الكبائر هم الذين يمسهم الحاجة إليها، فأما الذين تابوا وأنابوا فقد استغنوا عن[9] الشفاعة. لذلك وجب القول بتحقيق الشفاعة في أهل الكبائر. وأما استدلالهم بما ذكروا من أمر الشهود فليس بمحكم من القول، لأن المرء إنما يذكر أخاه بالجميل ويُظهر ما اشتمل عليه من خلال الخير لجهل[10] الملوك بحاله في ما هو عليه من جميل الخصال ومحمود الفعال، ألا ترى أن الملك إذا كان عالما[11] بحاله لم يقدم الإنسان على نشر[12] الجميل منه. فثبت أن الذي يحُوجه[13] إلى الثناء عليه عند الملوك جهل الملوك بحاله، ولا يجوز أن يكون الله تعالى يخفى عليه حال أحد وما هو عليه من ظواهر[14] أموره وبواطنها حتى يحتاج إلى معرّف يُعرفه. فبطل أن يكون الشفاعة للوجه الذي ذكروها، وثبت[15] أنها للوجه الذي ذكرناها.

---

[1] ر ن م: وينبغي.
[2] ث – وفضول الشهوات.
[3] جميع النسخ: لا يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٠و.
[4] ر ن م: في مثالها.
[5] ر م – لما يحصل لهم بها من المنفعة.
[6] ث: ولما.
[7] ث + من وإنما يحصل لهم بها.
[8] ر م: عليها.
[9] ر: من.
[10] ر: بجهل.
[11] ن – عالما.
[12] ر م: على البشر؛ ن: على نشير؛ ث: على بشر.
[13] ر ث م: يخرجه.
[14] ر م: الظواهر.
[15] ر: وأثبت.

ثم العفو والصفح عن إحلال العقوبة بمن همّوا أن يعاقبوه بجريمة سبقت منه.[١] ثم الشفاعة فيما بين الخلق أمر معهود أنها تكون[٢] عند زلات يستوجب بها العقوبة والمقت، فيعفَى عن مرتكبيها[٣] بشفاعة الأخيار[٤] وأهل الرضاء، فلا ينكر أن يكون الله تعالى يعفو عمن استوجب العقاب بشفاعة الأخيار وأهل الرضاء والأبرار. *والله الموفق*.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **فما لهم عن التذكرة معرضين**، فجائز أن يكون تأويله ما لهم معرضين عن ذكر ما لهم وعليهم وعما إليه مآبهم ومُنْقَلَبُهم؟[٥] وذلك يكون في الرسول وفي القرآن، لأن كل واحد منهما يذكر للمرء ماله و[ما][٦] عليه. *والله أعلم*. وجائز أن يكون تأويله: فما لهم عما به يَشْرُف قدرهم ويصيروا به مذكورين في الملإ الأعلى معرضين؟ وذلك يكون في طاعته والإقبال على عبادته، وهو كقوله تعالى: لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ،[٧] معناه أنكم تصيرون[٨] به مذكورين ويعظم قدركم لو اتبعتموه ولم تُضيّعوا حرمته.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ﴾[٥٠] ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **كأنهم حمر مستنفرة**، بنصب الفاء وخفضه،[٩] فمن قرأ بخفض الفاء صرف الفعل إليها كأنه يقول: حمر نافرة، ونَفَر[١٠] واستَنْفر واحد كما يقال: استرقد القوم، أي رقدوا. ومن قرأ بنصب الفاء فتأويله أنه فُعل بها ما يحملها على النفار، وذلك يكون بالرمي وبالقانص ومن الأسد[١١] كما ذكره أهل التفسير في تأويل القسورة هي الأسد أو الرماة أو الصيادون،[١٢]

---

[١] جميع النسخ: منهم.
[٢] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٠و.
[٣] م: عن مرتكبها.
[٤] ن: الأخبار.
[٥] ر: عليه مآبهم ومتقلبهم؛ ث م: ومتقلبهم.
[٦] الزيادة من المرجع السابق.
[٧] سورة الأنبياء، ١٠/٢١.
[٨] ن: يصيرون؛ ث: يقرون.
[٩] *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٥٢؛ وحجة *القراءات* لابن زنجلة، ٧٣٤.
[١٠] ر م - ونفر.
[١١] جميع النسخ: من الأسد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٠ظ.
[١٢] ر ث: أو الصادون؛ م: والصادون.

ويقال: هي النَّفِرَة، وكان هذا تشبيها بالحمر الوحشية التي في طبعها النفار. ووجه التقريب هو أن هؤلاء أعرضوا عما في الإقبال عليه نجاتهم وتخلصهم من العطب ونفروا كنفار الحُمُر المستنفِرة من العطب والهلاك. وفي هذه الآية تبيين[1] شدة سفههم وغاية جهلهم، لأن الحمير[2] ينفر عن القانص والرامي والأسد ليسلم من الهلاك والعطب، وهؤلاء الكفرة نفروا عما فيه نجاتهم إلى ما فيه هلاكهم وعطبهم،[3] فهم أشرّ[4] من الحمير وأضل.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾[٥٢]

وقوله عز جل: **بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة**، قال بعض أهل التأويل: إن المشركين قالوا: يا محمد بلغنا أن الرجل في بني إسرائيل كان إذا أذنب ذنبا فأصبح[5] فوجد صحيفة معلقة على باب داره أو[6] مكتوبا عند رأسه "إنك أذنبت كذا"، وزاد بعضهم / "إنك أذنبت كذا[7] وتوبتك كذا"، وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعلهم كذلك، [٨٦٩ظ] فأخبر الله تعالى ذلك[8] عنهم ثم آيسهم عن ذلك وقال: كَلَّا،[9] أي لا ينالون ما يأملون.[10] وقال قتادة: قالوا يا محمد إن سَرَّك أن نتبعك فأت كل واحد منا بصحيفة خاصة إلى فلان بن فلان يأمرنا فيها باتباعك. وقيل: سألوا أن يُؤْتَوا ببراءة بغير عمل.[11] ولكن لا يجب قطع الأمر على واحد من هذه التأويلات، بل يقال بها على جهة الإمكان والاحتمال؛ لأن هؤلاء المفسرين لم يشاهدوا أولئك القوم الذين صدرت منهم هذه الإرادة ليخبروهم[12] ماذا أرادوا به

---

[1] جميع النسخ: تبين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٠ظ.
[2] ر م: الحمر.
[3] ر: وعطيهم.
[4] ث: أشد.
[5] جميع النسخ: فيصبح. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] ر ث م – أو.
[7] م – كذا.
[8] ر ث م: كذلك.
[9] من الآية التالية.
[10] ر ث م: لا تنالون ما تأملون.
[11] عن قتادة، قوله: ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة﴾ قال: قد قال قائلون من الناس: يا محمد إن سَرّك أن نتبعك فأتنا بكتاب خاصة إلى فلان وفلان، نؤمر فيه باتباعك، قال قتادة: يريدون أن يُؤْتَوْا براءةً بغير عمل (*تفسير الطبري*، ٢١٣/٢٩).
[12] ن + هذا.

حتى يثبت ما ذكروا من القصة والأخبار، ولا تواترت الأخبار من عند ذي الحُجةِ النبيِ صلى الله عليه وسلم أنهم سألوه ذلك، لذلك لم يستقم قطع الأمر على ما ذكروا.

وجائز أن يكون هذه الإرادة تحققت في بعض الكفرة وهم الرؤساء منهم والأكابر لا أن أراد[1] كل في ذات نفسه أن يؤتى صحفا منشرة، والإرادة هاهنا عبارة عن الطلب. ثم طلبهم ما ذكر يتوجه إلى أوجه ثلاثة. أحدها أن يكون كل واحد من عظمائهم ودَّ أن يكون هو المخصوصَ بإنزال الكتاب عليه، كما قال في آية أخرى: وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ.[2] فيكون في هذا[3] إظهارُ[4] استكبارهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة التعنت والعناد ليصير ذلك آية لهم في تحقيق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال الله عز وجل حكاية عنهم: وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا، إلى قوله: أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ.[5] ففي هذا الآية إبانة أنهم كانوا يطلبون إنزال الكتاب عليهم ليتقرر لديهم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك على جهة التعنت والعناد؛ وإلا لو تفكروا في حاله أدّاهم ذلك إلى العلم برسالته من غير أن يحتاجوا إلى تثبيت رسالته بكتاب ينزل عليهم. ***والله أعلم***. و[الثاني] جائز أن يكونوا رأوا أكابرهم أحق بالرسالة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى بإنزال الكتاب عليهم لما رأوهم[6] أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا ترى إلى قوله: وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ،[7] وقال في آية أخرى: أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا،[8] فأرادوا أن يُؤْتَوا صحفا منشرة لهذا المعنى إذ هم أولى أن يُخَصُّوا بهذه الفضيلة. وإنما ذكرنا هذه التأويلات في هذه الآية لأن هذه المعاني التي ذكرناها قد ظهرت منهم بمتلو القرآن، والتأويلات التي ذكرها أهل التفسير لا يتهيأ تثبيتها من جهة الكتاب ولا من جهة الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصارت هذه التأويلات أمكن وأملك بالآية من غيرها. ***والله أعلم***.

---

[1] ت: لا أن إرادة.
[2] سورة الأنعام، ١٢٤/٦.
[3] ر ث م: في هذه.
[4] ر: إظهارا.
[5] سورة الإسراء، ١٧/٩٠-٩٣.
[6] م – هم.
[7] سورة الزخرف، ٣١/٤٣.
[8] سورة ص، ٨/٣٨.

﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾[٥٣]

وقوله عز وجل: **كلا بل لا يخافون الآخرة**، إن الذي حملهم على الطلب بأن يؤتَى كل منهم صحفا منشرة إعراضهم عن الإيمان[١] بالآخرة، وإلا لو آمنوا[٢] بها لكان إيمانهم بها يحملهم على ترك العناد والتعنت وعلى[٣] ترك التجبر[٤] على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعوهم إلى الإذعان للحق.

﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾[٥٤] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾[٥٥] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾[٥٦]

وقوله تعالى: **كلا إنه تذكرة فمن شاء ذكره**، سنذكر معنى هذه الآية في سورة "عبس[٥] وتولى"، وسنذكر معنى قوله: **وما يذكرون إلا أن يشاء الله**، في سورة "إذا الشمس كورت"، إن شاء الله تعالى.[٦]

وقوله عز وجل: **هو أهل التقوى وأهل المغفرة**، فأهل التأويل صرفوا قوله: **هو أهل التقوى**، إلى الله تعالى، وجائز أن يصرف إلى البشر. فإن كان المراد من قوله عز وجل: **هو أهل التقوى**، البشر، فيكون معنى قوله: **هو أهل التقوى**، أي الذي يقوم بالذكر، ألا ترى إلى قوله تعالى: وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا،[٧] فجعل الذين ألزمهم كلمة التقوى من أهل التقوى. وإن كان المراد من قوله: **هو أهل التقوى**، أي الله سبحانه وتعالى، فتأويله أنه[٨] أهل أن يُتَّقَى الزلة والعثرةُ في حقوقه تعالى. والوجه فيه أن المرء في الشاهد إنما يتقي الزلة والعثرةَ إلى آخر لإحدى خصال ثلاث. إحداها لما يرى من افتقاره وحاجته إليه فيتقي العثرة[٩] إليه تبجيلا وتعظيما؛ أو يتقي[١٠] ذلك لما يرى من قدرته وسلطانه على الانتقام منه؛

---

[١] ر: من الإيمان.

[٢] ن: وإلا لا آمنوا.

[٣] ر م: على.

[٤] ر م: الجسر، ث: التحسر.

[٥] ر ث م – وقوله كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره الآية سنذكر معنى هذه الآية في سورة عبس.

[٦] ر ث م – إن شاء الله تعالى.

[٧] سورة الفتح، ٤٨/٢٦.

[٨] ر م – أنه.

[٩] ر: العشرة.

[١٠] ر ث م + زلته.

أو يتقي زلته لكثرة نعمه وأياديه استحياء منه. فإذًا كانت هذه الأشياء هي الداعيةَ إلى الاتقاء. ثم الخلائق بأجمعهم مفتقرون ومحتاجون إلى الله تعالى، وله القدرة والسلطان عليهم، وهو المنعم المُفضِل على كل أحد، فهو أهلٌ أن يُعظّم ويوقَّر وأن يُخاف نقمته ويستحيا منه، ومن اتقى صار أهلا لأن يغفر.

وجائز أن يكون معنى قوله عز وجل: **هو أهل التقوى**، أي هو أهل بأن يُسأل عنه ما يقي[1] من النار، بقوله تعالى: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[2] وبقوله: قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا،[3] ثم علّمنا وجه الاتقاء بقوله: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ،[4] فبَيّن أن الاتقاء أن يُفزع إلى الله تعالى ويُتضرع إليه ليقيَ بفضله ورحمته. وقال: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا،[5] فأمرنا جل جلاله بالمناصبة مع الشيطان للمحاربة، / وأخبر أن محاربته [٨٧٠و] أن يُفزَع إلى الله بالاستعاذة، بقوله عز وجل: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ،[6] وقال في آية أخرى: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ،[7] الآية، فهو أهل أن يطلب منه ما يَقِي به وأهل أن يُستعاذ به لدفع كيد العدو. [وقوله:] **وأهل المغفرة**، أي أهل أن يطلب منه المغفرة. جعلنا الله تعالى من أهل التقوى والذين منّ عليهم بالمغفرة. وقال بعضهم: **هو أهل التقوى وأهل المغفرة**، أي هو أهل أن يُتَّقَى عنه وأهل أن يَغفر لمن اتقاه. ***والله المستعان***.[8]

---

[1] جميع النسخ: أن يتقي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠١و.
[2] سورة آل عمران، ١٣١/٣.
[3] سورة التحريم، ٦/٦٦.
[4] سورة البقرة، ٢٠١/٢.
[5] سورة فاطر، ٦/٣٥.
[6] سورة الأعراف، ٢٠٠/٧.
[7] سورة المؤمنون، ٩٧/٢٣.
[8] ر + والحمد لله رب العالمين؛ ن + وعليه الاعتماد؛ ث + والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ م – والله المستعان.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القيامة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[١] ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[٢]

قوله عز وجل: **لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة**، اختلف في تأويله. فمنهم من ذكر أنه[2] أقسم الله تعالى بيوم القيامة و لم يقسم بالنفس اللوامة، ذكر ذلك عن الحسن،[3] ويكون معناه لَأُقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة. لكن ذكر عنه أنه يقول في قوله تعالى: لَا أُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ:[4] إن القسم يقع على البلد[5] والوالِدِ، وهو آدم عليه الصلاة والسلام، وما ولد جملة أولاده.[6] فإذا كان القسم جائزا بالوالد والمولود جميعا كانت النفس اللوامة داخلة في جملة المولود، فقد أقسم بالنفس اللوامة عنده، فلا معنى بالرد هاهنا. ثم موقع القسم[7] في قوله: **لا أقسم**، [و]تأويله [كما][8] يذكر في قوله: لَا أُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ، في سورة يذكر فيها الكَبَدَ.[9] ومنهم من ذكر أن القسم وقع بهما جميعا،[10] ولله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه.

---

[1] ر – سورة القيامة؛ ن م: سورة يذكر فيها القيامة؛ ث: وهي أربعون آيات مكية.

[2] ر م – أنه.

[3] *تفسير الطبري*، ٢١٦/٢٩.

[4] سورة البلد، ١/٩٠–٣.

[5] ر ث م + ووالد وما ولد إن القسم يقع على البلد.

[6] قال مجاهد وقتادة والضحاك والحسن وأبو صالح: ﴿وَوَالِدٍ﴾ آدم عليه السلام. ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ أي وما تَنَسَّل من ولده (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٦١/٢٠).

[7] جميع النسخ: لا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠١و.

[8] الزيادتان من المرجع السابق.

[9] ث م: الكيد. الآية ٤ من سورة البلد.

[10] أي بيوم القيامة وبالنفس اللوامة.

ثم صرف بعض أهل التأويل معنى القسم إلى قوله تعالى: أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ،[1] وجعله موضع القسم. فإن كان على هذا، فالإشكال عليه أن يقول قائل: كيف أكّد أمر[2] البعث وجَمْعَ العظام بالقسم بيوم القيامة وقد جرى من القوم[3] الذين احتج عليهم بهذه الآية الإنكارُ بيوم القيامة، فكأنه أكد القسم بشيء جرى به الإنكار؟

والجواب عن هذا من وجهين. أحدهما أن يكون القسم منصرفا إلى الحكمة التي توجب القول بالبعث، إذ قد بينا في غير موضع أنه بالبعث ما خرج خَلْقُ هذا العالم مخرجَ الحكمة، ولولا البعث لكان خلقه عبثا باطلا، كقوله عز وجل: أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ،[4] كأنه قال: لا أقسم بحكمتي الداعية إلى كون القيامة[5] أن يكون كذا. و[الثاني] جائز أن يكون القسم في الحقيقة بالدلائل والبراهين التي من تفكر وأمعن النظر فيها حمله[6] ذلك على القول بالبعث. وإذا كان محتملا صح القسم بيوم القيامة[7] وبالنفس اللوامة، لأن التفكر في النفس اللوامة والاعتبارَ بها يدعو إلى القول بالبعث. ثم العادة[8] جرت على القسم بالأشياء التي عظم خَطَرُها وجلّ قدرها في القلوب، وجلالة خطرها يكون بأحد وجهين: إما بما كثرت منافعها فيكون خطرها مشاهدا معروفا، أو يَعظُم خطرها بالدلائل والأخبار. فالسماوات والأرضون قد عرف الخلقُ جلالةَ أقدارهما بالعِيان بما كثرت منافع الخلق بهما،[9] وعظم يوم القيامة بما جل خطره في القلوب وثبت القول بكونه بالدلالات والبراهين. ثم قد وصفنا أن الله تعالى أقسم بأشياءَ لتأكيد ما يُعرَف ثباتُه[10] ويجب القول به لولا القسم لو أُمعن النظر فيه وأعملت[11] فيه الرَوِيّة، لذلك استقام القسم بهما.[12] *والله أعلم.*

---

[1] الآية التالية.

[2] ن: من.

[3] ر م: القول.

[4] سورة المؤمنون، ٢٣/١١٥.

[5] ر ث م + كذا؛ ن: كون يوم القيامة كذا. والترجيح من *الشرح*، ورقة ٣٠١و.

[6] ر: جملة.

[7] ن – فيها حمله ذلك على القول بالبعث وإذا كان محتملا صح القسم بيوم القيامة.

[8] ن: ثم إبعاده.

[9] ن م: بها.

[10] ر ث م: بيانه؛ ن: ما به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠١ظ.

[11] ر: فأعملت؛ ن: فيه قد فأعلمت؛ ث م: فأعلمت. والتصحيح من المرجع السابق.

[12] ر م – بها.

واختلف في النفس اللوامة. قال بعضهم: النفس اللوامة هي النفس الكافرة تلوم ربها في الدنيا[١] أبدا في تضييق العيش عليها وتشكو ربها من الفقر والإقتار عليها مع كثرة نعم[٢] الله عليها وإحسانه إليها. ومنهم من صرف التأويل إلى كل نفس مؤمنة كانت أو كافرةً فهي تلوم غيرها لتعاطيها أشياء قد تعاطت نفسُه مثلَها وامتُحنت بها. والحق على كل أحد أن لا يلوم[٣] أخاه بما تعاطي فعلا قد أتى هو ذلك الفعل بعينه أو مثلِه، ولكن أنشئت[٤] [النفس] كذلك لوامة،[٥] كما قال: إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا.[٦] ومنهم من ذكر أن هذا يكون في الآخرة، فالكافر[٧] إذا أيقن بالعذاب وما حل به من نقمة الله تعالى يذم على ما فرّط في جنب الله وأدركته الحسرة، فعند ذلك يلوم نفسه. والمؤمن إذا عاين الثواب يلوم نفسه لو أمسك[٨] عن المعصية وتاب وأطال المُقام في المحراب، و[كذا إذا] أبصر العاملين[٩] بالطاعة حَسَنَ المآب[١٠] [يلوم] نفسه بما شذ منه وغاب عند كمال القوة وعُنفُوَان الشباب، وقال: كيف لم أَزْدَدْ في العمل لِأزداد في الثواب. ومنهم من خص الكافر[١١] في الآخرة باللوم على نفسه، وهذا أظهر؛ لأن المسلم إذا أُكرم بالثواب فشُكْرُه بذلك[١٢] يَشغله عن اللوم على نفسه[١٣] فلا يتفرغ[١٤] له؛ ولأن الله تعالى يضاعف له من الحسنات ويعطيه من الدرجات زيادة على ما استوجبه بعمله فضلا منه[١٥] وإنعاما، فكيف يلوم نفسه بتقصيرها / في العمل وهو يعلم [٨٧٠ظ] أن ما وصل إليه من الكرامات لم ينل جملتها بعمله بل بفضل الله تعالى وبكرمه. ***والله أعلم***.

---

[١] م: بالدنيا.

[٢] ر ث م: نعمة.

[٣] ر ث م + على.

[٤] ر ث م: أو مثلها ولكن أنشئت.

[٥] ر م: للوامة.

[٦] ﴿إن الإنسان خُلِق هَلوعا إذا مسه الشر جَزُوعا وإذا مسه الخير مَنُوعا﴾ (سورة المعارج، ٧٠/١٩-٢١).

[٧] جميع النسخ: والكافر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠١ظ.

[٨] جميع النسخ: لما أمسك. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ر ث م: للعاملين.

[١٠] جميع النسخ + والعاصين.

[١١] ر ث م: لكافر.

[١٢] جميع النسخ: لذلك. والتصحيح من المرجع السابق.

[١٣] ن – على نفسه.

[١٤] ر: فلا ينفرغ؛ م: فلا يفزع.

[١٥] ر ث م – منه.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ﴾[٣] ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾[٤]

وقوله تعالى: **أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه**، فقوله: **أيحسب الإنسان**، وإن خرج مخرج الاستفهام في الظاهر فليس هو باستفهام، ولكنه تحقيق حُسبان من الإنسان. فجائز أن يكون [الذي][١] حمله على الحسبان هو أن القدرة لا تنتهي[٢] إلى هذا في أن تجمع[٣] العظام وتُؤَلَّف[٤] بعد تَفتتها وتلاشيها، فيدفع حسبانُه هذا بقوله: قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ.[٥] فمن تفكر في النشأة الأولى علم أن القدرة تنتهي[٦] إلى جمع العظام بعد أن صارت رميما وأن الذي قدر على إنشائها لقادر على جمعها بعد تفريقها. وجائز أن يكون حَسِب[٧] أن العظام لا تجمع[٨] بعد تفريقها، لأنها لو جمعت بعد التفريق لم تكن[٩] تُفَرَّق[١٠] بعد أن وُجدت مجموعة، ألا ترى[١١] أن المرء في الشاهد لا يقصد إلى نقض ما بني ليعيده[١٢] مرة أخرى إلى الجهة المتقدمة، ومن فعل ذلك كان[١٣] عابثا في هدمه ولم يكن حكيما. فإن كان هذا المعنى هو الذي حمله على الحُسبان فجوابه أن يقال بأن الجمع الأول وقع لمكان المحنة[١٤] والابتلاء، والجمعَ بعد التفريق لمكان الجزاء. فإذا[١٥] كان الجمع الثاني لغير الوجه الذي وقع الجمعُ في الابتداء كان صحيحا مستقيما. وإنما يخرج عن حد الحكمة إذا لم يكن الإعادة إلا للوجه الذي وقع الابتداء، ألا ترى أن الذي نقض بناءه إذا أعاده لا للوجه الذي كان بني أول مرة لم يُنكر عليه.

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٠١ظ.
[٢] جميع النسخ: لا ينتهي. والتصحيح من المرجع السابق.
[٣] ر ث م: أن يجمع؛ ن: لن نجمع.
[٤] جميع النسخ: ويؤلف. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] سورة يس، ٧٩/٣٦.
[٦] ن: ينتهي.
[٧] ر م: حسبان.
[٨] جميع النسخ: لا يجمع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] جميع النسخ: لم يكن. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] ر ث م: يعرف.
[١١] ن: ألا يرى.
[١٢] ر م: لبعيده.
[١٣] ر م – كان.
[١٤] ن: المحبة.
[١٥] ن: وإذا.

وفيما ذكرنا رد قول الباطنية؛ لأنهم زعموا أن هذه الأنفس تتلاشى[١] وتَتلَف فلا يُبعَث وأن البعث يقع على الأنفس الروحانية. ولو كان كما زعموا لم يكن لقوله: **أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه،** معنى، لأن العظام لا يجمع على قولهم بعد ما صارت رميمة، فيكون الأمر إذن على ما وقع في حسبان هذا[٢] الإنسان، فلا معنى للرد عليه بقوله: **بلى قادرين على أن نسوي بنانه،** ألا ترى أن الذي حمله على الإنكار لجمع[٣] العظام بعد تفريقها هو أنه لم ير هذا موجودا في الشاهد. ولو كان الأمر على ما زعمت الباطنية لكان الإنكار مدفوعا إذا وجدت[٤] النفس الروحانية مبعوثة في الشاهد بعد توفيها،[٥] وقال الله عز وجل: قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ،[٦] فأخبر أن الأنفس التي أنشئت أول مرة هي التي تحيى لا غير.

وقوله عز وجل: **بلى قادرين على أن نسوي بنانه.** فمنهم من حمل[٧] هذه الآية على الابتداء وزعم أنه ليس فيه جواب لما يقتضيه قوله عز وجل: **أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه،** ومنهم من ذكر أن قوله: **بلى،** جواب لقوله: **أيحسب الإنسان أن لن نجمع،** فاكتفى بقوله: **بلى،** بما سبق منه من الدلالات والحجج على القول بالبعث، فاقتصر[٨] على قوله: **بلى،** على الوصل بما تقدم من الدلالات. ومنهم من جعل جوابه في قوله: **قادرين على أن نسوي بنانه،** معنى تسوية البنان هو الجعل من عَظْم واحد مجموعا غير متفرق مثل خف البعير وحافر الدواب. ووجه الاستدلال أنهم أقروا بأن الله تعالى قادر على أن تسوية[٩] البنان لما رأوا التسوية موجودة في الدواب، ثم الجمع بعد التفريق أظهر وجودا وأيسر فعلا من تسوية البنان. ألا ترى أن المرء في الشاهد قد يقدر على التأليف والجمع بين أشياء متفرقة ويعجز عن تسوية البنان. فإذا كانت التسوية أعسر وجودا من الجمع بعد التفريق، ثم وصفوا الله تعالى بالقدرة على تسوية البنان، فكيف أنكروا قدرته على جمع العظام بعد تفريقها؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

---

[١] جميع النسخ: يتلاشى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠١ظ.
[٢] ر م: هذه.
[٣] ر: ويجمع؛ ث: يجمع.
[٤] جميع النسخ: إذا وجد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٢و.
[٥] ر: توقيتها؛ م: توفيتها.
[٦] سورة يس، ٧٩/٣٦.
[٧] ن: جعل.
[٨] ر ث م: اقتصر.
[٩] ر ث م: نسوي.

ومنهم من يقول بأن الله تعالى لما لم يُسوّ بين بنان الإنسان، وسوّى بين بنان الدواب ليصل إلى الأخذ والإعطاء وإلى التقديم والتأخير والقبض والبسط وأنواع المنافع التي خُصّ بها من نحو ما يملكون بالبنان تسخير الدواب والأنعام، فعُلم بالتفريق بين الدواب وبينهم على أن البشر هم المقصودون بالمحنة وألا يتركهم سدى: لا يأمرهم ولا ينهاهم ولا يستأديهم شكر ما أنعم عليهم، وقد ائتمر البعض وعصى البعض، [فـ]ـلا بد من دار أخرى للمجازاة. فالنظر في هذا يحمله على القول بالبعث والجزاء. ولأن الاستواء يقع في الابتداء والجمعُ بعد التفريق يكون عند الإعادة. والعقول يشهد على أن أمر الإعادة أيسر من أمر الابتداء فإذا لم يتعذر عليه الاستواء في الابتداء فأنى يعسر عليه إعادة الجمع مع قدرته على الجمع في الابتداء. ولأنهم لما لم يُخلَقوا مستوية البنان فليعلموا أن في ترك الاستواء حكمةً، ولو كان الأمر على ما قدّروا أن لا[1] بعثَ لكان ذلك يخرج على حد الحكمة، فيكون فيما ذكر تثبيت البعث والقولُ بالقدرة على جمع[2] العظام بعد تفرقها وتفتتها.[3] *والله أعلم*.

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾[٥]

وقوله عز وجل: **بل يريد الإنسان ليفجر أمامه،** قال أهل التفسير: يؤخر التوبة ويقدّم المعصية، ويقول: سوف أتوب، فيأتيه الموت على شرّ حاله. وعندنا يخرج على وجهين. أحدهما جائز أن يكون ذكرُ الإرادة لا على تحقيقها، ولكن من فعل شيئا فعله على الإرادة والاختيار فكنى / بالإرادة عن الفعل، لأنها تقترن بالفعل، فيكون في ذكرها ذكر[4] الفعل، وهو كقوله [٨٧١و] عز وجل: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا،[5] ولم يظن أحد من الكفرة أن السماء والأرض خلقا باطلا[6] ولكن خَلْقهما خرج على الحكمة بالبعث والجزاء، ففي ترك القول بالبعث وصف بأن خلْقهما للعبث[7] والباطل ويؤدي إلى هذا، فيصير كأنهم قالوا ذلك وظنوا كذلك. فعلى هذا يحمل الأمر على الظن لا أن وجد منهم الظن في الحقيقة.

---

[1] ر – لا.
[2] ر م: على جميع.
[3] ر: وتفقتها؛ م: تفتنها.
[4] ر ث م: وذكر.
[5] سورة ص، ٢٧/٣٨.
[6] ر ث م – ولم يظن أحد من الكفرة أن السماء والأرض خلقنا باطلا.
[7] ر ن: للعب.

فكذلك إذا فعلوا فعل الفجور وكان فعلهم على الإرادة والاختيار، فكأنهم[١] أرادوا أن يفجروا أمامهم لا أن كانت الإرادة منهم متحققة لذلك مقصودا. وجائز أن يكون ذلك على تحقيق الإرادة، وذلك أن للشر والفجور سبلا من سلكها أفضت به[٢] إلى أن يستحق اسم الفجور، وللخير والهدى سبلا من سلكها أفضى به[٣] الأمر إلى أن يستحق اسم البِرّ والتقوى؛ فإنما صار إلى الفجور وإلى أنواع الشرور بسلوكه ذلك السبيل وصار مريدا من هذه الجهة.

ثم قوله: **أمامه**، يحتمل وجهين. أحدهما فيما بقي من عمره، لأنه يترك الاستهداء والاسترشاد ويمضي على العادة التي عوّد نفسه على ذلك من الشرور والضلال. ويحتمل أن يكون الأمام هو يومَ القيامة. ثم قال في موضع: وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا،[٤] فعدّ[٥] ذكر ذلك اليوم بالأمام والوراء جميعا، فيكون قوله: وَرَاءَهُمْ، أي وراء الأوقات التي خلت ومضت. فعلى اعتبار الإضافة إلى الأوقات الماضية يكون يوم القيامة وراءها، وعلى اعتبار الإضافة[٦] إلى ذلك الفاجر يكون أماما، لأنه يكون أمامَ هذا الفاجر، فلذلك استقام الوصف بالأمام والوراء جميعا. ثم ذَكَر الفجور ولم يذكر الكفر -وإن كان الإنسان الذي يريد أن يفجر أمامه كافرا- لأن في ذكر الفجور تعييرا وتشيينا،[٧] إذ هو اسم للتعيير خاصة وليس في نفس الكفر تعيير إذ كل أحد مؤمنا كان أو كافرا مؤمن بشيء كافر بشيء، فالكفر[٨] من حيث اسمُه لم يصر قبيحا بل معناه ما قَبُح فكان الفجور أبلغ في التعيير من الكفر فسمي به. ***والله أعلم.***

وقال أبو بكر [الأصم]: معنى قوله: **[بل] يريد [الإنسان] ليفجر أمامه**، أي يريد أن يعاين يوم القيامة ويعلم به أنه متى هو، تفسيره على إثره قوله[٩] عز وجل: يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ،[١٠] أي يريد أن يعلمه بسؤاله: متى هو؟ فأخبر أنها تقوم إذا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ.[١١] ***والله أعلم.***

---

[١] م: كانهم.
[٢] ر ث م - به.
[٣] ر م: بها.
[٤] سورة الإنسان، ٢٧/٧٦.
[٥] جميع النسخ: بعد. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٢و.
[٦] ث - إلى الأوقات الماضية يكون يوم القيامة وراءها وعلى اعتبار الإضافة.
[٧] جميع النسخ: تعيير وتشيين. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٢ظ.
[٨] جميع النسخ: فالكافر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] جميع النسخ: وقوله. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] الآية التالية.
[١١] من الآيتين ٧ و ٨ من هذه السورة.

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **يسأل أيان يوم القيامة**، سؤاله هذا سؤال تعنت واستهزاء لما ذكرنا أنه ليس في تعرف[١] وقت كونه مزجر ولا مَرْغَبٌ،[٢] وإنما يقع الزجر والرغبة بتذكير الأحوال التي تكون[٣] في ذلك اليوم، فلذلك ذكر الأحوال التي تكون في ذلك اليوم ولم يُوقِفهم[٤] على ذلك الوقت متى يكون، إذ ليس في معرفة وقته كثيرُ حكمة،[٥] فيجيبُهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجواب الحكماء لا أن يجيبهم بجواب مثلهم.

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **فإذا بَرِق البصر**، قيل دُهش[٦] وتحير. ثم اختُلف بعد هذا. فمنهم من صرف هذا إلى حالة الموت، ومنهم من ذكر أن هذه الأحوال تكون[٧] يوم القيامة. وإلى أي الحالين صرف التأويل فهو مستقيم، لأن المنكر بالبعث إذا جاءه[٨] بأس الله تعالى ورأى ما حل به من الأهوال[٩] أيقن[١٠] بالبعث وعلم به. ثم إن كان المراد به حالة الموت فقوله عز وجل: **فإذا برق البصر** وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ،[١١] يخرج على التمثيل ليس على التحقيق، لأن بصره إذا دهش وتحير صار بحيث لا ينتفع ببصر[١٢] وجهه ولا ببصر[١٣] قلبه، لا يرى ضوء القمر، فيصير القمر كالمنخسف وتصير[١٤] الشمس والقمر كالمجموعَين، ولا يرى ضوء الشمس ولا نور القمر، فيصير النهار عليه ليلا والليل نهارا شُغْلا بما حل به من البلايا والأهوال.

---

[١] ر: تعرفة.
[٢] جميع النسخ: مزجرا ولا مرغبا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٢ظ.
[٣] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] جميع النسخ: يكون في ذلك اليوم ولم يوقفهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر: حكمه.
[٦] ر: وهش.
[٧] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ن: إذا حده.
[٩] ر ن م: من الأحوال.
[١٠] ر: أتقن.
[١١] الآيتان التاليتان.
[١٢] ر: يبصر.
[١٣] ن ث م: ولا يبصر.
[١٤] جميع النسخ: ويصير.

وهو[١] كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه[٢] قال: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»،[٣] والآخرة جنة المؤمن وسجن الكافر. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه».[٤] فصرفوا تأويل هذين الخبرين إلى حالة الموت. وذلك أن الكافر يعاين في ذلك الوقت ما أُوعِد من الأهوال والشدائد، فكره مفارقة روحه من جسده لئلا يقع في تلك الأهوال والشدائد وتصير[٥] الدنيا له في ذلك الوقت كالجنة لا يحب مفارقتها. والمؤمن إذا عاين ما وعد له من البِشارات وأنواع الكرامات وذ الخروج من الدنيا ليصل إلى ما أُعِدّ له، فيصير الدنيا عليه كالسجن في ذلك الوقت، فيكون هذا كله على التمثيل من الوجه الذي ذكرنا. وإن كان ذلك على يوم القيامة فهو[٦] على تحقيق الخَسْفِ وجمْع الشمس والقمر.*

ثم قوله عز وجل: **فإذا برق البصر**، / قال بعضهم: إذا شَخَص البصر نحو الداعي يوم [٨٧١ظ] القيامة، وهو كقوله عز وجل: لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ،[٨] فيشخص[٩] ببصره إلى الداعي، لأنه قد علم أن الذي حل به من بأس الله تعالى هو لامتناعه عن الإجابة للداعي[١٠] في هذه الدنيا، فيتسارع يوم القيامة في إشخاص بصره إلى الداعي ابتدارا منه إلى إجابة الداعي.

﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **وخسَفَ القمر**، أي ذهب ضوءه ونوره. ففيه أن العالم في ذلك اليوم يغير ويبدّل، كقوله تعالى: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ،[١١] وقال: وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً،[١٢] وقال: يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا.[١٣]

---

[١] ر م: وهي.
[٢] ر ث م - أنه.
[٣] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٣٢٣؛ وصحيح *مسلم*، الزهد والرقائق ١؛ وسنن *ابن ماجة*، الزهد ٣.
[٤] مسند *أحمد بن حنبل*، ٢/٤٢٠؛ وصحيح *البخاري*، الرقاق ٤١؛ وصحيح *مسلم*، الذكر ١٤-١٨.
[٥] ر ن: ويصير.
[٦] ر م - فهو.
* ورد هنا قسم من تفسير الآية ١٥ متقدما عن موضعه فنقلناه إلى هنالك. انظر: ورقة ٨٧١و/سطر ٣٨-٣٩.
[٨] ﴿ولا تحسبَنّ الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٤٢).
[٩] ر ث م: فتشخص.
[١٠] ن + علم أن الذي حل به من بأس الله تعالى هو لامتناعه عن الإجابة.
[١١] سورة إبراهيم، ١٤/٤٨.
[١٢] سورة الكهف، ١٨/٤٧.
[١٣] ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نَسْفا فيذرها قاعا صفصفا﴾ (سورة طه، ٢٠/١٠٥-١٠٦).

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **وجمع الشمس والقمر**، ففيه أن سلطانهما يذهب فلا يعملان[١] عملهما بعد ذلك. ثم من الناس من زعم أنهما يُجمعان يوم القيامة كالبعيرين القريبين أو كالثورين القريبين، فيُلْقَيان[٢] في النار ويعذبان بها. وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما[٣] أنه أنكر هذا وقال: إنهما خَلْقان لله تعالى طائعان له عز وجل،[٤] ألا ترى إلى قوله تعالى: وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ،[٥] يَدْأَبَانِ في طاعة الله تعالى، ومن كان هذا[٦] وصفه فلا يجوز أن يعذب. وعندنا أن إلقائهما إن ثبت فهما[٧] يلقيان في النار ليعذَّب بهما غيرهما، وهم الذين عبدوهما من دون الله تعالى، وذلك كقوله عز وجل: إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ.[٨] الآية، ومعلوم بأن الأصنام التي عبدت من دون الله لا تعذب[٩] بالنار ولكنها تجعل[١٠] حصبا ونارا يعذب بها من عبدها.[١١] وقال الله تعالى: وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً،[١٢] ولا يجوز أن يكون الملائكة يمسهم أذى النار بل هم الذين يعذِّبون. فعلى ذلك الشمس والقمر إن ثبت أنهما يلقيان[١٣] في النار فهما يلقيان ليعذب بهما من عبدهما لا أن يعذبا بأنفسهما. ***والله أعلم.***

﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **يقول الإنسان يومئذ أين المفر**، فجائز أن يكون قوله **أين المفر**، على طلب الحيلة أن كيف أَحتالُ إلى أن أَفِرَّ وإلى من ألتجئ لِأُخَلَّص[١٤] من بأس الله وعذابه.

---

[١] ن: ولا يعملان.
[٢] ر: فيلقان، م: فيلقاك.
[٣] ر ن م: عنه.
[٤] قارن بما ورد في *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/٩٧.
[٥] سورة إبراهيم، ١٤/٣٣.
[٦] ن – هذا.
[٧] ن: فيهما.
[٨] سورة الأنبياء، ٢١/٩٨.
[٩] جميع النسخ: لا يعذب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٢ظ.
[١٠] جميع النسخ: يجعل. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ث: من عبدها.
[١٢] سورة المدثر، ٧٤/٣١.
[١٣] م: تلقيان.
[١٤] ن ث: لا يخلص.

ويحتمل أن يكون قوله: **أين المفر**، أي ليس لي[1] موضع فرارٍ عما حل بي، لإيقانه أن ليس له مفر. وجائز أن يكون هذا كله عند الموت على ما ذكرنا.

*وقوله عز وجل: **يقول الإنسان يومئذ أين المفر**، يحتمل أن يكون قوله عز وجل: **أين المفر**، أي ليس لي[2] موضع فرار عما حل بي، أو يقول: إلى أين أفر[3] وإلى من ألتجئ لأتخلّص من العذاب. *والله أعلم*.* [٨٧١و س٣٨ ... ٨٧١و س٣٩]

﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **كلا لا وزر**، ذكر أهل التأويل أن الوزر هو الجبل[5] بلغة حمير.[6] وذكر عن الحسن قال: كانت العرب يُخيف[7] بعضها بعضا[8] ويُغِير[9] بعضها على بعض،[10] فكان يكون الرجلان في ماشيتهما فلا يَشعُران حتى يَرَيا نواصيَ الخيل، فيقول أحدهما لصاحبه: الوزَرَ الوزَرَ يعني الجبل.[11] فكأنه يقول: ليس لهما إذ ذاك[12] تفرُّح ولا تَسَلٍّ[13] من الأحزان[14] كما يتسلى من يأوي إلى الجبل[15] في الدنيا عن بعض ما يحل به من الإفزاع. وقيل: الوزر[16] الملجأ.

---

[1] جميع النسخ: أي ليس في. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٣و.

[2] ن م - لي.

[3] ر م: المرفر.

* ورد ما بين النجمتين متقدما عن موضعه فأخرناه إلى هنا. انظر: ورقة ٨٧١و/ سطر ٣٨-٣٩.

[5] جميع النسخ: الخيل. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] الوَزَر: الجبل المنيع. وفي التنزيل العزيز ﴿كلا لا وزر﴾، قال أبو إسحاق: الوزر في كلا م العرب الجبل الذي يلتجأ إليه، هذا أصله (*لسان العرب*، «وزر»). عن الضحاك في قوله: ﴿لا وزر﴾ قال: لا وزر يعني الجبل بلغة حمير (*الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٣٤٦).

[7] ر: فإن كانت العرب يخيف.

[8] ث ن م + فكان.

[9] ر م: ويفر، ث: ويغتر.

[10] ر ث م: بعضها بعضا.

[11] عن الحسن في قوله: ﴿كلا لا وَزَرَ﴾ قال: كانت العرب يخيف بعضها بعضا، قال: كان الرجلان يكونان في ماشيتهما، فلا يشعران بشيء حتى تأتيهما الخيل، فيقول أحدهما لصاحبه: يا فلان! الوَزَرَ الوَزَرَ، الجَبَلَ الجَبَلَ (*تفسير الطبري*، ٢٩/٢٢٦).

[12] ر: إدراك.

[13] ر ث م: يفرح ولا يسلي؛ ن: تفرح ولا تسلي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٣و.

[14] ر ث: من الآخران.

[15] ر ث م: إلى الخيل.

[16] ر: الموزر.

﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾[١٢]

[وقوله تعالى: **إلى ربك يومئذ المستقر**، أي مستقرهم إلى ما كانوا يوعدون في الدنيا، كقوله: مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ،[١] أو إلى ما شاء ربك يومئذ مستقرهم. *والله أعلم*].[٢]

﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر**، فتأويله أنه يُنبّأ[٣] مِن أول ما عمل إلى آخر ما انتهى إليه عمله، كقوله: لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا،[٤] وقال بعض أهل التأويل: بما قدم من أنواع الطاعة وما أخر من حق الله تعالى من اللوازم التي كانت عليه. وقال بعضهم: بما أعلن وأسرّ،[٥] وقال بعضهم: بما قدم في حياته من أعمال وما أخر، أي[٦] ما سَنّ من سنة فاستُنّ بعد موته. وقد ذكرنا أنه باللطف[٧] من الله تعالى ما يَعلم بالذي قدم من الأعمال وأخرها، فيتذكر بذلك حتى يصيرَ ما كُتب في الكتاب حجة عليه، وإلا فالمرء في هذه الدنيا إذا كتب كتابا ثم أتت عليه مدة لم يتذكر جميع ما كتَب فيه[٨] ولا وقف على علم ذلك.

﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾[١٤] ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره**، هذا يخرج على وجهين. أحدهما جائز أن يكون أراد بهذا في الدنيا أن الإنسان بصير بعمل نفسه وإن جادل عنها أنه لم يفعل ذلك وأَسرّ[٩] ذلك عن الناس وإن ألقى معاذيره،[١٠] أي أرخى الستور بما كسبت نفسه، والمعذار هو السِتر. والوجه الثاني أن يكون في الآخرة وهو يحتمل وجهين.

---

[١] ﴿قال لا تختصموا لديّ وقد قدّمت إليكم بالوعيد ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد﴾ (سورة ق، ٥٠/٢٨-٢٩).

[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٠٣و.

[٣] ر: ينبؤا.

[٤] سورة الكهف، ١٨/٤٩.

[٥] ر: واستر.

[٦] ر ن م – أي.

[٧] ن: للطف.

[٨] ر: عليه.

[٩] ر: واستر.

[١٠] م + هذا يخرج على.

أحدهما أن الإنسان وإن كان يعتذر يوم القيامة، بقوله تعالى: وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[١] وقال: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ،[٢] فيُقدمون على الحلف اعتذارا منهم، على العلم منهم[٣] أنهم مبطلون في جدالهم. والثاني أن يكون معنى البصيرة الشاهدَ، أي إن الإنسان على نفسه شاهد يوم القيامة بسوء أفعاله وإن ألقى معاذيره أي وإن ستر على نفسه[٤] شهدتْ عليه جوارحه. وذلك نحو قوله تعالى: اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ،[٥] وقوله عز وجل: شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ،[٦] الآية.

فإن قيل:[٧] إن "الإنسان" مذكر كيف وصف بالبصيرة[٨] بلفظة التأنيث بقوله: **بل الإنسان على نفسه بصيرة**، ولم يقل: بصير.

فجوابه من أوجه. أحدها ما قيل: إن الإنسان تسمية جنس فيه الجماعة لا أن تكون[٩] تسمية للشخص الواحد فقط، ألا ترى إلى قوله: وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ،[١٠] استثنى الذين آمنوا من قوله: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، ولا يستثنى الجماعة من الواحد؛ وكذلك قوله عز وجل: / لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ [٨٧٢و] رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا،[١١] فاستثنى الذين آمنوا من الإنسان. فثبت أن الإنسان تسمية[١٢] جنس والجنس جماعة ويكون الجماعة مضمرةً فيه، كأنه قال: إن جماعة الناس على أنفسهم بصيرة، فيكون قوله: **بصيرة**، راجعا إلى الجماعة. ***والله أعلم***. وجواب ثانٍ[١٣] قوله: **بصيرة**، وصفٌ للإنسان بالغاية من البصر بكل ما عمل حتى لا يَعزُب عنه شيء،

---

[١] ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ (سورة الأنعام، ٢٣/٦).
[٢] سورة المجادلة، ١٨/٥٨.
[٣] ر م – على العلم منهم.
[٤] ر ث م – شاهد يوم القيامة بسوء أفعاله وإن ألقى معاذيره أي وأن ستر على نفسه.
[٥] سورة يس، ٦٥/٣٦.
[٦] سورة فصلت، ٢٠/٤١.
[٧] ر: فإن قال.
[٨] ن: بالبصير.
[٩] ر ث م: لا أن يكون.
[١٠] سورة العصر، ١/١٠٣-٣.
[١١] سورة التين، ٤/٩٥-٦.
[١٢] ث: يسميه.
[١٣] ن: ثاني.

والهاء قد تدخل[1] في خطاب المذكر عند الوصف بالمبالغة كقولك: فلان علّامة ونسابة وراوية للشعر وبالغة في النحو. والثالث أن الإنسان تسمية ما تراه[2] بجوارحه[3] كلها من الأيدي والأرجل والسمع والبصر والرأس وغير ذلك و[فيها][4] نفس أمارة بالسوء، فتصير[5] جوارحه كلها بصيرة أي شاهدة عليه بما قدم وأخر. وجائز أن يكون هذا على الإضمار فيكون قوله: **بل الإنسان على نفسه بصيرة**، أي نفس الإنسان بصيرة بما عملت.

ثم من الناس من يثبت للجوارح العلم بما كسبت نفسه حتى تصير[6] شاهدةً عليه يوم القيامة، بقوله: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ،[7] ولو لم يكن لها العلم بما قدمت نفسه لكانت لا تشهد بما لا تعلم. وليس الأمر عندنا على ما زعموا، لأنها لو علمت بذلك لكان صاحبها يصل إلى العلم من جهتها، ألا ترى أن القلب لما ثبت له المعرفة وقع لصاحبه العلم من جهته،[8] وكذلك السمع لما جعل فيه السمع وقع لصاحبه علم المسموع به، ولما كان بعينه يُبصر الأشياء كان علم البصر واقعا من جهتها. فلما لم يقع له العلم بيديه ولا برجليه ولا بشيء من جوارحه سوى القلب عُلم أنه لا حظ لها في المعرفة. ولكن جعلت هي شاهدة وحجة يوم القيامة تشهد[9] على صاحبها بما يحدث الله تعالى فيها علما ضروريا بذلك لا أن كان لها علم بالذي شهدت قبل ذلك، كما جعلت نَطوقةً[10] في ذلك الوقت لا أن كان النطق فيها موجودا من قبل. *والله أعلم*.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **لا تحرك به لسانك لتعجل به**، هذا كلام مبتدأ منفصل عن الأول. وذكر أهل التأويل أن جبريل عليه الصلاة والسلام كان إذا أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم بالوحي

---

[1] جميع النسخ: قد يدخل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٢و.
[2] جميع النسخ: ما يراه.
[3] ر ن: بخوارجه.
[4] الزيادة من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: فيصير.
[6] ن: يصير.
[7] سورة النور، ٢٤/٢٤.
[8] ث م: من جهة.
[9] ن: يشهد.
[10] ر م: نطقه.

فكان لا يفرغ[١] من آخر الآية حتى يعود[٢] نبي الله عليه الصلاة والسلام في أولها مخافة النسيان؛ على ما عليه عرف الخلق أنهم إذا أرادوا وعي[٣] الكلام وحفظه كرروه[٤] بألسنتهم كي يضبطوه[٥] ولا يَنْسَوْه.[٦] فكان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل كذلك[٧] خشية النسيان، فنهي عن ذلك بقوله: **لا تحرك به لسانك لتعجل به**، وهو كقوله: وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ.[٨] وهذا عندنا مما[٩] لا يجوز أن نشهد[١٠] على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يحرك لسانه قبل مجيء هذه الآية ويستذكره[١١] مخافة النسيان إلا بأخبار متواترة، لأن هذا في حق الشهادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم [ليس في حق العمل، ولا يسوغ لأحد الشهادة على رسول الله][١٢] أنه كان يفعل كذلك إلا بتواتر الأخبار، فأما إن ثبت بخبر واحد فلا. ولا يقال بأنه لو لم يتقدم منه التحريك لكان لا معنى للنهي، فإنه ليس فيه ما يُثبت مقالتهم ويصحّح تأويلهم ويُسوّغ لهم الشهادة؛ لأنه يستقيم في الابتداء أن ينهي فيقالَ: لا تحرك به لسانك ولا تفعل كذا، وإن لم يسبق منه ارتكاب ذلك الفعل ولا تَقدم[١٣] منه تحريك لسان. فثبت أنه ليس في ضمن هذه الآية بيان ما ادَّعَوا. هذا إذا ثبت أن قوله: **لا تحرك به لسانك**، وقوله: وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ،[١٤] على النهي. فكيف وهو يحتمل معنى آخر غير النهي وهو أن يكون هذا على البشارة له بالكفاية، أن[١٥] قد كُفيتَ مئونة[١٦] الاستذكار للتحفظ.

---

[١] ر: لا يفزع؛ ن: ما يفرغ.
[٢] جميع النسخ: حتى يقول. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٢ظ.
[٣] ر: دعي.
[٤] جميع النسخ: كرروها. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] جميع النسخ: يضبطوها. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] جميع النسخ: ولا ينسوها. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر ث م: ذلك.
[٨] سورة طه، ١١٤/٢٠.
[٩] ن – مما.
[١٠] ر ث ن: أن يشهد.
[١١] ر ث م: ويتذكره؛ ن: وسنذكره. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] الزيادة من المرجع السابق.
[١٣] ن: ولا يتقدم.
[١٤] سورة طه، ١١٤/٢٠.
[١٥] ن م: إذ.
[١٦] ن: معونة.

وهذا من عظيم آيات الرسالة أن السورة تلقَى عليه فيحفظها كما هي مما يشتد على الناس حفظه وقراءته إلا أن يتكلفوا ويجتهدوا في ذلك. فيعلم بهذا أن الله عز وجل هو الذي أقدره على ذلك وجعله آية من آياته. *والله أعلم*.

ثم الأصل أن من ألقى إلى آخر كلاما متتابعا نظر في ذلك الكلام، فإن كان القصد منه تحفظ عين الكلام فإن المخاطب به[1] لا ينتظر فراغ المتكلم عن ذلك الكلام بل يشتغل بالْتِقَانِه في أول ما يسمع[2] وتحفّظه[3] ساعةَ ما يُلقَى إليه، كما يُنشَد بين يدي آخر شعر وأراد الآخر أن يحفظ ذلك الشعر ويَعِيَه،[4] فهو لا ينتظر فراغ المنشد[5] عن شعره بل هو يأخذ بالتقانه في أول ما يسمع منه، إذ الغرض من الأشعار حفظ أعينها دون معانيها، ألا ترى أن الألفاظ إذا حذفت منها [حرف][6] خرجت عن أن تكون[7] شعرا. وأما إذا لم يكن القصد من الكلام ضبط عينه وإنما أريد به تفهم[8] ما أودع فيه من المعنى فالعادة في مثله الإصغاء إلى آخر الكلام[9] ليفهم معناه وما يراد به. ألا ترى أن من كتب إلى آخر كتابا فإن المكتوب إليه يقرأ الكتاب من أوله إلى آخره ليعرف مراد الكاتب[10] لا أن يشتغل[11] بضبط ما أودع فيه من الألفاظ، إذ ليس يُقصَد بالكتابة إلى حفظ الألفاظ، فإذًا كان المراد يتوجه من الكلام إلى ما ذكرنا. ثم القرآن قصد به الوجهان جميعا: [٨٧٢ظ] ضبط حروفه ونظمه / وتعرف[12] ما أُودع فيه من المعاني، إذ صار حجة بنظمه ولفظه وبالمعاني المودعة فيه. فقيل: لا تعجل بتحريك اللسان كما يفعل من يريد الْتِقان الكلام الذي يلقى إليه، فإنك[13] وإن أحوجت إلى حفظ نظمه وحروفه فقد كُفِيتَ[14] حفظه بدون تحريك اللسان.

---

[1] م – به.
[2] ر ث م – في أول ما يسمع.
[3] ن: ويحفظه.
[4] ر م: وبعثه.
[5] ث: المفسد.
[6] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٠٢ظ.
[7] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[8] ر ث م: يفهم؛ ن: تفهيم. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ث – ضبط عينه وإنما أريد به تفهم ما أودع فيه من المعنى فالعادة في مثله الإصغاء إلى آخر الكلام.
[10] جميع النسخ: الكتاب. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ن + لا أن يشتغل.
[12] جميع النسخ: ويعرف. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن: التي يلقى إليه وإنك.
[14] ن + نظمه.

وجائز أن يكون نُهي عن تحريك اللسان والمبادرة إلى حفظه قبل أن يُقضَى إليه بالوحي لما فيه من ترك التعظيم لمن[١] يأتيه بالوحي، فأمر[٢] أن يصغي إليه سَمْعه ويستمع إلى آخره تعظيما للذي أتاه[٣] بالوحي[٤] وتوقيرًا له.

ثم هذه الآية تنقض[٥] على الباطنية قولهم، لأن من قولهم أن القرآن لم يُنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤلّفا منظوما بل أنزل على قلبه كالخيال، فصوره بقلبه وألفه بلسانه فأتى بتأليف عجز الآخرون عن أن يألفوا مثله.

ونحن نقول: بل أنزل هذا القرآن مؤلفا منظوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن التأليف من فعله. والذي يدل على صحة مقالتنا قوله تعالى: **لا تحرك به لسانك**، لأن التأليف لو كان من فعله عليه السلام لكان لا يوجد منه تحريك اللسان وقت ما نزل عليه، لأنه إذا كان كالخيال فهو يحتاج إلى أن يصوره في قلبه ثم يصل إلى التأليف بعد التصوير ويتأتّى[٦] له العبارة باللسان، وإنما يقع التحريك من مؤلف منظوم. ثبت أنه أُنزل[٧] هكذا[٨] مؤلفا منظوما. والثاني أنه قال: وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ،[٩] فهذه الآية نفت طعن[١٠] أولئك الكفرة الذين زعموا[١١] أن هذا ليس[١٢] بقرآن بل إنما علّمه فلان. وكان لسان ذلك البشر أعجميا وهذا القرآن عربي، فكيف يستقيم أن يعلمه ذلك البشر ولسانه غير هذا اللسان؟ ولو كان هذا القرآن وقت ما أنزل كالخيال لكان ذلك الطعن قائما، لأنه كان يؤلفه ويجمعه باللسان العربي وإن عَلِم بالأعجمية لما قدر أن يؤلفه وينظمه بعد أن كان خيالا باللسان العربي.

---

[١] ر: العظيم بمن؛ ث م: بمن.
[٢] ث + إليه.
[٣] ر ث م: أتاها.
[٤] ر ث م: لوحي.
[٥] ر: تنقض.
[٦] ث م: ويأتي.
[٧] ر ن م: نزل.
[٨] جميع النسخ: هذا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٤و.
[٩] سورة النحل، ١٦/١٠٣.
[١٠] ن: يعتطعن.
[١١] ر ث م: يزعمون.
[١٢] ث – ليس.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[١٧]

وقوله عز وجل: **إن علينا جمعه وقرآنه**، فقوله: **علينا**، يخرج على أوجه ثلاثة. أحدها: إن علينا في حق الوعد جَمْعَه وقرآنَه،[١] لأنه قد سبق منا الوعد في الكتب المتقدمة بإنزال هذا القرآن وإرسال هذا الرسول، فعلينا إنجاز ذلك الوعد ووفاؤه؛ أو علينا في حق الحكمة جمعه،[٢] لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بتبليغ الرسالة ولا يتهيأ له ذلك إلا بعد أن يُجمع له فيؤديه إلى[٣] الخلق. ولأن الله تعالى حكيم في فعله، وفعله موصوف بالحكمة وإن لم نعرف نحن وجه الحكمة في فعله.[٤] وجائز أن يكون قوله: **إن علينا جمعه**، في حق الرحمة والرأفة على الخلق لا أن يكون ذلك حقا لهم قِبَله تعالى، وهو كقوله تعالى: وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ -إلى قوله- إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ،[٥] فأخبر أنه أبقى القرآن ولم يَذهب به رحمة منه على عباده وفضلا. وقوله عز وجل: **وقرآنه**، أي قراءته[٦] وتسميته قرآنا، كما قيل: في تأويل قوله: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ،[٧] أي جعلناه فرقانا.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **فإذا قرأناه فاتبع قرآنه**، أي جمعناه في قلبك، أو جمعنا حدوده وما أودع فيه من المعاني، أو جمعناه بعد أن فرقناه في التنزيل. وقوله تعالى: **فاتبع قرآنه**، اتباعه يكون بأوجه في أن يبلّغه إلى الخلق ويعلّم أمته ويتبع حلاله ويجتنب حرامه وغير ذلك.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[١٩]

وقوله: **ثم إن علينا بيانه**، جائز أن يكون قوله: **علينا بيانَه**، أي بيانَ ما أنزلناه[٨] إليك مجملا. فيكون بيانه في تعريف ما هو بحق الإتمام وما هو في حق الجواز وما هو في حق التحسين والتزيين،

---

[١] ر ث م – فقوله علينا يخرج على أوجه ثلاثة أحدها أن علينا في حق الوعد جمعه وقرآنه.

[٢] ر ث م – جمعه.

[٣] ر ث م – إلى.

[٤] ن – وفعله موصوف بالحكمة وإن لم نعرف نحن وجه الحكمة في فعله.

[٥] ﴿ولئن شِئْنا لنذهبنّ بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا إلا رحمةً من ربك إن فضله كان عليك كبيرا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٨٦-٨٧).

[٦] ر: أي قرابة.

[٧] ﴿وقرآنا فرَقْناه لتقرأه على الناس على مُكْث ونزلناه تنزيلا﴾ (سورة الإسراء، ١٨/١٠٦).

[٨] ر م: ما أنزلنا.

لأن الفرائض لها شعب وأركان وحواشٍ،[١] أو نقول: فيها فرائض ولوازم وآداب وأركان. [فإن كان][٢] على هذا ففيه منع تعليق الحكم بظاهر المخرج، لأنه لو كان متعلقا به لكان البيان منقضيا[٣] بنفس المُنْزَل، فلا يُحتاج إلى أن يبيّن، وفيه دلالة تأخير البيان عن وقت قرع[٤] الخطاب السمعَ. ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **علينا بيانه**، أي بيان ما هو بحق الكِيانات[٥] والنتائج[٦] منها، وما هو بحق الأصول والفروع، وما هو بحق المقصود. فيبيّن[٧] لرسوله عليه السلام معنى الأصول والكِيانات[٨] لِيَتَعرَّف به فروعها ونتائجها ويبين[٩] لمن بعده ممن جاهد في الله حق جهاده ويهديه، لذلك قال الله تعالى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا.[١٠] أو يكون قوله: **ثم إن علينا بيانه**، في أن نحفظك ونعصمك[١١] من الناس لتتمكن[١٢] من تبليغ ما أنزل إليك إلى الخلق وتبين لهم. *والله أعلم*.

ووجه آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى كل من كان شاهدا من الخلائق [ومن كان منهم غائبا من الإنس والجن إلى كل من يَحْدُث من الخلائق][١٣] إلى يوم التَّنادي[١٤] ثم لم يمكن من تبليغ الرسالة إلى كل أحد مما ذكرنا بنفسه، فكأنه ضَمِن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التبليغ إلى الخلائق كافةً بما شاء جل جلاله: إما بتسخير[١٥] الرواة والحفاظ والعلماء ليبلِّغوا[١٦] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أُدِّي إليهم، أو يكون قوله:

---

[١] ن: وحواسي.
[٢] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٠٤و.
[٣] ن: مقتضيا.
[٤] جميع النسخ: وقوع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ث م: الكنايات.
[٦] ن: والتبالج.
[٧] جميع النسخ: فتبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] ر ث م: والكنايات.
[٩] ن: وتبين.
[١٠] سورة العنكبوت، ٢٩/٦٩.
[١١] جميع النسخ: في أن يحفظك ويعصمك. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر ث م: ليمكن؛ ن: لتمكن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٤ظ.
[١٣] الزيادة من المرجع السابق.
[١٤] جميع النسخ: التناد. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٥] جميع النسخ: إما تسخير. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٦] ر م: لتبلغوا.

ثم إن علينا بيانه، أي بيانَ المحق من المبطل والولي من العدو، وذلك يكون يوم القيامة، فيعرف الأولياء بما يُحَيَّوْنَ من الكرامات ويَتبيَّن[1] الأعداء والمبطلون بما يحل[2] بهم من الحساب وأنواع العذاب.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾[٢٠] ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾[٢١]

[٨٧٣و] وقوله عز وجل: **كلا / بل تحبون العاجلة**، فقوله: **كلا**، ردع ومنع عما سبق منهم. وفي قوله: **بل تحبون العاجلة**، إبانة أن الذي حملهم على ما هم فيه من الحُسبان أن العِظام لا يُجمع وأن البعث ليس بشيء [إزاء] حبِّهم العاجلةَ. وذلك أنهم أُولعوا بالعاجلة وأحبوها حبا أنساهم عن الإيمان بالآخرة أو عن النظر في الحجج والبراهين التي لو أمعنوا النظر فيها أدّتهم إلى القول بالبعث، وحتى صاروا إلى أن لا يرجوا الآخرة، كقوله: إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا.[3] الآية.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾[٢٢] ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٢٣] ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾[٢٤] ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة**. ففيه بيان ما ينتهي إليه عواقب من التزم طاعة الله تعالى وآمن بالبعث والحساب وبيانُ ما ينتهي إليه عواقب من تولى عن طاعته. فقوله: **وجوه يومئذ ناضرة**، جائز أن يكون أريد بها نفس الوجوه، وجائز أن يكون أريد بها الأنفس وتكون[4] الوجوه كناية عنها. والذي يدل على أنه أريد بها الأنفس لا أعينها قوله: **ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة**. والوجوه لا تظن ذلك ولا تعلم[5] به، فثبت أن ذكر الوجوه على الكناية لا أن أريد بها أعينها. فهذا التأويل [أملك، والتأويل الأول][6] أوفق بما يقتضيه ظاهر اللفظ. وإنما صلح أن تكون[7] الوجوه كناية عن الأنفس وذلك أن النفس إذا تلذذت بأمر ونالت شهوتها ظهر سرور ذلك في وجهه.

---

[1] ر م: ويبين؛ ن: وتبيين.

[2] جميع النسخ: ما يحل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٤ظ.

[3] ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾ (سورة يونس، ١٠/٧-٨).

[4] جميع النسخ: ويكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] جميع النسخ: لا يظن ذلك ولا يعلم. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] الزيادة من المرجع السابق.

[7] جميع النسخ: أن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

وإذا تألمت بأمر واعتراها الحزن ظهر أثر الحزن في وجهه. فيكون في قوله: **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**، وصف لهم[1] بما هم عليه من غاية السرور بالكرامات التي أُكرموا بها حتى نَضِرت وجوههم بذلك. وإذا ثبت أنهم قد نالوا الكرامات ووصلوا[2] إلى أنواع اللذات لم يبق لقوله: **إلى ربها ناظرة**، موضع إلا أن يصرف إلى حقيقة النظر، فيكون في هذا إثبات القول بالرؤية. والثاني أن الملوك الذين من عادتهم الاحتجابُ عن الخلق إذا قرّبوا إنسانا لم يحتجبوا عنه، ويكون تركه[3] الاحتجاب آثَرَ إلى ذلك الذي أكرمه[4] بالتقريب من سائر ما يكرمه به. فجائز أن يكون الله تعالى يكرم أولياءه بالنظر إليه ويتفضل عليهم بذلك.

وجائز أن يكون قوله: **إلى ربها ناظرة**، منصرفا إلى انتظار الثواب كما قال بعض أهل التأويل: فينتظر ما يأتيها من التحف والكرامات [من عند ربها لأنهم وإن أُعْطُوا الكرامات][5] حين وُصفوا[6] بنضارة الوجوه فجائز أن تكون بعد تلك الكرامات كرامات[7] وتُحَفٌ أُخَرُ لم تأتهم[8] بعد. ألا ترى إلى قوله: **ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة**، والبُسور من أدنى أحوال التغير، وغاية التغير أن تَسوّد[9] الوجوه وتَكْلَح،[10] فإذا لم يَحُلّ بهؤلاء بَعْدُ غايةُ ما أُوعدوا من العذاب فجائز أن يكون الذين وعد لهم الكرامات بعدُ لم ينتهوا إلى أقصاها ولم ينالوا بعدُ أرفعَها، وإنما أُكرموا ببعضها وهم منتظرون لما يأتيهم من بعد. وجائز أن يكون قوله: **إلى ربها ناظرة**، أي يُجعل[11] نظرها -فيما أكرمت- إلى الله تعالى ولا يُرى ذلك الفضل مستوجَبا من جهتها، كما[12] قد يرى المرء في الشاهد بعضَ ما خُوّل[13] من المال بِحِيَله وسعيه. ***والله أعلم***.

---

[1] ن: وصفهم.
[2] ن: وقد وصلوا.
[3] ر: بركة.
[4] جميع النسخ: أكرم.
[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٠٤ظ.
[6] جميع النسخ: حين وصفوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ن – حتى وصفوا بنضارة الوجوه فجائز أن تكون بعد تلك الكرامات كرامات.
[8] جميع النسخ: لم يأتهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ن: أن يسود.
[10] جميع النسخ: ويكلح. والتصحيح من المرجع السابق.
[11] ر م: يجعلها.
[12] ن: أنها.
[13] ث: حول.

وجائز أن يكون قوله: **إلى ربها ناظرة**، إنباء[1] أن ليس كل الكرامات في نفسه خاصة وإلى ما ينتهي إليه نظره،[2] بل يكون[3] وراءَ[4] ذلك كراماتٌ[5] أخرُ، فينصرف قوله: **إلى ربها ناظرة**، إلى ذلك. ويحتمل أي إلى أمر ربها ناظرة. وإذا كان قوله: **إلى ربها ناظرة**، محتملا أن يصرف إلى حقيقة النظر ويصرفَ إلى الكرامات من الوجوه التي بيناها[6] لم يكن لأحد أن يجعل الأمر على الكرامات وينفيَ عنه حقيقة الرؤية إلا بدلائل ظاهرةٍ[7] يُحيل القول بالرؤية فيدفع هذا التأويل بتلك الدلائل. فأما إذا لم يمكنه إقامة الدلائل على إحالة الرؤية فليس له قطع هذا التأويل وصرف التأويل إلى انتظار الكرامات، فتكون[8] الآية حجة في جواز الرؤية إن لم تكن[9] حجة في الوجوب[10] والخلاف فيهما واحد.

واحتج من نفى[11] صرف التأويل إلى حقيقة الرؤية أن قوله: **وجوه يومئذ باسرة**، هو مقابل قوله: **وجوه يومئذ ناضرة**، وقوله: **تظن أن يفعل بها فاقرة**، مقابل قوله: **إلى ربها ناظرة**؛ ثم لم يكن قوله: **تظن أن يفعل بها فاقرة**،[12] على فقد الرؤية ولكن على العقاب نفسِه، فكذلك قوله: **إلى ربها ناظرة**، ليس هو على حقيقة الرؤية ووجودها ولكن واقع على الثواب نفسه.

وجواب هذا الفصل[13] من وجهين. أحدهما أن أهل العقاب بعدُ لم يَنزِل بهم جميع ما أُوعدوا في هذه الدنيا من العقاب لما ذكرنا أن نهاية العذاب في تَسوّد الوجوه وتكلّحها[14] ليس في بُسورها، فلذلك استقام أن يكون قوله: **تَظن أن يُفْعل بها فاقرة**، على نفس العذاب.

---

[1] ر: أناء؛ ن – إنباء.
[2] ر: نظرة.
[3] ر + قد.
[4] ر م – وراء.
[5] ر م + بل.
[6] ث م: بينها.
[7] جميع النسخ: فينفي عنه حقيقة الرؤية للابد لا بل ظاهره. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٤ظ.
[8] جميع النسخ: فيكون.
[9] ر ن م: وإن لم يكن؛ ث: إن لم يكن.
[10] ر ث م: في الوجوه.
[11] ر م – نفى.
[12] ر ث م – مقابل قوله إلى ربها ناظرة ثم لم يكن قوله تظن أن يفعل بها فاقرة.
[13] ر: الفضل.
[14] ن: ويكلحها.

وأهل الجنة قد وصلوا إلى رفيع الدرجات وعظيم الكرامات بما وُصفوا بنضارة الوجوه، فاستقام أن يكون قوله: **إلى ربها ناظرة**، منصرفا إلى حقيقة النظر لا إلى غيره من الكرامات. و[الثاني] لأن الرؤية من أعلى الكرامات / وأرفعها، وأهل العقاب لم ينالوا أدنى الكرامات [٨٧٣ظ] فكيف يتوقعون أرفعها؛ [و]أما أهل الجنة فهم قد نالوا من النعم والكرامات ما لا يحصى، فجائز أن يُكرَموا بالرؤية[1] أيضا.

والأصل أن القول بالرؤية عندنا واجب والنظر إليه ثابت، كما قال عز وجل: وَلَمَّا جَاءَ، في غير خبر النظر إلى الله تعالى.[2] وقد قال عليه السلام: «إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تُضَامُون[3] في رؤيته».[4] وأهل التوحيد لم يختلفوا[5] في صحة الأخبار التي جاءت في إثبات الرؤية. ولكن من نفى الرؤية بالبصر صرف الأخبار إلى العلم، وذلك غير مستقيم لوجهين. أحدهما أن البِشارة بالرؤية خُصّ بها أهل الجنة ولو كان المراد من الرؤية العلمَ لارتفع الاختصاص؛ لأن العلم به[6] مما يقع به الاشتراك بين الفريقين؛ ولأن كلا يُجمع على العلم بالله تعالى في الآخرة العلمِ الذي لا يعتريه[7] الوسواس ولا الرِّيَب. والعلم[8] الذي لا يعتريه[9] الوسواس والريب هو علم العيان والمشاهدة لا علم الاستدلال، لأن الآيات لا تضطر[10] أهلَها إلى العلم[11] الحقيقي،[12] ألا ترى إلى قوله: وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى،[13]

---

[1] ر – من أعلى الكرامات وأرفعها وأهل العقاب لم ينالوا أدنى الكرامات فكيف يتوقعون أرفعها وأما أهل الجنة فهم قد نالوا من النعم والكرامات ما لا يحصى فجائز أن يكرموا بالرؤية.

[2] أي كما أخبر الله تعالى في غير آي من القرآن مجيء بعض الأمور في المستقبل، وقد تحققت هذه الأمور كلها. وستتحقق رؤية الله في يوم القيامة. انظر: *المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم*، لمحمد فؤاد عبد الباقي، «لما جاء».

[3] ر: لا يضادون، ن: لا يصارون، ث: لا يضارون؛ م: لا يصادون.

[4] *مسند أحمد بن حنبل*، ١٦/٣؛ و*صحيح البخاري*، التوحيد ٢٤؛ و*سنن الترمذي*، صفة الجنة ١٧.

[5] ث م: لم يتخلفوا.

[6] ر ث م – به.

[7] ر ن م: لا يعتر به.

[8] ث: ولا العلم.

[9] ر: لا يعتر به.

[10] جميع النسخ: لا يضطر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٥و.

[11] ر م – العلم.

[12] ر: الحقيق.

[13] ﴿ولو أننا نَزّلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كلّ شيء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾ (سورة الأنعام، ١١١/٦).

وقال: ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ،[1] وقال: يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ [أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ].[2] فإذا ثبت ما ذكرنا فقد صاروا مثبتين للرؤية من الوجه الذي أرادوا نفيها.[3] فنثبت[4] الرؤية على نفي جميع معاني الشبه عن الله تعالى، ولا نصف الرؤية بالكيفية إذ الكيفية يكون لِذِي[5] صورة وهو يُرَى بلا كيف. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **تظن أن يفعل بها فاقرة**، فجائز أن يكون الظن في موضع العلم هاهنا. وجائز أن يكون على حقيقة الظن. وذلك أن الظن يتولد من ظواهر الأشياء، فالأسباب إذا كثرت وازدحمت وقع بها العلم وإذا قلت[6] وخَفيت لم يقع بها علم. فجائز أن يكون أسباب الشر أحاطت به من كل جانب حتى وقع له[7] اليأس[8] من النجاة وأيقن أنه يُفعَل به الشر. وجائز أن يكون الأمر[9] بعدُ لم يبلغ مبلغ الإياس فيتوقع النجاة ولا يتيقن أن يُفعل بها فاقرة بل يكون منه على ظن. *والله أعلم*. والفاقرة، قيل: الشر والمنكر والداهية. وقيل: الفقير هي كسير الظهر، والفقر الكسر، والفَقَار عَظْم في الظهر يُكْسَر. فكان عظم الظهر يكسر في الآخرة ويُسحَب في النار على وجهه.

{قال رحمه الله:} كان هذه السورة من أولها إلى آخرها إلا آياتٍ منها -وهي[10] قوله: [كَلَّا] بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ-[11] نزلت[12] في تبيين معاملةِ واحد[13] من الكفرة على الإشارة إليه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

[1] ﴿...انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ (سورة الأنعام، ٦/٢٣-٢٤).
[2] سورة المجادلة، ٥٨/١٨.
[3] ر: ففيها.
[4] ر م: فيثبت؛ ن: فثبت.
[5] م: الذي.
[6] ن: وإن أقلت.
[7] ر م - له.
[8] م: البأس.
[9] ر ث م: الأمن.
[10] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٥و.
[11] الآيات ٢٠-٢٤ من هذه السورة.
[12] ث - نزلت.
[13] ر ث م: أحد.

لِيُشْرَكَ في حكمه من شاركه في معاملته.[١] فأمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يعامله ويستقبله بالذي يَحِقّ على الحكماء معاملةَ السفهاء ولم يأمره أن يعامله معاملة[٢] مثله من السفهاء.[٣] وبين معاملته في هذه السورة ليُعْلِم أمته ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجهد والبلاء في إظهار دين الله تعالى فيعلموا قدره ومنزلته ويعظّموا دين الله تعالى بما نالوه سمحا سَهْلا، وأمره أن يعامله[٤] معاملة من يرجع إلى الْمَنَعة والشوكة[٥] بقوله: أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى.[٦] *والله أعلم*.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **كلا إذا بلغت التراقي**، فقوله: **كلا**، يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون أريد به "حقا"، ويحتمل أن يكون على الردع والرد، أي لا تفعل[٧] مثل هذا فإنك ستندم[٨] في الوقت الذي قال:[٩] **إذا بلغت التراقي**. كأنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت ندمه فبين لهم ذلك بقوله تعالى: **إذا بلغت التراقي**. التراقي[١٠] هي عروق العنق، كأنه يقول: حين نزول[١١] النفس أي[١٢] الروحِ عن مكانها[١٣] وينتهي إلى التراقي.

﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **وقيل من راق**، فجائز أن يكون الملائكة هم الذين يقولون هذا. فيقول[١٤] بعضهم: من يَرْقَى بروحه: أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ مِن رَقِيَ[١٥] يَرْقَى أي صعد؛

---

[١] جميع النسخ: يشترك في حكم (ن: في حكمة) من يشاركه في معاملته. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٥و.
[٢] ر ث م – معاملة.
[٣] ث + ولم يأمره أن يعامله مثله من السفهاء.
[٤] جميع النسخ: أن يعامل معه. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر ن م: والشركة.
[٦] الآيتان ٣٤ و ٣٥ من هذه السورة.
[٧] ن: لا يفعل.
[٨] م: سيندم.
[٩] ن – قال.
[١٠] ر – التراقي.
[١١] ن: يزول.
[١٢] ر – أي.
[١٣] ر: عن حكايتها.
[١٤] ن: فبقول.
[١٥] م: من راق.

أو مَن يقبض روحه؟ ويحتمل أن يكون يقول[1] أهله:[2] من الذي يَرقيه رقية[3] فَيُشفَى. فيكون فيه أخبار عما حل به من الضعف والشدة، إنه يمتنع عن أن يقول: أُدعوا لي راقيا[4] لعلي أُشفَى، فيكون أهله هم الذين يقولون هذا فيما بينهم.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **وظن أنه الفراق**، فجائز أن يكون الظن على الإيقان هاهنا لما وقع له اليأس[5] من الحياة –وكذا[6] روي في قراءة ابن عباس رضي الله عنه– وأيقن أنه الفراق.[7] وجائز أن يكون على حقيقة الظن لما لم يقع له الإياس من حياته بعد فهو يأملها بعدُ.

﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **والتفت الساق بالساق**، اختلفوا في تأويله. قيل: لُفَّت ساقاه أحدهما على الأخرى فلا تفترقان[8] كالتفاف[9] الأشجار حتى لا يجدَ نفاذا[10] فيها ولا هربا. وقيل: إن ساقيه في القيامة[11] لَتَضْعُف عن حمل [نفسه][12] من شدة الفزع. / وقيل: أريد بالساق الشدة، [٨٧٤و] يقال: قامت الحرب على ساق، أي على شدة؛ أي وصلت شدة الموت بشدة الآخرة واجتمعت شدة الدنيا مع شدة الآخرة عليه، لأنه قد حل به سَكَرات الموت ونزلت به شدائد الآخرة، وذلك آخر يومه من الدنيا وأولُ يومه من الآخرة. وقيل: ما من ميت يموت إلا التفَّت ساقاه من شدة ما يقاسي من الموت. وقال بعضهم: **والتفت الساق بالساق**، معناه أن الملائكة يجهّزون روحه وبني آدم يجهزون بدنه، فذلك التفاف الساق بالساق.

---

[1] ن – يقول.
[2] ث + مكة.
[3] ر م – رقية.
[4] ر: دافيا.
[5] م: البأس.
[6] ر م: وكذلك.
[7] انظر: *الدر المنثور* للسيوطي، ٨/٣٦٢.
[8] جميع النسخ: فلا يفترقان. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٥ظ.
[9] ر: كالتفاق؛ م: كلتفان.
[10] ث + في الآخر.
[11] ر: إن ساقيه القيامة.
[12] ر: عن حمل؛ ن ث م: عن حمله. والزيادة من المرجع السابق.

﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **إلى ربك يومئذ المساق**، أي إلى ما وعد[١] ربك يومئذ يساق:[٢] إما إلى خير وإما إلى شر.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **فلا صدق**، أي فلا صدق بما جاء من عند الله تعالى من الأخبار ولا صدق رسوله صلى الله عليه وسلم. **ولا صلى**، يحتمل أن يكون أريد به نفس الصلاة، وذلك أن الصلاة حُبّبت إلى الأنفس كلها حتى لا ترى أهل دين إلا وقد حُببت الصلاة إليهم، فيكون في قوله: **فلا صدق ولا صلى**، إبانة سفهه وجهله. أو يكون قوله: **ولا صلى**، أي ولا أتى بالمعنى الذي له الصلاة وهو الاستسلام والانقياد لله تعالى.

﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **ولكن كذب وتولى**، أي ولكن كذب بالأخبار التي جاء بها،[٣] **وتولى**، أي أعرض عن طاعة الله تعالى.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **ثم ذهب إلى أهله يتمطى**، أي يتبختر ويتكبر.[٤] وذلك أن الاختيال[٥] والتكبر إنما يليق بمن أتى بفعل عظيم يعجز غيره عن إتيان مثله نحوَ أن يَهزِم جندا عظيما أو يفتح كُورة حصينة، وهذا الذي تمطّى لم يفعل سوى أن كذّب بآيات الله تعالى وأعرض عن طاعته، وما هذا إلا فعل السفهاء الحَمْقَى فأنى يليق بمثله التمطّي.

﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾[٣٤] ﴿ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى**، فجائز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له: قل: أولى لك فأولى، أو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له:

---

[١] ن + بك.

[٢] ن – يساق.

[٣] جميع النسخ: جاء به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٥ظ.

[٤] ر: تتخير وتتكبر؛ م: وتجبر وتكبر.

[٥] ر: الاحتيال.

أولى لك فأولى، وبين الله تعالى ذلك[1] في كتابه. وقال أهل التأويل: هذا وعيد على وعيد كأنه قال: ويل لك فويل ثم ويل لك فويلٌ. وذكر[2] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بجميع ثيابه وقال له هذا فلم يتهيأ لذلك[3] المسكينِ أن يدفع رسول الله عن نفسه؛ وكان يفتخر بكثرة أنصاره[4] وأنه أعز من يمشي بين الجبلين[5] فالله تعالى بلطفه أذلّه وأهانه حتى لم يتهيأ له الحِرَاك عما نزل به[6] ولا نفعه قُواه وكثرة أتباعه.[7] وجائز أن يكون قوله: **أولى لك فأولى**، أي الأجدر لك وأحرى، لا أن يكون محمولا على الإبعاد، فيكون قوله: **أولى لك فأولى**، أي الأجدر لك[8] أن تنظر[9] فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وفي الذي كان عليه آباؤك ليظهر لك الصواب من الخطأ[10] والحق من الباطل، فتتبع[11] الصواب من ذلك، فتحرز[12] به شرف الدنيا والآخرة -إذ[13] كان يفتخر بشرفه وعزه- فإن أردت أن يدوم لك الشرف فالأولى لك[14] أن تنظر[15] إلى ما ذكرنا،

---

[1] ن - ذلك.

[2] ر م: ذكر.

[3] ر ث م: لك.

[4] ر: نصاده.

[5] ر: من الجبلين؛ ث م: من الجيلين.

[6] ر ث م: نزل به؛ ن: يذل به. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٥ظ.

[7] قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المسجد ذات يوم، فاستقبله أبو جهل على باب المسجد، مما يلي باب بني مخزوم، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، فهزه مرّةً أو مرتين ثم قال: «أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى»، فقال له أبو جهل: أتهدِّدُني؟ فوالله إني لأَعَزُّ أهل الوادي وأكرمُه. ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال لأبي جهل. وهي كلمة وعيد. قال الشاعر:

فَأَوْلَى ثم أَوْلَى ثم أَوْلَى وهَلْ لِلدَّرِ يُحْلَبُ من مَرَدِ

قال قتادة: أقبل أبو جهل بنُ هشام يتبختر، فأخذ النبيّ صلى الله عليه وسلم بيده فقال: ﴿أولى لَكَ فأولى ثُمَّ أولى لَكَ فأولى﴾. فقال: ما تستطيع أنت ولا ربك لي شيئًا، إني لأعزُّ مَنْ بين جبليها. فلما كان يوم بَدْر أشرف على المسلمين فقال: لا يُعْبَد اللهُ بعد هذا اليوم أبدًا. فضرب الله عنقه، وقتله شر قِتْلة (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ١٩/١١٤-١١٥).

[8] ر ث م - وأحرى لا أن يكون محمولا على الإبعاد فيكون قوله أولى لك فأولى أي الأجدر لك.

[9] ر ن م: أن ينظر.

[10] ن - من الخطأ.

[11] ر ن م: فيتبع.

[12] جميع النسخ: فتجهز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٥ظ.

[13] ر ن م: إذا.

[14] م - لك.

[15] ر م: أن ينظر.

فتتبع[١] الصواب من ذلك. والثاني أن العرب كانت عادتها أن تقوم[٢] بنصر[٣] قبيلتها والذب عنها، كانت ظالمة في ذلك أو لم تكن ظالمة. ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان من قبيلة أبي جهل، فلو كان على غير حق عنده كان الأَولى به أن ينصره و يعينه على ما عليه عادة العرب وإن كان محقا فهو أولى، فترك[٤] ما هو أولى به[٥] من النصر والحماية.

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **أيحسب الإنسان أن يترك سدى**، فجائز أن يكون هذا الإنسان دَهري المذهب، فيكون قوله: **أيحسب الإنسان**، على حقيقة الحُسبان لأنه يحسب أن لا بعث ولا حساب، وقد كان في أهل مكة من هو دهري المذهب. وإن كان الخطاب في غيره[٦] فقوله:[٧] **أيحسب الإنسان أن يترك سدى**، ليس على تحقيق الحسبان ولكن معناه: أيفعل[٨] فعل من يُؤذِن عن أمر[٩] كان فعلُه موافقا لفعل[١٠] من يحسب أنه يُترك سدى كما ذكرنا في قوله تعالى: بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ؛[١١] وهو لا يريد أن يكون فاجرا في الحقيقة ولكن يفعل فعل من يُعقب[١٢] فعله الفجورَ،[١٣] وهو كقوله: وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا،[١٤] وليس على حقيقة الظن ولكن إذا لم يقل بالبعث و لم يؤمن به فقد وَصف أن خلْقهما إذًا على باطل. وذلك الفعل الذي ذكرنا يكون في ترك الإيمان بالبعث وفي جحد[١٥] الرسالة،

---

[١] ر ث م: فيتبع.
[٢] ن: أن يقوم.
[٣] ر ث م: يبصر؛ ن: ببصر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٥ظ.
[٤] ن: فنزل.
[٥] ر م – به.
[٦] جميع النسخ: في قوله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٦و.
[٧] ر ث م – فقوله.
[٨] ر ث م: أتفعل.
[٩] جميع النسخ: عن أمره.
[١٠] ر: الفعل.
[١١] الآية ٥ من هذه السورة.
[١٢] ن: يعضب.
[١٣] ن – الفجور.
[١٤] سورة ص، ٢٧/٣٨.
[١٥] ن: وفي حجة.

لأن المحاسن لا بد من[1] أن يكون لها عواقب وكذلك المساوئ. ثم تمر هذه الدار على المسيء والمحسن مرارا[2] واحدا فلا بد من أن يكون بعده دار أخرى، فبها[3] يتبين[4] مرتبة المحسن[5] ومذلّة[6] المسيء. فمن[7] لم يؤمن بالبعث فهو لا يجعل للمحاسن والمساوئ عواقبَ[8] وسوىّ بين مرتبة المسيء ومرتبة المحسن، وذلك عبث. والثاني أن من عرف أنه لم يخلَق عبثا ولا يُتركُ سدى فلا بد لمثله من أن يُرغَب ويرهَّب ويؤمَر ويُنهَى ولا يعرف ذلك إلا بالرسول. فالضرورة[9] أحوجت إلى رسول يبين[10] لهم ما يأتون وما يتقون وما يرغبون في مثله وعما يحذرون. فمن أنكر الرسالة فقد أهمل نفسه عن المرغوب والمرهوب وعن الأمر والنهي، [٨٧٤ظ] وذلك حال من / خُلق سدى.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَنِيٍّ يُمْنَى﴾[٣٧] ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾[٣٨] ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾[٣٩]

وقوله عز وجل: **ألم يك نطفة من مني يمنى**، فالوجه[11] فيه أن كل أحد[12] يعلم أن نشوءه كان من نطفة، وتلك النطفة لو رئيت موضوعةً على طبق ثم اجتمع حكماء الأرض على أن يقدّروا منها بشرا سويا كما قدره الله تعالى[13] في تلك الظلمات لم يَصلوا إليه أبدا وإن استفرغوا مجهودهم[14] وأنفدوا حيلهم[15] وقواهم. ولو أرادوا أن يتعرفوا المعنى الذي لذلك المعنى

---

[1] ن ث – من.
[2] جميع النسخ: مرا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٦و.
[3] ر ث م: فيها.
[4] ر ث م: تبين.
[5] ث: للمحسن.
[6] ر ث م: ومدار.
[7] ن: فما.
[8] ن: عوقب.
[9] ر ث م: والضرورة.
[10] ن: تبين.
[11] ر ث م: والوجه.
[12] ث + يمنع.
[13] ن + على طبق ثم اجتمع.
[14] ر: بجحودهم؛ ن ث: فجحودهم؛ م: في مجهودهم.
[15] ن: جيلهم.

صلحت النطفة من[١] أن يُنْشَأَ[٢] منها العلقة والمضغة إلى أن أنشئ[٣] منها[٤] بشر سَوِيّ لم يقفوا[٥] عليه، فيعلمون[٦] أن من بلغت قدرته هذا هو أحكم الحاكمين. ولو كان الأمر على ما زعموا[٧] أن لا بعث لم يكن هو أحكم الحاكمين بل كان واحدا من اللاعبين. وتبين بما ذكرنا أن الذي بلغت[٨] قدرته [هذا][٩] لا يوصف بالعجز. ومن زعم أن قدرته لا تنتهي[١٠] إلى البعث فقد وصَف الربَّ بالعجز. تعالى الله عما يشركون.

﴿أَلَيْسَ ذٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى**، فقوله **أليس**، في موضع التحقيق والتقرير وإن كان خارجا مخرج الاستفهام، على ما ذكرنا أن ما يخرج مخرج الاستفهام[١١] من الله تعالى، فحقه أن نصرفه[١٢] إلى الوجه الذي يقتضيه ذلك الخطاب أن لو كان من مستفهم. فمن قال لآخر في الشاهد: أليس الله تعالى بقادر على إحياء الموتى؟ فحقه أن يقول: بلى هو قادر على ذلك. وكذلك ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين تلا هذه الآية: «سبحانك فبلى».[١٣] فقوله: **أليس ذلك بقادر**، أي هو قادر على إحياء الموتى. ***والله الموفق.***[١٤]

---

[١] ر م: على.
[٢] جميع النسخ: أن ينشئ. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٦و.
[٣] ث: الشيء.
[٤] ر ث م - منها.
[٥] ر ث م - لم يقفوا.
[٦] جميع النسخ: فيعلموا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ن - على ما زعموا + فيعلموا.
[٨] ر م - بلغت.
[٩] الزيادة من المرجع السابق.
[١٠] جميع النسخ: لا ينتهي. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] ن - الاستفهام.
[١٢] جميع النسخ: أن يصرفه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] *سنن أبي داود*، الصلاة ١٤٨-١٤٩.
[١٤] ر + وإليه المستعان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ ن - والله الموفق؛ ث + والله سبحانه وتعالى أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الدهر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾[١]

قوله عز وجل: **هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا**، فـ"هل"، و"مَن"، و"لعل" من الله تعالى واجب، وحقه[2] أن يُنظَر أن لو كان مثلُ هذا الكلام من مستفهم ما الذي كان يقتضى من الجواب؟ فإذا قال الإنسان لآخر: من أظلم ممن افترى على الله كذبا؟ فجوابه أن يقول: لا أحدَ أظلمُ منه؛ وإذا قال لآخر: هل أتاك حديث فلان؟ فحق المجيب أن يقول: إن كان قد أتاه حديث فلانٍ: قد أتاني، وإن كان لم يأته فحقه أن يسأله كيف كان حديثه ليعرفه. فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أتاه خبر الإنسان فمعنى قوله: **هل أتى على الإنسان**، أي قد أتى على الإنسان، وإن لم يكن أتاه فحقه أن يسأل حتى يُبَيَّن[3] له. وقيل: الإنسان آدم عليه السلام.

ثم لقائل[4] أن يقول: كيف[5] قال: قد **أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا**، فهو إن لم يكن شيئا مذكورا[6] في ذلك الوقت لم يكن إنسانا، وإذا لم يكن إنسانا لم يأت عليه حين من الدهر وهو إنسان، وإن كان في ذلك الوقت مخلوقا فقد صار مذكورا، وإذا صار مذكورا فقد أتى عليه حين من الدهر وهو مذكور، فما معناه؟

---

[1] ر – سورة الدهر؛ ث + وهي إحدى وثلاثون.

[2] ن + وحقه.

[3] ر م: أن يسأله حتى تبين؛ ن: حين يتبين.

[4] ر م: ثم القائل.

[5] جميع النسخ: أن كيف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٦و.

[6] ر ث م – مذكورا.

قيل فيه من أوجه. أحدها أن يكون قوله عز وجل: **هل أتى على الإنسان**، أي على ما منه الإنسان وهو الأصل الذي خلق منه آدم عليه السلام وهو التراب. فقال: **لم يكن شيئا مذكورا**، على الاستصغار لذلك الأصل إذ التراب لا يذكر في الأشياء المذكورة.[١] وإلى هذا يذهب أبو بكر الأصم. والوجه الثاني قيل: قد أتى على الخلق حين من الدهر[٢] لم يكن الإنسان فيه شيئا مذكورا[٣] في تلك الخلائق. والوجه الثالث قد أتى عليه حين من الدهر و لم يكن مذكورا في الممتحنين؛ وهذا في كل إنسان لأنه ما لم يبلغ لم يجز عليه الخطاب ولم يكن مذكورا في الممتحنين، فالله تعالى[٤] خلق الخلائق ليعبدوه[٥] بقوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[٦] فقوله: لِيَعْبُدُونِ، إذا صاروا من أهل المحنة، فإلى أن يَبْلغ قد أتى عليه حين من الدهر لم يكن مذكورا في جملة مَن خُلقوا للعبادة. *والله أعلم*.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٢]

وقوله عز وجل: **إنا خلقنا الإنسان من نطفة**، والإنسان[٧] لم يكن إنسانا في النطفة ولا في العَلَقة ولا في المُضْغَة ولكن المقصود من إنشاء النطفة والعلقة هذا الإنسان. والعواقب في الأفعال هي الأوائل في القصد والمراد، فاستقام إضافته إلى ما ذكرنا كما رجع إليه القصد من إنشائها. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم[٨] أنه قال: «إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فأَمْضِه وإن كان غيا فانْتَهِ»،[٩] فألزم النظر في العواقب. فثبت أن المقصود من فعل أهل التمييز العاقبةُ، وإذا كانت العاقبة مقصودا إليها في الابتداء صارت العاقبة كالموجود[١٠] في الابتداء، لذلك استقام إضافة الإنسان إلى النطفة والعلقة والمضغة.

---

[١] ث – المذكورة.
[٢] ن: من الد.
[٣] م: مذكرا.
[٤] ر: قال الله تعالى.
[٥] ن: ليعتذره.
[٦] سورة الذاريات، ٥١/٥٦.
[٧] ن + والإنسان.
[٨] ن: عليه السلام.
[٩] *الزهد والرقائق* لابن المبارك، ٤١٤؛ وانظر: *مصنف عبد الرزاق*، ١١/١٦٥.
[١٠] ن ث: كالموجودة.

ثم قوله عز وجل: **إنا خلقنا الإنسان من نطفة،** منصرف إلى أولاد آدم، فيكون المعنى من الإنسان أولادَه. ثم ذكر لهم[١] ابتداء أحوالهم وما ينتهي إليه[٢] عاقبتهم وهو الموت ليتّعظوا به[٣] ويتذكروا. ووجه الاتعاظ هو أنهم إذا علموا ابتداء أحوالهم وعلموا ما ينتهي إليه عاقبتهم علموا في الحال التي هم فيها أن أنفسهم في أبدانهم ليست لهم بل عارية في أبدانهم -إذْ[٤] لم يكن منهم صنع[٥] في الابتداء- وأمانة.[٦] والحق على الأمين أن يقوم بحفظ الأمانة ورعايتها وألا يخون[٧] صاحبها فيها. فإنْ هو خانها[٨] ولم يتولَّ / حفظها لحقته[٩] المَسبّة[١٠] والمذمة،[١١] [٨٧٥و] وإن حفظها ورعاها حق رعايتها استوجب الحمد والثناء من صاحبها. والحق على المستعير أن يتمتع بالعارية وينتفع بها إلى الوقت الذي أُذن له وأن لا يُضيعَها، فإن ضيعها[١٢] لحقته الغرامة والضّمان بتضييعه إياها. وكذلك إذا علموا أنها في أبدانهم[١٣] عارية وأمانة علموا[١٤] أن عليهم رعايتها واستعمالَها في الوجه الذي أُذن لهم فيها لئلا يلحقهم[١٥] التَّبِعة في العاقبة ولا يلزمَهم المسبّة[١٦] والمذمة في ذلك في الدنيا والآخرة. ***والله أعلم.***

والثاني أن النظر في ابتداء الخلقة وإلى[١٧] ما يصير عند انقضاء الأمر يدعو إلى إيجاب القول بالبعث وإلى التصديق بكل ما يأتي به الرسل من الأخبار. وذلك أن التأمل في ابتداء الخِلقة

---

[١] ث م: ذكرهم.
[٢] ر ن م: إليهم.
[٣] م - به.
[٤] ر ث م: إذا.
[٥] ن: صنيع.
[٦] ن: أو أمانة.
[٧] ن: وأن لا يجوز.
[٨] م: خانهم.
[٩] ر م: لحقه.
[١٠] ر ث م: المسبتة.
[١١] م: والذمة.
[١٢] ن - فإن ضيعها.
[١٣] ن: في أيديهم.
[١٤] م: عملوا.
[١٥] ر م: لا يلحقهم؛ ن: لئلا يخلفهم.
[١٦] ث م: المسبتة.
[١٧] ر م: إلى.

يُظهر عجيب قدرة الله تعالى ولطيف حكمته ويُعلِم أن الذي بلغت حكمتُه[1] هذا المبلغ لا يجوز أن يقع قصده من إنشاء الخلق للإفناء خاصة لخروجه عن حد الحكمة، فيحملهم ذلك[2] على القول بالبعث. ولأن النظر في ابتداء الخلقة والنظر إلى ما يرجع إليه بعد الوفاة مما يمنع الافتخار والتكبر، لأن إنشاءه كان من نطفة يستقذرها الخلائق ومن علقة ومضغة يستخبثهما[3] كل أحد وبعد الممات يصير جيفة قذِرة. ومن كان هذا شأنه لم يحسُن التكبر في مثله، فكان في تذكير أوائل الأحوال وأواخرها موعظةٌ لهم ليتّعظوا ويتبصروا وتعريفٌ لهم أن التكبر لا يحسن من أمثالهم، فيحملهم ذلك على التواضع وترك الافتخار والتجبر. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **أمشاجٍ نبتليه**، والأمشاج الأخلاط. ثم الأخلاط تقع[4] بوجهين. أحدهما في اختلاط ماء الرجل بماء المرأة، والثاني تقع[5] في الأحوال؛ وهو أن النطفة إذا حوّلت علقةً لم تحول[6] بدفعة واحدة بل هي تَغلُظ شيئا فشيئا حتى إذا تم غِلظها صارت علقة، وكذلك العلقة يدخل فيها التغير شيئا فشيئا حتى إذا تم التغير فيها حالت مضغة فهذا هو الاختلاط في الأحوال. فمنهم من قال: الأخلاط الطبائع الأربع[7] التي عليها جُبل الإنسان. ومنهم من صرف الخلط إلى[8] الألوان، فذكر أن ماء الرجل أبيض يخالطه حُمْرةٌ وماء المرأة أحمر يخالطه صُفْرةٌ.[9] وقوله عز وجل: **نبتليه**، أي[10] بالخير والشر والأمر والنهي. ثم الابتلاء هو الاستظهار لما خفي من الأمور، والله تعالى لا يخفى عليه أمر فيحتاج إلى استظهاره. ولكنه يبتليه[11] ليَظهر للمبتلَى[12] ما كان خفيا عليه بفعله وتركِه. وأما الخلق فهم يمتحنون ويُبتلون ليظهر لهم ما كان خفيا عليهم،

---

[1] ن – ويعلم أن الذي بلغت حكمته.
[2] ر م – ذلك.
[3] ر ث: يستحيشها؛ ن م: يستخبثها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٦ظ.
[4] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] جميع النسخ: لم يحول. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر م: الأربعة.
[8] ر ث م – إلى.
[9] ن: أصفر.
[10] ر م – أي.
[11] جميع النسخ: نبتليه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٧و.
[12] ر ث م: للمبتلا.

فيكون الابتلاء منصرفا إليهم لا إلى المبتلي[١] والممتحِن. والثاني أن الابتلاء لما كان لاستظهار ما خفي من الأمور وذلك يكون بالأمر والنهي، فسمى الأمر من الله تعالى والنهي لعباده ابتلاءً لمكان الأمر والنهي لا على تحقيق معنى الابتلاء منه. وقال[٢] الحسن: لما صلح أن يضاف الاستخبار[٣] إلى الله تعالى وإن كان هو خبيرا عما استخبر، فجائز أن يضاف إليه الابتلاء أيضا وإن كان هو بالذي ابتلاه عالما بصيرا. ولأن الذي يظهر[٤] من العبد بعد الابتلاء من الفعل كان غائبا فالله تعالى يعرفه شاهدا بفعله[٥] فقبل ذلك كان يعرفه غائبا، لأن معرفة ما يكون أن يُعرف فقبل[٦] كونه غائب وبعد كونه شاهدٌ.[٧] *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **فجعلناه سميعا بصيرا**، أي جعلنا له سمْعا يميز بين ما يؤدي إليه سمعُه وجعلنا له بَصَرًا[٨] يُبصر به ما أدى [إليه][٩] بصر الوجه ليضع كل شيء موضعه. وذلك هو بصر القلب وسمع القلب؛[١٠] لأنه قد خص البشر بالابتلاء لمكان بصر الباطن والسمع الباطن، ألا ترى أن البهائم لها البصر[١١] الظاهر وكذلك السمع [الظاهر].[١٢] ويحتمل أي جعلناه سميعا بصيرا يبصر به[١٣] ما له وما عليه وما ينفعه وما يضره. ثم أنشأ فيه السمعَ والبصرَ ولا يَعرف[١٤] كيفية السمع والبصر الذي جعَل فيه ولا مائيته[١٥] ولا مِمَّ[١٦] هو لطفا منه ليُعلم أنه منشئ الكيفيات والمائيات وأنه يتعالى عن الوصف له بالكيفية والمائية.

---

[١] جميع النسخ: المبتلا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٧و.
[٢] م: قال.
[٣] ن: الاستحسان.
[٤] ر م – ولأن الذي يظهر.
[٥] ر ث: يفعله.
[٦] جميع النسخ: مثل. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: كونه غائب وبعد كونه شاهد.
[٨] ن – أي جعلنا له سمعا يميز بين ما يؤدى إليه سمعه وجعلنا له بصرا؛ م: بصيرا.
[٩] الزيادة من المرجع السابق.
[١٠] ث – وسمع القلب.
[١١] جميع النسخ: بصر. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] الزيادة من المرجع السابق.
[١٣] ر ث – به؛ ن – يبصر به.
[١٤] أي لا يعرف الإنسان.
[١٥] ن: ولا ما يتته.
[١٦] ر ن: ولا ممر.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٣]

ثم قال تعالى: **إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا.** يحتمل قوله تعالى: **إنا هديناه السبيل**، أوجها ثلاثةً. أحدها هديناه السبيل لإصلاح بدنه ومعاشه؛ أو هديناه السبيل الذي يصلون[١] به إلى استبقاء النسل والتوالد إلى يوم التَّناد؛ أو هديناه[٢] السبيل الذي يرجع إلى إصلاح[٣] دينهم وأمر آخرتهم باكتساب المحامد والمحاسن. ثم قوله: **إما شاكرا وإما كفورا**، أخبر أنه قد بين لهم السبيل وهداهم إليه. ثم منهم من يختار الشكر له[٤] ومنهم من يختار الكُفران له. ثم بين ما أعد للكفور منهم وما أعد للشكور وهو ما قال: إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا.[٥] ثم قوله: **إنا هديناه السبيل**، إن كان المراد منه[٦] الطريق فكأنه قال: إنا بينا كلا الطريقين[٧] فإن سَلك طريقَ كذا واختاره يكون شاكرا، وإن سلك طريق[٨] كذا واختاره يكون كفورا. ثم بين لكل طريق الذي سلكه جزاءً وثوابا.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾[٤]

[٨٧٥ظ] ثم قوله عز وجل: **إنا أعتدنا للكافرين / سلاسل وأغلالا وسعيرا**، ففيه إنباء أن أيديهم تغلّ ويُشدّون بالسلاسل، فلا يتهيأ لهم أن يَقُوا العذاب عن أوجههم.[٩] ثم قرئ سَلاسِلَ لأنها غير منصرفة، وقرئ سلاسلا[١٠] وصَرَفوه بناء على أن الأسماء كلها منصرفة إلا نوعا واحدا. وقال الزجاج: السلاسل، لا تنصرف لأنه لا فعل لها لكن صَرَفها هاهنا لأنها من رءوس الآيات.[١١] وقيل: لأنه جعله رأس الآية.[١٢]

---

[١] ث + إليه.
[٢] ر ن م: وهديناه.
[٣] ر ن م: يرجع إصلاح.
[٤] ث + ومنهم من يختار كفر له.
[٥] الآية التالية.
[٦] ن – منه.
[٧] جميع النسخ: الطريق. والتصحيح من حاشية *الشرح*، ورقة ٣٠٧و.
[٨] ر – كذا واختاره يكون شاكرا وإن سلك طريق.
[٩] ر م: عن وجوههم.
[١٠] م: سلاسل. *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٥٤.
[١١] قوله: ﴿سلاسل وأغلالا وسعيرا﴾ الأجود في العربية أن لا يصرف سلاسل، ولكن لما جعلت رأس آية صرفت ليكون آخر الآي على لفظ واحد (*معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٥/ ٢٥٨).
[١٢] أي أول كلمة القسم الثاني من الآية، وهو «سلاسلاً وأغلالاً وسعيرًا».

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا**، فمنهم من ذكر أن الكافور شيء أعده الله تعالى لأهل كرامته لم يُطلع عباده على ذلك في الدنيا. ومنهم من ذكر أن الكافور شيء[١] جرى ذكره في الكتب المتقدمة فذُكر ذلك في القرآن. ومنهم من قال: إنه عين من عيون الجنة، ومنهم من صرفه إلى الكافور المعروف لكن قيل إنه كناية عن طِيب الشراب. وقيل: إنه كناية عن برودة الشراب، لأنه ذُكر أن ذلك الشراب في طبعه كالكافور، لأن ألذّ الشراب عند الناس البارد منه لا أن يكون في نفسه باردا. وذكروا أن الكأس لا يسمى كأسا حتى يكون فيها خمر.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **عينا يشرب بها عباد الله**، ومعناه [يشرب] منها لا أن يقع شربهم بها، وسميت العين عينا لوقوع العين عليها.[٢] وقوله عز وجل: **يفجرونها تفجيرا**، ففيه إخبار أن ماء العيون جارية يفجرونها من حيث شاءوا. ثم المراد من ذكر العباد هاهنا هم الذين أطاعوا الله وقاموا بوفاء ما عليهم، وهم الذين قال الله تعالى [فيهم]: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ.[٣]

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[٧]

وقوله عز وجل: **يوفون بالنذر**، والنذر هو العهد. فجائز أن يكون أراد[٤] به الوفاء بكل ما أوجب الله تعالى من الفرائض والحقوق، فيكون فرائضه عهده، كقوله عز وجل: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي.[٥] وجائز أن يكون أراد بالنذر ما أوجبوا على أنفسهم من القُرَب سوى ما أوجبه[٦] الله تعالى عليهم. فيكون فيه إخبار أنهم قاموا بأداء الفرائض وتقربوا إلى الله تعالى[٧] مع ذلك بِقُرَبٍ[٨] أُخَرَ،

[١] ث – أعده الله تعالى لأهل كرامته لم يطلع عباده على ذلك في الدنيا ومنهم من ذكر أن الكافور شيء.
[٢] ر م – عليها.
[٣] سورة الحجر، ١٥/٤٢.
[٤] ر: المراد.
[٥] سورة البقرة، ٢/٤٠.
[٦] جميع النسخ: ما أوجبها.
[٧] ن – عليهم فيكون فيه إخبار أنهم قاموا بأداء الفرائض وتقربوا إلى الله تعالى.
[٨] ر م: يقرب.

فاستوجبوا المدح بوفائهم بما أوجبوا على أنفسهم. وقال: [وَرَهْبَانِيَّةً] ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا،[1] فلحقهم الذم لما لم يقوموا برعاية حقه، ليس بإيجابهم على أنفسهم ما لم يوجبه الله تعالى عليهم.

وقوله عز وجل: **ويخافون يوما كان شره مستطيرا**، قيل:[2] استطار شر ذلك اليوم فملأ السماوات والأرضين وكلَّ[3] شيء، حتى انشقت السماوات[4] وتناثرت النجوم[5] وبُسَّت الجبال.[6] ومعناه أن هول ذلك اليوم قد عم وفشا في أهل السماوات والأرض حتى خافوا على أنفسهم. وقيل: سمي **مستطيرا**، أي طويلا، ويقال: استطار الرجل[7] إذا اشتد غضبه، واستطار الأمر، أي اشتدّ، فسمى **مستطيرا** أي شديدا.

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٨]

وقوله: **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا**، فالحب يتوجه إلى معانٍ[8] يتوجه إلى الإيثار مرة، وإلى ميل النفس وركون القلب أخرى، ومرة يعبر به عن الشهوة فالمراد من الحب هاهنا الشهوة، فيكون قوله عز وجل: **على حبه**، أي على شهوتهم وحاجتهم إليه. وقيل: ويطعمون في حال عزة الطعام، وقيل: أي يطعمون الطعام على حبهم لها وحرصهم عليها، ليس أن يطعموا عند الإياس من الحياة على ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أفضل الصدقة أن تتصدق[9] وأنت صحيح شحيح تَأْمُل العيش وتخشى الفقر».[10]

---

[1] سورة الحديد، ٢٧/٥٧.

[2] ن: قبل.

[3] ر م: والأرضين كل.

[4] يقول الله تعالى: ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾ (سورة الحاقة، ١٦/٦٩).

[5] ﴿إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت﴾ (سورة التكوير، ١/٨١-٢).

[6] ﴿إذا رُجّت الأرض رَجًّا وبُسَّت الجبال بَسًّا﴾ (سورة الواقعة، ٣/٥٦-٤).

[7] ن: للرجل استطار.

[8] جميع النسخ: إلى معاني. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٧ظ.

[9] ر ن م: أن يتصدق.

[10] روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرا؟ قال: «أن تَصَدّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغِنى، ولا تُمْهل حتى إذا بلغت الحلقومَ قلتَ: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان». (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢٣١/٢؛ و*صحيح البخاري*، الزكاة ١١؛ و*صحيح مسلم*، الزكاة ٩٢).

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[٩]

وقوله: **إنما نطعمكم لوجه الله**، قيل: إنهم لم يتكلموا بهذا اللفظ أعني **إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا**، الآية، ولكن علم الله تعالى ذلك من قلوبهم فأثنى عليهم بذلك ليرغب في ذلك الراغبون، ألا ترى أنهم كانوا يطعمون الأسارى ولا يُطمَع من الأسارى المجازاة والشكر ليُعلَم أنهم لم يقصدوا به إلا[١] وجه الله تعالى والتقرب إليه. والمجازاة هي المكافأة لما أُسْدي إليه، والشكر هو الثناء عليه والنشر منه.[٢]

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا**، فمنهم من جعل هذا نعتا لذلك اليوم، فيكون معناه أن هذا اليوم وهو يوم القيامة من بين سائر الأيام كالإنسان العبوس من بين[٣] غيره. ومنهم من صرفه إلى الخلائق، فيكون معنى قوله تعالى: **يوما عبوسا**، أي يوما يَعبِس فيه وجوه الخلائق لا أن يكون اليوم بنفسه عبوسا، وهو كقوله تعالى: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[٤] أي يُبصَر فيه. وتقول[٥] العرب: ما زال الطريق يَمُرّ منذ اليوم، على معنى يمر الناس فيه. فيرجع هذا إلى وصف ما يكون عليه ذلك اليوم؛ على ما ذكرنا أن الله تعالى ذكر اليوم بالأحوال التي يكون عليها حال ذلك اليوم، فمرة قال: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى،[٦] ومرة قال: يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ،[٧] وغير ذلك من الآيات. وقوله عز وجل: **قمطريرا**، قيل: شديدا، وقيل: القمطرير الذي يَقْبِض الوجه بالبسور والعبوسة، ويروي ما بين العينين.[٨] وقيل: القمطرير المشوه[٩] على أهل النار. وقيل: القمطرير هي كلمة من كتب الأولين.

---

[١] ر م – إلا.

[٢] ر: واليسر عنه؛ ن: والبشر عنه؛ ت: والبر عنه؛ م: والبسر عنه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٧ظ. الشكر عرفان الإحسان والنشر منه. والشكر من الله: المجازاة والثناء الجميل (*لسان العرب*، «شكر»). ومعنى «النشر» هنا هو تحديث نعمة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ (سورة الضحى، ١١/٩٣).

[٣] ر م – بين.

[٤] ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ٦٧/١٠).

[٥] ن: ويقول.

[٦] سورة الحج، ٢/٢٢.

[٧] سورة القارعة، ٤/١٠١.

[٨] وفي التنزيل العزيز: ﴿إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا﴾، جاء في التفسير أنه يُعَبِّس الوجه فيجمع ما بين العينين، وهذا شائع في اللغة (*لسان العرب*، «قمطر»).

[٩] ر م: المشوة؛ ت: المقمطرير المشوة.

﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[١١]

[٨٧٦و] وقوله عز وجل: **فوقاهم الله / شر ذلك اليوم**، فجائز أن يكون الوقاية منصرفة إلى الموعود في ذلك اليوم[١] من العقوبة والنكال، لا أن يكونوا وُقُوا من هول ذلك اليوم فلا يرون الجحيم ولا أهوالَها. وجائز أن يكون وقاهم عما كانوا يخافون من المشقة[٢] لدى[٣] الحساب، كقوله: إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ؛[٤] فكأنهم يخافون على أنفسهم المناقشة في الحساب، فإذا رأوا سيئاتهم مغفورة وحسناتِهم متقبَّلة[٥] سُرُّوا بذلك ووُقُوا شره. وجائز أن يكونوا أُومنوا من أهوال القيامة وأفزاعها حين نُشروا من القبور وتلقتهم[٦] الملائكة بالبِشارة، كما قال: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ،[٧] وقوله عز وجل: **ولقَّاهم نضرة وسرورا**، فالسرور عبارة عن انتفاء الحزن عنهم، والنضْرة[٨] أثر[٩] كل نعيم. وقيل: نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم.

﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وجزاهم بما صبروا**، أي على الطاعات وصبروا عن معاصي الله، **جنة وحريرا**، أي جزاهم جنة وجزاهم حريرا. فذكر الحرير لأن الجِنان إنما يذكر في موضع التطرب والتنعم بالمآكل والمشارب[١٠] دون التنعم باللباس، فوعد لهم اللباس من[١١] الحرير مع ما جزاهم الجنة.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **متكئين فيها على الأرائك**، نذكر[١٢] تفسيرها بعد هذا إن شاء الله تعالى. وقوله عز وجل: **لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا**، لأنه لا شمس فيه ولا زمهرير

---

[١] ر ث م – اليوم.
[٢] جميع النسخ: من التبعة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٧ظ.
[٣] ن: لذي.
[٤] سورة الحاقة، ٦٩/٢٠.
[٥] ر: مثقيلة؛ ن: متضاعفة.
[٦] ر ن: وتلقنهم.
[٧] سورة الأنبياء، ٢١/١٠١.
[٨] ر: والنضر.
[٩] ر: ذا أثر.
[١٠] م: والمشرب.
[١١] ر + اللباس؛ م – من.
[١٢] جميع النسخ: يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٨و.

بل يكون ظلها دائما ممدودا. فجائز أن يكون المراد منه أن ضياء الجنة ليس بالشمس ولكن بما خلقت مضيئة، لأن الشمس في الدنيا يقع بها الضياء فيكون ضياء النهار بالشمس. وذكر أنهم لا يرون فيها الزمهرير ليُعلم أن لذاذة شراب الجنة وبرودتَه بالخِلقة لا أن تكون[١] برودتها بتغير[٢] يقع في الأحوال على ما يكون عليه شراب أهل الدنيا، أو يكون ذَكَر هذا ليعلموا أنهم لا يُؤْذَون بِحَرّ ولا برد.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **ودانية عليهم ظلالها**، فجائز أن يراد به أنها دانية من هؤلاء الذين سبق نعتهم وهم الأبرار، كقوله عز وجل: إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ،[٣] أو ذكر[٤] أن ظلالها دانية لأنها لو لم تكن[٥] دانية لكان لا يقع لهم بها انتفاع. وقيل: هي ظلال غصون الأشجار قريب منهم لأن للجنة[٦] نورا[٧] يتلألأ فيقع بالأشجار ظلالٌ، على ما جاء في الخبر أنه لو أُلقي سوار[٨] من الجنة في الدنيا لأضاءت الدنيا ولغلب[٩] ضوءها ضوءَ الشمس[١٠] ونحو[١١] ذلك، فيقع للأشجار[١٢] فيها ظلال، كما يشتهونه في الدنيا ليس على ذلك شمس ولا قمر.[١٣]

وقوله عز وجل: **وذُلِّلَت قطوفها تذليلا**، فجائز أن يكون أريد بالتذليل التليين، أي لُيِّنت فلا يَردّ أيديَهم عنها شوك. وقيل إن أشجارها ليست بطوال لا يُنال ثمارُها إلا بعد عَناءٍ وكَدٍّ بل قريبة من أربابها، يقال: حائط ذليل، إذا لم يكن عاليا في السماء. وقيل: **ذللت**، أي سويت الأشجار لا يتفاوت بعضها بعضا، يقول أهل المدينة: إذا استوت عُذوق النخلة تذَلَّلت النخلة.

---

[١] جميع النسخ: لا أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٨و.
[٢] ن ث: يتغير.
[٣] سورة الأعراف، ٥٦/٧.
[٤] م: وذكر.
[٥] جميع النسخ: لو لم يكن. والتصحيح من المرجع السابق. ن + لأنها لو لم يكن.
[٦] ر ن ث: لأن الجنة.
[٧] ث: نور.
[٨] ر: مسوار.
[٩] جميع النسخ: ويغلب. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ١٦٩/١، ١٧١؛ و*سنن الترمذي*، الجنة ٧.
[١١] جميع النسخ: ويجوز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٨و.
[١٢] جميع النسخ: الأشجار. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٣] ن: ليس ذلك على شمس أو قمر.

وقيل: **ذللت**، أي سخرت، والتذليل التسخير، فيتناولون[1] منها كيف شاءوا، إن شاءوا تناولوها وهم قيام وإن شاءوا تناولوها وهم جلوس أو نيام على الفُرُش. وجائز أن يكون تسخيرها على ما ذكر عن بعض المتقدمين أن شجر[2] الجنة عروقها من فوقٍ وفروعها من أسفلَ والثمار بين ذلك.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾[١٥] ﴿قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾[١٦]

وقوله تعالى: **ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب**، فتأويل الأكواب يذكر في سورة "هل أتاك حديث الغاشية".[3] ثم أخبر أن تلك الأكواب قوارير من فضة. قيل هي من فضة ولها صفاء القوارير يرى ما فيها من الشراب من خارجها لصفائها. ثم الآنية من الفضة في أعين أهلها أرفع وأشرف من الإناء المتّخَذ من التراب، فكذلك الصفاء الذي يكون بالفضة أبلغ وأرفعُ في أعين أهلها من الصفاء الذي يقع بالقوارير، [فيخبر أن صفاءها صفاء القوارير وإن كانت من فضة. وقرئ][4] "قواريرَ قوارير من فضة" على الأصل المعهود أنه لا ينصرف. وقرئ قوله: **قواريرا**، على الوقف عليه موافقا لآخِرِ سائرِ الآيات.[5] وقرئ "قواريرا" بالتنوين عند الوصل أيضا،[6] لأنه رأس الآية. وقوله: **قدروها تقديرا**، أي جعلت على قدر رَيّهم.[7] وقيل: يُسْقَون على القدر الذي قدروه في أنفسهم وحدّثت به أنفسهم فلا يقدِّرون في قلوبهم مقدارا إلا أُتُوا بها على ذلك.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾[١٧] ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾[١٨]

وقوله: **ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا**، فمنهم من زعم أن العرب كانوا إذا أعجبهم شراب نعتوه وقالوا كالزنجبيل، فخرجت البِشارة من الوجه الذي تَرغب[8] في مثله الأنفس.

---

[1] ن ث: فيتناولوا.

[2] م: شجرة.

[3] انظر الآية ١٤ من سورة الغاشية.

[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٠٨و.

[5] ن: موافقا لسائر.

[6] *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٥٤؛ و*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩٥.

[7] ر: على قدريتهم.

[8] جميع النسخ: يرغب.

ومنهم من ذكر أن الزنجبيل والسلسبيل واحد وهما اسم العين. ومنهم من ذكر في السلسبيل أي سَلْ سبيلا إلى ذلك العين. وقال قتادة: أي سَلِسَلة السبيل مستعذب ماؤها.[١] وقيل: سلسبيلا شديد الجِرْية.[٢]

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾[١٩]

وقوله: **ويطوف عليهم ولدان مخلدون**، ذُكر الولدان لا أن يكون[٣] فيها وِلَادٌ ولكنهم أُنشئوا ولدانا، فيخلَّدون كذلك [لا][٤] يَكبُرون ولا يَهْرَمون. وجائز أن يكون الولدان ولدان الكفرة الذين ماتوا في الدنيا صغارا / فلا يكون لهم في الجنة آباء ليُرْفَعوا إلى درجة الآباء [٨٧٦ظ] فيجعلهم الله تعالى خَدَما[٥] لأهل الجنة.

وقوله عز وجل: **إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا**، فمنهم من يقول: إن الله تعالى شبّه[٦] حسنهم بحسن اللؤلؤ المنثور إذ أحسن ما يكون اللؤلؤ إذا كان منثورا. فجائز أن يكون هؤلاء الولدان فضِّلوا في الحسْن[٧] على سائر الجواهر التي تكون[٨] في الجنة كما فضل الدرُّ في الدنيا على سائر الجواهر. ومنهم من يقول: إنهم ما لم يَطُوفوا فمن رآهم حَسِبهم[٩] لؤلؤا منثورا وإذا طافوا وتحركوا فحينئذ يُعْلَمون أنهم ولدان.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[٢٠]

وقوله: **وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا**، قيل: هما اللذان لا نعت لهما ولا وصف. وقيل: المُلْك استئذان الملائكة عليهم، وملوك الدنيا وإن علت رتبتهم لم يملكوا الاحتجاب

---

[١] عن قتادة قوله: ﴿عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾ عينا سَلِسَة مستقيدا ماؤها (*تفسير الطبري*، ٢٩/٢٧١).

[٢] قال ابن عباس: سَلْسَبيلاً يَنْسَلُّ في حُلوقهم انْسِلالاً. وقال أبو جعفر محمد بن علي: معناها لَيِّنة فيما بين الحَنْجَرة والحلق. وأما من فسره "سَلْ رَبَّكَ سَبيلاً إلى هذه العين" فهو خطأٌ غير جائز. ويقال: عين سَلْسَلٌ وسَلْسالٌ وسَلْسَبيلٌ، معناه أنه عَذْب سَهْل الدخول في الحلق. قيل: جمع السَّلْسَبيل سَلاسِبُ وسَلاسِيبُ، وجمع السَّلْسَبيلة سَلْسَبيلات. وتَسَلْسَل الماءُ جَرى في حَدُور أو صَبَب (*لسان العرب*، «سلسل»).

[٣] ر ث م: لا يكون.

[٤] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٠٨ظ.

[٥] ث: خدها.

[٦] ن م: يشبه.

[٧] ن - في الحسن.

[٨] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

[٩] ن ث: حسنهم.

من دخول الملائكة عليهم بغير استئذان، والمَلِك هو الذي له[1] نفاذ الأمور. وجائز أن يكون ذَكَرَ النعيمَ والملكَ الكبيرَ على معنى أنه لا ينقطع عنهم بل إذا رأيتهم أبدا رأيتهم في نعيم وملك كبير.

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[٢١]

وقوله تعالى: **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق**، فجائز أن يكون أراد بالعالي ما عَلَا من المكان الذي هم فيه. فيخبر أن في أعلى أماكنهم ثيابٌ خضرٌ من سندس كما هو في المكان الذي سَفَل[2] موضعَ جلوسهم، لأنهم يكونون على الأرائك والأحجال، فيكون ما تحت الأحجال والأرائك من الأماكن زرابيُّ مبثوثة ونمارقُ مصفوفة ويكون عاليها كذلك.[3] فإن كان على هذا فلا فرق بين أن يكون فُرُش ذلك المكان من حرير وديباج غليظ -إن أريد بالإستبرق[4] الديباج الغليظ- وبين أن يكون من ديباج رقيق إذ كل ذلك مما يُرغب في مثله. ***والله أعلم***. وقيل: **عاليهم**، أي أعلى ثيابهم سندسٌ خضر وإستبرق، وقال بعضهم: عالِيَ أنفسهم ثيابُ سندسٍ. ومنهم من صرف السندسَ إلى اللباس والإستبرقَ[5] إلى ما بُسط، لأن الديباج الغليظ مما لا يرغب الأنفس إلى لبس مثله؛ فجمع بين ما يُلبس وبين ما يُفرش وبَيَّن الفعل في أحدهما ولم يذكر في الآخر. ومنهم من قال: **عاليهم**، هم الولدان يطوفون من أعاليهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وحُلُّوا أساوِرَ من فضة**، فبشرهم بالأساور من فضة،[6] لأن الفضة مستحسنة بنفسها لبياضها والذهبَ استحسانه لقدره[7] وعزته ليس لنفسه، لأنه أصفر والأعين لا تستحسن[8] هذا اللون، فجرت البِشارة بالفضة لا بالذهب.[9] وقال بعضهم: يُحَلَّى الرجال

[1] ر م – له.
[2] ر م: أسفل.
[3] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فيها عين جارية فيها سُرُر مرفوعة وأكواب موضوعة ونَمارق مصفوفة وزرابيُّ مبثوثة﴾ (سورة الغاشية، ٨٨/١٢-١٦).
[4] ر م: بالإستبرق.
[5] ر ن م: والإستبرق.
[6] ر ن ث: من الفضة.
[7] ر: لقدرته.
[8] جميع النسخ: لا يستحسن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٨ظ.
[9] ر م + وقال بعضهم يحلى الرجال بأسورة بالفضة لا بالذهب؛ ث + وقال بعضهم يحلى بالرجال بالفضة لا بالذهب.

بأسورة من فضة على ما أبيح لهم التحلي بخاتم الفضة[١] في الدنيا وتُحَلّى النساء بأساور[٢] الذهب على ما أبيح لهن التحلي بها في الدنيا.

وقوله تعالى: **وسقاهم ربهم شرابا طهورا**. قيل: هو الخمر تُطَهّر[٣] من الآفات ومن كل مكروه وتُطهّر[٤] قلوبهم من الغِلّ فيعمل ذلك الشراب في تطهير الظاهر والباطن، وشراب الدنيا يطهر ظاهر البدن وباطنُ البدن ينجسـ[ـه] الشراب. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الرجل من أهل الجنة لَيعطَى قوةَ مائةِ رجل في الأكل والشرب[٥] والجماع» فقال يهودي: إن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حاجة أحدهم[٦] عرق يَفيض[٧] من جسده فيَضْمُر لذلك بطنُه».[٨] والأصل أنك قد ترى الطعام الذي يَطعمه الإنسان في الدنيا يبقى قوته في البدن حتى يظهر ذلك في كل جارحة من جوارحه، وكذلك شهوته تبقى[٩] فيها. ثم يخرج الثُّفْل منها والفضل. فجائز أن يرفع الله تعالى عن ذلك الطعامِ الفضلَ الذي يزايل البدن فيكون[١٠] طعامهم ذلك اللطيفَ الذي يبقى في النفس.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **إن هذا كان لكم جزاء**، فجائز أن يكون هذه البشارة خرجت لأهلها في الدنيا. وجائز أن يكون لهم في الآخرة أن هذا الذي أُكْرمتم به من الكرامات جزاء لعملكم وسعيكم في الدنيا.

---

[١] ر م – الفضة.
[٢] جميع النسخ: بأساوير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٨ظ.
[٣] جميع النسخ: يطهر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] جميع النسخ: ويطهر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] ر: والشراب.
[٦] ن – حاجة أحدهم.
[٧] ر ث: يغيض.
[٨] عن ابن أبي حاتم قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ فقال: «والذي نفسي بيده إن الرجل منهم لَيُؤْتَى قوّة مائةِ رجلٍ منكم في الأكل والشرب والجماع والشهوة». قال: فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة، والجنة طاهرة ليس فيها قَذَرٌ ولا أذًى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حاجتهم عرق يفيض مثل ريح مسك، فإذا كان ذلك ضَمُر له بطنُه». (*الدر المنثور* للسيوطي، ١٠٠/١؛ وانظر أيضا: *بحر العلوم* للسمرقندي، ١٠٣/٣).
[٩] جميع النسخ: يبقى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٨ظ.
[١٠] ن: ويكون.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً﴾[٢٣]

وقوله: **إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا**، قيل: فرّقنا عليك القرآن تفريقا. والحكمة في التفريق ما ذكر في آية أخرى[1] وهي[2] قوله: [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا] لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ[وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً]،[3] فأخبر أن في التفريق تثبيتا،[4] فيكون الناس له أوعى وأعرف بمواقع النوازل منه من أن ينزل جملةً واحدة. ثم أضاف التنزيل إلى نفسه هاهنا وأضاف إلى جبريل عليه السلام في قوله عز وجل: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ،[5] وقوله تعالى: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ،[6] وقال في آية أخرى:[7] حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[8] فأضافه[9] إلى نفسه. وقال: فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ.[10] فهذا كله على مجاز الكلام ليس على الحقيقة، فحق كل من ذلك أن يصرف إلى ما إليه أَوْجَهُ وإلى ما يستجيزه[11] الناس من التعامل فيما بينهم بذلك الكلام. فإذا قيل: هذا في اللوح [المحفوظ][12] فُهِمَ به و أريد منه أنه مكتوب فيه. وقوله عز وجل: حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[13] معناه:[14] حتى يسمع كلاما يدله على كلام الله تعالى، لا[15] أن يكون ذلك كلامَه. وأضافه إلى جبريل عليه السلام، لأنه من قِبَله تلقّاه[16] لا أن يكون ذلك كلام جبريل عليه السلام.

[٨٧٧و] / ثم قد ذكرنا[17] الحكمة في إنزال القرآن مفرّقا قبل هذا الفصل الكافي منه.[18]

---

[1] ر ث م + في القرآن.
[2] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩و.
[3] سورة الفرقان، ٣٢/٢٥.
[4] ر ن م: تثبيت.
[5] سورة الشعراء، ١٩٣/٢٦-١٩٤.
[6] سورة الواقعة، ٤٠/٦٩.
[7] ر ن م - أخرى.
[8] ﴿وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجِره حتى يسمعَ كلام الله﴾ (سورة التوبة، ٦/٩).
[9] ر م: فأضاف.
[10] ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ (سورة البروج، ٢١/٨٥-٢٢).
[11] ر م: وإلى يستجيز؛ ث: وإلى يستخير.
[12] الزيادة من المرجع السابق.
[13] سورة التوبة، ٦/٩.
[14] ر ث م + أنه.
[15] م - لا.
[16] ر ث م: يلقاه.
[17] ر ث م: قد ذكر.
[18] انظر: تأويلات القرآن، ٣٧٤/٨، ٢٤٨/١٠-٢٤٩.

ثم جائز أن يكون التفريق لمكان أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ليس لمكانه، لأن الله تعالى يَسّر[1] على نبيه حفظه[2] حتى كان يَعِي[3] جميع ما يُنزل إليه جبريل عليه الصلاة والسلام بما يقرأ عليه مرة واحدة، وقيل له: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ،[4] الآية، فَضَمِن له الحفظ فأمن النسيان. فأما غيره فإنه يشتد عليه أن لو كلفه حفظه بدفعة واحدة فأُنزل مفرَّقا ليكونوا أقدَرَ على حفظه. ولهذا ما كثر حفّاظ القرآن في هذه الأمة وكثر قراؤها وكثر فقهاء هذه الأمة؛ لأن القرآن أُنزل مفرَّقا على إثر النوازل فعرفوا مواقع النوازل فوقفوا على معرفة ما أُودع في الآيات لمعرفتهم مواقع النوازل والمنسوخ، ولو نزل جملة واحدة اشتبه عليهم الناسخ من المنسوخ[5] فأنزل الله تعالى مفرقا ليكونوا بعلم[6] الناسخ والمنسوخ[7] أعلم. ولأنه إذا أنزل مفرقا كانوا إليه أشوق[8] وأرغب منه إذا نزل جملة واحدة. ألا ترى إلى قوله تعالى: وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ،[9] الآية، فأخبر أنهم يرغبون إلى أن يُنزل عليهم سورة وإن كانوا قد أنزلت إليهم سورة من قبل. وفيه أيضا تخويف للمنافقين كما قال الله تعالى: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ.[10] فكان في إنزاله مفرقا ما ذكرنا من الفوائد والمنافع للمؤمنين. *والله أعلم.*

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **فاصبر لحكم ربك**، ففيه أنه ابتلاه بما تكرهه[11] نفسه ويشتد عليها حتى دعاه إلى الصبر، لأن المرء لا يدعى إلى الصبر على النعم واللذات وإنما يدعى إليه إذا ابتلي بالمكاره[12] والبليات.

---

[1] ر: يستر؛ ن: بشر؛ ث: تيسر.
[2] ن: حفظ.
[3] ر ث م: بقي.
[4] ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾ (سورة القيامة، ٧٥/١٦-١٩).
[5] ر ث م: والمنسوخ.
[6] جميع النسخ: يعلم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩و.
[7] ر م + والله.
[8] ر ث: أسوق.
[9] سورة محمد، ٤٧/٢٠.
[10] سورة التوبة، ٩/٦٤.
[11] ر ث م: بما يكرهه.
[12] ث: بالمكان.

وقد صبر عليه السلام على المكاره لأنه أمر بمضادّة الجن والإنس فانتصب لهم حتى آذَوه كلَّ الأذى وهموا بقتله. وقوله: **ولا تطع منهم آثما أو كفورا**، كأنه قال: ولا تطع من دعاك[1] إلى ما تَأْثَم فيه أو تكون[2] كفورا، أو لا تُجب الآثم،[3] أو الكفور إلى ما يدعوك[4] إليه.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **واذكر اسم ربك**، يحتمل واذكر[5] باسم ربك، أو صلِّ باسم ربك، كقوله: وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى،[6] أو يقول: **واذكر اسم ربك**، أي كن ذاكرا له في كل وقت. وقوله عز وجل: **بكرة وأصيلا**، البُكرة تحتمل[7] صلاة الصبح، والأصيلُ يحتمل صلاة الظهر والعصر.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا**، يحتمل صلاةَ الليل: النوافلَ إن كان قوله: وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا،[8] في صلاة الفرائض، وإن لم يكن في ذلك فيكون كأنه قال: واذكر ربك في كل وقت بالليل والنهار؛ أو يقول: فليكن اسم ربك مذكورا حتى لا يخلو ساعة من هذه الساعة إلا وهو[9] مذكور فيها. ***والله أعلم***.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا**. حب العاجلة مما طبع به[10] الخلائق؛ لأن كلًّا[11] طُبع على حب الانتفاع والتمتع بالشيء، فلا يلحقهم الذم بحب ما طُبعوا عليه وأُنشئوا. ولكن الذم إنما يلحق[12] من أحب الدنيا واختارها وآثرها على غير الذي

---

[1] ر ث م + إلى ما دعاك.
[2] ر م: أو يكون.
[3] ن: الأثيم.
[4] ر ث م: إلى ما يدعون.
[5] ر ث م – واذكر.
[6] سورة الأعلى، ١٥/٨٧.
[7] جميع النسخ: يحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩و.
[8] الآية السابقة.
[9] ر م: إلا هو.
[10] ر ث م – به.
[11] جميع النسخ: لأن كل. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: ولكن إنما يلحق الذم. والترجيح من المرجع السابق.

جعلت له[١] الدنيا وأنشئت، فالدنيا إنما أنشئت[٢] وجعلت[٣] ليكتسب بها نعيم الآخرة والحياة الدائمة اللذيذة، فمن أحبها[٤] لهذا فهو لا يلحقه بذلك ذم ولا تعيير،[٥] ومن أحبها وآثرها لها واكتسبها لها فهو المذموم. وأولئك كانوا مختلفين في ذلك لم يكونوا على فن واحد. منهم من حمل حبه الدنيا على إنكار وحدانية الله تعالى وألوهيته. ومنهم من حمل حبه إياها على تكذيب الرسل والتعادي لهم ومكابرة الحق. ومنهم من حمل حبه إياها على إنكار البعث والجزاء لما عملوا.[٦] ومنهم من حمل حبه الدنيا على التفريق بين الرسل أنكروا بعضا وصدقوا بعضا. وتولد[٧] من حبهم إياها ما ذكرنا فلحقهم الذم لذلك، ولذلك ما ذَكَر من الإنفاق في الدنيا حيث قال: مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ،[٨] الآية. فمن أنفق في هذه الدنيا[٩] لها فتكون[١٠] نفقته ما ذكر، لأنه أنفق لغير ما[١١] جعلت له النفقة، فكان ما ذكر. فعلى ذلك من أحب الدنيا واختارها للدنيا لا لاكتساب ما ذكرنا من النِّعم[١٢] اللذيذة الدائمة والحياة الباقية التي لا انقطاع لها كان على ما ذَكَر.

ثم إذا ذكرت[١٣] الدنيا [في القرآن] ذكرت الآخرة وراءها؛ وإذا ذكرت الآخرة على إثر ذكر الإنسان قيل: "أمامَه"، لأن الإنسان يُقبل إليها، فيكون ذلك أمامَه وقُدَّامَه. وأما عند ذكر الدنيا قيل: "وراءها"، لأنها تَخلُفها،[١٤] وكلُّ من خَلَف آخر يكون بعده ووراءه، لأنه يكون عند فوت الآخر، لذلك كان ما ذكر.

---

[١] ر ث م – له.

[٢] جميع النسخ: واستست فالدنيا إنما أسست. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩و.

[٣] ن – فالدنيا إنما أنشئت وجعلت.

[٤] ر ث م: فمن أحب.

[٥] ن: ولا يعتبر.

[٦] ر م: لما علموا.

[٧] ن ث: تولد.

[٨] ﴿مَثَل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صِرٌّ أصابت حَرثَ قومٍ ظلموا أنفسهم فأهلكته﴾ (سورة آل عمران، ١١٧/٣).

[٩] ث – حيث قال مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت الآية فمن أنفق في هذه الدنيا.

[١٠] جميع النسخ: فيكون.

[١١] ر ث م: لغيرها.

[١٢] ن: من النعيم.

[١٣] جميع النسخ: إذا ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩ظ.

[١٤] ر ن م: يخلفها؛ ث: يخلقها. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **نحن خلقناهم وشددنا أسرهم،** رجع إلى الاحتجاج عليهم لما أنكروا؛ يقول: يعلمون أنا خلقناهم بدءا ونحن شددنا أسرهم أي قوتهم، أو نحن شددنا خلقتهم، أو نحن[1] وصلنا جوارحهم المتفرقة ومفاصلهم المتشتّتة[2] بعضَها إلى بعض،[3] ونحن نبدل[4] أمثالهم / إن شئنا، فما بالهم ينكرون قدرتنا على البعث والإعادة بعد الموت؟ يقول: من قدر على ما ذكر لا يعجزه شيء وهو على البعث أقدر. وقوله عز وجل: **وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا،** يُذكر بعد هذا إن شاء الله تعالى. [٨٧٧ظ]

﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **إن هذه تذكرة،** يحتمل[5] **هذه،** أي هذه السورةَ، لأنه ذكر[6] في أولها ابتداء إنشائهم وخلقِهم و[في][7] آخرها أعادتَهم وفي خلالها[8] جزاءَ صنيعهم الذي صنعوا، فيكون في ذلك تذكرةً لهم. ويحتمل قوله: **إن هذه تذكرة،** أي الأنباءَ التي ذكرت في القرآن، أو هذه المواعظُ تذكرة لما لهم وما عليهم، أو تذكرة[9] لما لله عليهم وما لبعضهم[10] على بعض. وقوله عز وجل: **فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا،** هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول: قد مكّن كلًّا أن يتخذ سبيلا إلى ربه، أي لا شيءَ يمنعه عن اتخاذ السبيل إلى ربه إذا شاء، لكن مَن لم يتخذ إنما لم يتخذ لأنه لم يشأ أن يتخذ سبيلا وإلا قد مُكّن له ذلك. والثاني يقول: من شاء اتخاذ السبيل فليتخذ السبيل إلى ربه، على ما نذكر[11] على الاستقصاء بعد هذا إن شاء الله تعالى.

---

[1] جميع النسخ: ونحن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩ظ.
[2] ن: المنشئة.
[3] ن – إلى بعض.
[4] ن: ببدل.
[5] ر م: ويحتمل.
[6] ن – ذكر.
[7] الزيادة من المرجع السابق.
[8] ر ن م: وفي خلال.
[9] ر ن م: وتذكرة.
[10] ن: وأما لبعضهم.
[11] ر ن ث: على ما يذكر؛ م: على ما ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٣٠]

ثم قوله تعالى: **وما تشاءون إلا أن يشاء الله**، يقول:[١] -والله أعلم- من شاء اتخاذ السبيل إلى ربه لا يتخذ إلا أن يشاء الله أن يتخذ السبيل إلى ربه فعند[٢] ذلك يتخذ. وهذا على المعتزلة لأنهم يقولون: إن الله تعالى قد شاء لجميع[٣] الخلائق أن يتخذوا إلى ربهم سبيلا لكنهم شاءوا أن لا يتخذوا[٤] فلم يتخذوا. وقد أخبر أنهم لا يشاءون اتخاذ السبيل إليه ولا يتخذون إلا أن يشاء الله لهم اتخاذَ السبيل، فعند ذلك يتخذون ما ذكر ويشاءون.

وقوله عز وجل: **إن الله كان عليما حكيما**، إن الله تعالى لم يزل **عليما**، بصنع خلْقِه من التكذيب له والتصديق ومن[٥] الطاعة له والمعصية، أي على علم منه بصنيعهم أنشأهم وخلقهم، **حكيما**، في فعله ذلك وخلْقِه إياهم على ما علم منهم أن لا يكون،[٦] لأنه[٧] إنما خلقهم وأنشأهم لمنافع أنفسهم ولحاجتهم لا لمنافع ترجع[٨] إليه أو لِمَضارّ يَدفع عن نفسه. فخلقه إياهم وبعْثُه[٩] الرسلَ إليهم على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد لا يخرج فعْلَه عن الحكمة والحق، بل يكون حكيما في ذلك. وأما من يبعث الرسول في الشاهد إلى من يعلم أنه يكذِّبه ويردُّ رسالته وهديته ويستخفّ به [ففعله هذا] سفه ليس بحكمة، لأنه إنما يُرسل الرسول ويبعث هديته لمنافع تكون[١٠] له،[١١] فعِلْمُه بما يكون منه سفه ليس بحكمة، لذلك افترقا.

﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **يدخل من يشاء في رحمته**، هذا على المعتزلة أيضا، لأنه ذكر أنه يدخل من يشاء في رحمته وهم يقولون: قد شاء أن يدخل كلًّا في رحمته لأنه شاء إيمان كلّ منهم،

---

[١] ن – يقول.
[٢] جميع النسخ: وعند. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩ظ.
[٣] ر: بجميع.
[٤] ر م + إلى ربهم سبيلا؛ ر م – لكنهم شاءوا أن لا يتخذوا.
[٥] جميع النسخ: من. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] جميع النسخ: أن يكون. والزيادة من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: الآية. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ن: وبعثة.
[١٠] جميع النسخ: يكون.
[١١] جميع النسخ: للمرسل.

والله تعالى أخبر أنه يدخل من يشاء في رحمته دل ذلك على أنه لم يشأ أن يُدخل في رحمته مَن علم منه أنه يختار الضلال، ولكن إنما شاء أن يدخل في رحمته من[1] علم منه أنه يختار الهدى، فأما من علم منه اختيار غيره فلا يحتمل أن يشاء ذلك له. *والله أعلم*.[2]

وقوله عز وجل: **والظالمين أعد لهم عذابا أليما**، أي وشاء أيضا من علم منه الضلال أن يعذبه[3] عذابا أليما. وفي حرف ابن مسعود وأُبيّ وحفصةَ رضي الله عنهم: يختص برحمته من يشاء، وهذا الحرف تفسير تأويل الآية. و[يحتمل] أن يكون[4] رحمته هاهنا هو الهدى وسبيلَ الله. ويحتمل أن يكون رحمته[5] جنتَه[6] سميت رحمةً، لأنه برحمته ما يَدخلها[7] أهل الإيمان. والله أعلم بحقيقة ما أراد. *والله الموفق*.[8]

---

[1] ن: حين.
[2] ن ث: والله الموفق.
[3] جميع النسخ: أن يعد له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٠و.
[4] جميع النسخ: وأن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ + هو.
[6] ر م: هو جنة.
[7] ن + إلا.
[8] ر ن – بحقيقة ما أراد والله الموفق؛ ث – والله الموفق.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المرسلات[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾[١] ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾[٢] ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾[٣] ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾[٤] ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾[٥]

قوله عز وجل:[2] **والمرسلات عُرْفا فالعاصفات عَصْفا والناشرات نَشْرا فالفارقات فَرْقا فالملقيات ذِكْرا**، اختلف الناس[3] في تأويلها. فمنهم من حمل تأويل هذا كله على الملائكة، ومنهم من صرفها إلى الرياح، ومنهم من صرف البعض إلى الرياح والبعض إلى الملائكة. وجائز أن يجعل هذا كله في الرياح، ويستقيم أن يصرف كله إلى الملائكة، ويستقيم أن يجعل البعض في الملائكة والبعض في الرياح. فإن كان في الرياح استقام القسم بها، لأن من الرياح رياحا هُنّ[4] مبشرات برحمته سابقات للنعم[5] إلى عباده، كقوله تعالى: وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ.[6] ومن الرياح رياح هي مُنْجيات، قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا؛[7]

---

[1] ر – سورة المرسلات؛ ن: سورة والمرسلات؛ ث + وهي خمسون آيات مكية.

[2] ن – قوله عز وجل.

[3] ر ث م: اختلفوا.

[4] ن: بين.

[5] ر ث م: المنعم.

[6] سورة الروم، ٤٦/٣٠.

[7] ﴿...جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق﴾ (سورة يونس، ٢٢/١٠-٢٣).

فجعل الله تعالى الريح[1] سببا لتسيير السفن في البحار كما جعل الماء سببا لذلك. وجعل منها مهلكات مذكِّرات لقوته[2] وسلطانه، كما[3] قال عز وجل: فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ،[4] الآية، فهي تميتهم وتهلكهم من غير أن يدركوها[5] بأبصارهم وإن كانت الأبصار هي أول ما يقع بها درك الأشياء. ولو أراد أحد أن يعرف الوجه الذي له صارت المنجيات منجياتٍ أو يعرف الوجه الذي له صارت الرياح[6] مهلكات / أو[7] مبشرات لم يقف عليه، فصارت الرياح مذكرات للنعم.[8] وفي تذكير النعم إيجاب القول [بالرسالة لما ذكرنا، وفي تذكير القدرة والسلطان إيجاب القول][9] بالبعث وبكل ما يخبرهم به الرسل؛[10] لأنهم كانوا ينكرون البعث [لخروجه عن قواهم وحكمتهم، فهم إذا تدبروا في أمر الرياح][11] ورأوا [ما][12] فيها من لطائف الحكمة وعجائب التدبير ما لا يبلغه[13] تدبيرهم[14] وحكمتهم علموا أن الأمر غير مقدر بقواهم[15] ولا بحكمتهم. فيكون في ذكر ما ذكرنا إزاحةُ ما اعترض لهم[16] من الشكوك[17] والشبه في أمر[18] البعث، فأقسم بها جل جلاله على ما ذكرنا أن القسم جُعل لتأكيد ما يقصد إليه باليمين.[19]

[٨٧٨و]

---

[1] ر ث م – الريح.

[2] م: لفوته.

[3] ر – كما.

[4] ﴿أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٦٩).

[5] ر ث م: أن يدركوه.

[6] ث – الرياح.

[7] ن: أي.

[8] م – للنعم؛ ن + مهلكات أو مبشرات لم يقف عليه فصارت الرياح مذكرات للنعم.

[9] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٠و.

[10] ر: بالرسل.

[11] الزيادة من المرجع السابق.

[12] الزيادة من المرجع السابق.

[13] جميع النسخ: لا يبلغها. والتصحيح من المرجع السابق.

[14] ث: بتدبيرهم.

[15] جميع النسخ: بعقولهم. والتصحيح من المرجع السابق.

[16] ر ث م: له.

[17] جميع النسخ: من الشك. والتصحيح من المرجع السابق.

[18] ن – في أمر.

[19] ن – باليمين.

فرجعنا إلى قوله: **والمرسلاتِ عرفا**، قيل: هي الرياح المبشرات سميت عرفا لأنه ما تأتي[١] به من النعم معروف.[٢] وقيل: العرف المتتابع، وسمي عرف الفرس عرفا لتتابع بعض الشعر على بعض، فجائز أن يكون منصرفا إلى الرياح المبشِّرة. وكذلك قوله تعالى: **والناشراتِ نشرا**، جائز أن يكون[٣] يُحمل على الرياح لكن على الرياح المبشرات وهي الرياح السهلة الخفيفة، لأن النشر مذكور في رياح الرحمة[٤] بقوله: وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نَشْرًا[٥] بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ،[٦] في بعض القراءات.[٧]

وقوله عز وجل: **فالعاصفاتِ عَصْفا**، هي الرياح الشديدة التي تكسر الأشياء وتقصمها[٨] وهي التي تُرسَل[٩] للإهلاك كقوله تعالى: فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ.[١٠] وجائز أن يكون قوله: **والمرسلات عرفا**، هي اسم الرياح التي لم يظهر أنها أرسلت للهلاك أو للتبشير، لأن الرياح التي ترسل[١١] للرحمة يظهر أثر رحمتها من ساعاتها من إرسال السحاب وغير ذلك قبل أن تتتابع.[١٢] وكذلك الرياح التي هي رياح إهلاك يظهر عَلَم الإهلاك من ساعتها وهو أن تكون[١٣] قاصفة شديدة قبل أن تتتابع.[١٤] وقوله تعالى: **فالفارقات فَرْقا**، **فيحتمل**[١٥] الرياح أيضا وإنما سميت فارقات لأنها تفرّق[١٦] السحاب فيصير البعض في أفق والبعض في أفق آخر.[١٧]

---

[١] جميع النسخ: ما يأتي. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٠و.
[٢] جميع النسخ: معروفة.
[٣] ن – أن يكون.
[٤] جميع النسخ: للرحمة. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] جميع النسخ: بشرا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] سورة الأعراف، ٥٧/٧.
[٧] قرأ حمزة والكسائي وخلَف "الرّيح نَشرا" بفتح النون وسكون الشين (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٢٠٩).
[٨] ر م: ويقصمها؛ ن: وبعضها.
[٩] ن: يرسل.
[١٠] ﴿أم أَمِنتُم أن يُعيدكم فيه تارةً أُخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيُغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ (سورة الإسراء، ٦٩/١٧).
[١١] ن ث: يرسل.
[١٢] ر ن م: أن يتتابع.
[١٣] ر ن م: أن يكون.
[١٤] ر ن م: أن يتتابع.
[١٥] ر م: يحتمل.
[١٦] ن: يفرق.
[١٧] جميع النسخ: أخرى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٠و.

وقوله عز وجل: **فالمُلْقياتِ ذِكرا**، فجائز أن يصرف إلى الرياح، وإلقاء ذكرها ما ذكرنا أنه تَظهر[١] بها[٢] النعم[٣] ويُتذكر ويُتبيَّن[٤] بها النجاة ويقع ببعضها الإهلاك،[٥] فذلك إلقاء ذكرها. *والله أعلم*.

وإن صُرف الكل إلى الملائكة فيحتمل أيضا. فقوله عز وجل: **والمرسلاتِ عرفا**، أي الملائكةِ الذين أرسلوا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقوله عز وجل: **والعاصفات عصفا**، أي الملائكة الذين يَعصِفون أرواح الكفار أي يأخذونها على شدة وغضب. وقوله: **والناشراتِ نشرا**، جائز أن يكون أريد بها السَّفَرة[٦] من الملائكة[٧] سُمّوا ناشرات لأنهم ينشرون الصحف ويقرءونها. وجائز أن[٨] يراد بها الملائكة الذين يأخذون أرواح المؤمنين على لِين ورفق. وقوله: **فالفارقات فرقا**، جائز أن يراد بها الملائكة، وسميت فارقات لأنهم يفرّقون بين الحق والباطل. وقوله: **فالملقيات ذكرا**، هم الملائكة الذين يلقون الذكر على ألسن الرسل عليهم السلام.

وإن صرف البعض إلى الملائكة والبعض إلى الرياح فمستقيم أيضا، فيكون **المرسلات**، الذين أرسلوا بالمعروف والخير، **والعاصفات**، الريح الشديدة، **والناشرات**، الرياح الخفيفة السهلة، **والفارقاتِ فَرقا فالمُلْقيات ذكرا**، هم الملائكة.

ويحتمل وجها آخر أن يراد بقوله: **والمرسلات عرفا**، هم الرسل من البشر الذين بعثوا إلى الخلق، فما من رسول بعث إلا وهو مرسل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكذلك جائز أن يراد بقوله تعالى: **فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا**، هم الرسل، لأنهم يفرقون بين الحق والباطل ويُلْقُون الذكر في مَسامع الخلق. وجائز أن يكون قوله: **والمرسلاتِ عرفا**، هي الكتب المنزلة[٩] من السماء لأنها أرسلت بالمعروف وكل أنواع الخير. وكذا قوله:

---

[١] جميع النسخ: يظهر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٠ظ.
[٢] م – بها.
[٣] م: بالنعم.
[٤] جميع النسخ: ويبين. والتصحيح من المرجع السابق.
[٥] جميع النسخ: الهلاك. والتصحيح من المرجع السابق.
[٦] م: السفر.
[٧] ث: في الملائكة.
[٨] ن + يكون.
[٩] ن – المنزلة.

والناشرات نشرا، أي ناشرات الحق[1] والهدى. وكذا قوله عز وجل: **فالفارقات فرقا**، لأنها يفرق بين الحق والباطل أيضا. وكذلك **فالملقيات ذكرا**، فإنها سبب لذلك. ***والله أعلم***.

﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **عذرا أو نذرا**، أي عذرا من الله تعالى، وهو أن الله تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب وبيّن الحجج حتى لم يبق لأحد على الله حجة بعد ذلك، فهذا هو الإعذار. وقوله: **أو نُذْرا**، أي أنذرهم ولم يَعجَل في إهلاكهم بل بين لهم ما يُتقى ويجتنب وما يُندَب إليه ويؤتَى، فهذا هو الإنذار. وعلى[2] تأويل الرياح ما ذكرنا أنها مذكرات نعم الله تعالى ونقمته فيكون في ذلك إيجابُ ذكر المنعم والمنتقم، فيكون في ذلك إعذار[3] وإنذار. ***والله أعلم***.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾[٧]

وقوله عز وجل: **إنما توعدون لواقع**، فهذا موضع القسم بما ذكر من المرسَلات إلى آخرها. ثم إن كان الموعود هو يومَ البعث فمعناه إن الذي توعدون[4] به من البعث لكائن، وإن كان على الجزاء والعقاب فتأويله إن ما توعدون[5] به من العذاب لنازل بكم. فيكون الآية في قوم عَلِمَ الله تعالى أنهم لا يؤمنون.

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **فإذا النجوم طمست**، فكأنه –والله أعلم– لما نزل قوله تعالى: إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ،[6] سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن[7] وقت وقوعه متى يكون، فنزل **فإذا النجوم طمست**، فأشار إلى الأحوال التي [تكون][8] يومئذ لا إلى نفس الوقت. فقوله: **طمست**،[9] / أي ذهب ضوءها ونورها ثم تناثرت. [٨٧٨ظ]

---

[1] جميع النسخ: للحق. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٠ظ.
[2] جميع النسخ: على. والتصحيح من المرجع السابق.
[3] ن: اعتذار.
[4] جميع النسخ: يوعدون. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر: إن ما يدعون؛ ن ث م: إن ما يوعدون. والتصحيح من المرجع السابق.
[6] الآية السابقة.
[7] ر: عما.
[8] الزيادة من المرجع السابق.
[9] ن – فأشار إلى الأحوال التي تكون يومئذ لا إلى نفس الوقت فقوله طمست.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾[٩] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **وإذا السماء فرجت**، أي انشقت. **وإذا الجبال نسفت**، أي قُلعت من أصلها فسوِّيت بالأرض. وقال الزجاج: نسفتُ الشيء إذا أخذْتَه على سرعة.[١]

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[١١]

وقوله عز وجل: **وإذا الرسل أقتت**، وقرئ "وُقّتت"[٢] وكذلك أصله، لكن الهمزة أبدلت مكان الواو طلبا للتخفيف، وهو من التوقيت أي جمعت لوقت. وقيل: أحضرت الرسل ليشهد كل واحد منهم على قومه الذين بُعث إليهم، كما قال الله تعالى: وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هٰؤُلَاءِ.[٣] وقيل: **أقتت**، أي وُعِد لهم بيان حقيقة ما إليه دُعُوا من وقوع ما أُوعدوا قومهم الذين تركوا إجابتهم من العذاب ووُعد لهم الوصول إلى من آمن بالله تعالى وأجاب الرسل فيما دعوهم إليه من الثواب.

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾[١٢] ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾[١٣]

وقوله عز وجل:[٤] **لأي يوم أجلت**، فأجلت وأُقّتت واحد، لأن في التأجيل توقيتا وفي التوقيت تأجيلا. ثم بين وقت[٥] حلول الأجل أجلِ العذاب بقوله عز وجل: **ليوم الفصل**، أي ليوم الحكم والقضاء، قال الله تعالى: وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى.[٦] وقال: وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ،[٧] فجائز أن تكون[٨] الكلمة[٩] التي سبقت منه هي[١٠] تأخيرَ الجزاء إلى يوم البعث، فجعل ذلك يوم الجزاء وذلك يكون بالمعاينة،

---

[١] ﴿وإذا الجبال نُسِفَتْ﴾ قال الزجاج: أي ذُهِب بها كلِّها بسرعة. يقال: انتسفتُ الشيء، إذا أخذتَه كله بسرعة (*معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٢٦٦/٥؛ *وزاد المسير* لابن الجوزي، ١٠٨/٦).

[٢] قرأ أبو عمرو ويعقوب: "وُقِّتَتْ" بالواو وتشديد القاف (*المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٥٦).

[٣] سورة النحل، ٨٩/١٦.

[٤] ن – وأجاب الرسل فيما دعوهم إليه من الثواب وقوله عز وجل.

[٥] ن – وقت.

[٦] سورة طه، ١٢٩/٢٠.

[٧] سورة يونس، ١٩/١٠؛ وسورة هود، ١١٠/١١؛ وسورة فصلت، ٤٥/٤١.

[٨] جميع النسخ: أن يكون.

[٩] ر م: الكل.

[١٠] جميع النسخ: هو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١١و.

وجعل هذه الدار دار[١] محنةٍ وابتلاء وذلك يكون بالحجج والبينات، فكأنه قال: لولا ما سبق من كلمة الله تعالى من تأخير الجزاء والعذاب وإلا كان العذاب واقعا بهم في هذه الدنيا بالتكذيب. ويحتمل وجها آخر وهو أن الله تعالى أخر الجزاء والعقاب إلى اليوم[٢] الذي يجمع فيه الأولين والآخرين، وقدّر في هذه الدنيا خلْق هذا البشر[٣] على التتابع [بعضِها على أثر بعض ولم يقدّر خلقهم جملةً. فأُخر العذابُ][٤] إلى ذلك اليوم، إذ ذلك اليوم هو الذي يوجد[٥] فيه الجمع.[٦] *والله أعلم*. وسُمي يومُ الفصل لهذا أنه يوم القضاء والحكم،[٧] ولأنه اليوم الذي يظهر فيه مثوى أهل الشقاء[٨] وأهل السعادة، ويُفصل بين الأولياء والأعداء أو يُفصل[٩] بين الخصماء. *والله أعلم*.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾[١٤]

وقوله: **وما أدراك ما يوم الفصل**، أي لم تكن تدري[١٠] فأدراك[١١] الله تعالى ذكر هذا، إما على التعظيم والتهويل لذلك اليوم أو على الامتنان على رسوله صلى الله عليه وسلم بإطْلاعه عليه. *والله أعلم*.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[١٥]

وقوله عز وجل: **ويل يومئذ للمكذبين**، وفي هذا دليل على أن الوعيد[١٢] المذكور على الإطلاق منصرف إلى أهل التكذيب. ثم لم يذكر ما للمصدّقين وحقه أن يقال: طوبى للمصدقين، لأن حرف الويل يُتكلم به عند الوقوع في المهلكة وحرفَ[١٣] طوبى يتكلم به في موضع السرور والعطية.

---

[١] م - دار.
[٢] ر م - إلى اليوم.
[٣] ر ث م: للنشر؛ ن: النشر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١١و.
[٤] الزيادة من المرجع السابق.
[٥] م: توجد.
[٦] ن: لا بجمع.
[٧] ث: + والله أعلم.
[٨] ث: الشقاوة.
[٩] ر م: ويفصل.
[١٠] ن: لم يكن يدري.
[١١] ن: قدر لك؛ ر ث م: فدراك. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن م - الوعيد.
[١٣] ن + وحرف.

فإذا ذكر في أهل التكذيب حرف الهلاك كان من كان بخلاف حالهم مستوجِبا للسرور؛ ولكنه إن لـم يُذكر هاهنا، فقد ذكرها في موضع آخر بقوله: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا،[1] وقال عز وجل: فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.[2]

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾[١٦] ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾[١٧] ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾[١٨] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[١٩]

[٨٧٩و س٢٩] * وقوله عز وجل: **ألم نهلك الأولين**، وهم قوم نوحٍ وقوم عادٍ وثمودَ. **ثم نتبعهم الآخرين**، قوم فرعونَ وقوم لوطٍ وغيرُهم. **كذلك نفعل بالمجرمين**، قيل: مجرمي هذه الأمة. ثم اختلف في وقت فِعله. فمنهم من يقول بان هذا الإهلاك في الآخرة، لقوله تعالى: بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ.[3] ومنهم من ذكر أنه فُعل بهم يومَ بَدْرٍ. ومنهم من ذكر أن فِعْله بمجرمي أمة[4] محمد عليه الصلاة والسلام، كما روي[5] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نصرت بالرعب مسيرة شَهْرَين».[6] ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب حتى تركوا الانتياب[7] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه للمحاربة مع كثرة شوكتهم وقلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا فعله بالمجرمين. وفي إلقاء الرعب ألطف[8] آيات رسالته وأبين حجة[9] عليها، إذ[10] كان فيه ما ينبّئهم[11] أن الذي أقعدهم عن القتال وقذف في قلوبهم الرعب أمر سماوي لا غير. *والله أعلم*.* [٨٧٩و س٣٦]

---

[1] ث + ألم نخلقكم من ماء مهين. ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثُبورا ويصلى سعيرا﴾ (سورة الانشقاق، ٨٤/ ٧-١٢).

[2] جميع النسخ + تقديم وتأخير [أي في سورة العبارة تقديم وتأخير، كما سترى]. ﴿فمن ثقُلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ (سورة الأعراف، ٧/٨-٩).

[3] سورة القمر، ٥٤/٤٦.

[4] ر: أمته.

[5] جميع النسخ: ما روي.

[6] *المعجم الكبير* للطبراني، ١١/٦١، ٦٤؛ و*السنن الكبرى* للبيهقي، ٢/٦٠٨. وفي الرواية المشهورة: «نصرت بالرعب مسيرة شهرٍ» (*مسند أحمد بن حنبل*، ١/٣٠١؛ وصحيح *البخاري*، التيمم ١؛ وصحيح *مسلم*، المساجد ٣).

[7] ر ن م: الأسباب.

[8] ر ن م: لطف.

[9] ن: حجحه.

[10] ر م: إذا.

[11] ر م: ماستهم؛ ن: ما يبسهم.

* وقع ما بين النجمتين متأخرا عن موضعه، فنقلناه إلى هنا. انظر: ورقة ٨٧٩و/سطر ٢٩ - ٣٦.

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **ألم نخلقكم من ماء مهين**، فجائز أن يكون ذكر هذا ليدفع عنهم الإشكال والريب الذي اعترض لهم في أمر البعث،[١] لأن الأعجوبة في الإعادة ليست بأكثر من الأعجوبة في الإنشاء والابتداء، فذكر ابتداء خلقهم لينتفي عنهم الريب في الإعادة. وجائز أن يكون ذكر خلقهم من الماء المهين وهو الماء المستعاف[٢] المستقذر[٣] ليدَعوا تكبرهم وتجبرهم[٤] على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقادوا له[٥] ويجيبوا إلى ما دعاهم إليه وأخبر أنه خلقهم في الظلمات التي لا ينتهي إليها تدبير البشر ليعلموا أنه قادر على ما يشاء ويعرفوا أنه لا يخفى عليه شيء، فيحملهم ذلك على المراقبة وعلى التيقظ والتبصر.

﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾[٢١] ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **فجعلناه في قرار مكين**، فالقرار المكين هو الرَّحِم، جعله الله تعالى قرار مكينا يتمكن فيه الماء المهين فيَخلق منه علقة ومضغةً ويَقِرّ فيه إلى الوقت الذي قدر الله تعالى الخروج منه.

﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾[٢٣] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **فقدرنا**، قرئ فَقَدَرْنَا وقدَّرْنا،[٦] "فقدَرْنا"[٧] أي[٨] خلقنا كل شيء منه بقدر. و"فَقَدَّرْنَا"، أي سويناه على ما توجبه[٩] الحكمة على الوجوه التي تذكر[١٠] في قوله عز وجل: وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى.[١١] وقوله عز وجل: **فنعم القادرون**، أي أَنْعِمْ به مِن قادر، فيخرج مخرج ذكر الآلاء والنعم، أي إن الذي فعل بكم هذا هو الله تعالى لم يقدر أحد أن يفعل بكم هذا الفعل.

---

[١] ن + البعث.
[٢] م: المستعان؛ ن: المستعار.
[٣] ر م: المسقذر.
[٤] ر م: وتحيرهم؛ ث: وتحبرهم.
[٥] ر م – له.
[٦] معجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ١٠/٢٤٤-٢٤٥.
[٧] ر م – وقدرنا فقدرنا.
[٨] م + أنعم.
[٩] ر ث م: على ما يوجب؛ ن: على ما يوجبه.
[١٠] ر ث – يذكر؛ ن م: يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١١و.
[١١] سورة الأعلى، ٣/٨٧.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾[٢٥] ﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا**، فجائز أن يكون هذا صلة قوله تعالى: أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ،[١] فيكون في ذكر هذا كله تذكير الآلاء والنعم وتذكيرُ القدرة والسلطان والحكمة. فوجه تذكير[٢] النعم أن الله تعالى في أول[٣] ما أنشأه أنشأه[٤] نطفة قَذِرَةً[٥] وجعل لها مكانا يغيب عن أبصار الخلق و لم يفوّض تدبيرها إلى البشر؛ وكذلك في الوقت[٦] الذي أنشأه علقة ومضغة لم يفوض تدبيره إلى أحد من خلائقه، لأنه في ذلك الوقت بحيث يستعاف ويستقذر ولا يُدفَع عنه المعنى الذي وقعت الاستعافة والاستقذار بالتطهير، فجعل له قرار مكينا يستتر[٧] به عن أبصار / الخلائق. ثم لما أنشأه نَسَمةً وسوّى خلقه [٨٧٩و] أخرجه[٨] من بطن أمه وألقى في قلب أبويه الرقة والعطف ليقوموا بتربيته وإمساكه إلى أن يبلغ مبلغا يقوم بتدبير نفسه ومصالحه.[٩] ثم جعل له بعد مماته أرضا تَكْفِتُه[١٠] وتَضُمّه[١١] إلى نفسها فيستتر[١٢] بها عن أبصار الناظرين إذ رجع بعد موته إلى حالة يستعاف ويستقذر ولا يقبل التطهير. فكان في ذكره أولَ أحواله وإلى ما ينتهي إليه تذكير النعم لِيُقبل[١٣] على أداء شكره. أو جعل الرحم قرارا له في وقت كونه نطفة وعلقة ومضغة لما لا يعرف الخلائقُ أنه بما [ذا][١٤] يغذَّى حتى ينمو ويزيد[١٥] فرفع عنهم مؤنة التربية في ذلك الوقت. ثم إذا صار بحيث يعرف وجه غذائه وعرف الخلق المعنى الذي يعمل في دفع حاجته أخرجه من بطن الأم وفوض تدبيره إلى أبويه،

---

[١] جميع النسخ + وألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا. الآية ٢٠ والآية ٢١ من هذه السورة.
[٢] ر م: التذكير.
[٣] ن: في أقل.
[٤] ر م - أنشأه.
[٥] ر م: قدرة.
[٦] ن: وكذلك الوقت.
[٧] ر م: ليستتر.
[٨] ن + أخرجه.
[٩] ن: ومصالحها.
[١٠] ر ن ث: يكفته؛ م: يكفنه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١١ظ.
[١١] جميع النسخ: ويضمه. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر ث م: فيستر.
[١٣] جميع النسخ: ليصل. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٤] الزيادة من المرجع السابق.
[١٥] ن: ويريد.

فهذا وجه تذكير النعم. وفي ذكره ذكر القوة والسلطان والحكمة. وهو أن الله تعالى جعل النطفة التي أنشأ منها النَّسَمَة بحيث تصلح[١] أن يُنْشأ منها علقة ومضغة ولو أراد الخلق أن يعرفوا[٢] المعنى الذي له صلحت النطفة بأن يُنشأ منها العلقة والمضغة والعظام واللحم ثم يكون منها نَسَمة سوية لم يصلوا إلى معرفته. وإذا تفكروا في هذا علموا أن حكمته ليست على ما ينتهي إليه علم البشر ولا قوته تقصر[٣] على الحد الذي ينتهي إليه قوى البشر. والذي كان يحملهم على إنكار البعث [والإحياء][٤] بعد الإماتة تقديرهم الأمور على قوي أنفسهم وتسويتها بعقولهم.[٥] فإذا تدبروا في ابتداء أحوالهم ورأوا من لطائف التدبير وعجائب الحكمة علموا أن الأمر ليس كما قالوا وقدّروا فيدعوهم ذلك إلى[٦] التصديق بكل ما يأتي به الرسل ويخبرهم من أمر البعث وغيره.

وجائز أن يكون ذكَّرهم ابتداء أحوالهم ونشوءهم وإلى ما يصيرون[٧] إليه لِيَدَعوا التكبر على دين الله تعالى وينقادوا له بالإجابة ولا يستكبروا[٨] على أحد من خلائقه؛ لأنهم في ابتداء أحوالهم كانوا نطفة يستقذرها الخلائق ثم علقة ومضغةً ويصيرون في منتهى الأمر جيفة قَذِرةً، ومن كان هذا وصفه فأنى يليق به التكبر على أحد.

ثم قوله عز وجل: **ألم نجعل الأرض كفاتا**، تكفتهم[٩] أي تضمهم[١٠] وتجمعهم[١١] في حياتهم[١٢] وبعد مماتهم، فالانضمام إليها في حال حياتهم ما جعل لهم من المساكن فيها والبيوت وجعل[١٣] لهم بعد مماتهم مقابرُ يُدفَنون فيها، أو جعل متقلَّبَهم ومثواهم في ظهورها في حياتهم

---

[١] جميع النسخ: يصلح. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١١ظ.
[٢] ن + الخلق.
[٣] جميع النسخ: لقصر. والتصحيح من المرجع السابق.
[٤] الزيادة من المرجع السابق.
[٥] ن: لعقولهم.
[٦] ن ث + إلى.
[٧] ر ث م: وإلى ما يصيروا.
[٨] ث: ويستكبروا.
[٩] جميع النسخ: يكفتهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٠] جميع النسخ: يضمهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] جميع النسخ: ويجمعهم. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ن م: في حسابهم.
[١٣] م: جعل.

وجعل بطنها مأوًى لهم بعد وفاتهم، وجعل ظهرها[1] بساطا لهم لتسلكوا فيها سبلا فِجاجا وقدر لهم فيها أقواتهم، فذكّرهم وجوه النعم في خلقه[2] الأرض ليستأدي منهم الشكر.[3] *والله أعلم*.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾[٢٧] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **وجعلنا فيها رواسي شامخات**، فالرواسي هي الجبال الثابتات في الأرض أثبتها في الأرض لِيَقِرَّ بها ولا تَميد بأهلها، إذ لو مادت لم يصل أهلها إلى ما قُدّر لهم بها[4] من المنافع، فذكَّرهم بذكره الجبال الرواسي عظيم نعمه عليهم ليستأدي منهم الشكر؛ والشامخات هي الطِّوال. وقوله عز وجل: **وأسقيناكم ماء فراتا**، [أي أنزلنا إليكم من السماء ماء فراتا][5] ولولا إنزاله عليكم[6] لم تكونوا تصلون إليه بقُواكم وحِيَلكم. ثم أنزله من السماء إلى الأرض ولم يَخرج من حد العُذوبة ولا حَلَّ به التغير[7] بما مسته[8] الأرض واختلطت به وهذا منصرف إلى الشرب خاصة. ثم لغير العذْب من المنافع ما[9] للعذب إلا الشرب[10] خاصة.*

﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون**، معناه -والله أعلم- إلى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله تعالى، وهم كانوا يكذبون بالبعث وبالعذاب؛ لكن يقال لهم هذا بعد البعث، فهو منصرف إلى ما ذكرنا من العذاب.

---

[1] ر م – ظهرها.

[2] ن: في خلقة.

[3] لعل المؤلف رحمه الله تعالى يشير إلى قوله تعالى: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا والله جعل لكم الأرض بساطًا لتسلكوا منها سبلا فجاجا﴾ (سورة نوح، ١٧/٧١-٢٠).

[4] ر ن م – بها.

[5] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١١ظ.

[6] ر ث م: عليهم.

[7] ر م: التغيير.

[8] ر م: بماسته.

[9] ن: ماء.

[10] ر م: الشراب.

* وقعت هنا قطعة من تفسير الآيات ١٦-١٩ متأخرة عن موضعها، فنقلناها إلى هنالك. انظر: ورقة ٨٧٩و/ سطر ٢٩-٣٦.

﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾[٣٠]

وقوله عز وجل: **انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب**، ذُكر أن ذلك الظل دخان يخرج من جهنم[١] فيظنون أنه ظل فينطلقون إليه رَجاءَ أن ينتفعوا[٢] به.[٣] وقوله: **ذي ثلاث شُعَبٍ**، يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون أصله واحدا[٤] ثم يتشعَّب منه / شعب ثلاث. وجائز أن يكون [٨٧٩ظ] في الأصل ذا شعب ثلاث يأتيهم[٥] كل شعبة من ناحية ثم يجتمع فيصير شيئا واحدا.

﴿لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **لا ظليل ولا يغني من اللهب**، أي لا ينتفعون به [كـ]ما ينتفعون[٦] بالظل في الدنيا، لأن ظل الدنيا يُهرب إليه لدفع الحر أو ليُسكَّن فيه لأن ظل البيت مما يسكن فيه وظل الشجر والحيطان يُؤْوَى[٧] إليه لِيُتَرَوَّح. وذلك الظل لا يُغنى عنهم في الآخرة في دفع الحرارة ولا في غيرها. وقوله عز جل: **ولا يغني من اللهب**، فجائز أن يكونوا هربوا إلى ذلك الظل من اللهب، فيخبر أن ذلك الظل لا يدفع عنهم أذى اللهب. وجائز أن يكون اللهب في ذلك الظل وتكون[٨] كثافة الظل ساترة[٩] عما فيها من اللهب، فيخبر أن سترها لا يمنع اللهب عن أن يمسهم إذا انضمّوا إلى الظل.

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **إنها ترمي بشرر كالقصر**، [وقرئ كالقَصَر][١٠] مفتوحة الصاد، فالقراءة المفتوحة[١١] [هي] المعروفة.[١٢] قيل: يراد بالقَصْر المعروف المبني باللَّبِن والخشب، وقيل: يراد بها

---

[١] عن مجاهد قوله: ﴿إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾ قال: دخان جهنم (*تفسير الطبري*، ٢٩٦/٢٩).
[٢] ر: أن ينتفعون.
[٣] انظر: *تفسير مقاتل بن سليمان*، ٤٣٧/٣.
[٤] ن: واحد.
[٥] جميع النسخ: باسم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٢و.
[٦] جميع النسخ: ما ينتفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[٧] ر ث م: ليؤوا؛ ن: يؤوا. والتصحيح من المرجع السابق.
[٨] جميع النسخ: ويكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ن: سايرة.
[١٠] الزيادة من المرجع السابق.
[١١] ر ن م - المفتوحة.
[١٢] *معجم القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٢٤٨/١٠.

قصور أهل البادية وهي الخيام. ومن قرأ بالنصب اختلفوا في تأويله. عن ابن عباس رضي الله عنه كالقَصَر قَصَرِ النخل،[١] الواحدة قَصَرة.[٢] وذلك أن النخلة تُقطَع[٣] قدرَ ثلاثةِ أَذرُعٍ وأَقصر وأَطولَ[٤] يستوقدون[٥] بها[٦] في الشتاء. وقال بعضهم: هو أصل النخل المقطوع المنقعر في الأرض.[٧] وقيل: هو أعناق النخل.[٨] وقيل القَصَرة اسم الخشبة التي يقطع عليها اللحوم[٩] وتكسر[١٠] العظام، تكون[١١] للقصابين. وعن الحسن أنه قرأ مخففة:[١٢] كالقَصْر، غير أنه فسرها أي الجِذْل[١٣] من الخشب الواحد قَصْرَة،[١٤] كقولك: تمرة وتمر. *والله أعلم*. وفيه إخبار عن عِظَم شررها وقدرها خلافا لما عليه الشرر في الدنيا، لأن شرر الدنيا[١٥] لا يأخذ مكانا بل يتبين ثم ينطفئ. ثم جائز أن يكون بعض شررها في العظم كالخيام وبعضها كالقصور وبعضها كأصول[١٦] الأشجار.

﴿كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾[٣٣] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[٣٤]

وقوله: **كأنه جمالة صفر**، قرئ جِمالةٌ صفرٌ جماعة الجمل، وقرئ جمالات جمع جمالة.[١٧] والصفر قيل: السود، وإنما[١٨] سميت السود صفرا لأن السود يعلوها الصفرة في الإبل، فتسمى بهما،[١٩]

---

[١] ر: النحل.
[٢] ر ن م: قصره.
[٣] ر ن م: يقطع.
[٤] ن: واقتصر.
[٥] م: ليستوقدون.
[٦] ن – بها.
[٧] جميع النسخ: من الأرض. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٢و.
[٨] جميع النسخ: النخيل. والتصحيح من المرجع السابق.
[٩] ن: اللحم.
[١٠] ر ث م: ويكسر.
[١١] جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر: فخففه.
[١٣] ر: أي الحول؛ ن ث: أي الحرل؛ م: أي الحزل. والتصحيح من المرجع السابق. الجِذْلُ، أصل الشجرة الباقي من شجرة وغيرِها بعد ذَهابِ الفَرْعِ (*لسان العرب*، «جذل»).
[١٤] قرأ الحسن كالقَصْر مخففًا وفسره بالجِذْل من الخشب، الواحدة قَصْرة (*لسان العرب*، «قصر»).
[١٥] ر م – لأن شرر الدنيا.
[١٦] ر م: كالأصول.
[١٧] *تفسير الطبري*، ٢٩/٣٠٠.
[١٨] ن: إنما.
[١٩] ث: بها.

يدلك قول القائل:

تلك[١] خيلي منه وتلك[٢] رِكابي[٣] هن صُفْرٌ أولادها كالزبيب[٤]

شبه الشرر بالقَصْر والقَصْر بالجِمالة وهي الإبل الأسود. وقرئ جُمالات برفع الجيم[٥] وهي حبال السفن تُمدّ ثم إذا ضمت تكون[٦] كأوساط الرجال. فشبه[٧] الشرر بالحبال الممدودة الصفْر عند الامتداد وعند الانتظام كأوساط الرجال، فيكون كالقصر.

﴿هٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾[٣٥]

وقوله عز وجل: **هذا يوم لا ينطقون**، فجائز أن يكون معناه أنهم لا ينطقون نطقا ينتفعون به كما لم يكونوا ينطقون في الدنيا كلاما يقربهم إلى الله تعالى، فعاملهم في الآخرة حَسَبَ معاملتهم الله تعالى في الدنيا.[٨] وهو كقوله تعالى: نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ،[٩] وقوله تعالى: قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا،[١٠] الآية. ومنهم من يقول: لا ينطقون في بعض المواضع وينطقون في بعضها. ويحتمل أي لا ينطقون بحجة بل يَكذِبون، كقوله: إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ.[١١]

---

[١] م – تلك.

[٢] ر م ث: ويلك.

[٣] والركاب: الإبل التي يُسار عليها، واحدتها «راحلة» ولا واحد لها من لفظها وجمعها رُكُب (*لسان العرب*، «ركب»).

[٤] قال الفراء في قوله تعالى: "كأنه جِمَالاتٌ صُفْرٌ" قال: الصُفر سُود الإبل لا يُرَى أَسود من الإبل إلا وهو مُشْرَب صُفْرة ولذلك سَمَّت العرب سُود الإبل صُفرًا كما سَمَّوا الظِّباءَ أُدْمًا لِما يَعْلُوها من الظلمة في بَياضِها [وقال] أبو عبيد: الأَصفر الأَسود. وقال الأعشى:

تلك خَيْلي منه وتلك رِكابي هُنَّ صُفْرٌ أَولادُها كالزَّبِيب.

فرس أصفر وهو الذي يسمى بالفارسية زَرْدَهْ. قال الأَصمعي: لا يسمَّى أصفر حتى يصفرَّ ذَنَبُه. والأصفر من الإبل الذي تَصْفَرُّ أَرْضُهُ وتَنْفُذُه شَعْرة صَفْراء (*لسان العرب*، «صفر»).

[٥] معجم *القراءات* لعبد اللطيف الخطيب، ٢٥٠/١٠.

[٦] جميع النسخ: يمد ثم إذا ضمت يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٢و.

[٧] ر: فيشبه.

[٨] ر م – في الدنيا.

[٩] ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾ (سورة الحشر، ١٩/٥٩).

[١٠] ﴿قال رب لِمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى﴾ (سورة طه، ١٢٥/٢٠-١٢٦).

[١١] ﴿ثم لم تكن فِتْنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ (سورة الأنعام، ٢٣/٦-٢٤).

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[٣٦] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[٣٧]

وقوله عز وجل: **ولا يؤذن لهم فيعتذرون**، ليس أنه لا يُقبل العذر منهم إذا أتوا به ولكن معناه أنه لا عذر لهم ليقبل منهم، وهو كقوله تعالى: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ،[١] معناه أنه لا شفيع لهم لا أنهم[٢] إذا أتوا بشفعاء لا تُشَفَّع[٣] لهم، وإذا لم يكن لهم[٤] عذر فهم لا يعتذرون[٥] بعذر.

﴿هٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين**، ففيه إخبار أنه لا يَخص بالبعث فريقا دون فريق بل يجمع الخلائق كلهم، ثم يَفصل[٦] بينهم، فينزل كُلٌّ منزلته التي استوجبها: فريق في الجنة وفريق في السعير.[٧] وقيل: هو يوم الحكم، فجائز أن يكون سُمي به لما يختصم فيه أهل المذاهب فيُحكم فيه بين المحق وبين الذي كان على الباطل. ***والله أعلم***.

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾[٣٩] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **فإن كان لكم كيد فكيدون**، فجائز أن يكون يقال لهم هذا في الآخرة: أن كِيدوا حتى تُنْجوا أنفسكم مما نزل بكم،[٨] أي إن كانت لكم[٩] حيلة[١٠] تحتالون بها فافعلوا.[١١] وهو حرف التقريع والتوبيخ على نفي نفاذ المكر والحيلة ليس على ما عليه أمر الدنيا أنهم يحتالون ويمكرون بأنواع الخِداع والتمويهات. ويحتمل أن قيل لهم[١٢] هذا في الدنيا، أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعارضهم بهذا فيقولَ لهم: **فإن كان لكم كيد فكيدونِ**،

---

[١] سورة المدثر، ٧٤/٤٨.
[٢] ث: لما أنهم.
[٣] جميع النسخ: لم يشفع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٢و.
[٤] ر ث م – لهم.
[٥] ر م: لا يعذرون.
[٦] م: يفعل.
[٧] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعلى: ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتُنذر أُمَّ القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٧).
[٨] ن ث + أي.
[٩] ن – لكم.
[١٠] ر: ميلا؛ ن ث م: حيلا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٢ظ.
[١١] ر ث م: ما فعلوا.
[١٢] جميع النسخ: لكم. والتصحيح من المرجع السابق.

[في][1] قتلي أو إخراجي من بين أظهركم، كما قال هود عليه السلام لقومه: فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ،[2] فعجْزُهم عن ذلك يُظهر لهم آية رسالته وحجة نبوته، إذ هو[3] حرف الإغراء من غير أعوان كانوا له ولا جنودٍ مجنَّدةٍ، بل كان وحيدا فريدا بين ظهرانَيْ قومٍ مشركين[4] ليست همتهم إلا إطفاءَ هذا النور.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **إن المتقين في ظلال وعيون**، فالمتقون هم الذين اتقوا عذاب الله. قال الله تعالى: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ،[5] وقال في آية أخرى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا،[6] وقال: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ،[7] فهذا هو التقوى. ثم إن أهل[8] التوحيد أقروا[9] / بالعذاب فاجتهدوا في اتقائه فقيل لهم: انطلقوا إلى ظلال [٨٨٠و] وعيون، وأهل النار كانوا مكذبين بالعذاب فقيل لهم: اِنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ،[10] من العذاب.

ثم أَخبَرَنا بالوجه الذي يقع به الاتقاء فقال: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا؛[11] وأمرنا بالانتصاب[12] لمحاربته ثم علَّمَنا وجه المحاربة بقوله: وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ،[13] وقال الله: وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ،[14] وقال: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، فألزمنا الفزع إليه وبيَّن أنّا لا نَقْوى على محاربته إلا بالابتهال إليه والفزع.

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٢ظ.
[2] سورة هود، ٥٥/١١.
[3] ر ث م – هو.
[4] ر ث م: مشركون.
[5] سورة آل عمران، ١٣١/٣.
[6] سورة التحريم، ٦/٦٦.
[7] سورة البقرة، ٢٠١/٢.
[8] ن: ثم أهل.
[9] ر: قرؤا.
[10] الآية ٢٩ من هذه السورة.
[11] سورة فاطر، ٦/٣٥.
[12] ن: بالانتصار.
[13] سورة الأعراف، ٢٠٠/٧.
[14] سورة المؤمنون، ٩٧/٢٣.

ثم يحتمل أن يكون الاتقاء هاهنا منصرفا إلى التصديق خاصة، لأنه ذكر الاتقاء هاهنا مقابل التكذيب في الأولين. وجائز أن يكون منصرفا إلى المصدقين بالأقوال والموقنين بالأعمال؛ فالمتقى هو الذي اتقى إساءة صحبة نعم الله تعالى فوقاه الله تعالى شر يوم القيامة مجازاة له،[١] والمحسن هو الذي أحسن صحبة نعمه فأحسن الله مُتَقَلَّبه[٢] وأحلّه[٣] بدار كرامته في ظلال وعيون وفواكه. أو المتقى هو الذي وقى نفسه عن المهالك[٤] فوقاه الله تعالى يوم القيامة، والمحسن هو الذي أحسن[٥] إلى نفسه وهو الذي استعملها في طاعة الله تعالى فأحسن الله[٦] إليه بما أنعم عليه من الظلال والعيون.

ثم أخبر أنهم في ظلال، لأن الظلال مما يرغب إليه الأنفس في الدنيا لأنها[٧] تدفع[٨] عنهم أذى الحر والبرد[٩] وأذي المطر والرياح وغير ذلك، وظلال الأشجار والحيطان تدفع[١٠] أذى الحر، وظلال البنيان تدفع[١١] أذى الحر والبرد والمطر وهي لا تحول أيضا بين المرء والأشياء عن أن يدرك حقائقها. فعظمت النعمة في الظلال ووقعت إليها[١٢] الرغبة في الدنيا فقال: **إن المتقين في ظلال وعيون**، وقال تعالى: وَظِلٍّ مَمْدُودٍ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ.[١٣] ثم الأنفس إذا أوت[١٤] إلى الظلال اشتهت[١٥] ما يتمتع به الأبصار، وأعظمُ ما يتلذذ به الأبصار أن يكون نظرها إلى المياه الجارية، فأخبر أنهم في ظلال وعيون.

---

[١] ن – له.
[٢] ر: منقلبه.
[٣] ر ث م: وأجله.
[٤] ر م: عن الهلاك.
[٥] ث: حسن.
[٦] ر م – فأحسن الله؛ ن: مما أحسن الله.
[٧] ث: لأنه.
[٨] جميع النسخ: يدفع. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٢ظ.
[٩] ر م + والمطر وهي لا تحول أيضا.
[١٠] جميع النسخ: يدفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[١١] جميع النسخ: يدفع. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] ر م – إليها.
[١٣] سورة الواقعة، ٥٦/٣٠-٣١.
[١٤] ر م: إذا أوت أوت؛ ن إذا أرادت أوت؛ ث: إذا أدت أدت. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٥] ن: اشتهيت.

﴿وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **وفواكه مما يشتهون**، أي [في][١] فواكه أيضا. فأخبر أن[٢] لهم فيها ما يتلذذ به الأبصار ويتمتع به وفيها ما تشتهي[٣] أنفسهم وفيها ما يدفع عن أنفسهم[٤] الأذى.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **كلوا واشربوا هنيئا**، لا تَبِعَةَ لكم من جهة السؤال ولا تنغيص،[٥] أي لا يؤذيهم ما يأكلون ويشربون. فالهنيء[٦] الذي لا تبعة على صاحبه ولا تنغيص فيه.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[٤٤] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **إنا كذلك نجزي المحسنين**، فسَمَّى المتقي محسنا، لأنه بدأ بذكر المتقين وذكر ما أعد لهم ثم أخبر أنهم جُزُوا ذلك بإحسانهم. فيكون فيه دلالة على أن الاتقاء متى ذكر[٧] على الانفراد يقتضي إتيان المحاسن والاتقاءَ عن المهالك. ثم رجع المكذبين فقال:

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾[٤٦] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[٤٧]

كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون، فهذا في الظاهر أمر[٨] بالأكل والشرب وهو في الحقيقة وعيد،[٩] وهو أن تمتعكم[١٠] بالأكل وغيره الذي يمنعكم عن النظر في الآيات قليلٌ عن سريع تفارقونه[١١] وتصيرون إلى عذاب الله تعالى. وقوله: **إنكم مجرمون**، قد ذكرنا أن المجرم هو الوَثّاب في المعاصي.

---

[١] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣١٢ظ.
[٢] ن: فما حيران.
[٣] ر م: ما يشتهي.
[٤] ر ث م: عن بعضهم.
[٥] ر: ولا يتغيص.
[٦] ر ث م: فالمعنى.
[٧] ن – على أن الاتقاء متى ذكر.
[٨] ر م – أمر.
[٩] ن: وعد.
[١٠] ن: أن يمنعكم؛ م: أن نمتعكم.
[١١] ن: يفارقونه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾[٤٨] ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون**، أي إذا قال لهم الرسول عليه الصلاة والسلام: اركعوا أي اخضَعوا واستسلِموا لله تعالى امتَنَعوا عن ذلك استكبارا منهم على الرسل وإعراضا عن النظر في حجج الله تعالى.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **فبأي حديث بعده يؤمنون**، أي فبأي حديث يصدقون[1] بعد حديث الله تعالى الذي لا حديثَ أصدق منه وأقوى في الدلالة؟ وجائز أن يكون هذا على تسفيه عقولهم وأحلامهم، وهو أنهم يمتنعون عن التصديق لحديث الله تعالى إذ لا حديث أصدقَ منه ثم يصدّقون الأحاديث الكاذبة والأباطيل المزخرفةَ. ***والله أعلم بالصواب***.[2]

---

[1] جميع النسخ: تصدقون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٣و.

[2] ر – والله أعلم بالصواب؛ ن – بالصواب.

الفهارس

- فهرس الآيات المستشهد بها
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الأعلام
- فهرس الشعوب والقبائل والأماكن
- فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات
- فهر الأشعار
- فهرس الكتب
- فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية

فهرس الآيات المستشهد بها

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الأعلام

فهرس الشعوب والقبائل والأماكن

فهرس الأديان والفرق والمذاهب والجماعات

فهرس الأشعار

فهرس الكتب

فهرس المصطلحات والأفكار الرئيسية

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- *الأعلام*
قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين؛ تأليف خير الدين الزركلي، بيروت ١٩٨٠م.
- *الأنساب*؛
تأليف أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تحقيق أكرم البوشي، القاهرة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- *الدر المصون*
في علوم الكتاب المكنون؛ تأليف أحمد بن يوسف بن محمد المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق أحمد محمد الخراط، دمشق ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- *الدر المنثور*
في التفسير بالمأثور؛ تأليف أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، بيروت ١٩٨٣م.
- *العالم والمتعلم*؛
تأليف الإمام أبي حنيفة نعمان بن ثابت الظوطى، تحقيق محمد زاهد الكوثري، القاهرة ١٣٦٨هـ.
- *الفهرست*؛
تأليف أبي الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق المعروف بابن النديم، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- *الكشاف*
عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل؛ تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- *اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة*؛
تأليف أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، بيروت بدون تاريخ (دار المعرفة).

- *المبسوط في القراءات العشر*؛
تأليف أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.
- *المعجم الكبير*؛
تصنيف أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الموصل ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
- *المعجم المفهرس*
لألفاظ القرآن الكريم؛ إعداد محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.
- *المعجم الوسيط*؛
تأليف إبراهيم مصطفى وآخرين، القاهرة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- *المفردات*
...المسمى *مفردات ألفاظ القرآن*؛ تأليف أبي القاسم الراغب الحسين بن محمد بن المفضل الإصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داودي، دمشق ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- *الموطأ*؛
تصنيف أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *النشر في القراءات العشر*؛
تأليف أبي الخير ابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد الجزري، تحقيق علي محمد الضباع، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).
- *النكت والعيون*؛
تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- *النهاية*
في غريب الحديث والأثر؛ تأليف أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).
- *بحر العلوم*؛
تأليف أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود – زكريا عبد المجيد النوتي، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- *تاريخ مدينة دمشق*؛
تصنيف أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

– *تأويل مشكل القرآن*؛
تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تعليق السيد أحمد صقر، بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
– *تذكرة الحفاظ*؛
تأليف شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تعليق الشيخ زكريا عميرات، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
– *تفسير ابن كثير*
... المسمى *تفسير القرآن العظيم*، تأليف الحافظ أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، إستانبول ١٩٨٤م.
– *تفسير الحسن البصري*؛
جمع وتوثيق ودراسة محمد عبد الرحيم، القاهرة ١٩٩٢.
– *تفسير الضحاك*؛
تأليف الإمام أبي القاسم ضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي، تحقيق محمد شكري أحمد الزاويتي، القاهرة ١٤١٩هـ/١٩٩٩.
– *تفسير القرطبي*
... المسمى *الجامع لأحكام القرآن*؛ تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).
– *تفسير النسفي*
... المسمى *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*؛ تأليف عبدالله بن أحمد بن محمود حافظ الدين أبو البركات النسفي، تحقيق مروان محمد الشعار، بيروت ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
– *تفسير روح البيان*؛
تأليف إسماعيل حقي البروسوي، إستانبول ١٣٨٩هـ.
– *تفسير عبد الرزاق*؛
تصنيف عبد الرزاق بن هَمّام بن نافع الصنعاني، تحقيق دكتور محمود محمد عبده، بيروت ١٩٩٩م.
– *تفسير غريب القرآن*؛
تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
– *تفسير مقاتل بن سليمان*؛
تأليف أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني، تحقيق أحمد فريد، بيروت ٢٠٠٣م.
– *تقريب التهذيب*؛
تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، حلب ١٤٠٦هـ.
– *تنوير المقباس*
من تفسير ابن عباس؛ بيروت ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

– *تهذيب التهذيب*؛
تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق خليل مأمون شيحة – عمر السلامي – علي بن مسعود، بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
– *حجة القراءات*؛
تأليف الإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
– *روح المعاني*
في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني؛ تأليف أبي الثناء شهاب الدين محمود شكري بن عبد الله بن محمود الآلوسي، بيروت بدون تاريخ (دار إحياء التراث العربي).
– *زاد المسير*؛
في علم التفسير؛ تأليف أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي، بيروت ١٤٠٤هـ.
– *سنن ابن ماجة*؛
تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
– *سنن أبي داود*؛
تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي؛ نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .
– *سنن الترمذي*؛
تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
– *سنن النسائي*؛
تصنيف أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
– *سير أعلام النبلاء*؛
تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرنئوط، بيروت ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
– *شرح التأويلات*؛
تأليف أبي بكر علاء الدين محمد بن أحمد بن أبي أحمد السمرقندي، نسخة مخطوطة بمكتبة سليمانية، قسم حميدية، رقم ١٧٦ [Süleymaniye ktp., Hamidiye nr. 176]؛ ومكتبة بايزيد، قسم ولي الدين، رقم ٤٢٦ [Beyazıt ktp., Veliyyüddin nr. 426]؛ ومكتبة الحرم المكي، رقم ٥٣٠.
– *شعب الإيمان*؛
تصنيف أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد – مختار أحمد الندوي، رياض ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

- *صحيح البخاري*؛
الجامع الصحيح؛ تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجُعْفِي البخاري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *صحيح مسلم*؛
الجامع الصحيح؛ تصنيف أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *طبقات المفسرين*؛
تأليف أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
- *كتاب الزهد*؛
تأليف أبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).
- *كشف الخفاء*
ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس؛ تأليف أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني، القاهرة ١٣٥١هـ.
- *لسان العرب*؛
تأليف أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، بيروت ١٤١٤هـ.
- *لسان الميزان*؛
تأليف أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- *مسند أحمد بن حنبل*؛
تصنيف أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، نسخة مصورة ضمن موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، إستانبول ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- *مصنف ابن أبي شيبة*؛
تصنيف أبي بكر عبد الله بن محمد ين أبي شيبة الكوفي، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- *مصنف عبد الرزاق*؛
تصنيف أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- *معالم التنزيل*؛
تأليف أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الرياض ١٤٠٩هـ.
- *معاني القرآن وإعرابه*؛
تأليف أبي إسحاق الزجاج إبراهيم بن السَّرِي بن سهل، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- *معجم الأدباء*؛
تأليف أبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، المعروف بياقوت الحموي، بيروت بدون تاريخ (مطبوعات دار الميمون).

- *معجم القراءات*؛
عبد اللطيف الخطيب، دمشق ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

- *مفاتيح الغيب*؛
تأليف أبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، طهران بدون تاريخ (دار الكتب العلمية).

- *ميزان الاعتدال*
في نقد الرجال؛ تأليف أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

- *وفيات الأعيان*
وأنباء أبناء الزمان؛ تأليف أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

دارالميزان
MİZAN YAYINEVİ